

مِنْهَا مَجَالِ الْبَرَايَةِ

فِي مَجَالِ الْبَلَاغَةِ

لِوَلِيِّهَا

الْعَلَامِ الْمُحْتَمِلِ الْفَيْزِ الْبُرْجَانِيِّ

الْمُهَيَّبِ الْبُرْجَانِيِّ

مِنْ مَنَشُورَاتِ

الْمَكْتَبِ الْأَسْلَمِيِّ

طهران، شارع ١٥ خرمشهر

تلفون ٥٦٥٢٢٨-٥٦١٩٦٦

مِنْهَا مَجَالُ الْبِرِّ أَعْلَى



في شرح هَجَجِ الْبَلَاغَةِ

مؤلفاً



العالم المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوني قدس سره

عني بتصحيحه وتهذيبه العالم الفاضل: السيد ابراهيم المياجي

الطبعة الرابعة

الجزء الثالث

٣

الناشر:

مكتبة الاسلامية بطهران

شارع بوذرجمهری تلفون (۵۲۱۹۶۶)

حق چاپ و عکسبرداری از این نسخه محفوظ است

طبع فی المطبعة الاسلامیة بطهران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة الثالثة

في كيفية غضب أهل الجلالة للخلافة و ما جرى منهم يوم السقيفة و بعدهما من إجبار أمير المؤمنين عليه السلام على البيعة و إنكار من أنكر عليهم ذلك و ما جرى في تلك الوقائع من الظلم و الطغيان لعنة الله على أهل البغي و العدوان ، و نحن ذاكر هنا ما وصل إلينا من طرق أصحابنا رضوان الله عليهم ، و أمّا ما ذكره العامة في هذا الباب و روه في سيرهم و تواريخهم فننصدي لهما كعض روايات الخاصة إن شاء الله في شرح الخطب الآتية ممّا أشار فيها الامام عليه السلام إلى هذا المرام .

فقول : روى الشيخ أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج عن أبي المفضل محمد بن علي الشيباني بإسناده الصحيح عن رجال ثقة ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في مرضه الذي توفى فيه إلى الصلاة متوكئاً

على الفضل بن عباس و غلام له يقال له : ثوبان وهى الصلاة التي أراد التخلف عنها لتقله ثم حمل على نفسه وَاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ و خرج ، فلما صلى عاد إلى منزله فقال لغلामه : اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الأ نصار و تجلاه الغشى فجاء الأ نصار فأحدقوا بالباب و قالوا : ائذن لنا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : هو مغشى عليه و عنده نساؤه ، فجعلوا يبكون ، فسمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البكاء ، فقال : من هؤلاء ؟ قالوا : الأ نصار ، فقال : من هيهنا من أهل بيتي ؟ قالوا : علي و العباس فدعاهما ، و خرج متوكئاً عليهما فاستند إلى جذع (٢) من أساطين مسجده و كان الجذع جريد نخل فاجتمع الناس و خطب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقال في كلامه : إنه لم يم ت نبي قط إلا خلف تركة و قد خلفت فيكم الثقلين : كتاب الله و أهل بيتي ، ألا فمن ضيعهم ضيعه الله ، ألا و إن الأ نصار كرشي (٢) و عييتي التي آوي إليها ، و إنني أوصيكم بتقوى الله و الاحسان إليهم ، فاقبلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئتهم .

ثم دعا اسامة بن زيد و قال : سر على بركة الله و النصر و العافية حيث أمرتك بمن أمرتك عليه ، و كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمره على جماعة من المهاجرين و الأ نصار فيهم أبو بكر و عمر و جماعة من المهاجرين الأولين ، و أمره أن يعبروا « يعبروا خل » على موة (٣) واد من فلسطين ، فقال اسامة : بأبي أنت و أمي يا رسول الله أتأذن لى فى المقام أيتاما حتى يشفيك الله ، فأنسى متى خرجت و أنت على هذه الحالة خرجت و فى قلبى منك قرحة ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انغذيا اسامة لما أمرتك ، فإن القمود عن الجهاد لانحب فى حال من الأحوال ، فبلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الناس طعنوا فى عمله ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بلغنى أنكم طعنتم فى عمل اسامة و فى عمل أبيه من قبل ، و أيم الله إنه لخليق للامارة و إن أباه كان خليقاً لها و إنه لمن أحب الناس إلى ، فأوصيكم به خيراً فلان قلت فى أمارته فقد قال قائمكم فى أمارته أبيه .

١- بالكسر ساق النخلة ، ق

٢- كرش الرجل عياله و صغار ولده و العيبة من الرجل موضع سره ، لغة .

٣- موضع قتل فيه جعفر بن ابي طالب ، منه .

ثم دخل رسول الله ﷺ بيته و خرج اسامة من يومه حتى عمسك على رأس فرسخ من المدينة و نادى منادي رسول الله ﷺ ! أن لا يتخلف عن اسامة أحد ممن أمرته عليه ، فلفح الناس به ، و كان أذل من سارع إليه أبو بكر و عمرو أبو عبيدة ابن الجراح ، فنزلوا في زقاق (١) واحد مع جملة أهل العسكر .

قال : و نقل رسول الله ﷺ فجعل الناس ممن لم يكن في بعث اسامة يدخلون عليه إرسالاً (٢) و سعد بن عباد شاك (٣) فكان لا يدخل أحد من الأنصار على النبي ﷺ إلا أنصرف إلى سعد يعوده .

قال : و قبض رسول الله ﷺ وقت الضحى من يوم الاثنين بعد خروج اسامة إلى معسكره بيومين ، فرجع أهل العسكر و المدينة قد رجفت بأهلها ، فأقبل أبو بكر على ناقة له حتى وقف على باب المسجد فقال : أيها الناس مالكم تموجون إن كان عهد قدمات فرب محمد لم يمت .

« وما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَابْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَإِنَّ لِلَّهِ شَيْئًا »

ثم اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد و جاذبه إلى سقيفة بنى ساعدة فلما سمع بذلك عمر أخبر به أبا بكر و مضيا مسرعين إلى السقيفة و معهما أبو عبيدة بن الجراح و فى السقيفة خلق كثير من الأنصار و سعد بن عباد بينهم مريض ، فتنازعوا الأمر بينهم فآل الأمر إلى أن قال أبو بكر فى آخر كلامه للأنصار : إنما أدعوكم إلى أبى عبيدة بن الجراح أو عمرو و كلاهما قد رضيت لهذا الأمر و كلاهما أذاه له أهلا ، فقال أبو عبيدة و عمر : ما ينبغي لنا أن نتقدمك يا أبا بكر أنت أقدمنا اسلاماً و أنت صاحب الغار و نانى اثنين فأنت أحق بهذا الأمر و أولانا به ، فقالت الأنصار

١- زقاق زمين هوارونرم و خاك بى ريك، لفة .

١ مكرر- الزقاق كغراب السكة من الطريق النسب ، ق

٢- اى جماعات متتابعين ، منه

٣- الشوكة دا، معروف و حمرة تطلوا الجسد ، ق

نحذر أن يغلب على هذا الأمر من ليس منا ولا منكم فنجعل منا أميراً ومنكم أميراً و نرضى به على أنه إن هلك اخترنا آخر من الأنصار ، فقال أبو بكر بعد أن مدح المهاجرين : وأنتم يا معاشر الأنصار ممن لا ينكر فضلهم ولا نعمتهم العظيمة في الاسلام ، رضيتكم الله أنصاراً لدينه و لرسوله و جعل اليكم مهاجرته و فيكم محل أزواجه ، فليس أحد من الناس بعد المهاجرين الأولين بمنزلتكم فهم الامرآه و أنتم الوزرآه .

فقال الحباب بن المنذر الأنصاري : يا معشر الأنصار املكوا (١) على أيديكم فانما الناس في فيئكم و ظلالكم ولن يجترى مجتر على خلافكم ولن تصدر الناس إلا عن رأيكم ، و أتني على الأنصار ، ثم قال : فان أبي هؤلاء تأميركم عليهم فلسنا نرضى بتأميرهم علينا ولا نقنع بدون أن يكون منا أمير و منهم أمير .

فقام عمر بن الخطاب فقال : هيهات لا يجتمع سيفان في غمد (٢) واحد انه لا ترضى العرب أن تأمركم و نبيها من غيركم لكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النسبة فيهم و أولوا الأمر منهم ، و كنا بذلك على من خالفنا الحجة الظاهرة و السلطان اليقين فما ينازعنا سلطان محمد و نحن أولياؤه و عشيرته إلا مدل بياطل أو متجانف (٣) باثم أو متورط في الهلكة محب للفتنة .

فقام الحباب بن المنذر ثانية فقال : يا معشر الأنصار امسكوا على أيديكم لاتسمعوا مقال هذا الجاهل و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ، و إن أبوأن يكون أمير و أمير فاجلوهم عن بلادكم و تولوا هذا الأمر عليهم فأنتم والله أحق به منهم فقد دان بأسيافكم قبل هذا الوقت من لم يكن يدين بغيرها وأنا جذيلها (٤)

١- يقال املك عليك لسانك اي لاتجره الا بما يكون لك لاعليك ، نهاية

٢- الغمد بالكر جفن السيف وهي غلافه ، لمة .

٣- الجنف معركة كالجنوف بالضم الميل عن الحق والجانب المائل ، ق

٤- الجندل واحدا لاجذال وهو اصول العطب العظام و منه قول حباب بن المنذر انا جذيلها المحكك والمجازل المنتصب مكانه لا يبرح شبه بالجندل الذي ينصب في المعادن لتحتك به الابل الجربى اراد أنه يستغنى براه و تدبيره ، صحاح

المحكك و عذيقها المرجب (١) والله لئن رد أحد قولي لأحطمن أنفه بالسيف.

قال عمر بن الخطاب : فلما كان حباب هو الذي يجينني لم يكن لي معه جواب في كلام خـل ، فأنه جرت بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله ﷺ فنهاني رسول الله ﷺ عن مهاترتي (٢) فحلفت أن لا أكلمه أبداً.

ثم قال عمر لأبي عبيدة : تكلم ، فقام أبو عبيدة بن الجراح وتكلم بكلام كثير وذكر فيه فضائل الأنصار و كان بشير بن سعد سيداً من سادات الأنصار لما رأى اجتماع الأنصار على سعد بن عباد لتأميره حسده و سعى في افساد الأمر عليه و تكلم في ذلك و رضى بتأثير قريش وحث الناس كلهم ولاسيما الأنصار على الرضا بما يفعله المهاجرون :

فقال أبو بكر : هذا عمر وأبو عبيدة شيخا قريش فباعوا أيهما شئتم .

فقال عمر وأبو عبيدة : ما تتولى هذا الأمر امد يدك نبايعك .

فقال بشير بن سعد : وأنا ثالثكما ، وكان سيداً لأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج ، فلما رأته الأوس صنيع بشير و ما دعت إليه الخزرج من تأمير سعد ، أكبوا على أبي بكر بالبيعة و تكاثروا على ذلك و تزاحموا فجعلوا يطأون سعداً من شدة الزحمة و هو بينهم على فراشه مريض ، فقال : قتلتهموني قال عمر : اقتلوا سعداً قتله الله .

فوثب قيس بن سعد فأخذ بلحية عمر وقال : والله يا بن صهاك الجبان في الحروب الفرار اللئيم في الملاء والأمن لو حررت منه شعرة ما رجعت في وجهك واضحة (٣) فقال أبو بكر مهلاً يا عمر فإن الرفق أبلغ و أفضل ، فقال سعد : يا بن صهاك و كانت

١- في حديث السقيفة انا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب الرجبة ان تمد النخلة الكريمة بينا ، من حجارة او خشب اذا نيف عليها طولها و كثرة حملها ان تقع و رجبتها فهي مرجبة والعذيق تصغير العنق بالفتح وهي النخلة و هو تصغير تنظيم و قد يكون ترجيبها بان يجعل حولها شوك لئلا يرتقى اليها النهاية . و ترجيبها ضم اعذاقها الى معقاتها و شداها بالخصم لئلا تنفضها الريح او وضع الشوك حولها لئلا يصل اليها آكل و منه انا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب ، ق

٢- تهاثر الرجلان اذا ادعى كل واحد منهما على صاحبه باطلا

٣- الواضحة الاسنان التي تبذ و عند الضحك ، ق

جدة عمر حبشية : أما والله لو أن لي قوة على النهوض لسمعتما مني في سكرها زميراً (١) أزعجك (٢) وأصحابك منها ولا لحقنكمما بقوم كنتما فيهم أذناً أذلاً ، تابعين غير متبوعين ، لقد اجترتتما ، ثم قال للخزرج احمولوني من مكان الفتنة ، فحملوه فأدخلوه منزله ، فلما كان بعد ذلك بعث إليه أبو بكر أن قد بايع الناس فبايع فقال : لا والله حتى أرميكم لكل سهم في كنانتي (٣) واخضب منكم سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما أقلت يدي فأقاتلكم بمن تبغني من أهل بيتي وعشيرتي ثم أيم الله لو اجتمع الجن والانس على لما بايعتكما أيها الغاصبان حتى أعرض على ربي وأعلم ما حسابي ، فلما جائهم كلامه قال عمر : لا بد من بيعته ، فقال بشير بن سعد إنه قد أبى ولج وليس بمبايع أو يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه الخزرج والأوس فاتركوه ، فليس تركه بضائر فقبلوا قوله و تركوا سعداً .

فكان سعد لا يصلحهم ولا يقضى بقضائهم ولو وجدأ عوانا لصال بهم ولقاتلهم فلم يزل كذلك مدة ولاية أبي بكر حتى هلك أبو بكر ، ثم ولي عمر وكان كذلك فبخشى سعد عائلة (٤) عمر فخرج إلى الشام فمات بحوران (٥) في ولاية عمر ولم يبايع أحداً وكان سبب موته أن رمى بسهم في الليل فقتل وزعم أن الجن رموه ، وقيل أيضاً إن محمد بن سلمة الأنصاري تولى ذلك بجعل جعلت له عليه وروى أنه تولى ذلك المغيرة بن شعبة وقيل خالد بن الوليد .

قال : وبايع جماعة الأنصار ومن حضر من غيرهم و علي بن أبي طالب مشغول بجهاز رسول الله ﷺ ، فلما فرغ من ذلك و صلى على رسول الله ﷺ والناس يصلون عليه من بايع أبي بكر ومن لم يبايع و جلس في المسجد فاجتمع اليه بنوا هاشم ومعهم الزبير بن العوام ، واجتمعت بنوا أمية إلى عثمان بن عفان و بنوا

١- زبير صوت الاسد في صدره ص

٢- يزعجك زعجة قلعه من مكانه كازعجه ، ق

٣- كناية السهام بالكسر جمعة من جلد لاخشب فيها او بالمكس.ق

٤- العائلة صفة لخصلة مهلكة نهاية

٥- كوزة بدمشق ق

زهرة إلى عبدالرحمان بن عوف فكانوا في المسجد مجتمعين إذ أقبل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فقالوا : مالنا نرىكم خلقا شتى؟ قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته الأنصار والناس ، فقام عثمان و عبدالرحمان بن عوف و من معهما فبايعوا وانصرف علي عليه السلام و بنوهاشم إلى منزل علي عليه السلام ومعهم الزبير .

قال: فذهب إليهم عمر في جماعة ممن بايع فيهم اسيد بن حصين وسلمة بن سلامة فألقوهم مجتمعين ، فقالوا لهم بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس فوثب الزبير إلى سيفه فقال عمر عليكم بالكلب العقور فاكفونا شره فبادر سلمة بن سلامة فانترع السيف من يديه فأخذه عمر فضرب به الأرض فكسره وأحدقوا بمن كان هناك من بني هاشم و مضوا بجماعتهم إلى أبي بكر فلما حضروا ، قالوا : بايعوا أبا بكر وقد بايعه الناس و أيم الله لئن أبيت من ذلك لنحاكمنكم بالسيف ، فلما رأى ذلك بنو هاشم أقبل رجل رجل فجعل يبائع حتى لم يبق ممن حضر إلا علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا له : بايع أبا بكر فقال علي عليه السلام : أنا أحق بهذا الأمر منه وأنتم أولى بالبيعة لي أخذتم هذا الأمر من الانصار و احتججتم عليهم بالقرابة من الرسول وتأخذونه من أهل البيت غصباً أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول الله صلى الله عليه وآله فأعطوكم المقادة و سلموا لكم الامارة و أنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الانصار ، أنا أولى برسول الله صلى الله عليه وآله حياً و ميتاً و أنا وصيه و وزيره و مستودع سره و علمه وأنا الصديق الأكبر أول من آمن به و صدقه و أحسنكم بلاء في جهاد المشركين و أعرفكم بالكتاب و السنة و أذربكم (١) لساناً و أثبتكم جناحاً ، فعلام تنازعونا هذا الامر ، أنصفونا إن كنتم تحافون الله من أنفسكم ، و اعرفوا لنا من الامر مثل ما عرفته لكم الانصار و إلا فبوؤا بالظلم و العدوان و أنتم تعلمون .

فقال عمر : أمالك بأهل بيتك أسوة؟ فقال علي عليه السلام سلوهم عن ذلك، فابتدر

القوم الذين بايعوا من بني هاشم فقالوا : ما بيعتنا بحجة على علي عليه السلام ومعاذ الله أن نقول : إننا نوازيه في الهجرة وحسن الجهاد والمحل من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمر : إنك لست متروكا حتى تباع طوعاً أو كرهاً ، فقال علي عليه السلام : احلب حلباً لك شطره اشد له اليوم ليرد عليك غداً إذا والله لا أقبل قولك ولا أحفل بمقامكم ولا اباع ، فقال أبو بكر : مهلاً يا أبا الحسن ما نصد فيك ولا نكرهك .

فقام أبو عبيدة إلى علي عليه السلام فقال : يا بن عم لسنا ندفع قرابتك ولا سابقتك ولا علمك ولا نصرتك ، ولكنك حدث السن ، و كان لعلي عليه السلام يومئذ ثلاث و ثلاثون سنة و أبو بكر شيخ من مشايخ قومك و هو أحمل لثقل هذا الامر و قد مضى الامر بما فيه فسلم له ، فان عمرك الله يسلموا هذا الامر إليك ولا يختلف فيك إننا بعد هذا إلا و أنت به خليق وله حقيق ولا نبعث الفتنة في أو ان الفتنة فقد عرفت بما في قلوب العرب و غيرهم عليك .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا معاشر المهاجرين والانصار ، الله الله لاتنسوا عهد نبيكم اليكم في أمرى ولا تخرجوا سلطان محمد صلى الله عليه وآله من داه و قعر بيته إلى دوركم و قعر بيوتكم ، ولا تدفخوا أهله عن حقه و مقامه في الناس فوالله يا معاشر الناس «الجمع خ» إن الله قضى و حكم و نبيه أعلم و انتم تعلمون بأننا أهل البيت أحق لهذا الامر منكم ما كان «فكان خ» القاري منكم لكتاب الله الفقيه في دين الله المضايع (١) بأمر الرعية والله إنه لفينا لافيكم فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً و تفسدوا قديمكم بشر من حديثكم .

فقال بشير بن سعد الانصاري الذي وطأ الامر لأبي بكر وقالت جماعة من الانصار : يا أبا الحسن لو كان هذا الكلام سمعته منك الانصار قبل بيعتها «الانتظام خ» لأبي بكر ما اختلف فيك اثنان .

فقال علي عليه السلام : يا هؤلاء كنت أدع الرسول و هو مسجتي (٢) لا أوازيه

١ - و مضطلع اي قوى عليه ق

٢ - سجيت البيت تسجية اذا مدت عليه نوبا ، ق

وأخرج أنازع في سلطانه، والله ما خفت «خلت ظ» أحداً يسمو (١) له وبنازع أهل البيت فيه ويستحل ما استحلتتموه، ولا علمت أن رسول الله ﷺ ترك يوم غدير خم لأحد حجة ولا لقاءً مقالا، فانشد الله رجلا سمع يوم غدير خم يقول ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، أن يشهد الآن بما سمع.

قال زيد بن أرقم: فشهد اثنا عشر رجلاً بدريةً بذلك و كنت ممن سمع القول من رسول الله ﷺ فكتمت الشهادة فذهب بصري، قال: و كثر الكلام في هذا المعنى وارتفع الصوت وخشى عمر أن يصفى «الناسخ» التي قول علي ﷺ ففسخ المجلس و قال: إن الله يقبب القلوب والأبصار ولا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة فانصرفوا يومهم ذلك.

وفي الاحتجاج أيضاً عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: جعلت فداك هل كان أحد في أصحاب رسول الله ﷺ أنكروا علي أبي بكر فعله وجلسه مجلس رسول الله ﷺ؟ فقال ﷺ: نعم كان الذي أنكروا علي أبي بكر اثني عشر رجلاً، من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص و كان من بني أمية، و سلمان الفارسي، و أبوذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، و عمار بن ياسر، و بريدة الأسلمي و من الأنصار أبو الهيثم بن التيهان، و سهل، و عثمان ابنا حنيف، و خزيمه بن ثابت، و ذوالشهادتين، و ابي بن كعب، و أبو أيوب الأنصاري، قال: فلما صعد أبو بكر المنبر تشاوروا بينهم فقال بعضهم لبعض: والله لنا نبيته ولنزلناه عن منبر رسول الله ﷺ، و قال آخرون منهم والله لئن فعلتم ذلك إذا لأعتم (٢) علي أنفسكم، فقد قال الله تعالى:

١- يقال فلان يسمو الى المعالي اذا تطاول اليها، نهاية

٢- الاعنات دركاري انكندن كه از آن بيرون نتوان آمد ومن ثم ضبطه في بعض النسخ اعتم

« وَلَا تَأْتُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهَكُّمَةِ »

فانطلقوا بنا إلى أمير المؤمنين عليه السلام لنستشيره ونستطلعه على الأمر ونستطلع رأيه ، فانطلق القوم إلى أمير المؤمنين عليه السلام بأجمعهم فقالوا يا أمير المؤمنين : تركت حقاً أنت أحق به وأدلى منه ، لأننا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : عليّ مع الحق والحق مع عليّ يميل مع الحق كيف مال ، ولقد هممنا أن نصير اليه فننزله عن منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجنناك لنستشيرك ونستطلع رأيك فيما تأمرنا .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : وأيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً ولكنكم كالملح في الزاد و كالكحل في العين ، وأيم الله لو فعلتم ذلك لأتيموني شاهرين أسيافكم مستعدّين للحرب والقتال وإذاً لا توني فقالوا لى : بايع وإلا قتلناك ، فلا بدّ من أن أذع القوم عن نفسي وذلك إن رسول الله صلى الله عليه وآله أو عز (١) إلى قبل وفاته ، و قال لى يا أبا الحسن : إن الأمة ستغدر بك من بعدي وتنقض فيك عهدى وإنك مني بمنزلة هارون من موسى و إن الامة من بعدي بمنزلة هارون « كهرون خ » و من اتبعه والسامري و من اتبعه ، فقلت يا رسول الله فما تعهد إلى إذا كان كذلك ؟ فقال إن « إذا خ » وجدت أعواناً فبادر إليهم و جاهدهم ، و إن لم تجد أعواناً كفّ يدك و احقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً ، فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله اشتغلت بغسله و تكفينه و الفراغ من شأنه ، ثم آليت يميناً أن لا أرثدي إلا للصلاة حتى أجمع القرآن ، ففعلت ثم أخذت بيد فاطمة و ابني الحسن والحسين فدرت على أهل بدر و أهل السابقة فناشدتهم (٢) الله إلى حقي و دعوتهم إلى نصرتي فما أجابني منهم إلا أربعة رهط : سلمان ، وعمار ، و المقداد ، و أبوذر ، و لقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي ، فأبوا عليّ إلا السكوت لما علموا من و غارة (٣) صدور القوم و بغضهم لله و لرسوله و لأهل بيت نبيه ، فانطلقوا بأجمعكم إلى هذا الرجل فعرفوه

١ - و عز اليه في كذا ان يفعل او يترك او عرو وعر تقدم و امر ق .

٢ - ناشده مناشدة و نشاداً أحلفه ق .

٣ - الوغرو يعرك الحقد والضغن و المداوة و التوقدن النيظ ، ق

ما سمعتم من قول نبيكم ﷺ ليكون ذلك أوكد للحجة و أبلغ للذم و أبعدهم من رسول الله إذ اوردوا عليه ، فسار القوم حتى أهدقوا بمنبر رسول الله ﷺ ، و كان يوم الجمعة ، فلما صعد أبو بكر المنبر قال المهاجرون للأَنْصار : تقدّموا فتكلموا ، فقال الأَنْصار للمهاجرين : بل تكلموا أنتم فان الله عز وجل أدناكم في الكتاب اذ قال الله عز وجل :

« لَقَدْ تَابَ اللَّهُ بِالنَّبِيِّ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ »

فقال أبان : فقلت : يا بن رسول الله إن الأمة لا تنقره كما عندك ، قال وكيف تنقره بأبان؟ قال : قلت : إننا تنقره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار فقال ﷺ : ويلهم و أي ذنب كان لرسول الله حتى تاب الله عليه منه إنما تاب الله به على أمته ، فأول من تكلم به خالد بن سعيد بن العاص ثم باقي المهاجرين ثم من بعدهم الانصار ، وروي أنهم كانوا غيبا عن وفات رسول الله ﷺ فقدموا وقد تولى أبو بكر وهم يومئذ اعلام مسجد رسول الله ﷺ .

فقام خالد بن سعيد بن العاص و قال : اتق الله يا أبا بكر فقد علمت أن رسول الله ﷺ قال ، ونحن محتوشوه (١) يوم بني قريظة حين فتح الله له و قد قتل علي يومئذ عدة من صناريد (٢) رجالهم واولى الباس والنجدة (٣) منهم : يا معاشر المهاجرين والانصار إنني اوصيكم بوصية فاحفظوها و مودعكم أمراً فاحفظوه ، ألا إن علي ابن أبي طالب أميركم بعدي و خليفتي فيكم بذلك أوصاني ربي ، ألا و إنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي و توازروه و تنصروه اختلفتم في أحكامكم و اضطرب عليكم أمر دينكم و ولاكم شراركم ، ألا إن أهل بيتي هم الوارثون لأمرى و العاملون لمونخ بأمر أمتي من بعدي ، اللهم من أطاعهم من أمتي و حفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي و اجعل لهم نصيباً من مرافقتي يدركون به نور الآخرة ، اللهم و من أساء

١- احتوش القوم على كذا جعلوه وسطهم و احاطوا عليه و قد بعدي بنفسه يقال احتوشوه ، منه .

٢- الصند كزبرج السيد الشجاع او الجواد او الشريف ، ق .

٣- النجدة القتال والشجاعة والشدة والهول والفرع ، ق .

خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض.
 فقال له عمر بن الخطاب: اسكت يا خالد فلست من أهل المشورة ولا من
 يقتدى برأيه، فقال خالد: اسكت أنت يا ابن الخطاب فإنك تنطق على لسان غيرك
 وأيم الله لقد علمت قريش أنك من الأُمم حسباً وأدناها منصباً وأخسبها قدراً
 وأخملها ذكراً وأفأم غناه عن الله ورسوله وأنتك لجبان في الحروب بخيل في المال
 لثيم العنصر مالك في قريش من فخر، ولا في الحروب من ذكر وأنتك في هذا الأمر
 بمنزلة الشيطان:

« إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ
 اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ »
 فابلس (١) عمرو وجلس خالد بن سعيد .

ثم قام سلمان الفارسي (رض) وقال: كرديد و نكرديد (٢) أى فعلتم و لم
 تفعلوا و امتنع من البيعة قبل ذلك حتى وحي عنقه فقال يا أبا بكر: إلى من تستند
 امرك إذا نزل بك ما لا تعرفه و إلى من تفرع إذا سئلت عما لا تعلمه فما عذرک في تقدم
 من هو أعلم منك و أقرب إلى رسول الله و أعلم بتأويل كتاب الله و سنة نبيه ﷺ
 و من قدمه النبي ﷺ في حياته و أوصاكم به عند وفاته، فنبتذتم قوله و تناسيتم
 وصيته و أخلفتم الوعد و نقضتم العهد و حللتم العقد الذي كان عقده عليكم من
 النفوذ تحت راية اسامة بن زيد حذراً من مثل ما اتيموه و تنيبها للأمة على عظيم
 ما اجترتموه «حتموه خ» من مخالفة أمره فعن قليل يصفوا لك الأمر و قد أثقلت
 الوزر و نقلت إلى قبرك و حملت معك ما كسبت يدك فلو راجعت الحق من قرب
 و تلافيت نفسك و تبت إلى الله من عظيم ما اجترمت كان ذلك أقرب إلى نجاتك يوم

١- و ابلس حتى ما او ضجوا لضاحكة و ابلسوا اي سكتوا و ابلس الساكت من العرف
 والعزن، نهاية.

٢- يعنى كرديد تميمين خليفه باطل ييش خود و نكرديد اطاعت وصى رسول خدا و خليفه بر حق
 چنانكه بعد از اين ظاهر ميشود، منه .

تفرد في حفرتك و يسلمك ذو و نصرتك ، فقد سمعت كما سمعنا و رأيت كما رأينا ، فلم يردعك (١) ذلك عما أنت متشبث به من هذا الأمر الذي لا عذر لك في تقلده ولا حظاً للدين ولا للمسلمين في قيامك به ، فالله الله في نفسك فقد أعذر من أنذر ، ولا تكن أنت كمن أدبر و استكبر .

ثم قام أبو ذر الغفاري فقال : يا معشر قريش أصبتم قباحة قباحة خ ، (٢) قباحة خ ، (٣) و تركتم قراية الله ليرتدن جماعة من العرب و ليشكن في هذا الدين و لوجعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان ، والله لقد صارت لمن غلب و لتطمحن إليها عين من ليس من أهلها ، و ليسفكن فيها دماء كثيرة فكان كما قال أبو ذر ، ثم قال : لقد علمتم و علم خياركم أن رسول الله ﷺ قال : الأمر بعدي لعلي ثم لابني الحسن والحسين ثم للطاهرين من ذريتي ، فأطرحتم قول نبيكم و تناسيتم ما عهد به إليكم فأطعتم الدنيا الفانية و نسيتم « بعتم يشريتم خ » الآخرة الباقية التي لا يهرم شبابها ولا يزول نعيمها ولا يحزن أهلها ولا يموت سكانها بالحقير التافه (٤) الفاني الزائل و كذلك الامم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها و نكصت على أعقابها و غيرت و بدلت و اختلفت فساويتهم و هم حذوا النعل بالنعل و القذة بالقذة ، و عما قليل يذوقون وبال أمركم و تجزون بما قدمت أيديكم و ما الله بظلام للعبيد .

ثم قام المقداد بن الأسود فقال : يا أبا بكر ارجع عن ظلمك و تب إلى ربك و ألزم بيتك و ابك على خطيئتك و سلم الأمر إلى صاحبه الذي هو أولى به منك ، فقد علمت ما عقده رسول الله ﷺ في عنقك من بيعته و الزمك من النفوذ تحت راية اسامة بن زيد و هو مولاه ، و نبه على بطلان و جوب هذا الأمر لك و لمن عضدك (٥)

١- ردعه كمنه ، كفه ورده فارتدع ، ق

٢- و قنت به قناعة من باب تب رضيت به ، لغة .

٣- قبح القنفذ كمنع قبوعاً ادخل راسه في جلده و الرجل في قبصه و دخل و تخلف عن اصحابه ، قاموس

٤- شئ تافه يفه حقير خسيس و قد تفه تفها من باب لبس مغرب .

٥- عضده بعضهم قطعه و كصره اعانه و نصره ، ق

عليه بضمه لكما إلى علم النفاق و معدن الشنآن والشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله فيه على نبيّه:

« إِنْ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ »

فلا اختلاف بين أهل العلم أنّها نزلت في عمرو و هو كان اميراً عليكما و على ساير المنافقين في الوقت الذي انفضه رسول الله ﷺ في غزاة ذات السلاسل و أنّ عمرواً قد كما حرس عسكره فأين الحرس إلى الخلافة اتق الله و بادر إلى الاستقالة قبل فوتها فإن ذلك أسلم لك في حياتك و بعد وفاتك و لا تترك إلى الدنيا « دنياك نخ » و لا تغرنك قريش و غيرها فعن قليل تضمحلُّ عنك دنياك ثمّ تصير إلى ربك فيجزيك بعملك و قد علمت و تيقنت أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ فسلمه إليه بما جعله الله له فإنه أتمّ لسترك و أخفّ لوزرك فقد والله نصحت لك إن قبلت نصحي و إلى الله ترجع الأمور.

ثمّ قام بريدة الأسلمي فقال : إنا لله و إنا إليه راجعون ماذا لقي الحقّ من الباطل يا أبا بكر أنسيت أم تناسيت و خدعت أم خدعتك نفسك و سوت تلك الأباطيل أولم تذكر ما أمرنا به رسول الله ﷺ من تسمية عليّ بأمرة (١) المؤمنين و النسب بين أظهرنا و قوله له في عدّة أوقات هذا عليّ أمير المؤمنين و قاتل القاسطين اتق الله و تدارك نفسك قبل أن لا تدركها و أنقذها ممّا يهلكها و اردد الأمر إلى من هو أحقّ به منك و لا تمارى (٢) في اغتصابه و راجع و انت تستطيع أن تراجع قدمه محضتك النصح و دلتك على طريق النجاة فلا تكوننّ ظهيراً للمجرمين.

ثمّ قام عمر بن ياسر فقال : يا معاشر قريش و يا معاشر المسلمين إن كنتم علمتم و إلاّ فاعلموا أنّ أهل بيت نبيّكم أولى به و أحقّ بآرثه و أقوم بأمور الدين و آمن على المؤمنين و أحفظ لملتّه و أنصح لامته فمروا صاحبكم فليرد الحقّ إلى

١- و الامرة على وزن فاعلة مصدر امر علينا مثلثة اذ اولى و الاسم الامر بالكسر و قول الجوهري مصدر و اسم ق
٢- اي لا تجادل، منه .

أهله قبل أن يضطرب حبلكم و يضعف أمركم و يظهر شتآنكم و تعظم الفتنة بكم و تختلفوا فيما بينكم و يطمع فيكم عدوكم ، فقد علمتم أن بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم و عليّ من بينهم وليّكم بعهد الله و رسوله ، و فرق ظاهر قد عرفتموه في حال بعد عند سدّ النبيّ ﷺ أبوابكم التي كانت إلى المسجد كلّها غير بابه و إشاره حال إيشاه بكريمته فاطمة الزهراء دون ساير من خطبها إليه منكم ، و قوله ﷺ : أنا مدينة الحكمة و عليّ بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها ، و إنكم جميعاً مضطرون فيما اشكل عليكم من امور دينكم إليه ، و هو مستغن عن كل أحد منكم إلى ماله من السوابق التي لأفضلكم عند نفسه فما بالكم تحيدون (١) عنه و تبتزون (٢) علياً حقّه و تغيرون على حقه خ (٣) و تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ؟ بس للظالمين بدلا أعطوه ما جعله الله ولا تولّوا مدبرين ولا تردوا على أدياركم فتقلبوا خاسرين.

ثمّ قام ابيّ بن كعب فقال : يا أبابكر لا تجحد حتماً جعله الله لغيرك ولا تكن أول من عصى رسول الله ﷺ في وصيته و صفيه خ و صدق عن أمره ، اردد الحق إلى أهله تسلّم و لا تتماد في غيرك فتندم و بادر إلى الانابة يخف و ذرك و لا تخصص بهذا الأمر الذي لم يحلّه بجعله خ « الله لك نفسك فتلقى و بال عملك ، فمن قليل تفارق ما أنت فيه و تصير إلى ربك فيسألك عما جنيت ، و ما ربك بظلام للعبيد .

ثمّ قام خزيمه بن ثابت فقال : أيها الناس أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قبل شهادتي وحدي ولم يرد معي غيري ؟ قالوا : بلى ، قال : فاشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : أهل بيتي يفرقون بين الحقّ والباطل ، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم و قد قلت ما علمت و ما على الرسول إلاّ البلاغ المبين.

١- اي تبيلون، منه

٢- ابتزت الشيء، استلبته، ص

٣- فيه من دخل الى طعام لم يدع اليه دخل سارقا و خرج مغيرا اسم فاعل من اغار يشير

اذانهب شبه دخوله عليهم بدخول السارق و خروجه بن اغار على قوم ، نهاية

ثم قام أبو الهيثم بن التيهان فقال : و أنا أشهد على نبينا ﷺ أنه أقام علياً
 ﷺ يعني في يوم غدِير خَمَّ فقالت الأنصار : ما أقامه إلا للخلافة ، و قال بعضهم :
 ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه مولى من كان رسول الله موله ، و كثر الخوض في
 ذلك فبعثنا رجالا منا إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن ذلك فقال لهم قولوا : علي
 ولي المؤمنين بعدي وأنصح الناس لأمتي وقد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن
 و من شاء فليكفر إن يوم الفصل كان ميقاتنا .

ثم قام سهل بن حنيف فحمد الله و أنى عليه و صلى على النبي محمد و آله ثم
 قال : يا معاشر قريش اشهدوا على أنبي أشهد على رسول الله ﷺ و قدرأيته في هذا
 المكان يعني الروضة (١) و قد أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه و هو يقول : أيها
 الناس هذا علي إمامكم من بعدي و وصيي في حياتي و بعد وفاتي و قاضي ديني
 و منجز وعدي و أول من يضافحني على حوضي فطوبى لمن اتبعه و نصره و الويل لمن
 تخلف عنه و خذله .

ثم قام من بعده أخوه عثمان بن حنيف فقال : سمعنا رسول الله ﷺ يقول :
 أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدموهم و قدّموهم ، فهم الولاة بعدي . فقام إليه رجل
 فقال : يا رسول الله و أي أهل بيتك ؟ فقال ﷺ علي و الطاهرين من ولده ، و قد
 بين ﷺ فلا تكن يا أبا بكر أول كافر به فلا تخونوا الله و الرسول و تخونوا أمانتكم
 و أنتم تعلمون .

ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال : اتقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيكم و ارددوا
 إليهم حقهم الذي جملة الله لهم ، فقد سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام
 لنبينا ﷺ ، و مجلس بعد مجلس يقول : أهل بيتي أئمتكم بعدي و يؤموني إلى علي
 ﷺ يقول : هذا أمير البرة و قاتل الكفرة ، مخذول من خذله منصور من نصره
 فتوبوا إلى الله من ظلمكم إن الله تواب رحيم ، ولا تتولوا عنه مدبرين ، ولا تتولوا
 عنه معرضين .

قال الصادق عليه السلام فافحم (١) أبوبكر على المنبر حتى لم يعر (٢) جوابا ثم قال: وليتكم ولست بخيركم أقيلوني أقيلوني.

فقال له عمر بن الخطاب: انزل عنها يالكع (٣) إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لم أقت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة، قال فنزل ثم أخذ بيده وانطلق إلى منزله وبقى ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلما كان في اليوم الرابع جائهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل فقال لهم: ما جلوسكم فقد طمع فيها والله بنوهاشم، و جائهم سالم مولى أبي حذيفة ومعه ألف رجل، و جائهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل فما زال يجتمع رجل رجل حتى اجتمع أربعة آلاف رجل فخرجوا شاهرين أسيافيهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عمرو الله يا أصحاب علي لئن ذهب الرجل منكم يتكلم بالذي تكلم به بالأمس لناخذن الذي فيه عيناه.

فقام إليه خالد بن سعيد بن العاص وقال يا بن صهباك الحبشية أبا أسيافكم تهددونا أم بجمعكم تفرعوننا؟ والله إن أسيافنا أحد من أسيافكم وإنما لأكثر منكم وإن كنا قليلا لأن حجة الله فينا والله لولا أني أعلم أن طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة إمامي أولى بي لشبرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن أبلى (٤) عذري، فقال له نخ أمير المؤمنين عليه السلام: اجلس يا خالد فقد عرف لك مقامك وشكر لك سعيك، فجلس.

وقام إليه سلمان الفارسي فقال الله أكبر الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلا صممتا (٥) يقول: بينا أخى وابن عمي جالس في مسجدي ومعه نفر من

١- افحمها استنها، نهاية

٢- ما احوار جوابا ما رد، ق.

٣- اللكع كصرد اللثم والعبد والاحمق ق

٤- وبلاء عنذرا اواه اليه قبله، ق

٥- اى صمت اذناى ان كذبت، منه

أصحابه إذ تكبسه (١) جماعة من كلاب أهل النار يريدون قتله و قتل من معه ،
 و لست أشك إلا و أنكم هم ، فهم به عمر بن الخطاب ، فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام
 و أخذ بمجامع ثوبه ثم جلد (٢) به الأرض ثم قال : يا بن صهك الحبشية لولا
 كتاب من الله سبق و عهد من الله تقدم لأزيتك أينما أضعف ناصرأ و أقلّ عددأ ، ثم
 التفت إلى أصحابه فقال : انصرفوا رحمكم الله فوالله لا دخلت المسجد إلا كما دخل
 أخوأي موسى و هارون إذ قال له أصحابه :

« فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلْ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ »

والله لا دخلته إلا لزيارة رسول الله ﷺ أول قضية أفضيها ، فانه لا يجوز لحجة أقامه
 رسول الله أن يترك الناس في حيرة .

وفي الاحتجاج أيضاً عن عبدالله بن عبدالرحمان قال: إن عمر احتزم (٣) بازاره
 وجعل يطوف بالمدينة وينادي ألا إن أبا بكر قد بوع فهلّموا إلي البيعة فينثال (٤) الناس
 يبايعون فعرف أن جماعة في بيوت مستترون فكان يقصدهم في جمع كثير فيكبسهم
 و يحضرهم المسجد فيبايعون حتى إذا مضت أيام أقبل في جمع كثير إلى منزل
 علي عليه السلام فطالبه بالخروج فأبى ، فدعا عمر بحطب و نار ، و قال والذي نفس عمر
 بيده ليخرجنّ أولاً حرقنه علي ما فيه ، فقيل له : إن فاطمة بنت رسول الله و ولد
 رسول الله و آثار رسول الله ﷺ فيه ، و أنكر الناس ذلك من قوله فلما عرف
 إنكارهم قال: ما بالكم أتروني فعلت ذلك إنما أردت التحويل فإسلامهم علي عليه السلام أن ليس
 إلى خروجي حيلة ، لأنني في جمع كتاب الله الذي قد نبذتموه وألهمتكم (٥) الدنيا عنه ،

١- كبس داره هجم عليه ، ق

٢- جلده به اى رمى به الارض، نهاية

٣- ومنه الحديث نهى ان يصلى الرجل حتى يحتزم اى يتلبب و يشد وسطه ، نهاية

٤ - انثال عليه الناس من كل وجه اى انصبوا ، ص

٥- ألهمت الدنيا اى شغلتم قال تعالى الهيكم التكاثر، منه .

وقد حلفت أن لا أخرج من بيتي ولا ادع ردائي على عاتقي حتى أجمع القرآن ، قال : وخرجت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إليهم فوقفت على الباب ، ثم قالت لاعدد لي بقوم أسوء محضراً منكم تركتم رسول الله جنازة (١) بين أيدينا وقطعتم أمركم فيما بينكم ولم تؤامرونا ولم تروا لنا حقاً ، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خم ، والله لقد عقد له يومئذ الولاة ليقطع منكم بذلك منها الرجاء ، ولكنكم قطعتم الأسباب والله حسيب بيننا و بينكم في الدنيا والآخرة .

وفي غاية الامرام من كتاب سليم بن قيس الهلالي وهو كتاب مشهور معتد نقله منه المصنفون في كتبهم وهو من التابعين رأى علياً و سلمان و أبازر وفي مطلع كتابه ما هذه صورته : فهذه نسخة كتاب سليم بن قيس الهلالي رفعه إلى أبان بن أبي عمير و قرأه علي بن أبي طالب و ذكر أبان أنه قرأه على علي بن الحسين ع قال صدق سليم هذا حديثنا نعرفه ، قال سليم : سمعت سلمان الفارسي أنه قال : فلما أن قبض رسول الله ﷺ و صنع الناس ما صنعوا جالهم أبو بكر و عمر و أبو عبيدة بن الجراح و خاصموا الأنصار بحجة علي ع فخصمهم فقالوا يامعاشر الأنصار قريش أحق بالأمر منكم ، لأن رسول الله من قريش ، والمهاجرون خير منكم لأن الله سبحانه بهم في كتابه و فضلمهم ، وقد قال رسول الله ﷺ : الأئمة من قريش .

قال سلمان : فأتيت وهو يغسل رسول الله ﷺ و قد كان أوصى علياً أن لا يلي غسله إلا هو ، فقال : يا رسول الله و من يعينني عليك ؟ فقال : جبرئيل ع ، وكان علي لا يريد عضواً إلا أنقلب له ، فلما غسله و كفنه أدخلني و أدخل أبوأذر والمقداد وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فتقدم علي و صفنا خلفه وصلى عليه و عايشة في الحجر لا تعلم ، ثم أدخل عشرة من المهاجرين و عشرة من الأنصار يدخلون فيدعون ثم يخرجون فيصلون ويخرجون ثم حتى لم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا صلى عليه .

قال سلمان : فأنت علياً وهو يغسل «قلت لعليّ عليه السلام حين يغسل خ» رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرته بما صنع الناس فقلت : إن أبا بكر الساعة قدرقي منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يرضوا أن يبايعوه بيد واحدة وأنهم ليبايعونه بيديه جميعاً بيمينه وشماله ، فقال عليه السلام : يا سلمان وهل تدري أول من بايعه علي منبر رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقلت : لا إلا أنى رأيت «رأيت خ» في ظلّة بني ساعدة حين خصمت الأ نصار فكان «وكان خ» أول من بايعه المغيرة بن شعبه ، ثمّ بشير بن سعد ، ثمّ أبو عبيدة بن الجراح ثمّ عمر بن الخطاب ، ثمّ سالم مولى أبي حذيفة ، و معاذ بن جبل ، قال : لست أسألك عن هؤلاء ولكن هل تدري أول من بايعه حين صعد المنبر؟ قال «قلت خ» : لا ولكن رأيت شيخاً كبيراً متوكيماً على عصاين عنيه سجادة شديدة التشمير صعد المنبر أول من صعد خ» وهو بيكى و «هو خ» يقول : الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك في هذا المكان ابسط يدك ، فبسط يده فبايعه ، ثمّ نزل فخرج من المسجد .

فقال عليّ عليه السلام : وهل تدري يا سلمان من هو؟ قلت : وقد سائتني مقالته كأنه شامت بموت رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال عليّ عليه السلام : فانّ ذلك إبليس لعنة الله عليه «أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله خ» انّ إبليس وأصحابه شهدوا نصب رسول الله صلى الله عليه وآله إيتاي بغدير خمّ لما أمره الله تعالى وأخبرهم أنني أولى بهم من أنفسهم وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب ، فأقبل إلى إبليس أبالسته و مردة أصحابه ، فقالوا : هذه الامة مرحومة معصومة لا لك ولاننا عليهم سبيل قد اعلموا مقرّمهم و إمامهم «علموا امامهم وهصرعهم خ» بعد نبينهم فانطلق إبليس آيساً حزيناً .

قال فأخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك (١) و قال تباع الناس أبا بكر في ظلّة بني ساعدة حتى ما يخاصمهم (٢) بحقنا و حجتنا ، ثمّ يأتون المسجد فيكون

١- الظاهر انه غلط وليس في نسخة الاحتجاج ولا في البحار، منه

٢- الظاهر ان المراد به ما يخاصمهم احد لحقنا و في البحار هكذا في ظلّة بني ساعدة بعد تفاصمهم بحقنا و حجتنا و في الاحتجاج بعد تفاصمهم بحقنا و حجتنا وهو الاصح والانصب، منه

أول من يبايعه على منبري إبليس في صورة شيخ كبير مستبشر يقول له : كذا وكذا
ثم يخرج فيجمع أصحابه و شياطينه و أبالسته فيخرون سجداً فينخر ويكسع ، ثم
يقول : كلاً زعمتم أن ليس لي عليهم سلطان ولا سبيل فكيف رأيتوني صنعت بهم
حتى تركوا ما أمرهم الله به من طاعته و أمرهم به رسول الله و ذلك قول
الله تعالى :

«وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»

قال سلمان : فأمّا كان الليل حمل فاطمة على حمار و أخذ بيد الحسن
والحسين عليهما السلام فلم يدع أحداً من أهل بدر من المهاجرين ولا من الأنصار
إلا أتاه في منزله و ذكره حقه و دعاه إلى نصرته فما استجاب له إلا أربعة وأربعون
رجلاً فأمرهم أن يصحبوا محلة من رؤسهم ومعهم سلاحهم على أن يبايعوه على الموت وأصبحوا
لم يوافقهم منهم إلا أربعة، فقلت لسلمان: من الأربعة؟ قال : أنا و أبوذر و المقداد و الزبير بن
العوام، ثم عاودهم ليلاً يناشدهم، فقالوا: نصحبك بكرة فما أتاه منهم أحد غيرنا فلما رأى
علي عليه السلام غدرهم و قلّة و فائهم لزم بيته و أقبل على القرآن يؤلفه و يجمعه، فلم يخرج
من بيته حتى جمعه و كان المصحف في القرطاس و الاسيار (١) و الرقاع.

فلما جمع كلّه و كتبه على تنزيله و النسخ و المنسوخ و بعث إليه أبو بكر
أن اخرج فبايع فبعث إليه علي عليه السلام إنني مشغول، ولقد آليت على نفسي يمينا أن
لا ارتدي برداه إلا للصلاة حتى أثلف القرآن و أجمعه ، فجمعه في ثوب واحد و ختمه
ثم خرج إلي الناس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فنأدى
بأعلى صوته : يا أيها الناس إنني لم أزل منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله مشغولاً بغسله ،
ثم بالقرآن حتى جمعته كلّه في هذا الثوب الواحد فلم ينزل الله على رسوله آية إلا
وقد جمعتها ، وليست منه آية إلا وقد أقرتني « أقرتنيها خ » إياها رسول الله صلى الله عليه وآله
و علّمني تأويلها .

«ثم قال علي عليه السلام لثلاثا تقولوا غدا إنا كنا عن هذا غافلين خ» ثم قال علي عليه السلام لا تقولوا يوم القيامة إنسى لم أدعكم إلى نصرتي ولم أذكركم حقي، فأدعوكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته، فقال عمر: ما أغنانا بما معنا من القرآن عما تدعوننا إليه، ثم دخل علي عليه السلام بيته، فقال عمر لأبي بكر: أرسل إلى علي فليسنأ في شيء، حتى يبايع ولو قد بايع آمنا، فأرسل إليه أبو بكر أجب خليفة رسول الله، فأناه الرسول فقال له ذلك، فقال له علي عليه السلام: ما أسرع ما كذبتكم على رسول الله ﷺ إنه يعلم و يعلم الذين حوله أن الله ورسوله لم يستخلف غيري، فذهب الرسول فأخبره بما قال له، فقال: اذهب فقل له أجب أمير المؤمنين أبابكر، فأناه فأخبره بذلك، فقال له علي عليه السلام: سبحان الله والله ما طال المهدي فينسى، والله إنه ليعلم أن هذا الاسم لا يصلح إلا لي وقد أمره رسول الله ﷺ وهو سابع سبعة فسأموا عليه «على خ» بأمره المؤمنين فاستفهمه هو وصاحبه من بين السبعة وقالوا: أحق من الله ورسوله؟ قال رسول الله: نعم حقا حقا من الله ومن رسوله إنه أمير المؤمنين وسيد المسلمين وصاحب لواء «الفرخ» المحجلين يقعدده الله عز وجل يوم القيامة على الصراط فيدخل أوليائه الجنة وأعدائه النار، فانطلق الرسول فأخبره بما قال فسكتوا عنه يومهم ذلك.

فلما كان الليل حمل علي فاطمة وأخذ بيد ابنه الحسن والحسين عليهم السلام فلم يدع أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ إلا أتاه في منزله فناشدهم الله حقه ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم أحد غير الأربعة فأتنا حلقنا رؤوسنا وبذلنا نصرتنا وكان الزبير أشد نصرة فلما رأى علي عليه السلام خذلان الناس له وتركهم نصرتهم واجتماع كلمتهم مع أبي بكر وتعظيمهم له لزم بيته.

وقال عمر لأبي بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع فإنه لم يبق أحد إلا وقد بايع غيره وغير هؤلاء الأربعة، وكان أبو بكر أرق الرجلين وأرقهما وأداهما وأبعدهما غورا، والآخر أظفهما وأجفاهما، فقال له أبو بكر: من ترسل إليه؟ فقال عمر: نرسل إليه قنفذاً وكان رجلا فظاً غليظاً جافاً من الطلقاء

أحد بني عدي بن كعب ، فأرسله إليه ، وأرسل معه أعاوناً فانطلقا فاستأذنا علياً عليه السلام ، فأبى أن يأذن لهم فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر وهما في المسجد والناس حولهما ، فقالوا: لم يؤذن لنا ، فقال عمر : اذهبوا فان أذن لكم وإلا فادخلوا عليه من غير إذن ، فانطلقوا فاستأذنوا فقالت فاطمة عليها السلام أخرج (١) عليكم أن تدخلوا علي بيتي بغير إذني ؟ فرجعوا فثبت القنفذ الملعون ، فقالوا : إن فاطمة قالت لنا كذا وكذا فحر جتنا أن ندخل بيتها من غير إذن ، فغضب عمر فقال: مالنا والنساء .

ثم أمر أناساً حوله يحملون حطباً فحملوا الحطب وحمل عمر معهم فجعلوه حول بيت علي عليه السلام وفيه علي و فاطمة وابناهما صلوات الله عليهم ، ثم نادى عمر حتى أسمع علياً و فاطمة : والله لتخرجن يا علي ولتبايعن خليفة رسول الله ﷺ وإلا أضرت عليك بيتك أراً ، ثم رجع قنفذ إلى أبي بكر وهو متخوف أن يخرج علي إليه بسيفه لما يعرف من بأسه وشدته ، فقال أبو بكر لقنفذ : ارجع فان خرج وإلا فاهجم فاقترح عليه بيته ، فان امتنع فاضرم عليهم بيته ناراً .

فانطلق القنفذ الملعون فاقترح هو وأصحابه بغير إذن و سار «فارخ» علي عليه السلام إلى سيفه و سبقوه إليه وهم كثيرون فتناول بعضهم سيفه و كانوا (٢) فألقوا في عنقه جبلاً و حالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت فضر بها قنفذ لعنه الله بسوط كان معه فماتت صلوات الله عليها وأن في عضدها مثل الدمالج «الدملج» (٣) من ضربته ثم انطلق به يعتل (٤) عتلاً حتى انتهى إلى أبي بكر ، و عمر قائم بالسيف على رأسه و خالد بن الوليد و أبو عبيدة بن الجراح و سالم مولى أبي حذيفة و معاذ بن جبل

١- التحريج التضييق، ق

٢- وكانروهم فكثروهم غالبوهم في الكثرة فطلبوهم ق .

٣- الدملج هو العضد، ق

٤- عتله يعتل فانعتل جره ضيقة، ق

والمغيرة بن شعبة و اسيد بن حصين و بشير بن سعد و ساير الناس حول أبي بكر عليهم السلاح .

قال: قلت لسلمان : أدخلوا على فاطمة بغير إذن ؟ قال : اي والله ما عليها خمار فنادت و أبتاه و ارسول الله يا أبتاه لبئس ما خلفك أبو بكر و عمر و عينك لم تنفقا في قبرك تنادى بأعلى صوتها ، فلقد رأيت أبا بكر و من حوله يبكون و يتحببون و ما فيهم إلا بك غير عمر و خالد بن الوليد و المغيرة بن شعبة و عمر يقول : إننا لسنا من النساء ، و رأين في شيء .

قال فانتبهوا به إلى أبي بكر و هو يقول : أما والله لو وقع سيفي في يدي لعلمت أنكم لن تصلوا إلى هذا أبداً و الله لم ألم نفسي في جهادكم لو كنت استمكنت من الأربعين لفرقت جماعتكم و لكن لعن الله أقواماً بايعوني ثم خذلوني و قد كان قنفذ لعنه الله حين ضرب فاطمة بالسوط حين حالت بينه و بين زوجها أرسل إليه عمر إن حالت بينك و بينه فاطمة فاضربها ، فألجأها قنفذ لعنه الله إلى عضة باب بيتها و دفعها فكسر لها ضلعاً من جنبها و ألق جنيماً من بطنها ، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت صلوات الله عليها من ذلك شهيدة .

قال: فلما انتهى بعلي عليه السلام إلى أبي بكر انتهره عمر و قال له: بايع ، فقال له علي عليه السلام إن أنا لم أبايع فما أنتم صانعون ؟ قالوا نقتلك ذلاً و صغاراً ، فقال : إذا تقتلون عبد الله و أخا رسول الله ، فقال أبو بكر : أما عبد الله فنعم ، و أما أخو رسول الله فما نعرفك «نقرلك خ» بهذا ، قال عليه السلام : أتجدد أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخا بيني و بينه ؟ قال : نعم ، فأعاد ذلك عليه ثلاث مرات .

ثم أقبل عليهم علي عليه السلام ، فقال : يا معاشر المسلمين و المهاجرين و الأنصار انشدكم الله أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم : كذا و كذا في غزوة تبوك كذا و كذا فلم يدع شيئاً قال «قاله فيه خ» له رسول الله صلى الله عليه وآله علانية للعامة إلا ذكرهم إياه «إياها خ» قالوا : اللهم نعم : فلما أن تخوف أن ينصره الناس و أن يمنعه منه بادرهم ، فقال له: كلما قلت حق قد سمعناه بأذاننا و عرفناه و وعته قلوبنا و لكن سمعت

رسول الله ﷺ يقول بعد هذا: إننا أهل بيت اصطفانا الله تعالى و اختار لنا الآخرة على الدنيا فإن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة، فقال عليٌّ ﷺ: هل أحد من أصحاب رسول الله ﷺ شهد هذا معك؟ فقال عمر: صدق خليفة رسول الله قد سمعته منه كما قال.

قال: وقال أبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل: قد سمعنا من رسول الله ﷺ فقال عليٌّ ﷺ: لقد وفيتم بصحيفتكم الملعونة التي تعاهدتم «قد تعاهدتمخ» عليها في الكعبة إن قتل الله محمداً أو مات لتزورن (١) هذا الأمر عنا أهل البيت، فقال أبو بكر: فما علمك بذلك اطلعناك عليها، فقال عليٌّ ﷺ: يا زبير وأنت يا سلمان وأنت يا أبازرو أنت يا مقداد أسألكم بالله وبالاسلام أسمعتم رسول الله يقول ذلك وأنتم تسمعون إن فلانا وفلانا حتى عد هؤلاء الاربعة «الخمسة» قد كتبوا بينهم كتاباً و تعاهدوا فيه و تعاهدوا ايماناً على ما أن قتلت أومت أن يتظاهروا عليك و أن يزوروا عنك هذا الأمر يا عليٌّ؟ فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فما تأمرني إذا كان ذلك، فقال إن وجدت عليهم أعوانا فجاهدهم و نابذهم، و إن لم تجد أعوانا فبايع و احقن دمك.

فقال عليٌّ ﷺ: أما والله لو أن أولئك الأربعة رجال الذين بايعوني و فوالي لجاهدتكم في الله، فقال عمر: أما والله لا ينالها أحد من أعقابكم إلى يوم القيامة ثم نادى عليٌّ ﷺ قبل أن يبايع والحبل في عنقه:

« يَا بَنِي أُمَّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي »

ثم تناول يد أبي بكر فبايع، و قيل للزبير: بايع فأبى فوثب إليه عمرو و خالد بن الوليد و المغيرة بن شعبة و اناس معهم فانتزعوا سيفه فضربوا به الأرض حتى كسروه ثم لبسوه (٢) فقال الزبير و عمر على صدره: باين صهك أما والله لو أن سيفي في يدي لحدت (٣)

١- زواه زبا و زوبا نعا، ق

٢- ليه تلبيا جمع نيا به عند نحره في النضومة ثم جره، ق

٣- حاد عنه مال، ق

عني ثم بايع .

قال سلمان ثم أخذوني فوجؤوا عنقي حتى تركوه كالسَّلعة ثم أخذوا يدي فبايعت مكرهاً ، ثم بايع أبوذر والمقداد مكرهين و ما من أحد بايع مكرها غير علي و أربعتنا ولم يكن أحد منا أشدَّ قولاً من الزبير ، فإنه لما بايع قال : يا بن صهّاك أما والله لولا هؤلاء الطغاة الذين اعانوك لما كنت تقدم علي و معي سيفي لما اعرف من جنبك ولومك ، ولكن وجدت طغاة تقوى بهم و تصول بهم ، فغضب عمر فقال: أتذكر صهّاك ؟ فقال: ومن صهّاك ومن «ماخ» يمدّني من ذكرها وقد كانت صهّاك زانية وتتكبر ذلك أو ليس كانت أمة لجدّي عبدالمطلب فزنى بها جدك فليل فولدت أباك الخطاب فوهبها عبدالمطلب لجدك بعد ما ولدته و أنه لعبد جدي ولدزنا ، فأصلح أبو بكر بينهما وكف كل واحد منهما عن صاحبه .

قال سليم: فقلت لسلمان : فبايعت أبا بكر ولم تقل شيئاً ؟ قال : بلى قد قلت بعد ما بايعت : تبألكم ساير الدهر لو تدرّون ما صنعتم بأنفسكم أصبتم و أخطأتم أصبتم سنة الأولين «من كان قبلكم من الفرقة والاختلاف» و أخطأتم سنة نبيكم حين أخرجتموها من معدنها و أهلها فقال عمر: أمّا إذا قد بايعت يا سلمان فقل ما شئت وافعل ما بدالك وليقل صاحبك ما بداله ، قال سلمان: قلت إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن عليك وعلى صاحبك الذي بايعته مثل ذنوب أمته إلى يوم القيامة ومثل عذابهم جميعاً ، فقال عمر قل ما شئت أليس قد بايعت وام يقر الله عينك بأن يلبسها صاحبك ، فقلت اشهد أنني قرأت في بعض كتب الله إنك باسمك و صفتك باب من أبواب جهنم ، فقال : قل ما شئت أليس قد أزالها الله عن أهل البيت الذين اتخذتموهم أرباباً ؟ فقلت : إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول وقد سألته عن هذه الآية:

« قَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ »

فأخبرني بأنك أنت هو ، فقال لي عمر: اسكت أسكت الله نامتك (١) أيها العبد ابن

اللكهنا، فقال لي عليٌّ عليه السلام : اسكت يا سلمان فوالله لولم يأمرني عليٌّ بالسكوت لخبرته بكل شيء، نزل فيه وكل شيء، سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وفي صاحبه، فلما رأني عمر قدسكت قال لي : إنك له لمطيع مسلم فلما أن بايع أبوذر والمقداد ولم يقولوا شيئاً قال عمر: ألا كفت كما كف أصحابك والله ما أنت أشد حياءً بأهل هذا البيت منهما ولا أشد تعظيماً لحقهم منهما وقد كفنا كما ترى وقد بايعا .

فقال أبوذر: أفتعيرنا يا عمر بحب آل محمد عليهم السلام وتعظيمهم وقد فعل من أبغضهم وافتري عليهم و ظلمهم حقهم وحمل الناس على رقابهم ورد هذه الأمة القهقري على أديارهم ، فقال عمر: آمين لعن الله من ظلمهم حقهم لا والله مالهم فيها من حق وما هم فيها و عرض الناس إلسواء، قال : لم خاصمت الأنصار بحقها؟ فقال عليٌّ عليه السلام لعمر : يابن صهاك فليس لنا فيها حقّ وهي لك ولا بن آكلة الذبان ، فقال عمر كف يا أبا الحسن إذ قد بايعت : فإن العامة رضوا بصاحبني ولم يرضوا بك فماذا نبي ، فقال عليٌّ عليه السلام : لكن الله و رسوله لم يرضيا إلا بي فأبشر أنت و صاحبك ومن اتبعكما و أوزر كما بسخط الله و عذابه و خزيه و يلك يابن الخطاب لو ترى ماذا جنيت على نفسك و علي صاحبك؟ فقال أبو بكر يا عمر أما إذا بايع و امتا شره و فتكه و غاملته فدعه يقول ماشاء .

فقال عليٌّ عليه السلام : لست قائلاً غير شيء، واحد أذكركم بالله أيتها الأربعة قال لسلمان والزبير و أبي ذر و المقداد ، أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إن تابوتا من نار فيه اثنتي عشر سنة من الأولين و ستة من الآخرين في قعر جهنم في جب في تابوت مقفل على ذلك الجب صخرة فإذا أراد الله أن يسع جهنم كشفت تلك الصخرة عن ذلك الجب فاسعرت جهنم من وهج ذلك الجب و من حره ، قال عليٌّ عليه السلام فسألت رسول الله صلى الله عليه وآله و أنتم شهود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أما الأوتون فابن آدم الذي قتل أخاه، و فرعون ذوالفرعنة، و الذي حاج إبراهيم في ربه ، و رجلان من بني إسرائيل بدل كتابهم و غير أسنتهم ، أما أحدهما فهو اليهود و الآخر نصر

النصارى، وعاقر الناقة، وقاتل يعقوب بن زكريا، والد جال في الآخرين وهؤلاء الأربعة أصحاب الكتاب (١) وجبتهم وطاغوتهم الذي تعاهدوا عليه و تعاقدوا على عداوتك يا أخي و يتظاهرون عليك هذا وهذا حتى عدّهم و سمّاهم.

قال : فقلنا : صدقت نشهد أنه قد سمعنا ذلك من رسول الله، فقال عثمان : يا

أبا الحسن أما عندك في حديث ؟ فقال علي عليه السلام : بلى لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يلعنك ثم لم يستغفر لك بعد «مذبح» لعنك ، فغضب عثمان ثم قال : مالي و ماليك لاتدعني على حال كنت على عهد النبي صلى الله عليه وآله ولا بعده ، فقال له علي عليه السلام : فأرغم أنفك ثم قال له عثمان لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن الزبير يقتل مرتدًا.

قال سلمان: فقال لي علي عليه السلام فيما بيني و بينه: صدق عثمان ، وذلك انه يبأ يعني بعد قتل عثمان ثم ينكث بيعتي فيقتل مرتدًا . قال سلمان : فقال علي عليه السلام : إن الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله غير أربعة، إن الناس صاروا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون و من تبعه و بمنزلة العجل و من تبعه فعلي عليه السلام في شبه هارون ، و عتيق (٢) في شبه العجل، و عمر في شبه السامري. و سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليجي قوم من أصحابي من أهل العلية و المكنة مني ليمروا على الصراط فاذا رأيتهم و رأوني و عرفتهم و عرفوني اختلجوا و ادوني فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال: لاتدري ما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا و اعلى أديارهم حيث فارقتهم ، فأقول بعداً و سحقاً .

و سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لتركبن امتي سنة بنى إسرائيل حذوا النعل بالنعل و القذة بالقذة شبراً بشبر باعاً و بذراعاً و ذراعاً حتى لو دخلوا جحرأ لدخلوا فيه معهم و انه كتب التوراة و القرآن ملك واحد في رق واحد و جرت الأمثال و السنن.

أقول: هذه الرواية زواها الطبرسي أيضاً في الاحتجاج و المحدث المجلسي (ره) في المجلد الثامن من بحار الانوار بقصان في الأول و زيادة في الثاني و تغيير يسير في غير الزايد و الناقص ، و كانت نسخة غاية المرام التي عندنا غير خالية من الغلط

والتحريف سيراً في متن الرواية فاصلحناها من نسختي الاحتجاج والبحار بما رأيناه أصلح وأنسب ، فلو وجدت فيما رويناه شيئاً غير مطابق لما في الاصل (١) فسرهما ذكرناه ولا تحملنّه على التصغير في الضبط والنقل والله الهادي.

وفي البحار من رجال الكشي عن علي بن الحكم عن ابن عميرة عن أبي بكر الحضرمي قال : قال أبو جعفر عليه السلام : ارتد الناس إلا ثلاثة نفر : سلمان و أبوذر والمقداد ، قال : قلت : فعمار ، قال قد كان حاص (٢) حيصه ثم رجع ، ثم قال : إن أردت الذي لم يشك ولم يدخله شك فالمقداد ، فأما سلمان فإنه عرض في قلبه عارض إن عند أمير المؤمنين عليه السلام اسم الله الأعظم لو تكلم به لأخذتهم الأرض وهو هكذا فلبب دوجيت حتى تركت كالمسئلة ، فمر به أمير المؤمنين عليه السلام فقال له ، يا أبا عبد الله هذا من ذلك بايع فبايع ، وأما أبوذر فأمره أمير المؤمنين عليه السلام بالسكوت ولم يكن يأخذه في الله لومة لائم فأبى إلا أن يتكلم فمر به عثمان فأمر به ، ثم أناب الناس بعد و كان أول من أناب أبو ساسان الأنصاري و ابو عمرة و شتيرة و كان نواظره سبعة فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين عليه السلام إلا هؤلاء السبعة.

أقول : أبو ساسان اسمه الحصين بن المنذر بالحاء المهملة المضمومة والصاد المهملة ، و ابو عمرة من الأنصار أيضاً اسمه ثعلبة بن عمرو ، و شتيرة يقال له سمير أيضاً صاحب راية علي عليه السلام بصفين و قتل هناك مع اخوته قاله في الخلاصة.

ومن كتاب الاختصاص المفيد باسناده عن عمرو بن ثابت قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن النبي صلى الله عليه وآله لما قبض ارتد الناس على أعقابهم كقماراً إلا ثلاثة : سلمان والمقداد و أبوذر الغفاري انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله جاء أربعون رجلاً إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا : لا والله لانعطي أحداً طاعة بعدك أبداً ، قال : ولم ؛ قالوا : سمعنا من رسول الله فيك يوم غدير ، قال : و تفعلون ؛ قالوا : نعم ، قال فأتوني

١- أى كما في غاية اليرام ، منه

٢- في أكثر النسخ بالمهملتين يقال حاص عليه حيصه أى عدل و حادو في بعض النسخ بالجيم والصاد المهملة بهذا المعنى وفي بعضها بالمجنتين بهذا المعنى أيضاً و قال الفيروز آبادي السلعة بالكسر كالغدة في الجسد و يفتح و يعرك كمنية أو جراح العنق أو غدة فيما حوله فمر به عثمان فامر به أى فتكلم أو هو يتكلم في شأنه فأمر به فأخرج من المدينة ، بحار الانوار .

غداً محلقين ، قال : فما أتاه إلا هؤلاء الثلاثة ، قال : و جاءه عماد بن ياسر بعد الظهر ف ضرب يده على صدره ثم قال : ما آن لك أن تستيقظ من نومة الغفلة ارجعوا فلاحاجة لي فيكم أتم لم تطيعوني في حلق الرؤوس فكيف تطيعوني في قتال جبال الحديد ، ارجعوا فلاحاجة لي فيكم .

وفي الاحتجاج عن الباقر عليه السلام أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر : اكتب إلى اسامة ابن زيد يقدم عليك فان في قدمه قطع الشنعة ، فكتب أبو بكر إليه : من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اسامة بن زيد ، أما بعد ، فانظر إذا أتاك كتابي فأقبل إلى أنت و من معك فان المسلمين قد اجتمعوا علي و ولوني أمرهم ، فلا تخلفن فتعصني ويأتيك مني ماتكروه والسلام .

قال فكتب إليه اسامة جواب كتابه : من اسامة بن زيد عامل رسول الله صلى الله عليه وآله على غزوة الشام الى أبي بكر بن أبي قحافة ، أما بعد فقد أتاني منك كتاب ينقض اوله آخره ، ذكرت في اوله أنك خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ، و ذكرت في آخره أن المسلمين قد اجتمعوا عليك فولوك أمرهم و رضوا بك ، فأعلم أنني و من معي من جماعة المسلمين فلا والله ما رضينا بك ولا ديناك أمرنا ، و انظر أن تدفع الحق إلى أهله و تخليهم و إياهم فأنهم أحقّ به منك فقد علمت ما كان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام يوم الغدير ، فما طال العهد فتسمى فانظر مركزك ولا تخالف فتعصي الله ، و رسوله و تعصي من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله عليك و على صاحبك ، ولم يعزني حتى قبض رسول الله و أنتك و صاحبك رجعتما و عصيتما فأقمتما في المدينة بغير اذني .

قال : فأراد « فهم سخ » أبو بكر أن يخلعها من عنقه قال : فقال له عمر : لا تفعل قميص قمصك الله لا تخلعه فتندم ولكن ألحّ عليه بالكتب و مر فلانا و فلانا يكتبون الى اسامة أن لا يفرق جماعة المسلمين و أن يدخل معهم فيما صنعوا ، قال : فكتب اليه أبو بكر و كتب إليه ناس من المنافقين : أن ارض بما اجتمعنا عليه و إيساك أن تشمل المسلمين فنتنه فانهم حديث عهد بالكفر ، قال : فلم يردت الكتب على اسامة انصرف بدن معه

حتى دخل المدينة ، فلما رأى اجتماع الخلق على أبي بكر انطلق إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له : ما هذا ؟ قال له علي عليه السلام : هذا ما ذاترى ، قال له اسامة : فهل بايعته ؟ فقال : نعم يا اسامة ، فقال : أطاعنا أو كارهاً ؟ قال : لا بل كارهاً ، قال : فانطلق اسامة فدخل على أبي بكر وقال له : السلام عليك يا خليفة المسلمين ، قال : فرد عليه أبو بكر ، وقال : السلام عليك أيها الأمير هذا .

و يأتي بعض أخبار هذا الباب من طرق الخاصة كساير الأخبار العامة إنشاء الله عند شرح الخطب الآتية والله المستعان وعليه التمسك.

المقدمة الرابعة

في الإشارة الى بعض طرق الخطبة و رفع الاختلاف بينها فأقول :

اعلم أن المستفاد من مضمون هذه الخطبة الشريفة كما هو المستفاد من بعض طرقها الآتية أيضاً أنه عليه السلام خطب بها في أواخر عمره الشريف و ذلك بعد ما انقضى أيام خلافة المتخلفين الثلاثة و بعد ما ابتلى به من قتال النّاكثين و القاسطين و المارقين و هذا مما لا يخفى فيه ، و أمّا المقام الذي خطب عليه السلام بها فيه فقد اختلفت فيه الروايات .

منها ما هي ساكنة عن تعيين المكان ، مثل ما رواه العلامة الحلّي طاب ثراه في كتاب كشف الحق و نهج الصدق عن الحسن بن عبدالله بن عبد بن مسعود العسكري من أهل السنة في كتاب معاني الأخبار باسناده إلى ابن عباس قال : ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال : قال : والله لقد تقمصها أخوتيم و أنه يعلم إلى آخر ما ذكره الرضّي بتغيير يسير .

و مثلها ما رواه المحدث المجلسي في المجلد الثامن من البحار من معاني الأخبار وعلل الشرايع للصدوق عن ماجيلويه عن عمّه عن البرقي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس قال : ذكرت الخلافة

عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال : والله لقد تقمصها أخوتهم اه ، ومن الكتابين أيضا عن الطالقاني عن الجلودي عن أحمد بن عمار بن خالد عن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن عيسى بن راشد عن علي بن حذيفة عن عكرمة عن ابن عباس مثله ، و من أمالي الشيخ عن الحفّار عن أبي القاسم الدّعبلّي عن أبيه عن أخي دعلج عن محمد بن سلامة الشامي عن زرارة عن أبي جعفر الباقر عن أبيه عن جدّه عليهم السلام ، والباقر ، عن ابن عباس قال : ذكرت الخلافة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال : والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة ، وذكر نحوه بأدنى تغيير .

و منها ماهي دالة على أنه عليه السلام خطب بها في منبر مسجد الكوفة وهو ما رواه المحدث المجلسي طاب ثراه في المجلد الرابع عشر من البحار من بعض مؤلفات القدماء ، عن القاضي أبي الحسن الطبري عن سعيد بن بونس المقدسي عن المبارك عن خالص بن أبي سعيد عن وهب الجمال عن عبد المنعم بن سلمة عن وهب الرامدي عن يونس بن ميسرة عن الشيخ المعتمر الرقي دفعه إلى أبي جعفر ميثم التمار ، قال . كنت بين يدي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام إذ دخل غلام و جلس في وسط المسلمين ، فلما فرغ عليه السلام من الأحكام نهض إليه الغلام ، و قال يا أبا تراب : أنا إليك رسول جئتك برسالة تززع لها الجبال من رجل حفظ كتاب الله من أوله إلى آخره و علم علم القضايا والأحكام و هو أبلغ منك في الكلام و أحقّ منك بهذا المقام ، فاستعدّ للجواب ولا تزخرف (١) المقال ، فلاح الغضب في وجه أمير المؤمنين عليه السلام ، و قال لعمار : اركب جملك وطف في قبائل الكوفة وقل لهم أجبوا علينا ليعرفوا الحق من الباطل والحلال والحرام والصحة والسقم ، فركب عمار فما كان إلا هنيئة حتى رأيت العرب كما قال الله تعالى :

«إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ»

فضاق جامع الكوفة و تكاتف الناس تكاتف الجراد على الزرع الغض (٢)

١- اي لا تكذب المقال، منه .

٢- اي الطرى الغض، منه .

فى أوامه ، فنهض العالم الأردع (١) والبطل الأتزع ورقى فى المنبر وراقى ثم
تنحى فسكت جميع من فى الجامع ، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : رحم الله من سمع فوعى ، أيها
الناس يزعم أنه أمير المؤمنين والله لا يكون الامام إماماً حتى يحى الموتى أو ينزل من
السماء ، مطراً أو يأتي بما يشاكل ذلك مما يعجز عنه غيره و فيكم من يعلم أننى الآية
الباقية والكلمة التامة والحجة البالغة ولقد أرسل إلى معاوية جاهلاً من جاهلية
العرب عجرف (٢) فى مقاله و أنتم تعلمون لو شئت لطحن عظامه طحناً ونسفت (٣)
الأرض من تحته نسفاً ، و خسفتها عليه خسفاً إلا أن احتمال الجاهل صدقة .
ثم حمد الله و أننى عليه و صلى على النبى صلى الله عليه وسلم و أشار بيده إلى الجو
فدمدم (٤) ، وأقبلت غمامة و علت سحابة و سمعنا منها إذ يقول : السلام عليك يا
أمير المؤمنين و يا سيد الوصيين و يا إمام المتقين و يا غياث المستغيثين و يا كنز
المساكين و معدن الراغبين ، و أشار إلى السحابة فذنت ، قال ميثم : فرأيت الناس
كلهم قد أخذتهم السكرة ، فرفع رجله و ركب السحابة ، و قال لعمار : اركب
معى و قل ، بسم الله مجربها و مرسيها ، فركب عمار و غابا عن أعيننا ، فلما كان بعد
ساعة أقبلت السحابة حتى أظلت جامع الكوفة ، فاذا مولاى جالس على دكة
القضاء و عمار بين يديه و الناس حافون به ، ثم قام وصعد المنبر و أخذ الخطبة
المعروفة بالشقشقية ، فلما فرغ اضطرب الناس ، و قالوا فيه أقاويل مختلفة ، فمنهم
من زاده الله ايماناً و يقيناً ، و منهم من زاده كفرأ و طغياناً .

قال عمار : وقد طارت بنا السحابة فى الجو فما كانت هنيئة حتى أشرفنا
إلى بلد كبير حوالبه أشجار و أنهار ، فنزلت بنا السحابة و إذا نحن فى مدينة كبيرة
و الناس يتكلمون بكلام غير العربية فاجتمعوا عليه و لاذابوه فوعظهم و أنذرهم
بمثل كلامهم ، ثم قال : يا عمار اركب ففعلت ما امرنى فادركنا جامع الكوفة ، ثم

١- الارذع من الرجال من يعجبك حسنه، منه .

٢- المعجزة الحرق وقلة الببالاة، بعار ٣- اى قلت ، م .

٤- يقال دمدم عليه اى كلمه مضطرباً، بعار .

قال عليه السلام لي يا عمّار ، تعرف البلدة التي كنت فيها ؟ قلت : الله أعلم ورسوله ووليّه
قال عليه السلام : كنّا في الجزيرة السابعة من الصين أخطب كما رأيتمني إنّ الله تبارك
و تعالى أرسل رسوله إلى كافة الناس و عليه أن يدعوهم و بهدي المؤمنين منهم إلى
الصراط المستقيم ، و اشكر ما أولئك من نعمه ، و اكنتم من غير أهله فانّ الله تعالى
الطافا خفيّة في خلقه لا يعلمها إلا هو و من ارتضى من رسول.

ثمّ قالوا : أعطاك الله هذه القدرة و أنت تستنهض الناس لقتال معاوية ، فقال
عليه السلام : إنّ الله تعبدهم بمجاهدة الكفار و المناقين و النّساكين و القاسطين
و المارقين ، والله لو شئت لمددت يدي هذه القصيرة في أرضكم هذه الطويلة و ضربت
بها صدر معاوية بالشّمام و أخذت بها من شاربه أو قال من لحيته ، فمد يده و ردّها
و فيها شعرات كثيرة ، فتعجبوا من ذلك ، ثمّ وصل الخير بعد مدة أنّ معاوية سقط من
سريره في اليوم الذي كان عليه السلام مد يده و غشى عليه ثمّ أفاق و افتقد من شاربه
ولحيته شعرات .

وقد ذكرت الرواية بتمامها إذ فيها قرّة عين للشّيعّة فهنيئاً لهم ثمّ هنيئاً بما
خصّهم الله به من موالاته صاحب المناقب الفاخرة والمعجزات القاهرة .

و منها ما هي مفيدة لكونه عليه السلام خاطباً بها في الرّحبة ، مثل ما رواه الطبرسي في
الاحتجاج قال : و روى جماعة من أهل النّقل من طرق مختلفة عن ابن عبّاس قال :
كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام بالرّحبة فذكرت الخلافة و تقدّم من تقدّم عليه ،
فتنفّس الصّعداء ، ثمّ قال : أما والله لقد تقمّصها و ذكر قريباً ممّا رواه الرّضيّ ، ومثله
ما رواه في البحار من إرشاد المفيد قال روى جماعة إلى آخر ما ذكره في الاحتجاج
إلا أنّ فيه و تقديم من تقدّم ، و أم والله بدلأما ، و في البحار أيضاً عن الشّيخ قطب
الدين الرّاوندي قدّس سرّه في شرحه على نهج البلاغة بهذا السّند ، أخبرني
الشّيخ أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم عن الحاجب أبي الوفاء محمد بن بديع و الحسين
ابن أحمد بن عبد الرّحمن عن الحافظ أبي بكر بن مردويه الاصفهاني عن سليمان بن
أحمد الطبراني عن أحمد بن عليّ البار عن إسحاق بن سعيد أبي سلمة الدمشقي عن

خليد بن دعلج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال : كنا مع علي عليه السلام بالرحبة فجرى ذكر الخلافة و من تقدم عليه فيها ، فقال : أما والله لقد تمصصها فلان إلى آخر الخطبة.

هذه جملة ما عثرت عليها من طرق الخطبة وإسنادها و يمكن الجمع بين مختلفها بأن يكون عليه السلام قد خطب بها تارة بالرحبة و أخرى بمنبر الكوفة والله العالم .

و اذا تمهد لك هذه المقدمات فلنشرع في شرح كلامه عليه السلام بتوفيق من الله سبحانه فأقول : و شرحها في ضمن فصول.

الفصل الأول

أما والله لقد تمصصها ابن أبي قحافة وإله يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ، يندرد مني السيل ، ولا يرفي إلي الطير ، فسدت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرثاي بين أن أصول يدي جدآء ، أو أصبر على طخية غمياء ، يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلتقي فيها ربه ، فأريت أن الصبر على هاتا أنجى ، فصبرت وفي العين قذى ، وفي الحاق شجى ، أرى ترثاي نهياً .

اللغة

يقال تمصصه قميصاً ألبسه فتمصص هو و (قحافة) بضم القاف و تخفيف الحاء و (قطب الرحي) مثلثة و كعق : الحديدية التي تدور عليها الرحي و (سدل الثوب) يسد له أرسله و أرخاه ، و (الكشح) ما بين الخاصرة إلى أقصر الاضلاع ، يقال فلان طوى كشحه أى عرض مهاجرأ ، و (طفق) في كذا أى شرع و أخذ

و(ارتأى) في الأمر إذا فكر طلباً للرب أى الأصلاح و افتعل من روية القلب، و(الصولة) الوثبة والحملة ، و (اليد الجذاء) بالجيم والذال المعجمة المقطوعة المكسورة ، قال في النهاية في حديث عليّ عليه السلام أصول بيد جذاء كنتى به عن تصور أصحابه و تقاعدهم عن الفزود ، فإن الجند للأمر كاليد ويرى بالحاء المهملة و فسره في موضعه باليد القصيرة التي لا تمتد إلى ما يراد ، قال و كأنها بالجيم أشبه و(الطخية) بالضم ، على ما في أكثر النسخ أو بالفتح الظلمة أو الغيم و في القاموس الطخية الظلمة و بثلاث و (العمياء) تأنيث الأعمى يقال مفازة عمياء أى لا يهتدى فيها الدليل ، و وصف الطخية بها إشارة إلى شدة الظلمة ، و (هرم) كفرح أى بلغ أقصى الكبر ، و (الشيب) بياض الشعر ، و (الكدح) السعى و كدح في العمل كمنع سعى و عمل لنفسه خيراً و شراً و (أحجى) أى أولى وأجدر و أحق من قولهم حجى بالمكان إذا أقام و ثبت ذكره في النهاية ، و قيل : أى اليق و أقرب بالحجى و هو العقل و(التذى) ما يقع في العين و في الشراب أيضاً من تن أو تراب أو وسخ و (الشجى) ما اعتراض في الحلق و نشب من عظم و نحوه و (التراث) ما يخلفه الرجل لورثته و الناء فيه بدل من الواو و (النهب) السلب والغارة والغنيمة.

الاعراب

أما حرف تنبيه تدل على تحقق ما بعدها مثل ألا و لكونها مفيدة للتحقيق لاتقع الجملة بعدها إلا مصدرية بالقسم قال الشاعر:

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات و أحيى والذي أمره الأمر والضمير في تقمصها راجع الى الخلافة المستفادة بقرينة المقام كما في قوله تعالى:

« حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ »

أى الشمس أو المصريح بها كما في سائر طرق الخطبة على ما تقدم ومثله الضماير الثلاثة بعدها ، و جملة و انه ليعلم اه حالية ، و جملة ينحدر آه استينافية ، وأو، في قوله أو أصبر بمعنى الواو ، لاقتضاه كلمة بين ذلك ، لأن المطف بعدها لاتقع إلا بواو الجمع بفعل : جلست بين زيد و عمرو ولا يقال أو عمرو ، وفي بعض النسخ وأصبر

بالواو ، و كلمة ها في هاتا ، للتسيه ، و تا للإشارة إلى المؤنث اشير بها إلى الطخية الموصوفة .

المعنى

(أما والله لقد تَمَّصَّها) أى لبس الخلافة مثل التميم (ابن أبي قحافة)
والإشارة به إلى أبي بكر و اسمه عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سلام
ابن تيم بن مرة ، و أمه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب ، و في بعض الكتب أن اسمه
في الجاهلية عبدالعزى فغيره النبي ﷺ إلى عبدالله ، قال في القاموس : اسمه عتيق
سمته به أمه أولقب له ، و في التعبير عنه بهذا اللفظ دون الألقاب المادحة دلالة على
الاستخفاف ، كتعبيره عن الثاني فيما سيأتي بابن الخطاب .

و ما تكلمه قاضي القضاة في دفع دلالة عليه بأنه قد كانت العادة في ذلك
الزمان أن يسمى أحدهم صاحبه و يكنيه و يضيفه إلى أبيه حتى كانوا ربما قالوا
لرسول الله ﷺ : يا محمد ، فليس في ذلك دلالة على الاستخفاف ولا على الوضع .

فقد أجاب عنه السيد (ره) في محكي الشافي بأنه ليس ذلك صنع من يريد
التعظيم والتبجيل ، وقد كانت لأبي بكر عندهم من الألقاب الجميلة ما يقصد إليه من
يريد تعظيمه ، و قوله : إن رسول الله ﷺ كان ينادى باسمه فمعاذ الله ما كان ينادى
باسمه إلا شك أو جاهل من طعام مطغان العرب ، و قوله : إن ذلك عادة العرب
فلا شك أن ذلك عاداتهم فيمن لا يكون له من الألقاب أفخمها و أعظمها كالصديق
و نحوه انتهى .

و قال المحدث المجلسي (قده) في ترجمة أبي بكر : اعلم أنه لم يكن له
نسب شريف ولا حسب منيف ، و كان في الاسلام خياطا و في الجاهلية معلما للصبيان
و نعم ما قيل :

معلم صبيان وان كان فاضلا

كفى المرء نقصا أن يقال له

و كان أبوه سيئ الحال ضعيفا وكان كسبه أكثر من عمره من صيد القماري والدباسي (١) لا يقدر على غيره ، فلمّا عمى وعجز ابنه عن القيام به التّجأ إلى عبد الله بن جذعان من رؤساء مكة فنصبه ينادي على ما مدته كل يوم لاحضار الاضياف وجعل (٢) له على ذلك ما يعونه من الطعام ، و ذكر ذلك جماعة منهم الكلبي في كتاب المثالب على ما أورده في الصّراط المستقيم ، و لذا قال أبو سفيان لعليّ عليه السلام بعد ما غضب الخلافة أرضيتم يا بني عبدمناف أن يلي عليكم تيمي رذل .

و قال أبو قحافة مارواه ابن حجر في صواعقه حيث قال : و أخرج الحاكم أن أباقحافة لما سمع بولاية ابنه ، قال : هل رضى بذلك بنو عبدمناف و بنو المغيرة؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت ، و قالت فاطمة عليها السلام في بعض كلماتها : إنّه من اعجاز قريش و أذناها ، و قال بعض الظرفاء : بل من ذوي أذناها ، و قال صاحب الزمام التّواصب : أجمع التّسابون أن أباقحافة كان جراً (٣) لليهود ، و العجب أنّهم مع ذلك يدعون أن الله أغنى النّبي صلى الله عليه وآله بمال أبي بكر انتهى .

أقول : و ذكر الشّارح المعتزلي نظير ما رواه ابن حجر هذا .

و في الاحتجاج روى ان أباقحافة كان بالطايف لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله و بوع لأبي بكر ، فكتب إلى أبيه كتابا عنوانه من خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبيه أبي قحافة أمّا بعد فإنّ النّاس قد تراضوا بي فأنسي اليوم خليفة الله فلو قدمت علينا كان أحسن بك ، قال : فلما قرء أبوقحافة الكتاب قال للرّسول : ما منعكم من عليّ عليه السلام ؟ قال الرّسول : هو حدث السنّ و قد أكثر القتل في قريش و غيرها و أبو بكر أسنّ منه ، قال أبوقحافة : إن كان الأمر في ذلك بالسنّ فأنا أحقّ من أبي بكر ، لقد ظلموا عليّا

١- الدبسي بالضم ضرب من الفواخت قيل نسبته الى طير دبسي و هو الذي لونه بين السواد والحمرة ، مصباح .

٢- اقول و يبالي اني رأيت في بعض السير انه كان ياخذ كل يوم اربعة دراهم من عبد الله بن جذعان اجرة و ينادى على طعامه ، منه .

٣- اي راعى ابل لهم قال في القاموس الجران تركب ناقه و تتركها تروعى ، منه .

حقه وقد بايع له النبي ﷺ وأمرنا ببيعةته ثم كتب إليه : من ابي قحافة إلى ابي بكر
 أما بعد ، فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحقق ينقض بعضه بعضاً، مرة تقول :
 خليفة رسول الله ﷺ، ومرة تقول: خليفة الله ، و مرة تقول: تراضى بي الناس، و هو
 امر ملتبس فلا تدخلن في أمر يصعب عليك الخروج منه غداً و يكون عقبك منه إلى
 الندامة و ملامة النفس اللوامة لدى الحساب يوم القيامة ، فإن للأمر مداخل
 ومخارج و أنت تعرف من هو أدنى بها منك، فراقب الله كأنك تراه ولا تدعن صاحبها،
 فإن تركها اليوم أخف عليك وأسلم لك.

ثم أعلم أنه لم يتعرض عليه أحد بسوء النسب لا من الخاصة ولا من العامة
 حسبما طعنوا في أنساب أمثاله ، ولعل سره ما أشار إليه المحدث الجزائري في أنوار
 النعمانية : من أن الأئمة عليهم السلام من نسله وذلك ، لأن أم فروة و هي أم
 الصادق عليه السلام بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

ثم إنه عليه السلام لما ذكر تلبسه بالخلافة أراد التنبيه على عدم استحقاقه بذلك
 اللباس ، و نبه على بطلان خلافة المتقدم بذكر مراتب كماله الدالة على أفضليته
 المشيرة إلى قبح تفضيل المفضول والعدول عن الأفضل، فقال: (و إنه ليعلم أن محلي
 منها) أي من الخلافة (محل القطب من الرحي) شبهه ﷺ نفسه بالقطب و الخلافة
 بالرحي و محله من الخلافة بمحل القطب من الرحي ، والأول من قبيل تشبيه
 المحسوس بالمحسوس، والثاني من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس، والثالث من قبيل تشبيه
 المعقول بالمعقول ، والمقصود أن الأثر المطلوب من الرحي كما لا يحصل إلا
 بالقطب و لولاه لم يحصل لها ثمر قط كذلك الثمرة المطلوبة من الولاية و الخلافة أعني
 هداية الأنام و تبليغ الأحكام و نظام أمور المسلمين و انتظام أمر الدنيا والدن،
 لا تحصل إلا بوجوده عليه السلام فيكون الخلافة دائرة مدار وجوده كما أن الرحي دائرة
 مدار القطب ، ففيه إشارة إلى عدم إمكان قيام غيره مقامه و إغناؤه عنه كما لا يقوم
 غير القطب مقامه ولا يغني عنه.

و بهذا المضمون صرح ﷺ في بعض كلماته الآتية، و هو قوله في الكلام المائة

والثامن عشر : و إنما أنا قطب الرّحى تدور علىّ و أنا بمكاني فاذا فارقته استبحار مدارها واضطرب تقالها ، و منه يظهر أنّ ما ذكره الشّارح المعزّلي من أنّ مراده عليه السلام بهذا الكلام هو أنّه من الخلافة في الصّميم و في وسطها و بحبوحتها كما أنّ القطب وسط دائرة الرّحى مع كونه خلاف الظاهر ليس على ما ينبغي هذا.

و في إتيان قوله : و إنّني ليعلم مؤكداً بأنّ اللام ، دلالة على منتهى المبالغة في الطعن عليه لدلالته على أنّ تقمّصه بالخلافة لم يكن ناشياً عن الجهالة والغفلة عن مرتبته عليه حتى يكون جاهلاً قاصراً معذوراً فيه و معفواً عنه ، بل قد تقمّص بها مع علمه بأنّ مدارها عليه و انتظامها به فيكون تقمّصه بها مع وجود ذلك العلم ظلماً فاحشاً و غصباً يبيّن.

و يدل على علمه بذلك ما رواه في الاحتجاج عن عامر الشعبي عن عروة بن الزبير عن الزبير بن العوام قال : لمّا قال المنافقون : إنّ أبا بكر تقدّم علينا وهو يقول أنا أدلى بالمكان منه ، قام أبو بكر خطيباً فقال : صبراً على من ليس يؤل إلى دين ولا يحتجب برعاية ولا يرعوى لولاية ، أظهر الايمان ذلة و أسر السفاق غلّة (١) هؤلاء عصبة الشيطان و جمع الطغيان ، يزعمون أنّي أقول إنّني أفضل من عليّ وكيف أقول ذلك و مالي سابقته ولا قرابته ولا خصوصيته ، و حدّ الله و أنا ملحد و عبد الله قبل أن أعبده ، و والى الرّسول و أنا عدوّه ، و سابقني بساعات لم الحقّ شأوه (٢) ولم أقطع غباره ، إنّ ابن أبي طالب فاز والله من الله بمحبّة ، و من الرّسول بقربة ، و من الايمان برتبة . لوجه الألوّ و الآخرون إلّا النسيون لم يبلغوا درجته ولم يسلكوا منهجه .

بذل في الله مهجته و لابن عمّه مودّته ، كاشف الكرب و دامغ (٣) الرّيب و قاطع السبب إلّا سبب الرّشاد و قامع الشّرك ، و مطهر ما تحت سويدها حبة النفاق محنة لهذا العالم ، لحقّ قبل أن يلاحق و برز قبل أن يسابق ، جمع العلم و الحلم

١ - اى حقد أو الفل العقد كالفل بالكسر ، ق .

٢ - الشاو الناية والامد، لفة

٣ - دمع فلانا ضرب دماغه ، ق

والفهم فكان جميع الخيرات لقلبه كنوزاً لا يدخر منها مثقال ذرة إلا أنفقته في بابه فمن ذاب يومئذ أن ينال درجته، وقد جعله الله ورسوله للمؤمنين ولياً وللنبي وصياً وللخليفة راعياً وبالامامة قائماً، أفيغتر الجاهل بمقام قمته إذا أقامني وأطمته إذا أمرني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: الحق مع علي وعلي مع الحق، من أطاع علياً رشد ومن عصى علياً فسد، ومن أحبه سعد، ومن أبغضه شقي، والله لو لم يحب ابن أبي طالب إلا لأجل أنه لم يواقع لله محرماً ولا عبد من دونه صنماً ولا حاجة الناس إليه بعد نبينهم، لكان في ذلك ما «مماخ» يجب، فكيف لأسباب أهلها موجب وأهونها مرغب، للرَّحِم الماسة بالرسول والعلم بالدقيق والجميل والرضا بالصبر الجميل والمواساة في الكثير والتليل و خلال (١) لا يبلغ عدّها ولا يدرك مجدها ودالتمتمنون أن لو كانوا تراب أقدام ابن أبي طالب، أليس هو صاحب لواء الحمد والساقى يوم الورد و جامع كل كريم وعالم كل علم والوسيلة إلى الله وإلى رسوله.

ثم إنّه ﷺ أشار إلى علو مقامه و سمو مكانه بقوله (ينحدر عنّي السيل) تشبيهاً لنفسه بذرورة الجبل المرتفع فاستعار له ما هو من أوصاف الجبل وهو السيل المنحدر عنه إلى الغيطان ، و لعل المراد بالسيل المنحدر عنه ﷺ هو علومه و حكمه الواصلة إلى العباد والفيوضات الجارية منه ﷺ على المواد القابلة، وتشبيه العلم بالماء والسيل من أطف التشبيهات و وجه الشبه هو اشتراكهما في كون أحدهما سبب حياة الجسم والآخر سبب حياة الروح ، وقد ورد مثل ذلك التشبيه في الكتاب العزيز قال تعالى :

« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَعَنْ يَأْتِيكُمْ بِآءٍ مَعِينٍ »

روى علي بن إبراهيم القمي (ره) في تفسيره باسناد عن فضالة بن أيوب قال: سئل الرضا ﷺ عن قول الله عز وجل: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَعَنْ يَأْتِيكُمْ بِآءٍ مَعِينٍ : ما ذكركم أباؤكم أي الأئمة

١- جمع خلة مثل خصلة وزنا ومعنى لغة.

٢- يعني ان غاب إمامكم كما في عدة روايات، منه

و الأئمة أبواب الله بينه و بين خلقه ، فمن يأتيكم بماء معين ، يعني يأتيكم بعلم الامام ، و في تفسير القمي أيضاً في قوله تعالى:

« وَ بئرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرِ مَشِيدٍ »

قال : (١) هو مثل جرى لآل محمد عليهم السلام قوله: بئر معطلة ، هو الذي لا يستقى منها و هو الامام الذي قد غاب فلا يقتبس منه العلم إلى وقت الظهور، والقصر المشيد هو المرتفع، و هو مثل لأمر المؤمنين و الأئمة صلوات الله عليهم و فضائلهم المنتشرة في العالمين المشرقة على الدنيا ثم يشرف على الدنيا، وهو قوله :

« لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ »

و قال الشاعر في ذلك :

بئر معطلة و قصر مشرف

فالقصر مجدهم الذي لا يرتقى

و البئر علمهم الذي لا ينزف

ثم إنّه عليه السلام ترقى في الوصف بالعلو و اكد علو شأنه و رفعة مقامه بقوله: (ولا يرقى إلى الطير) فان رقى الطير أعلى من منحدر السيل فكيف مالا يرقى إليه كأنه قال : انسي لعلو منزلتي كمن في السماء التي يستحيل أن يرقى إليها قال الشاعر :

مكارم لجمت (٢) في علو كأنما

تحاول تاراً عند بعض الكواكب

و لعلّه عليه السلام أراد بعدم رقى الطير إليه عجز طائر الاوهام عن الوصول إلى مقاماته الجليلة ، و قصور العقول عن الاحاطة بمناقبه الجميلة من حيث عدم انتهائها بعد ، و عدم وقوفها إلى حد ، قال تعالى:

« وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامَ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ

سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ »

قال في الاحتجاج : سأل يحيى بن أبا الحسن العالم عليه السلام عن قوله تعالى : سبعة

١- هذا من عبارة التفسير والفاعل راجع الى الامام (ع) منه .

٢- اي صوت واللجة . بالفتح الصوت منه .

أبحر مانفدت كلمات الله ماهي؟ فقال : هي عين الكبريت و عين اليمين وعين البرهوت و عين الطيرية وحممة (١) ما سيدان و حممة افريقية (٢) و عين باحوران و بلعوران ، ناحوران خ» ، و نحن الكلمات التي لاندرک فضاءلناولا تستقصى .

ثم إنّه ﷺ لما أشار إلى اغتصاب الخلافة نبيه على اعراضه عنها وبأسه منها وقال: (فسدلت) أى أرخيت و أرسلت (دونها ثوبا) و ضربت بيني و بينها حجاباً فعل الزاهد فيها و الراءب عنها (و طويت عنها كشحاً) (٣) و أعرضت عنها و بسّمت منها مهاجراً ، و قيل : إن المراد إنّي أبعثت نفسي عنها ولم أقمها لأن من أجاج نفسه فقد طوى كشحه كما أن من اكل و أشبع فقد ملاء كشحه (و) لما رأيت الخلافة في يدمن لم يكن أهلالها (طفقت) أى أخذت و شرعت (أرتأي) فى الأمر و فكر في طلب الأصلح و أجبل الفكر في تدبير أمر الخلافة و أردده (بين) أمرين أحدهما (أن أصول) عليهم و أقاتل معهم (بيدجذاء) أى مقطوعة مكسورة و المراد حملته عليهم بلا معاون ولا ناصر، واستعار وصف الجذاء لعدمهما لمشابهة أن قطع اليد كما أنه مستلزم لعدم القدرة على التصرف بها والصيال ، فكذلك عدم المعين والناصر مستلزم لذلك أيضاً فحسنت الاستعارة وثانيهما الصبر على معاينة الخلق على شدة و جهالة و ضلالة و هو المراد بقوله (أو أصبر على طخية عمياء) أى على ظلمة والتباس من الامور متّصف بالعمى بمعنى أنه لا يهتدى فيه السالك إلى سلوك طريق الحق بل يأخذ يمينا و شمالا ، و إلى هذه الظلمة أشيرت في قوله تعالى:

« أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا قَبْلَ لَهُ مِنْ نُورٍ »

١ - حمّة بفتح الحاء و تشديد اليم كل عين فيها ماء حار تنبع يستشفى بها المرضى، لفة .

٢ - بتخفيف الباء و تشديدها من بلاد المغرب مغرب

٣ - عطف على سبيل التفسير مثل قوله ضربت بيني وبينها حجاباً، منه

وقد فسرت الظلمات في الأخبار بخلافات الثلاثة، ثم أشار ﷺ إلى طول مدة هذه الطخية بأنه (يهرم فيها الكبير) أى يبلغ أقصى الكبر (و يشيب فيها الصغير) أى يبيض رأسه و يحتمل أن يراد بهما المجاز والتوسع بمعنى أن أيام اغتصاب الخلافة لشدة صعوبتها وكثرة أهوالها يكاد أن يهرم الكبير فيها و يشيب الصغير قال تعالى:

«يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا»

(و يكدر فيها مؤمن) أى يسعى المؤمن المجتهد في الذب عن الحق و الأمر بالمعروف و يكدر و يقاسي الأحزان والشدائد (حتى) يموت و (يلقى ربه) ثم إنه ﷺ لما ذكر تردده بين الصبر والقتال أشار إلى ترجيحه الأول على الثاني بقوله: (فأريت أن الصبر على هاتنا أحجى) أى أليق و أصالح و أجدر ، أو أقرب بالحجج والعقل ، و ذلك لأن ترك الخلق على الضلالة والجهالة و إبقائهم على الغي والغفلة إنما يوجب مع الاستطاعة والقدرة ويلزم معهم ما ردعهم عن الباطل و نهيم عن المنكر وإرجاعهم إلى الصراط المستقيم والنهج القويم ولو بالقتال والصيام ، و أما مع عدم التمكن والقدرة من حيث عدم المعاون والناصر فلا يلزم شيء من ذلك ، بل يجب التحمل والصبر حذراً من إلقاء النفس على الهلاكه و تعريضها على العطب و امتيصال آل محمد ﷺ سيما و أن مقصوده ﷺ من الخلافة لم يكن إلا هداية الأنام و إعلاء كلمة الاسلام و إثارة الحرب والجدال إذا كانت موجبة لاضطراب نظام المسلمين ، بل مؤدية إلى رجوع الناس إلى أعقابهم القهقري و اضمحلال كلمة الاسلام الغالبة الأعداء فلا يحكم العقل حينئذ إلا بالكف عن الجهاد والصبر على البلاء والتحمل على الأذى كيلا يلزم ضد المقصود و لا نقض الغرض (فصبرت) و الحال إن (في العين فذى) يوجب أذيتها كما يصبر الرجل الأرمم (و في الحلق شجى) اعترض فيه كما يصبر المكابد للخنق ، و الجميلتان كنايةتان عن شدة تأذيه بسبب اغتصاب ما يرى أنه أولى به من غيره (أرى تراني) و في بعض الروايات تراث محمد وآله (نهياً) أى سلباً و غارة والمراد بترائه المنهوب المسلوب إما فذلك الذي خلقه رسول الله ﷺ

لابنته من حيث إن مال الزوجة في حكم مال الزوج، وإمام الخليفة الموروثه منه عليه السلام لصدق لفظ الارث عليها كصدقه على منصب النسبوة في قوله تعالى حكاية عن زكريا :

« مَرِّئِي وَ مَرِّئِ مِنْ آلٍ يَعْقُوبَ »

والأظهر حمله على العموم والله العالم.

الترجمة

آگاه باش بخدا قسم که پوشید خلافت را مثل پیراهن پسر اَبی قحافه و حال آنکه بدرستی آن عالم بود باینکه محل من از خلافت مثل محل قطب است از سنک آسیا، منحدر میشود و پائین می آید از من سیل علوم و ترقی نمیکند بسوی من پرندۀ بلند پرواز از ادهام و عقول، پس فرو گذاشتم نزد آن خلافت لباس صبر را، و در نور دیدم از آن تهیگاه را، و شروع کردم بفکر کردن در امر خود میان آنکه حمله کنم بدست بریده و یا اینکه صبر نمایم بر ظلمتی که متصف است بصفه کوری که کنایه است از خلافت اهل جلافت، آنچنان ظلمتی که بنهایت پیری میرسد در آن بزرگسال، و بحال پیری میرسد در آن خورد سال، و سعی میکند و بمشقت و رنج میافند در آن مؤمن تا اینکه میمیرد و ملاقات میکند پروردکار خود را؛ و چون حال بر این منوال بود پس دیدم که صبر کردن بر این ظلمت و بر خلافت اهل شقاوت الیق وانسب است، پس صبر نمودم و ترک قتال وجدال کردم و حال آنکه در چشم من غبار و خاشاک بود که از آن اذیت میکشیدم و در گلوی من استخوان بود که گلوگیر شده بودم، و سبب این اذیت و گلوگیری آن بود که می دیدم میراث خود را غارت شده و خلافت خود را تاراج گردیده.

الفصل الثاني

حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ ، فَأَذَلُّ بِهَا إِلَى ابْنِ الْخَطَّابِ بَعْدَهُ ، ثُمَّ
تَمَثَّلَ لِلنَّبِيِّ بِقَوْلِ الْأَعْمَى :

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَ يَوْمَ حَيَاتِ أَخِي جَابِرٍ
فَيَا عَجَبًا بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَبِ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَشَدِّ مَا
تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا ، فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَفَاطِظُ كُلُّهَا ، وَيَخْشَنُ مَسَهَا ،
وَ يَكْتَرُ الْعِنَارُ فِيهَا ، وَالْإِعْتِدَارُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّغْبَةِ إِنْ
أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ ، وَإِنْ أَسَاسَ لَهَا تَقَحَّمَ ، فَمُنَى النَّاسُ أَعْمُرُ اللَّهِ بِخَبْطِ
وَ شِمَاسٍ ، وَ تَلَوْنِ وَاعْتِرَاضٍ ، فَصَبَّرْتُ عَلَى طَوْلِ الْمُدَّةِ ، وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ .

اللمعة

يقال فلان (مضى) لسييله أى مات و(أدلى) بها إلى فلان أى القاها إليه ودفعها

قال تعالى :

« وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ بَيْنَكُمُ بِالْبَاطِلِ وَ تَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ »

أى تدفعوها إليهم رشوة و أصله من أدليت الجبل في البئر إِدْلَاءُ أى أرسلتها ليستقى
بها و (تمثل) بالبيت أشده للمثل و (شَتَّان) إسم فعل فيه معنى التعجب يقال : شتان
ماهما وما بينهما وما عمرو و أخوه أى بعد ما بينهما ، قال الشَّارِحُ المَعْتَزَلِيُّ ولا يجوز
شَتَّان ما بينهما إلا على قول ضعيف و (الكور) بالضم رحل البعير بأداته و (الاقالة)
فك تعدد البيع و نحوه ، والاستقالة طلب ذلك و(شد) أى صار شديداً مثل حب إذا صار
حبيباً (تشطر) إما مأخوذ من الشطر بمعنى النصف يقال : فلان شطر ماله أى نصفه ، أو من
الشطر بمعنى خلف الناقه بالكسر ، قال الشَّارِحُ المَعْتَزَلِيُّ : وللساقفة أربعة أخلاف خلفان

قادمان (١) وخلفان آخران وكلّ اثنين منهما شطر وتشطرا ضرعيا اقتسما فايدتها،
و الضمير للخلافة و سمى القادمين معا ضرعاً و سمى الآخرين معاضرعا لتجاورهما
و لكونهما لا يحلبان إلا معا كالشئ الواحد انتهى ، و لفظ التشطر على وزن
التفعل غير موجود في كتب اللغة

قال العلامة المجلسي : و في رواية المفيد و غيره شاطرا على صيغة المفاعلة
يقال : شاطرت ناقتي إذا احتلبت شطراً و تركت الآخر ، و شاطرت فلاناً مالى إذا
ناصفته و (الحوزة) الطبيعة و الناحية و (الفاظ) ضد الرقة و (الكلم) بفتح الكاف
و سكون اللام يقال : كلمته كلاماً من باب قتل جرحته و من باب ضرب لغة ، ثم أطلق المصدر
على الجرح و يجمع على كلوم و كلام مثل بحر و بحور و بحار و (الغار) بالكسر
مصدر من عثر الرجل و الفرس أيضاً يعثر من باب قتل و ضرب و علم كبا و (الصعبة)
من النوق غير المنقادة لم تذلل بالمحمل ولا بالركوب و (أشلق) بعينه أى جذب
رأسه بالزمام ليمسكه عن الحركة العنيفة كما يفعل الفارس بفرسه و هو راكب،
و أشلق هو بالألف أيضاً كشق رفع رأسه فيستعمل الرباعي لازماً و متعدياً كالثلاثي .
قال الرضي بعد إيراد تمام الخطبة : قوله **أشلق** إن أشلق لها خرم و إن أسلس لها تقحم ،
يريد أنه إذا شد عليها في جذب الزمام و هي تنازعه رأسها خرم أنفها و إن أرخى
لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها ، يقال : أشلق الناقة إذا جذب رأسها
بالزمام و رفعه و شتها أيضاً ذكر ذلك ابن السكيت في اصلاح المنطق و إنما قال :
أشلق لها ولم يقل : أشتها ، لأنه جعله في مقابلة قوله أسلس لها فكانه **أشلق** قال : إن
رفع لها رأسها بالزمام بمعنى أمسكه عليها انتهى .

و (الخرم) الشق يقال خرم فلاناً كضرب أى شق و ترة أنفه (٢) و هي ما بين
منخرية فخرم هو كفرح و (أسلس لها) أرخى زمامها و (تقحم) فلان رمى نفسه في

١- و هما اللذان يلبان السرة منه

٢- و ترة الانف حاجزها ، ق

المهلكة و تقحم الانسان في الأمر ألقى نفسه فيه من غير روية وتقحم الفرس راكبه رماه على وجهه و (مني) على المجهول اى ابتلى و (الخبط) بالفتح السير على غير معرفة و في غير جادة و (الشمامس) بكسر الشين الفار يقال : شمس الفرس شموساً و شماساً أى منع ظهره فهو فرس شموس بالفتح و (التلون) في الانسان أن لا يثبت في خلق واحد و (الاعتراض) السير على غير استقامة كأنه يسير عرضاً و (المحنة) البليّة التي يمتحن بها الانسان.

الاعراب

اللام في قوله بالتعريف : لسبيله ، بمعنى على كما في قوله :

فخر صريعاً لليدين و الفم

و شتان مبني على الفتح لتضمنه معنى افترق مع تعجب، أى ما أشد الافتراق فيطلب فاعلين كافترق نحو شتان زيد و عمرو ، وقد يزداد بعده ما كما في البيت ، و يومي و يوم حيتان مرفوعان على الفاعلية ، و يا عجباً منصوب بالنداء ، و أصله يا عجبى ثم قلبت الياء ألفاً ، كأن المتكلم ينادي عجبه و يقول له : احضر فهذا أو ان حضورك ، و بينا هي بين الظرفية اشبعت فتحتها فصارت ألفاً و تقع بعدها إذا الفجائية غالباً ، و اللام في قوله بالتعريف : لشدّ جواب للقسم المقدر ، و شدّ أى صار شديداً ، و ما مصدرية و المصدر فاعل شدّ و لا يستعمل هذا الفعل إلا في التعجب ، و الضمير في قوله : فيها و منها ، راجع إلى الحوزة ، و يحتمل رجوع الثاني إلى العثرات المستفادة من كثرة العثار ، و من في قوله : منها صالة للاعتذار أو المصنفة المقدره صفة للاعتذار أو حالاً عن يكثر أى الناشئ أو ناشياً منها.

و قال الشراح المعتزلي : و يمكن أن يكون من هنا للتعليل و السببية أى

و يكثر اعتذار الناس عن أفعالهم و حركاتهم لأجلها ، و العمر بالضم و الفتح مصدر عمر الرجل بالكسر إذا عاش زماناً طويلاً و لا يستعمل في القسم إلا العمر بالفتح فإذا أدخلت عليه اللام رفعته بالابتداء ، و اللام لتوكيد الابتداء و الخبر محذوف و التقدير لعمر الله قسماً ، و إن لم تأت باللام نصبت نصب المصادر .

المعنى

(حتى اذا مضى الأول) وهو أبوبكر (لسيبله) أى على سبيله الذي يسلكه كل إنسان وهو سبيل الآخرة ، وذلك بعد ما مضى من خلافته سنتان و ثلاثة أشهر إلا خمس ليال ، وقيل : سنتان و ثلاثة أشهر و سبع ليال ، وقال ابن اسحاق : توفي على رأس اثنتين و ثلاثة أشهر و اثني عشر يوماً من متوفى رسول الله ﷺ ، وقيل : وعشرة أيام ، وقيل : و عشرين يوماً ، ذكر ذلك كله في البحار من كتاب الاستيعاب . و كيف كان فإنه لما ظهر له علام الموت (أدلى بها) أى بالخلافة أى دفعها (إلى ابن الخطاب بعده) بطريق النص والوصية من دون أن يكون له استحقاق لها كما يشير إليه لفظ الأدلاء على ما نبه به الشارح المعتزلي حيث قال بعد ما فسر الأدلاء بالدفع على وجه الرشوة :

فان قلت : فان أبابكر إنما دفعها إلى عمر حين مات ولا معنى للرشوة عند الموت قلت : لما كان ﷺ يرى أن العدول بهاعنه إلى غيره إخراج لها إلى غير جهة الاستحقاق شبه ذلك بادلاء الانسان بماله إلى الحاكم ، فإنه إخراج للمال إلى غير وجهه فكان ذلك من باب الاستعارة هذا .

والمراد بابن الخطاب هو عمر و هو ابن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزيز بن رباح بالمنشأة التحتانية و أمه حنثمة (١) بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم .

و ينبغي لنا تحقيق الكلام في هذا النسب الشريف من طريقنا و من طريق العامة فأقول :

قال العلامة في كشف الحق : و روى الكلبيُّ و هو من رجال السنة في كتاب المثالب قال : كانت صهناك أمة حبشية لهاشم بن عبدمناف فوقع عليها بنفيل بن هاشم ثم وقع عليها عبدالعزيز بن رباح و جاءت بنفيل جد عمر بن الخطاب ، وقال الفضل

١- في نسخة ابن ابي العديد حنطة بالعا، والنون والطاء، و في نسخة البحار حنثة بالنا، المنقوطة و ضبطه في القاموس مطابقاً لما في البحار منه .

ابن روزبهان في الشرح بعد القدح في صحة النقل : إن أنكحة الجاهلية على ما ذكره أرباب التواريخ على أربعة أوجه ، منها أن يقع جماعة على امرأة ثم ولد منها يحكم فيه القاييف أو تصدق المرأة وربما كان هذا من أنكحة الجاهلية ، و أورد عليه شارح الشرح بأنه لو صح ما ذكره لما تحقق زنا في الجاهلية ولما سمي مثل ذلك في المثالب ولكن كل من وقع على امرأة كان ذلك نكاحاً منه عليها ولم يسمع عن أحد أن من نكاح الجاهلية كون امرأة واحدة في يوم واحد أو شهر واحد في نكاح جماعة من الناس.

و قال المحدث المجلسي في البحار : وحكى بعض أصحابنا عن محمد بن شهر آشوب وغيره أن صهباك كانت أمة حبشية لعبد المطلب و كانت ترعى له الابل ، فوقع عليها نفيل فجاءت بالخطاب ، ثم إن الخطاب لما بلغ الحلم رغب في صهباك فوقع عليها فجاءت بابنة فلفتها في خرقة من صوف و رمتها خوفاً من مولاها في الطريق فرآها هاشم بن المغيرة مرمية في الطريق فأخذها و ربهاها و سماها حنتمة فلما بلغت رآها خطاب يوماً فرغب فيها و خطبها من هاشم فأنكحها إياه فجاءت بعمر بن الخطاب فكان الخطاب أباً و جدّاً و خالاً لعمر ، و كانت حنتمة أماً و اختاً وعمّة له فتأمل .

ثم قال المجلسي (ره) فأقول : وجدت في كتاب عقد الدرر لبعض الأصحاب روى بإسناده عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن ابن الزيات عن الصادق عليه السلام أنه قال : كانت صهباك جارية لعبد المطلب و كانت ذات عجز و كانت ترعى الابل و كانت من الحبشة و كانت تميل إلى النكاح ، فنظر إليها نفيل جد عمر فهوها و عشقها من مرعى الابل ، فوقع عليها فحملت منه بالخطاب ، فلما أدرك البلوغ نظر إلى أمه صهباك فأعجبه عجزها فوثب عليها فحملت منه بحنتمة فلما ولدتها خافت من أهلها فحملتها في صوف و ألقتها بين أحشام مكة ، فوجدتها هشام بن المغيرة بن الوليد ، فحملها إلى منزله و ربهاها و سماها بالحنتمة ، و كانت شيمة العرب من ربي يتيماً يتخذها ولداً ، فلما بلغت حنتمة نظر إليها الخطاب فمال إليها

وخطبها من هشام فتزوجها فأولد منها عمر ، فكان الخطاب أباه و جدّه و خاله ،
و كانت حنتمة أمّه و اخته وعمّته ، و ينسب إلى الصادق عليه السلام في هذا المعنى شعر :

من جدّه خاله و والده و أمّه اخته و عمّته

أجدر أن يبغض الوصي وأن ينكر يوم الغدير بيعته

أقول : هذا النسب و أمّا الحساب فقد حكى العلامة في كشف الحقّ عن

ابن عبد ربّه في كتاب العقد الحديث استعمال عمر بن الخطاب لعمر بن العاص في
بعض ولايته، فقال: عمرو بن العاص: قبيح اللّه زمانا عمل فيه عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب،
والله إني لأعرف الخطاب على رأسه حزمة من حطب وعلى ابنه مثلها وما نهى إلا تمرّة
لا تبلغ مضغته ، وروى نحو ذلك الشّارح المعتزلي عن زبير بن بكار في حديث طويل
و فيه فلما رأى عمرو كثرة ما أخذ منه قال : لعن اللّه زمانا صرت فيه عاملا لعمر والله لقد
رأيت عمرو أباه على كل واحد منهما عبائة قطوانية لا يجاوز ما بضع ركبتيه وعلى عنقه
حزمة حطب والعاص بن وائل في مزررات الدّيباج انتهى.

و في البحار عن النهاية في تفسير المبرطش كان عمر في الجاهليّة مبرطشا وهو
السّاعي بين البايع والمشتري شبه الدّلال ، و يروى بالسّيين المهملة بمعناه و في
القاموس المبرطس الذي يكتري للنّاس الابل والحمير و يأخذ عليه جعلاً.

و قال المحدث الجزائري : و من عجيب ما رووه عن الخطاب والد عمر بن
الخطاب أنّه كان سرّاقا و قطع في السرقة ما ذكره ابو عبيدة القاسم بن سلام في كتاب
الشّهاب في تسمية من قطع من قريش في الجاهلية في السرقة ما هذا لفظه : قال :
والخطاب بن نفيل بن عبدالعزيز بن رياح بن عدي بن كعب أبو عمر بن الخطاب قطعت
يده في سرقة قدر و محاه ولاية عمرو رضي الناس عنه ، قال بعض المسلمين : ألا تعجب
من قوم ردوا أن عمر كان ولدزنا و أنّه كان في الجاهليّة نخاس (١) الحمير و أنّه
كان أبوه سراقا و أنّه ما كان يعرف إلاّ بعمير لرذالته ثمّ مع هذا جعلوه خليفة قائما

مقام نبيهم ﷺ و نائباً عن الله تعالى في عباده و قدموه على من لاطعن عليه في حسب ولا نسب ولا أدب ولا سب ، و ياليتهم حيث ولوه و فضحوا أنفسهم بذلك كانوا قدسكتوا عن نقل هذه الأحاديث التي قدشمت بها الأعداء و جعلوها طريقاً إلى جهلهم بمقام الأنبياء و خلافة الخلفاء هذا

و بقي الكلام في كيفية عقد أبي بكر الخلافة لعمر و إدلائمه بها إليه فأقول : قال الشارح المعتزلي و روى كثير من الناس أن أبا بكر لما نزل به دعا عبد الرحمان ابن عوف فقال : أخبرني عن عمر فقال : إنه أفضل من رأيت إلا أن فيه غلظة ، فقال أبو بكر ذاك لأنه يراني رقيقاً ولو قد افضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه و قد رمقته إذ أنا غضبت على رجل أراني الرضى عنه و إذ ذلت له أراني الشدة عليه ، ثم دعا عثمان بن عفان فقال : أخبرني عن عمر ، فقال : سريرته خير من علانيته و ليس فينا مثله ، فقال لهما لا تذكر ما قلنا لكما شيئاً ولو تركت عمر لما عدتوك يا عثمان والخيرة لك أن لا تلي من أمورهم شيئاً ولو ددت أني كنت من أموركم خلواً و كنت فيمن مضى من سلفكم .

و دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال : إنه بلغني أنك يا خليفة رسول الله ﷺ استخلفت على الناس عمر و قد رأيت ما يلقي الناس منه و أنت معه فكيف به إذا خلا بهم و أنت غداً لاق ربك فسألك عن رعبتك ، فقال أبو بكر اجلسوني ثم قال : أبا لله تخوفني إذ لقيت ربي فسألني قلت : استخلفت عليهم خير أهلك ، فقال طلحة : أعمار خير الناس يا خليفة رسول الله ﷺ ؟ فاشتد غضبه فقال : اي والله هو خيرهم و أنت شرهم أم والله لو وليتك ل جعلت أنفك في قفاك و ل رفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذي يضعها ، أتيتني و قد دلكت عينيك تريد أن تفتني عن ديني و تزيلني عن رأبي ، قم لأقام الله رجلك ، أما والله لئن عشت فواق ناقة و بلغني أنك غمضته فيها أو ذكرته بسوء لا لحقنك بخمصات (١) قنة (٢) حيث كنتم تسقون

ولا تروون و ترعون ولا تشبهون و انتم بذلك مبتجحون (١) راضون ، فقام طلحة فخرج .

ثم قال الشارح : أحضر أبو بكر عثمان وهو يعود بنفسه فأمره أن يكتب عهده وقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد عبد الله بن عثمان إلى المسلمين أما بعد ، ثم اغمى عليه و كتب عثمان قد استخلة عليكم عمر بن الخطاب ، وأفاق أبو بكر فقال : اقره ، فقرمه فكتب أبو بكر و سر ، وقال : أراك خفت أن تختلف الناس ان مد في غشيتي ؟ قال : نعم ، قال : جزاك الله خيراً عن الاسلام و أهله ، ثم أتم العهد و أمر أن يقره على الناس فقره عليهم ، ثم أوصى عمر بوصايا و توفي ليلة الثلثا لثمان بقين من جمادي الآخرة من سنة ثلاث عشر .

أقول : انظروا يا أهل البصيرة والانصاف والدقة والاعتبار إلى الخلافة العظمى والرياسة الكبرى كيف صارت لعبة للجهال ودولة بين أهل الغي والضلال وانظروا رئيس الضالين والمضلين كيف اجترى على رب العالمين في تلك الحالة التي كان يفارق الدنيا و ينتقل إلى نزاعة للشوى ، فحكم بكون عمر أفضل الصحابة مع كون أمير المؤمنين عليه السلام بينهم ، وقد قال فيه نبيهم صلى الله عليه وآله : اللهم انتهي بأحب الخلق إليك ، و سائر أحاديث الفضل التي لانحصى حسبما عرفت بمضاهي مقدمات هذه الخطبة و غيرها ، ثم انظر إلى ابن الخطاب عليه النكال والعذاب كيف لم يقل لأبي بكر في هذه الحالة التي يغمى عليه فيها مرة و يفيق اخرى إنه ليهجر (٢) كما قال للنبي صلى الله عليه وآله حين أراد أن يكتب كتاباً أن لا يضلوا بعده : انه ليهجر ولنم ما قيل :

قد دخل يهجر سيد البشر

اوصى النبي فقال قائلهم

يهجر فقد اوصى الى عمر

ورأى أبا بكر اصاب و لم

ثم العجب من النعل الفاجر عثمان بن عفان عليه سخط الرحمن حيث كتبها برأيه

١- البجع بتقديم الجيم على العاء الفرح ، ق

٢- الهجر الهديان منه .

بدون مصلحة الخليفة الخوان، والعجب كل العجب من هذا الشقي كيف مدحه وشكره
وجزاه خيراً عن الاسلام و أهله ولم يقل له : لم اجترمت على هذا الأمر العظيم والخطب
الجسيم الذي هو مقام الأنبياء و ميراث الأوصياء يترتب عليه أمر الدين و الدنيا
بمحض رأيك و رضاك و طبعك و هواك ، مع أن سيد الورد عليه السلام لا يجترى أن يخبر
بأذنى حكم إلا بوحى يوحى و يلزم على زعمهم الفاسد و رأيهم الكاسد أن يكون
أبو بكر و عثمان أشفق على أهل الاسلام و الايمان من سيد الانس و الجن لأنه بزعمهم
أهمل أمر الامة ولم يوص لهم بشيء ، وهما أشفقا على الامة حذراً من ضلالتهم فنصبا لهم
جاهلا شقيا و فظاً غليظاً.

يا ناغي الاسلام قم فانه قد مات عرف و بدا المنكر
و غير خفي على العاقل اللبيب و الكامل الأريب أن تلك الامور الفاضحة و الحيل
الواضحة لم تكن إلا لتأسيس أساس الكفر و النفاق و هدم بنين الاسلام و الاتفاق ، و إرجاع
الناس إلى أعقابهم القهقري و ترويج عبودية اللات و العزى ، فجزاهم الله عن الاسلام
و أهله شر الجزاء ، و غضب عليهم ملؤ الارض و السماء .

(ثم تمثل عليه السلام بقول الأعمشى) أعشى قيس و هو أبو بصير ميمون بن

قيس بن جندل:

(شتان ما يومى على كورها و يوم حيان أخي جابر)

و هو من قصيدة طويلة له قالها في منافرة علقمة بن علاثة بن عوف و عامر بن الطفيل
ابن مالك بن جعفر و تفصيل قصة نفاها ذكره أبو الفرج في الأغاني و قبل ذلك البيت الذي
تمثل عليه السلام به قوله:

و قد اسلى (١) الهم اذ بعثتري بحسرة د و سرة عساق

١- قوله اسلى من التسلية و سلاهوا النساء و اسلاه عنه فتسلى ، و الناقة العسرة التي
أعيها السفر ، و الدوسرة مؤنت الدوسر و هو الجمال الضخم العظيم الهيكل ، و عقرت الناقة
اقتطع حنلها فهي عاقرة ، و زاف الرجل و كذا الا بل تبغثر في مشيه ، و الناقة العسرة التي
ضربت بذنبها بيننا و شمالا ، و شرخا الرجل مقدمه ومؤخره ، و ليس شجر يتخذ منه الرحال ، و رحل
فاتر جيد الوقوع على ظهر البعير ، و الهاجرة نصف النهار و عند زوال الشمس مع الظهر و هجرت
تهجيرا سارت في الهاجرة ، و القرد الاجانة للشرب و قدح او اناء صغير ، و العاصر الذي يعصر
النسر ، و المجدل كمنبر القصر و الجمع مجادل و وصفه بقوله بزل عنه اه اشارة الى ارتفاعه ، منه .

زيافة بالوحد خطارة
ارمى بها البيداء، إذ هجرت
في مجدل شيد بنيـسـانه
تلوى بشرخى ميسة فاتر
و أنت بين القرد والعاصر
يزلُّ عنه ظفر الطاير

و معنى البيت بعد ما بين يومي على رحل هذه الناقة الموصوفة ، و بين يوم حيسان و هو في سكرة الشرب ناعم البال مرفه من الأكدار والمشاق ، و حيان و جابر ابنا السمين الحنفيان و كان حيان صاحب حصن باليمامة و كان من سادات بني حنيفة مطاعاً في قوله يصله كسرى في كل سنة و كان في رفاهية و نعمة مصوناً من وعثاء السفر ، لم يكن يسافر أبداً ، و كان الأعمى ينادمه و كان أخوه جابر أصغر سنانه ، حكى ان حيان قال للأعمى نسبتني إلى أخي وهو أصغر سننا مني فقال : إن الروى اضطرني إلى ذلك ، فقال : والله لا نازعتك كاساً أبداً ما عشت هذا .

و معنى البيت على ما ذكرناه هو الذي أفاده المرتضى (قدمه) و هو الظاهر المطابق للبيت الذي بعده أعني قوله: أرمى بها البيداء . و هو أيضاً مما تمثل بها به على ما حكى عن بعض النسخ ، فيكون غرضه بها من التمثل على ذلك بيان البعد بين يومه صابراً على التقذى والشجى و بين يومهم فايزين بما طلبوا من الدنيا ، و قريب منه ما قال الشارح المعتزلي حيث قال : يقول أمير المؤمنين عليه السلام : شتان بين يومي في الخلافة مع ما انتقض على من الأمر و منيت به من انتشار الحبل واضطراب أركان الخلافة ، و بين يوم عمر حيث وليها على قاعدة مهيّدة و أركان ثابتة و سكون شامل ، فاتنظم أمره و اطرد حاله .

و قال بعض الشارحين : المعنى ما أبعد ما بين يومي على كور الناقة اداب و انصب و بين يومي منارماً حيسان أخي جابر في خفض ودعة ، فالغرض من التمثل إظهار البعد بين يومه عليه السلام بعد وفات الرسول ﷺ مقهوراً ممنوعاً عن حقه ، و بين يومه في صحبة النبي ﷺ فارغ البال مرفه الحال كاسباً للفيوضات الظاهرية و الباطنية ، و هذا المعنى هو الأقرب إلى النظر و الأنسب إلى السياق ، و به فسره

المحدث الجزائري حيث قال : و قوله عليه السلام : شتان البيت و هو الاعشى يقول :
تفرق ما بين يومي يوم سروري و هو منادمتي لأخي حيان ، و يوم شدتي و ركوبي
على متن ناقتي في البراري و القفار ، و هو عليه السلام قد استعار هذا ليوميه يوم فرحهما
كان نديمه النبي صلى الله عليه وآله ، و يوم تبعه و يوم ركوبه المشاق و الحروب و حده بلامعاون
ولا نصير.

ثم إنّه عليه السلام أظهر التعجب من إدلائمه بالخلافة إليه مع استقالته منها بقوله :
(فيا عجباً بينا هو) يعني أبا بكر (يستقيلها) أى يطلب الإقالة منها (في حياته) ويقول:
أقولني أقيلوني (إذ عقدها لآخر) أراد به عمر أى جعلها معقودة له لتكون له (بعد
وفاته) و وجه التعجب أن استقالته منها في حياته دليل على رغبته عنها و زهده فيها
و عقدها لغيره دليل على رغبته فيها و ميله إليها ، و هو يصاد الاستقالة الحقيقية
فيكون دليلاً على كون الاستقالة منه صورية ناشئة عن وجه الخدعة ، و التدليس ،
و نعم ما قيل :

حملوها يوم السقيفة وزراً تخف الجبال و هي ثقال

ثم جأؤدامن بعدها يستقيلون و هيئات عشرة لاتقال

هذا خبر الإقالة مما رواه الجمهور ، و هو قوله : أقيلوني أقيلوني فلست بخيركم
و عليّ فيكم ، و رواه في البحار عن الطبري في تاريخه و البلاذري في أنساب الأشراف
و السمعاني في الفضائل و أبي عبيدة في بعض مصنفاته ، قال : و لم يقدح الفخر
الرازي في صحته إن أجاب عنه بوجوه ضعيفة ، و كفى كلامه عليه السلام شاهداً على
صحته انتهى .

و قال بعض المحققين من أصحابنا : معنى استقالته الأمر بقتل علي بن أبي
طالب عليه السلام يعني مادام عليّ فيكم موجوداً فأنا لست بخيركم فاقتلوه حتى أكون
خليفة بلامنازع ، و قوله عليه السلام : (لشد ما تشطراضرعيا) شبه الخلافة بناقة لها ضرعان
و كان كل واحد منهما أخذ منها ضرعاً يحلبه لنفسه ، فالمعنى والله لصار شديداً

أخذ كل واحد منهما شطراً أي نصفاً أو شطراً بالكسر أي خلفاً من ضريحها، والمقصود اقتسامهما فايدتها بينهما، وفي بعض روايات السقيفة أنه عليه السلام قال لعمر بن الخطاب بعد يوم السقيفة: ا حلب حلباً لك شطره، اشد له اليوم يرد عليك غداً (فصيرها في حوزة) أي في طبيعة أو ناحية (خشناه) متصفاً بالخشونة لابنال ماغدها، ولا يرام ولا يفوز بالنجاح من قصدها.

قال بعض الأفاضل: الظاهر أن المفاد على تقدير إرادة الناحية تشبيه المتولي للخلافة بالأرض الخشنة، في ناحية الطريق المستوي، وتشبيه الخلافة بالركب السائر فيها أو بالناقة أي أخرجها عن مسيرها المستوي وهو من يستحقها إلى تلك الناحية الحزنة هذا: والأظهر إرادة معنى الطبيعة.

ثم وصف عليه السلام الحوزة ثانياً بأنها (يفلظ كلمها) أي جرحها وفي الاسناد توسع، قال الشارح البحراني غلط الكلم كناية عن غاظ المواجهة بالكلام والجرح به، فإن الضرب باللسان أعظم من خز السنان (١)، أقول: ومن هنا قيل:

جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان

(و) وصفها ثالثاً بأنها (بخشن مسها) أي تؤذي وتضر من يمساها قال البحراني: وهي كناية عن خشونة طباعه المانعة من ميل الطباع إليه المستلزمة للأذى كما يستلزم من الأجسام الخشنة.

أقول: والمقصود من هذه الأوصاف الإشارة إلى فظاظة عمر وغلظته وجفاوته وقبح لقاؤه وكرهه منظره، و رغبة الناس عن مواجهته ومكالمته، ويدل على ذلك ما روي أن ابن عباس لما أظهر بطلان مسألة العول بعد موت عمر قيل له: من أول من أعال الفرائض؟ فقال: عمر بن الخطاب، قيل له: هلاً أشرت عليه؟ قال هيئته، ومارواه الشارح المعتزلي في شرح هذا الفصل أن عمر هو الذي غلط (٢) على جبلة بن

١- أي طمن السنان منه

٢- قصة جبلة بن الأيهم النسائي على ما ذكره أبو الفرج الإصهاني في كتاب الإغاني هو أنه لما أسلم جبلة بن الأيهم وكان من ملوك آل جفنة كتب إلى عمر يستأذنه في القدوم عليه فأذن له ثم فخرج إليه في خمسة من أهل بيته من عك و عسان حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى

الأبيهم حتى اضطره إلى مفارقة دار الهجرة بل مفارقة بلاد الاسلام كلها حتى عاد مرتداً داخل في دين النصرانية لأجل لطمة لطمها. قال جبلة بعد ارتداده متنداً ما على ما فعل :

تنصرت الاشراف من أجل لطمة و ما كان فيها لوصبرت لها ضرر

عمر ليطمه بقدمه فسر عمرو امر الناس باستقباله و بعث اليه بانزال امر جبلة ما نى رجل من اصحابه فلبسوا السلاح والعريير و ركبوا الخيل مقلدة اذنانها والبسوها قلادة الذهب والفضة و اس جبلة تاجه و فيه قرطاً مارية و هي جدته و دخل المدينة فلم يبق بها بكر ولا عانس الا تبرجت و خرجت تنظر اليه و الى زيه فلما انتهى الى عمر ركب به و الطفه و ادنى مجلسه ثم اراد عمر العج فخرج معه جبلة فيينا هو يطوف بالبيت و كان مشهوراً بالموسم اذ وطى ازاره رجل من بنى فزارة فانحل فرفع جبلة يده فبشم انف الفزاري فاستعدى عليه عمر فبعث الى جبلة فأتاه فقال ما هذا ؟ قال نعم يا امير المؤمنين انه تصد حل ازارى و لولا حرمة الكعبة لضربت بين عيني بالسيف فقال له عمر قد اقررت فاما ان رضى الرجل و اما ان اقيده منك قال جبلة ماذا تصنع بي قال آمر بهشم انك كما ضلت قال و كيف ذاك يا امير المؤمنين و هو سوقة و انا ملك قال ان الاسلام جمك و اياه وليس تفضل بشئ الا بالتقى و العافية قال جبلة قد ظننت انى اكون فى الاسلام اعز منى فى الجاهلية قال عمر دع عنك هذا فانك ان لم ترض الرجل اقدته منك قال اذا انتصر قال ان تنصرت ضربت عنك لانك قد اسلمت فان ارتدت قتلتك فلما راي جبلة الصدق من عمر قال انا ناظر فى هذا ليلى هذه و قد اجتمع بباب عمر من حى هذا و حى هذا خلق كثير حتى كادت تكون بينهم فتنة فلما اسما اذن لهم عمر فى الانصراف حتى اذا نام الناس وهدوا فحمل جبلة بغيله و واصل الى الشام فاصبحت مكة و هى منهم بلاقع فلما انتهى الى الشام تجمل فى خمسة من قومه حتى اتى الى القسطنطينية فدخل الى هرقل فنصرت هو و اصحابه فسر هرقل بذلك جدا و ظن انه فتح من الفتوح عظيم و اقطعه حيث شاء و اجرى عليه من المنزل ماشاؤا و جمعه من محدثيه هكذا ذكر ابو عمرو ذكرا بن الكلبى ان الفزاري لما وطى ازار جبلة لطم جبلة كما لطمه فوثب غسان و هشمو انفه و اتوا به عمر ثم ذكر ما فى الخبر نحو ما ذكرناه و شعر جبلة على مارواه ابو الراج هكذا

و ما كان فيها لوصبرت لها ضرر

و بعث بها العين الصحيحة بالبور

رجعت الى القول الذى قال لى عمر

و كنت اسيراً فى ربيعة او مضر

اجالس قومي ذاهب السمع والبصر، انتهى منه

تنصرت الاشراف من عار لطمة

تكفنى فيها لجاج و نغوة

فياليت امى لم تلدنى و ليتنى

و ياليتنى ارهى المخاض بدمنة

ويا ليت لى بالشام اولى معيشة

فيا ليت أمي لم تلدني و ليتني رجعت الى القول الذي قاله عمر
أقول : هذه الرواية كافية في فضل هذا الرجل و منقبته ، فان النبي ﷺ لم يبعثه
الله إلا لهداية الأنام و الارشاد إلى دعائم الاسلام ، فعاشر معهم بمحاسن الأخلاق
و مكارم الآداب حتى نزل فيه :

« إِنَّكَ لَأَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ »

و كان ﷺ كثيراً ما يتحمل الأذى و يصبر على شتات البلوى ، لهداية نفس واحدة
و إنجائها من الضلالة ، و هذا الرجل الجلف الذي يزعم أنه خليفة رسول الله ﷺ
كيف يصرف الناس عن الاسلام إلى النصرانية بمقتضى خبث طبيئته و سوء سريرته و غلظ
كلمته ؛ و فوق كل ذلك فظاظة جسارته على النبي ﷺ بكلمات يكره اللسان بيانها و أبي
القلم عن كتبها و إظهارها ، مثل قوله له ﷺ في صلح الحديبية لم تقل لنا استدخلونها
في ألفاظ نكره حكايتها ، و مثل الكلمة التي قالها في مرض رسول الله ﷺ ، قال
الشارح المعتزلي : و معاذ الله أن يقصد بها ظاهرها و لكنّه أرسلها على مقتضى خشونة
غريزة و لم يتحفظ منها ، و كان الأحسن أن يقول : مغمور أو مغلوب بالمرض
و حاشاه أن يعني بها غير ذلك .

أقول : و شهد الله أن قصده ما كان إلا ظاهرها و حاشاه أن يقصد بها

إلا ذلك .

و قال الشارح أيضاً في شرح الخطبة الخامسة و العشرين عند الكلام على حديث
الفتنة : و اعلم أن هذه اللفظة من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضى ما
جبله الله تعالى من غلظ الطينة و جفاء الطبيعة و لا حيلة له فيها ، لأنه مجبول عليها
لا يستطيع تغييرها ، و لا يرب عندنا أنه كان يريد أن يتلطف و أن يخرج ألفاظه ، و خارج
حسنة لطيفة ، فينزح به الطبع الجاسي و الغريزة الغليظة إلى أمثال هذه اللفظات ،
و لا يقصد بها سوء ولا يريد بها ذمّاً و لا تخطئة كما قد منا قبل ذلك في اللفظة التي قالها
في مرض رسول الله ﷺ ، و كالألفظ التي قالها عام الحديبية و غير ذلك ، و الله

لا يجازي المكلف إلا بمانواه ، و لقد كانت نيته من أظهر النيات و أخلصها لله سبحانه انتهى .

و فيه أن اقتضاء الطبيعة و استدعاء الغريزة التي جعله معذرة له إن أراد به انه بلغ إلى حيث لم يبق لعمر معه قدرة على إمساك لسانه عن التكلم بخلاف ما في ضميره ، بل كان يصدر عنه الذم في مقام يريد به المدح ، و الشتم في موضع يريد الاكرام و يخرج بذلك عن حد التكليف فلا مناقشة في ذلك ، لكن مثل هذا الرجل بعده العقلاء في زمرة المعانين ، و لا خلاف في أن العقل من شروط الامامة ، و إن أراد أنه يبقى مع ذلك ما هو مناط التكليف فذلك مما لا يسمن ولا يغني من جوع ، فان ابلis استكبر آدم بمقتضى الجبلۃ النارية ، و مع ذلك استحق النار و شملته اللعنة إلى يوم الدين ، و الزاني إنما يزني بمقتضى شهوته التي جبله الله تعالى عليها و مع ذلك يرجم ولا يرحم هذا ،

(و) وصف **بیتهم** الحوزة رابعاً بأنها (يكثر العثار فيها والاعتذار منها) ومعناه على جعل الحوزة بمعنى الطبيعة واضح أى يكثر العثار في تلك الطبيعة والاعتذار من هذه الطبيعة أو اعتذار صاحبها منها أو الاعتذار من عثراتها و قد مضى في بيان الاعراب احتمال كون من نشوئية و تعاليلية ، و أمّا على تقدير جعلها بمعنى الناحية فالمعنى ما ذكره بعض الأفاضل عقيب كلامه الذي حكيناه في شرح قوله **عَلَيْهِمُ** : فصيها في حوزة خشناء ، بما لفظه : فيكثر عثارها أو عثار مطيتها فاحتاجت إلى الاعتذار من عثراتها الناشئة من خشونة الناحية و هو في الحقيقة اعتذار من الناحية ، فالعثار والمعتذر حينئذ هي الخلافة توسعاً .

و كيف كان فالغرض من هذه الجملة الاشارة إلى كثرة خطأ عمر في القضايا والأحكام ، و جهالته بالفقوى و شرايع الاسلام ، و لا بأس بالاشارة إلى بعض عثراته و نبذ من جهالاته و يسير من هفواته و زلاته .

فمنها ما ذكره الشارح المعتزلي حيث قال : و كان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه و يفتي بضده و خلافه ، قضى في الجد مع الاخوة قضايا كثيرة مختلفة ثم

خاف من الحكم في هذه المسألة فقال: من أراد أن يتعمم جرائم جهنم فليقل في الجدد برأيه.

و منها ما ذكره أيضاً وهو أنه لمسامات رسول الله ﷺ و شاع بين الناس موته طاف عمر على الناس قائلاً إنه لم يموت و لكنّه غاب عنا كما غاب موسى عن قومه ، فليرجعن و ليقطعن أيدي رجال و أرجلهم يزعمون أنه مات فجعل لا يمر بأحد يقول : إنه مات إلا و يخبطه ويتوعده حتى جاء أبو بكر فقال: أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قديمات ، و من كان يعبد ربَّ محمدٍ فإنه حيٌّ لم يموت ثم تلا قوله تعالى :

« أَفَأَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ »

قالوا: فوالله لكان الناس ما سمعوا هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، و قال عمر لما سمعته يتلوها هويت إلى الأرض و علمت أن رسول الله ﷺ قدمات.

أقول : من بلغ من قلة المعرفة إلى مقام ينكر موت النبي ﷺ و يحكم مع ذلك من تلقاه نفسه بأنه يرجع و يقطع أيدي رجال و أرجلهم كيف يكون إماماً واجب الطاعة على جميع الخلق ؟

و منها ما رواه أيضاً كغيره من أنه قال مرة لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي ﷺ إلا ارتجعت ذلك منها ، فقالت امرأة ما جعل الله لك ذلك إنه قال تعالى :

« وَآتَيْتُمُ إِحْدَيْهِنَّ قِطْرًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَ بِهَتَاتًا

وَإِنَّمَا مُبِينًا »

فقال : كلُّ النَّاسِ أفتقه من عمر حتى ربّات الحجال ، ألا تعجبون من إمام أخطأ و امرأة أصابت فأضلت إمامكم فضيلته ، واعتذار قاضي القضاة بأنه طلب الاستحباب في ترك التجاوز (١) والتواضع في قوله : كلُّ النَّاسِ أفتقه من عمر ، خطاه ، فإنه

١- اي تجاوز الصداق عن صداق نساء النبي (ص) منه .

لا يجوز ارتكاب المحرم و هو ارتجاع المهر ، لأجل فعل المشتجب ، و أما التواضع فإنه لو كان الأمر كما قال عمر لاقضى إظهار القبيح و تصويب الخطاء ، و لو كان العذر صحيحاً لكان هو المصيب والمرأة مخطئة مع أنه مخالف لصريح قوله : ألا تعجبون من إمام أخطأه .

و منها مارواه هو و غيره من أنه كان يعس^٣ بالليل فسمع صوت رجل وامرأة في بيت فارتاب فتسور الحائض فوجد امرأة و رجلاً و عندهما زق خمر ، فقال : يا عدو الله كنت ترى أن الله يترك و أنت على معصيته ؟ قال : إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث ، قال الله تعالى : ولا تجسسوا ، وقد تجسسست ، و قال : أتوا البيوت من أبوابها ، و قد تسورت ، و قال : إذا دخلتم بيوتا فسلموا ، و ما سلمت .

و منها مارواه أيضاً و جماعة من الخاصة و العامة من أنه قال : متعتان كانتا على عهد رسول الله و أنا محر^٤ مهما و معاقب عليهما : متعة النساء و متعة الحج ، قال الشارح المعتزلي و هذا الكلام و إن كان ظاهره منكراً فله عندنا مخرج و تأويل أقول : بل هو باق على منكريته و التأويل الذي ارتكبه مما لا يسمن ولا يبغي من جوع ، و لعلنا نسوق الكلام فيه مفصلاً في مقام البق إن شاء الله .

و منها مارواه أيضاً من أنه مر يوماً بشاب من فتيان الأنصار و هو ظمان فاستسقاء فجدح له ماء بعسل فلم يشربه ، و قال : إن الله تعالى يقول :

« أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا »

فقال له الفتى : إنها ليست لك ولا لأحد من أهل هذه القبلة ، اقره ما قبلها :

« وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي

حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا » .

فقال عمر : كل^٥ الناس أفتقه من عمر .

و منها أنه أمر برجم امرأة حامله فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل ، فقال : لولا علي لهلك عمر .
ومنها أنه أمر برجم مجنونة فنسبه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق ، فقال: لولا علي لهلك عمر .
ومنها ما رواه في الفقيه عن إبراهيم بن محمد الثقفى قال : استودع رجلان امرأة ودبعة وقالوا لها لا تدفعي إلى واحد مناه حتى نجتمع عندك ثم انطلقا فابا ، فجاء أحدهما إليها وقال : اعطيني ودبعتي فإن صاحبي قد مات فأبت حتى كثرا اختلافه إليها ثم أعطته ، ثم جاء الآخر فقال هاتي ودبعتي ، فقال «فقال ظ» : أخذها صاحبك و ذكر أنك قدمت فارتفعا إلى عمر ، فقال لها عمر : ما أراك إلا وقد ضمنت ، فقالت المرأة اجعل عليا عليه السلام بيني وبينه ، فقال له : اقض بينهما ، فقال علي عليه السلام : هذه الودبعة عندها وقد أمرتها أن لا تدفعها إلى واحد منكما حتى تجتمعا عندها فأنتي بصاحبك ، ولم يضمها ، وقال علي عليه السلام إنما أراد أن يذهب بمال المرأة .
ومنها ما في الفقيه أيضاً عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعد بن طريف عن الأصبغ ابن نباتة ، قال : أتني عمر بامرأة زوجها شيخ ، فلما أن واقعتها مات على بطنها ، فأدعى بنوه أنها فجرت و شاهدوا «تشهدوا خ» عليها فأمر بها عمر أن ترجم ، فمردوا بها على علي عليه السلام بن أبي طالب عليه السلام ، فقالت : يا بن عم رسول الله إني مظلومة وهذه حجتي فقال عليه السلام : هاتني حجتيك ، فدفعت إليه كتاباً فقرأه فقال : هذه المرأة تعلمكم بيوم تزوجها و يوم واقعتها و كيف كان جماعه لها ردُّ والمرأة ، فلما كان من الغد دعا علي عليه السلام بصبيان يلعبون أتراب (١) و فيهم ابنها فقال لهم : العجوا ، فلعبوا حتى إذا لها هم للعب ثم فصاح عليه السلام بهم فقاموا و قام الغلام الذي هو ابن المرأة متكياً على راحتيه ، فدعا به علي عليه السلام فورثه من أبيه و جلد اخوته المفترين حداً ، فقال عمر كيف صنعت؟ قال : قد عرفت ضعف الشيخ في تكلمة الغلام على راحتيه .

و منها ما رواه الصدوق أيضاً عن سعد بن طريف عن الأصمغ بن نباتة قال :
 أتى عمر بن الخطاب بجارية فشهد عليها شهود أنها بغت ، و كان من قصتها أنها
 كانت يتيمة عند رجل و كان للرجل امرأة و كان الرجل كثيراً ما يغيب عن أهله ،
 فشبت اليتيمة و كانت جميلة فتخوفت المرأة أن يتزوجها زوجها إذا رجع إلى
 منزله ، فدعت بنسوة من جيرانها فأمسكتها ، ثم افتضتها باصبعها ، فلما قدم زوجها
 سأل امرأته عن اليتيمة فرمتها بالفاحشة و أقامت البينة من جيرانها على ذلك ،
 قال : فرجع ذلك إلى عمر فلم يدر كيف يقضي في ذلك ، فقال : للرجل اذهب بها
 إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، فاتوا علياً و قصوا عليه قصتها « القصة خ » فقال
 لامرأة الرجل ألك بينة ؟ قالت : نعم ، هؤلاء جيرانى يشهدون عليها بما أقول ،
 فأخرج علي عليه السلام السيف من غمده و طرحه بين يديه ، ثم أمر عليه السلام بكل واحدة من
 الشهود فأدخلت بيتا ، ثم دعا بامرأة الرجل فأدارها لكل وجه فأبت أن تزول عن
 قولها ، فردّها إلى البيت الذي كانت فيه .

ثم دعا باحدى الشهود وجثا على ركبته ، فقال لها : أتعرفني أنا علي
 ابن أبي طالب و هذا سيفي وقد قالت امرأة الرجل ما قالت ، و رجعت (١) إلى
 الحق و أعطيتها الأمان فاصدقيني والآن ملأت سيفي منك ، فالتفتت المرأة إلى علي
 فقالت : يا أمير المؤمنين الأمان على الصدق ، قال لها علي فاصدقي فقالت : لا والله
 ما زنت اليتيمة ولكن امرأة الرجل لما رأته حسنها و جمالها و هيئتها خافت فساد
 زوجها بها فسقتها المسكرود عتتا فأمسكناها فافتضتها باصبعها ، فقال علي عليه السلام :
 الله اكبر الله اكبر أنا أول من فرق بين الشهود إلا دانيال ثم حدثت المرأة حيد
 القاذف و ألزمتها و من ساعدها على اقتصاص اليتيمة المهر لها أربعمئة درهم ، و فرق
 بين المرأة و زوجها و زوجته اليتيمة ، و ساق عنه المهر إليها من ماله .

فقال عمر بن الخطاب : فحدثنا يا أبا الحسن بحديث دانيال النبي عليه السلام فقال : إن

١- قوله و رجعت الى الحق قيل يدل على انه يجوز الكذب لهذه الصالح وقيل اراد بالحق

البيت الذي يستحقها المرأة ان يدخلها وقد اعطيتها الامان اى فى الذهاب الى محلها السابق ، منه

دانيال كان غلاماً يتيماً لأب له ولا أم ، و إن امرأة من بني إسرائيل عجوزاً ضمتته إليها و ربته و إن ملكاً من ملوك من بني إسرائيل كان له قاضيان وكان له صديق و كان رجلاً صالحاً و كان له امرأة جميلة و كان يأتي الملك فيحدثه فاحتاج الملك إلى رجل يبعثه في بعض أموره ، فقال للقاضيين : اختاروا لي رجلاً ابعثه في بعض اموري ، فقالا : فلان ، فوجهه ملك و كان القاضيان يأتيان باب الصديق فعسقا امرأته فراوداها عن نفسها ، فأبت عليهما فقالا لها ، إن لم تفعلنا عليك عند الملك بالزنا ليرجمك ، فقالت : افعلوا ما شئتما ، فأتيا الملك فشهدا عليها أنها بغت و كان لها ذكر حسن جميل فدخل الملك من ذلك أمر عظيم و اشتد غمه و كان بها معجباً ، فقال لهما : إن قولكما مقبول فاجلدوها ثلاثة أيام ثم أرحموها و نادى في مدينته : احضروا قتل فلانة العابدة فانسها قدبغت ، و قد شهد عليها القاضيان بذلك ، فأكثر الناس القول في ذلك فقال الملك لوزيره : ما عندك في هذا حيلة ؟ فقال : لا والله ما عندي في هذا شيء .

فلما كان اليوم الثالث ركب الوزير و هو آخر أيامها وإذا هو بغلمان عراة يلعبون و فيهم دانيال ، فقال دانيال : يا معشر الصبيان تعالوا حتى أكون أنا الملك و تكون أنت يا فلان العابدة و يكون فلان و فلان القاضيين الشاهدين عليها ، ثم جمع تراباً (١) و جعل سيفاً من قصب ثم قال : للغلمان خذوا بيد هذا فنحوه إلى موضع كذا و الوزير واقف و خذوا هذا فنحوه إلى كذا ثم دعا بأحدهما فقال : قل حقاً فانك إن لم تقل حقاً قتلتك ، قال : نعم والوزير يسمع فقال بم تشهد على هذه المرأة قال اشهد انها زنت قال في أي يوم قال : في يوم كذا و كذا ، قال في أي وقت ؟ قال : في وقت كذا و كذا ، قال : في أي موضع ؟ قال : في موضع كذا و كذا قال : مع من ؟ قال : مع فلان بن فلان ، قال : فردوه إلى مكانه و هاتوا الآخر ، فردوه و جاؤا بالآخر فسأله عن ذلك فخالف صاحبه في القول ، فقال دانيال : الله اكبر الله اكبر شهدا عليها بزور ثم نادى في الغلمان إن القاضيين شهدا على فلانة العابدة بزور

فاحضروا قتلها ، فذهب الوزير إلى الملك مبادراً فأخبره الخبر فبعث الملك إلى القاضيين فأحضرهما ثم فرق بينهما ففعل كما فعل دانيال بالفلايين، فاختلفا كما اختلفا فنأدى في الناس وأمر بقتلهما.

ومنها ما رواه الشارح البحراني وهو أن عمر أمر أن يؤتى بامرأة لحال اقتضت ذلك وكانت حاملاً فانزعجت من هيئته فاجهزت «فاجهضت به خ» جنينا فجمع جمعاً من الصحابة وسألهم ماذا يجب عليه ، فقالوا : أنت معتمد «مؤدب خ» ولا ترى أنه يجب عليك شيء ، فراجع علياً عليه السلام في ذلك وأعلمه بما قال بعض الصحابة ، فأنكر ذلك وقال : إن كان ذلك عن اجتهاد منهم فقد أخطأوا ، وإن لم يكن عن اجتهاد فقد غشيتوك ، أرى عليك الغرة (١) ، فعندها قال : لا عشت له معضلة لا تكون لها يا أبا الحسن . ورواه الشارح المعتمدي بتغيير في متنه ، إلى غير ذلك من موارد خطائه وخبثه وجهالته التي لو أردنا استقصائها الطالت ، وكثيراً ما كان أمير المؤمنين عليه السلام ينسبه على خطائه فيها ويبين له معضلات المسائل التي كان يعجز عنها ، وقد روي أنه قال في سبعين موضعاً : لولا علي لهلك عمر ، والعجب أنه مع اعترافه بذلك يدعي التقدم عليه ومع جهله بكل ذلك يرى نفسه قابلة للخلافة ومستحقة لها مع أن قابلية الخلافة واستحقاق الولاية لا يكون إلا بالعلم بجميع الأحكام والاحاطة بشرايع الإسلام ، ولا يكون ذلك إلا بالهام إلهي وتعليم رباني وإرشاد نبوي ، وذلك مختص بالأئمة ومخصوص بسراج الامة ، إذ هم الذين اتبعوا آثار النبوة ، واقتبسوا أنوار الرسالة ، وعندهم معاقل العلم وأبواب الحكمة وضيآء الأمر وفصل ما بين الناس ، وهم المحدثون المفهمون المسددون المؤيدون بروح القدس .

كما يدل عليه ما رواه في البحار من كتاب بصائر الدرجات باسناده عن جعيد الهمداني قال : سألت علي بن الحسين عليهما السلام بأي حكم تحكمون ؟ قال : نحكم بحكم آل داود (٢) فان عيننا شيئاً تلقانا به روح القدس .

وعن الساباطي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : بما تحكمون إذا حكمتم ؟ فقال :

١- يعني عنق رقبة

٢- أي نحكم لعلنا ولا نسأل بينة كما كان داود احياناً يفعل ، بهار

بحكم الله وحكم داد ، فاذا ورد علينا شيء ، ليس عندنا تلقانا به روح القدس . وعن عبد العزيز عن أبيه قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك إن الناس يزعمون أن رسول الله ﷺ وجهه عليه السلام إلى اليمن ليقتضى بينهم ، فقال علي عليه السلام : فما اورد الله على قضية إلا حكمت بحكم الله وحكم رسوله ، فقال عليه السلام : صدقوا ، قلت : وكيف ذلك ولم يكن انزل القرآن كله وقد كان رسول الله غائبا عنه ؟ فقال : تلقاه به روح القدس هذا .

وقد ظهر ممّا ذكرنا كله أن الحكم الصواب وفصل الخطاب مختصّ بالمعصومين من آل الرسول سلام الله عليه وعليهم وأن أحكام عمر إنما كانت عن هوى نفس وبدعة وضلالة وجهالة ، ولذلك كان يفتي كثيرا ثم يرجع عن فتياه ويعتذر ، وربما كان يحكم بشيء ثم ينتقضه ويحكم بخلافه لقلّة المعرفة وكثرة الجهالة واختلاف دواعي نفسه الأمارة التي تارة تحكم بذلك واخرى بخلافه ، هذا كله مضافا إلى قوة إفراط القوة الغضبية فيه وخشونة الحوزة وغلظة الطبيعة (فصاحبها) أي صاحب تلك الحوزة والطبيعة (كراكب) الناقة (الصعبة) الغير المنقادة (إز) أشق لها خرم وإن أسلس لها تقحمت (قال الرضوي) (ره) بعد تمام الخطبة : يريد عليه السلام أنه إذا شدّ عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها ، وإن أرخى لها شيئا مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها .

أقول : وقد أرخى زمامها ولم يمسكها فرمت به في أدوية الضلالة وتقحمت به في ورطات الهلاكة فلم يمكنه التخلص منها والخروج عنها ، وعلى هذا المعنى فالمراد بصاحب الحوزة هو عمر وهذا أظهر وقد ذكروا في المقام وجوهاً أخرى . منها أن الضمير في صاحبها يعود إلى الحوزة المكنى بها عن الخليفة أو اخلاقه ، والمراد بصاحبها من يصاحبها كالمستشار وغيره ، والمعنى أن المصاحب للرجل المنعوت حاله في صعوبة الحال كراكب الناقة الصعبة فلو تسرع إلى إنكار القبايح من أعماله أدّى إلى الشقاق بينهما وفساد الحال ، ولو سكت وخلاه وما يصنع

أدى إلى خسران المال.

ومنها أن الضمير راجع إلى الخلافة أو إلى الحوزة ، والمراد بصاحبها نفسه عليه السلام ، والمعنى أن قيامي في طلب الأمر يوجب مقاتلة ذلك الرجل وفساد أمر الخلافة رأساً وتفرق نظام المسلمين ، و سكوتي عنه يورث التقمح في موارد الذل والصغار .

ومنها أن الضمير راجع إلى الخلافة و صاحبها من تولى أمرها مراعياً للحق وما يجب عليه ، والمعنى أن المتولي لأمر الخلافة إن أفرط في إحقاق الحق و زجر الناس عما يريدونه بأهوائهم أوجب ذلك نفار طباعهم و تفرقهم عنه ، لشدة الميل إلى الباطل ، وإن فرط في المحافظة على شرايطها ألقاه التفریط في موارد الملكة و ضعف هذا الوجه و بعده واضح هذا.

ولما ذكر ﷺ أوصاف الرجل الذميمة و أخلاقه الخبيثة الخسيسة أشار إلى شدة ابتلاء الناس في أيام خلافته بقوله: (فمني الناس) أي ابتلوا (لعمركم بالله بخبط) أي بالسير على غير معرفة و في غير جادة (و شماس) و نفار (و تلون) مزاج (و اعتراض) أي بالسير على غير خط مستقيم كأنه يسير عرضاً، قال الشارح المعتزلي: و إنما يفعل ذلك البعير الجامح الخابط و بعير عرضي يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته و في فلان عرضية أي عجز فيه و صعوبة ، و قال البحراني في شرح تلك الجملة: إنها إشارة إلى ما ابتلوا به من اضطراب الرجل و حركاته التي كان يتقمحها عليه ، فكنتي بالخبط عنها و بالشماس عن جفاوة طباعه و خشونتها ، و بالتلون و الاعتراض عن انتقاله من حالة إلى أخرى في أخلاقه ، و هي استعارات وجه المشابهة فيها أن خبط البعير ، و شماس الفرس و اعتراضها في الطريق حركات غير منظومة ، فأشبهها مالم يكن منظوماً من حركات الرجل التي ابتلي الناس بها.

أقول : و على ذلك فالأربعة أوصاف للرجل و المقصود كما ذكره الإشارة إلى ابتلاء الناس في خلافته بالقضايا الباطلة لجهله و استبداده برأيه مع تسرعه إلى الحكم مع ابدانهم بحدته و بالخشونة في الأقوال و الأفعال الموجبة لنفارهم عنه ،

وبالتفار عن الناس كالفرس الشموس والتلون في الآراء، والأحكام لعدم ابتنائها على أساس قوي، وبالخروج عن الشرع السواهاو الجادة المستقيمة أو بالحمل على الأمور الصعبة والتكاليف الشاقمة هذا.

و يحتمل كونها صفات للناس، فان خروج الوالي عن الجادة يستلزم خروج الناس احياناً و كذا تلوّن نه و اغتراضه يوجب تلوّن الرعية و اغتراضهم على بعض الوجوه و خشونته يستلزم نفاهم وهو ظاهر.

ثم إنه عليه السلام أورد ذلك كله بتكرير ذكر صبره على ما صبر عليه مع الثاني كما صبر مع الأول و قال: (فصبرت على طول المدة) أي طول مدة تخلف الأمر عنه عليه السلام (و شدة المحنة) أي شدة الابتلاء بسبب فوات حقه و ما يستتبع ذلك من اختلال قواعد الدين و انهدام أركان اليقين.

الترجمة

تا آنکه گذشت اول یعنی ابوبکر براه خود که طریق جهنم است، پس دفع کرد و واگذاشت خلافت را بسوی پسر خطاب بعد از خود، بعد از آن مثل زد امیرالمؤمنین عليه السلام بقول أعشى که در مفاخره علقمه و عامر گفته و عامر رامدح و علقمه را هجو نموده. و معنی بیت این است که چقدر دور است میان دو روز من روزیکه بر کوهان و پالان شتر سوار و برنج و تعب سفر گرفتار، و دوزحیان برادر جابر که ندیم وی بودم و بناز و نعمت میگذرانیدم، و یا اینکه بعید است میان روز من که بر پشت ناقه سوار و روز حیان که راحت از مشقت سفر و فارغ از ملال و کدورات.

و مقصود امام عليه السلام از تمثیل باین بیت بنا بر این معنی اظهار بعد است میان حال خود که گرفتار محنت بوده و قرین مشقت و میان حال قومی که بمقاصد خودشان واصل و در سعة و رفاهیت محفوظ؛ و بنا بر معنی اول اظهار مباعدت و دوریست میان دو روز خود یکی بعد از وفات حضرت رسالت مآب صلی الله علیه و آله که از حق خود مغضوب و در خانه خود معتزل و بصحبت اشرار گرفتار و بفتن و محن مبتلا،

و روز دوم زمان حضور آنحضرت صلوات الله علیه که در خدمت او کسب فیوضات ظاهریه و کمالات معنویه میکردند.

و بهر تقدیر امام علیه السلام بعد از مثل زدن فرمود ، پس بسا تعجب و قتیکه که ابوبکر طلب اقاله و فسخ نمود خلافت را در حال حیات خود هنگامیکه عقد کرد آن را بجهت دیگری که آن عمر است تا آنکه بوده باشد او را بعد از مردن او بخداوند قسم هر آینه سخت شد گرفتن ابوبکر و عذر هر یکی يك نصف خلافت را یا اینکه گرفتن ایشان جانب هر دو پستان آن را، و این کنایه است از اشتراك ایشان در قسمت منفعت و فواید خلافت همچنانکه دو نفر دوشنده دو پستان شتر بعد از دوشیدن نفع آنرا تقسیم مینمایند.

پس گردانید ابوبکر خلافت را در طبیعتی زبر و خشن که غلیظ بود جراحی که حاصل بود از آن طبیعت و درشت بود مس آن و بسیار بود بسر در آمدن او در احکام شرعیه و مسائل دینی و عذرخواهی او از عثرات خود ، پس صاحب آن طبیعت با خشونت مثل سوار ناقه سرکش است اگر سر آن ناقه را باافسار و خرام نگه ندارد بینی خود را پاره مینماید ، و اگر رها کند و بحال خود فرو گذارد واقع میشود در مهالك و معاطب، پس مبتلا شدند مردم قسم ببقای خدا بانداختن خود در غیر طریق قویم و برمیدن از صراط مستقیم و بتلون مزاج و بسیر نمودن در عرض طریق ، پس صبر نمودم مرتبه دوم بر درازی روزگار اعتزال ، و سختی اندوه و ملال.

الفصل الثالث

حَتَّىٰ إِذَا مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ جَمَلُهَا فِي سِتَّةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لَلِشُّورَىٰ
مَتَىٰ اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّىٰ صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَىٰ هَذِهِ
النَّظَائِرِ، وَلَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفَوَا، وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَنَىٰ رَجُلٌ
مِنْهُمْ لِضَغْنِهِ، وَمَالَ الْآخِرُ لِصِهْرِهِ، مَعَ هُنِ وَهْنِ .

اللغة

(الزَّعَمُ) مثلثة الفاء الفتح للحجاز والضمُّ للأسد والكسر لبعض قيس و هو
قريب من الظنِّ، وقال المرزوقي: أكثره يستعمل فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب ،
وقال ابن الأثير: إنما يقال: زعموا في حديث لاسندله ولا ثبت فيه، وقال
الزمخشري: هي ما لا يوثق به من الأحاديث و (الشُّورَى) اسم من تشاور القوم
واشتورا، وقيل: إنه مصدر كبشري بمعنى المشورة والأول اظهر و(اعترض)الشمسي،
إذا صار عارضاً كالخشبـة المعترضة في النهر و (أقرن) على لفظ المجهول أى أجعل
قريباً لهم و يجمع بينى و بينهم و (أسف) الطائر إذا دانا من الأرض في طيرانه وأسفَّ
الرجل للأمر إذا قاربه و (طرت) أى ارتفعت استعمالاً للكافي فى أكمل الأفراد
و (صغى) إلى كذا مال إليه وصفت النجوم مال إلى الغروب و (الضغن) الحقد
و البغض .

و (الصَّهْرُ) قال الخليل: هو أهل بيت المرأة، قال: و من العرب من يجعل
الأحماء والاختان جميعاً أصهاراً، وقال الأزهري: الصَّهْرُ يشتمل على قرابات
النساء، ذوي المحارم و ذوات المحارم كالأبوين و الاخوة و اولادهم و الأعمام
والأخوال والخالات، فهؤلاء أصهار زوج المرأة، ومن كان من قبل الزَّوْج من ذوي قرابته
المحارم فهم أصهار المرأة أيضاً، وقال ابن السكيت كلُّ من كان من قبل الزَّوْج من
أبيه أو أخته أو عمه فهم الأحماء، و من كان من قبل المرأة فهم الأختان و يجمع

الصنفين الأصهارو (هن) خفيف النون كناية عن كل اسم جنس ومعناه شيء، ولامها محذوفة فالمعروف أنها واو بدليل جمعها على هنوات، و قيل: هي هاء لتصغيره على هنيهة، و قيل: نون والأصل هن بالتثنية والتثنية هينين، وقال نجم الأئمة الرضوي: الهن الشيء المنكر الذي يستهجن ذكره من العورة والفعل القبيح وغير ذلك.

الاعراب

اللام في لله مفتوحة لدخولها على المستغاث ا دخلت للدلالة على الاختصاص بالنداء للاستغاثه، وفي قوله للشورى مكسورة لدخولها على المستغاث لأجله قال الشاعر:

بيكيك ناه بعيد الدار مغترب يا للكحول وللشبان للعجب

فتح لام الكحول وكسر لام العجب وكسرها في للشبان لكونه معطوفا على المستغاث من غير إعادة حرف النداء، ولواعيدت فتحت قال الشاعر:

بالقومي ويا لامثال قومي لاناس عتوهم في ازدياد

والواو في قوله: وللشورى إما زائدة أو عاطفة على محذوف مستغاث له أيضاً كما ستعرفه في بيان المعنى.

المعنى

(حتى إذا مضى) الثاني (لسبيله) و مات و ذلك بعد ما غضب الخلافة عشر سنين و ستة أشهر على ما حكاه في البحار من كتاب الاستيعاب و سته. في تفصيل الكلام في كيفية موته و تعيين يوم موته في التذنيبات الآتية، وكيف كان فانه لما أراد الله أن يقبضه إلى ما هيأ له من أليم العذاب (جعلها في ستة) نفر و في بعض النسخ في جماعة (زعم أنني أحدهم) و في تلخيص الشافعي زعم أنني سادسهم وهؤلاء الجماعة هم: أمير المؤمنين عليه السلام و عثمان و طلحة و الزبير و سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن ابن عوف، هذا هو المعروف و قيل: إنهم خمسة، قال الطبري: لم يكن طلحة ممن ذكر في الشورى ولا كان يومئذ بالمدينة، و عن أحمد بن أعثم لم يكن بالمدينة، فقال عمر: انتظروا لطلحة ثلاثة أيام فان جاء وإلا اختاروا رجلا من الخمسة.

(فيالله) أنت الناصر والمعين والمغيث أستغيث بك لما أصابني عنه أولنواب
 الدهر عامة (و للشورى) خاصة والاستغاثة للتألم من الاقتران بمن لايدانيه في
 الفضائل ولايقارنه في الفواضل ولايستأهل للخلافة ولايليق بالولاية ، و لذلك أتبعه
 ﷺ بالاستفهام على سبيل الانكار والتعجب بقوله:

(متى اعترض الربيفي مع الأول منهم) يعنى متى صار الشك عارضاً
 لأذهانهم في بمساوات أبي بكر (حتى صرت أقرن) أى أجعل قرينا (إلى هذه
 النظائر) الخمسة أو الأربعة و يجمع عمر بيني وبينهم و يجمعهم نظائر لي مع كونهم
 أدنى من الأول رتبة و أخص منزلة فكيف بقياسهم إلى و تناظرهم (١) بي (ولكني
 أسفت) مع القوم (إذ أسفوا و طرت) معهم (إذ طاروا) يعنى أنني تابعتهم تقيبة
 و جريت معهم على ماجرءا و دخلت معهم في الشورى مع أنهم لم يكونوا نظراً
 لي و تركت المنازعة من حيث اقتضآ، المصلحة (فصقى) و مال (رجل منهم) من الحق
 إلى الباطل (لضغنه) وحقده الذي كان في صدره.

والمراد بذلك الرجل على ما ذكره القطب الرأوندي والشارح البحراني
 والمحدث الجزائري وغيرهم هو سعد بن أبي وقاص الكعبي ، و سبب ضغنه على ما
 ذكره الرأوندي هو أنه عليه السلام قتل أباه يوم بدر ، و قال سعد أحد من تخلف عن
 بيعة أمير المؤمنين ﷺ عند رجوع الأمر إليه، إلا أن الشارح المعتزلي أورد عليه بأن
 أبا وقاص و اسمه مالك بن اهب مات في الجاهلية حتف أنفه ، و قال : إن المراد
 به طلحة و علقميلة عنه عليه السلام بقوله : و إنما مال طلحة إلى عثمان لانحرافه عن
 علي عليه السلام باعتبارانه تيمي و ابن عم أبي بكر ، و قد كان حصل في نفوس بني هاشم
 من بني تيم حنق شديد لأجل الخلافة و كذلك صار في صدور تيم علي بني هاشم، و هذا
 أمر مر كوز في طباع البشر و خصوصا طينة العرب و طباعها و التجربة إلى الآن تحقق ذلك.
 قال : و أما الرواية التي جاءت بأن طلحة لم يكن حاضراً يوم الشورى فإن
 صححت فذوالضغن هو سعد بن أبي وقاص لأن أمه حمنة بنت سفيان بن امية بن

عبد شمس ، والضغنة التي كانت عنده على علي عليه السلام من قبل أخواله الذين قتل صناديدهم وتقلد دمائهم ولم يعرف أن علياً عليه السلام قتل أحداً من بني زهرة لينسب الضغن إليه (و مال الآخر) و هو عبدالرحمن بن عوف (لصهره) و هو عثمان والمصاهرة بينهما من جهة أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت تحته وهي اخت عثمان من أمه وروى بنت كرزو هذا الميل أيضاً لم يكن لمجرّد المصاهرة ومحض القرابة بل (مع هن وهن) أى مع شيء وشيء قبيح يستهجن ذكره ، و هو البغض والحسد منه له عليه السلام أو نفاسته عليه أوجاؤه وصول الخلافة بعد عثمان إليه أو انتفاعه بخلافته بالانتساب و اكتساب الأموال والتّرفع على الناس والاستطالة أو غير ذلك ممّا هو عليه السلام أعلم به و كنى عنه.

و ينبغي التذليل بامور : الاول

كيفية قتل عمر و قاتله ، و يوم قتله .

اما الاول فقاتله أبو لؤلؤة فيروز غلام المغيرة بن شعبة ، روى المحدث المجلسي (ره) في البحار من مؤلف العداد القوية نقلا من كتب المخالفين والجزائري في الأنوار من كتاب الاستيعاب لابن عبدالبرّ من رجال العامة قال : ذكر الواقدي قال : أخبرني نافع عن أبي نعيم عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال : غدوت مع عمر بن الخطاب الى السوق و هو متكئ على يدي فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال له : ألا تكلم مولاي بضع عني من خراجي ؟ قال : كم خراجك ؟ قال : دينار فقال عمر : ما أرى أن أفعل انك لعامل محسن و ما هذا بكثير ، ثم قال له عمر : ألا تعمل لي رحي ؟ قال : أبو لؤلؤة : لأعملنّ لك رحي يتحدّث بها ما بين المشرق والمغرب ، قال ابن الزبير : فوقع في نفسي قوله ، قال : فلما كان في النداء لصلاة الصبح و خرج عمر إلى الناس قال ابن الزبير : و أنا في مصلاي وقد اضطلع له أبو لؤلؤة فضربه بالسكين ستّ طعنات إحديهنّ تحت سرتّه و هي قتله ، قال في البحار : و جاء بسكين له طرفان فلما خرج عمر خرج معه ثلاثة عشر رجلا في المسجد ، ثم أخذ ، فلما أخذ قتل نفسه .

و من كتاب الاستيعاب أيضاً أن عمر لما ضربه أبو لؤلؤة بالسكين في بطنه قال: ادعوا لي الطيب، فدعى الطيب، فقال: أي الشراب أحب إليك؟ فقال: النبيذ فسقى نبيذاً فخرج من بعض طعناته فقال الناس: هذا دم هذا صديد، فقال: اسقونني لبناً، فسقوه لبناً فخرج من الطعنة، فقال له الطيب: لا أرى أن تمسى فما كنت فاعلاً فافعل، و تمام الخبر المذكور في الشنورى، قال بعض أصحابنا: ولقد كان يحب أن يلقى الله سبحانه و بطنه الممزوق ممتلى من الشراب فانظروا يسا أولى الأبواب.

واما الثاني فالمشهور بين العلماء أن قتله كان في ذي الحجة و هو المتفق عليه بين العامة، ولكن المشهور بين العوام في الأقطار والامصار هو أنه في شهر ربيع الأول قال الكفعمي في الصباح في سياق أعمال شهر ربيع الأول: إنه روى صاحب مسار الشيعة أنه من أنفق في اليوم التاسع منه شيئاً غفر له ويستحب فيه إطعام الاخوان وتطيبهم والتوسعة والتسقة و لبس الجديد والشكر والعبادة و هو يوم نفى الغموم و روي أنه ليس فيه صوم و جمهور الشيعة يزعمون أن فيه قتل عمر بن الخطاب وليس بصحيح.

قال محمد بن ادریس في سرائره من زعم أن عمر قتل فيه فقد أخطأ باجماع أهل التواريخ والسير، وكذلك قال المفيد (ره) في كتاب التواريخ و إنما قتل يوم الاثنين لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث و عشرين من الهجرة نص على ذلك صاحب الفرة و صاحب المعجم و صاحب الطبقات و صاحب كتاب مسار الشيعة و ابن طائوس بل الاجماع حاصل من الشيعة و أهل السنة على ذلك انتهى.

أقول: قد عرفت أن المشهور بين جمهور الشيعة هو أنه في شهر الربيع فدعوى الاجماع على كونه في ذي الحجة ممنوعة و يدل على ذلك ما رواه في الأنوار من كتاب محمد بن جرير الطبري قال: المقتل الثاني يوم التاسع من شهر ربيع الأول أخبرنا الأمين السيد أبوالمبارك أحمد بن محمد بن أردشير الدستاني قال: أخبرنا السيد أبو البركات محمد الجرجاني، قال: أخبرنا هبة الله القمي

و اسمه يحيى ، قال : حدّثنا أحمد بن إسحاق البغدادي ، قال : حدّثنا الفقيه الحسن ابن الحسن السّامري أنّه قال : كنت أنا و يحيى بن أحمد بن جريح ، فقصدنا أحمد ابن إسحاق القمي و هو صاحب الامام العسكري عليه السلام بمدينة قم ، فقررنا عليه الباب فخرجت علينا من داره صبيّة عراقية فسألناها عنه ، فقالت : هو مشغول و عياله فانه يوم عيد ، قلنا : سبحان الله الأعياد عندنا أربعة : عيد الفطر و عيد الضحى النحر والغدير والجمعة ، قالت : روي سيدي أحمد بن إسحاق عن سيده العسكري عن أبيه علي بن محمد عليهم السلام أنّ هذا يوم عيد و هو خيار الأعياد عند أهل البيت عليهم السلام وعند مواليهم ، قلنا : فاستأذني بالدخول عليه و عرفه بمكاننا ، قال : فخرج علينا و هو متزّر بدثّرله و محتبّي بكسائه يمسح وجهه ، فأكرنا عليه ذلك ، فقال : لا عليكم ما إنسى كنت أغتسل للعيد فإنّ هذا اليوم «عيدظ» و هو اليوم التاسع من شهر ربيع الأوّل فأدخلنا داره و أجلسنا على سريره .

ثمّ قال : إنّي قصدت مولاى أبا الحسن العسكري عليه السلام مع جماعة من إخواني في مثل هذا اليوم و هو اليوم التاسع من ربيع الأوّل فرأينا سيّدنا قد أمر جميع خدمه أن يلبس ما يمكنه من الثياب الجدد و كان بين يديه معجزة يحرق فيها العود ، قلنا يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله : هل تجد في هذا اليوم لأهل البيت عليهم السلام فرحاً ؟ فقال عليه السلام : و أىّ يوم أعظم حرمة من هذا اليوم عند أهل البيت و أفرح ؟

وقد حدّثنى أبي عليه السلام أنّ حذيفة (رض) دخل في مثل هذا اليوم و هو اليوم التاسع من ربيع الأوّل على رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال حذيفة : فرأيت أمير المؤمنين مع ولديه الحسن والحسين مع رسول الله صلوات الله عليه و عليهم بأكلون والرّسول يتبسم في وجوههما و يقول كلاهينياً مريئاً لكما ببركة هذا اليوم و سعادته فإنّه اليوم الذي يقبض الله فيه عدوّه و عدوّ كما و عدوّ جدّ كما و يستجيب فيه دعاء أمّكما ، فإنّه اليوم الذي يكسر فيه شوكة مبغض جدّكما و ناصر عدوّ كما ، كلا فإنّه اليوم الذي يفقد فيه فرعون أهل بيتي و هامانهم و ظالمهم و غاصب حقّهم ، كلا فإنّه اليوم الذي يفرح الله فيه قلبكما و قلب أمّكما .

قال حذيفة : فقلت يا رسول الله في امتك و أصحابك من يهتك هذا الحرم ؟
قال رسول الله ﷺ : جبت من المنافقين يظلم أهل بيتي و يستعمل في امتي الربا
و يدعوهم إلى نفسه و يتناول على الأمة من بعدي و يستجلب أموال الله من غير حله
و ينفقها في غير طاعته و يحمل على كتفه درة الخزي و يضل الناس عن سبيل الله
و يحرف كتابه و يغير سنتي و يغصب ارث ولدي و ينصب نفسه علما و يكذب بني
و يكذب أخي و وزيري و وصيي و زوج ابنتي و يتغلب على ابنتي و يمنعها حقها
و تدعو فيستجاب الله لها الدعاء في مثل هذا اليوم.

قال حذيفة (رض) : قلت : يا رسول الله ادع الله ليهلكته في حياتك قال : يا
حذيفة لا أحب أن أجترى على الله عز وجل لما قد سبق في علمه لكنني سألت الله
تعالى أن يجعل اليوم الذي يقبضه فيه إليه فضيلة على سائر الأيام و يكون ذلك سنة
يستن بها أحبائي و شيعة أهليتي و محبيهم ، فأوحى الله عز وجل إلي :

فقال : يا محمد إنه قد سبق في علمي أن يمسخ و أهل بيتك محن الدنيا و بلائها
و ظلم المنافقين و المعاندين من عبادي ممن نصحتهم و خانوك و محضتهم و غشوك
و صافيتهم و كاشحوك و أوصلتهم و خالفوك و أوعدتهم و كذبوك ، فأنني بحولي
و قوتي و سلطاني لأفتح على روح من يغضب « يغضب خ » بعدك عليا حقه و صيك
و ولي خلقى « من العذاب الاليم خ » ألف باب من النيران من سفال الفيلوق ،
و لأوصلته و أصحابه قرأ بشرف عليه إبليس لعنه الله فيلعنه ، و لأجعلن ذلك المنافق
عبرة في القيامة مع فراعة الانبياء و أعداء الدين في المحشر ، و لأحشرنهم و أوليائهم
و جميع الظالمة و المنافقين في جهنم و لادخلنهم خ ك ، فيها أبداً بدين .

يا محمد أنا أنتقم من الذي يجترى علي و يبذل كلامي و يشرك بي و يصد الناس
عن سبيلي و ينصب نفسه عجلا لامتك و يكفر بي ، إنني قد أمرت سبع سماوات من
شيعتكم و محبيكم أن يتميدوا في هذا اليوم (١) الذي أقبضه إلى فيه و أمرتهم أن

(١) هكذا في النسخة و الظاهر سقوط لفظ « ملائكة » قبل قوله : سبع سماوات و مع ذلك لا
يفهم المقصود و لعل في لفظ الحديث تقدما و تأخيراً و المراد : اني امرت ملائكة سبع سماوات
أن يجعلوا هذا اليوم عيداً لشيعتكم و محبيكم . « المصحح »

ينصبوا كراسي كرامتي بازاء البيت المعمور و يشنوا عليّ و يستغفروا لشيعةكم من ولد آدم .

يا محمد و أمرت الكرام الكاتبين ان يرفعوا القلم عن الخلق « كلهم خ » ثلاثة أيام من أجل ذلك اليوم ولا أكتب عليهم شيئاً من خطاياهم كرامة لك و لوصيك .

يا محمد إنني قد جعلت ذلك عيداً لك و لأهل بيتك و للمؤمنين من شيعةك، وآليت علي نفسي بعزتي و جلالي و علويّ في رفيع مكاني إنّ من وسّع في ذلك اليوم علي عياله و أقاربه لأزيدن في ماله و عمره و لا أعتقنه من النار و لا جعلنّ سعيه مشكوراً و ذنبه مغفوراً ، و أعماله مقبولة ، ثمّ قام رسول الله ﷺ فدخل بيت أم سلمة فرجعت عنه ﷺ و أنا غير شكّ في أمر الشيخ الثاني حتّى رأيت بعد رسول الله ﷺ قد فتح الشرّ و أعاد الكفر و الارتداد عن الدّين و حرّف القرآن .

وفي البحار من كتاب الاقبال لابن طائوس بعد ذكر اليوم التاسع من ربيع الأول: اعلم أن هذا اليوم وجدنا فيه رواية عظيم الشأن و وجدنا جماعة من العجم و الاخوان يعظمون السرور فيه و يذكرون أنّه يوم هلاك من كان يهون بالله جلّ جلاله و رسوله و يعاديه، ولم أجد فيما تصفحت من الكتب إلى الآن موافقه اعتمدها لها للرواية التي رويناها عن ابن بابويه تغمد الله رضوانه، فان أراد أحد تعظيمه مطلقاً لسرّ يكون في مطاويه غير الوجه الذي يظهر فيه احتياطاً للرواية فهكذا عادة ذوي الدّراية ، و إن كان يمكن تأويل ما رواه أبو جعفر بن بابويه في أنّ قتل من ذكر كان في تاسع ربيع الأول لعلّ معناه أن السبب الذي اقتضى قتل المقاتل على قتله كان في ذلك اليوم ، و يمكن أن يسمّى مجازاً سبب القتل بالقتل، أو يكون توجه المقاتل من بلده في ذلك اليوم ، أو وصول المقاتل إلى مدينة القتل فيه ، و أمّا تأويل من تأوّل أنّ الخبر وصل إلى بلد ابن بابويه فيه فلا يصحّ ، لأنّ الحديث الذي رواه ابن بابويه عن الصادق عليه السلام تضمّن أنّ القتل في

ذلك اليوم فكيف يصحُّ هذا التّأويل .

قال : في البحار بعد حكايته ذلك : و يظهر منه و رود رواية اخرى عن الصادق عليه السلام بهذا المضمون رواها الصدوق ، و يظهر من كلام خلفه (١) الجليل و رود عدة روايات دالة على كون قتله في ذلك ، فاستبعاد ابن إدريس و غيره رحمة الله عليهم ليس في محله ، إذ اعتبار تلك الروايات مع الشهرة بين أكثر الشيعة سلفاً و خلفاً لا يقصر عمّا ذكره المورخون من المخالفين ، و يحتمل أن يكونوا غيروا هذا اليوم ليشتبه الأمر على الشيعة فلا يتخذوه يوم عيد و سرور .

فان قيل : كيف اشتبه هذا الأمر العظيم بين الفريقين مع كثرة الدواعي على ضبطه و نقله .

قلنا : نقبل الكلام عليكم مع أن هذا الأمر ليس بأعظم من وفات رسول الله صلى الله عليه وآله مع أنه وقع الخلاف فيه بين الفريقين بل بين كل منهما مع شدة تلك المصيبة العظمى و ما استتبعه من الدواهي الأخرى مع أنهم اختلفوا في يوم القتل و إن اتفقوا في كونه ذي الحجّة ، و من نظر في اختلاف الشيعة و أهل الخلاف في أكثر الامور التي توفرت الدواعي على نقلها مع كثرة حاجة الناس إليها كالأذان و الوضوء و الصلاة و الحجّ و تأمل فيها لا يستبعد أمثال ذلك ، و الله أعلم بحقايق الامور .

الثاني

في ذكر أخبار الشّورى من طرق العامة فأقول : روى في البحار عن ابن الأثير في الكامل والطبري عن شيوخه بطرق متعدّدة أنه لما طعن أبو ولؤة عمر بن الخطاب و علم أنه قد انقضت أيامه و اقترب أجله ، قال له بعض أصحابه : لو استخلفت يا أمير المؤمنين ، فقال : لو كان أبو عبيدة حيّاً لاستخلفته و قلت لربي إن سألتني : سمعت نبيك يقول : أبو عبيدة امين هذه الامة ، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّاً لاستخلفته

وقلت لربّي إن سألني : سمعت نبيّك يقول : إن سالماً شديد الحب لله فقال رجل : ولّ عبدالله بن عمر ، فقال : قاتلك الله ، والله ما أردت الله بهذا ، وبحك كيف استخلفت رجلاً عجز عن طلاق امرأته .

و في شرح المعتزلي أنّ عمر لما طعنه أبو لؤلؤة و علم أنّه ميّت استشار فيمن يوليه الأمر بعده فأشير إليه بابنه عبدالله فقال لاهاء (١) الله لا يليها رجلاً من ولد الخطاب حسب عمر ما حمل حسب عمر ما احتقّب (٢) لاهاء الله ، لا أتحمّاهم أحياً و ميتاً ، ثمّ قال : إنّ رسول الله ﷺ مات و هو راض عن هذه الستة من قريش : عليّ و عثمان و طلحة و الزبير و سعد و عبدالرحمن بن عوف ، و قد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم ، ثمّ قال : إنّ أستخلف فقد استخلف من هو خير منّي يعني أبا بكر و إن أترك فقد ترك من هو خير منّي يعني رسول الله ، ثمّ قال : ادعوهم لي ، فدعوهم فدخلوا عليه و هو ملقى على فراشه و هو بوجود نفسه ، فنظر إليهم فقال : أكلّكم يطمع في الخلافة بعدي ؟ فوجموا (٣) فقال لهم : ثانية فأجابه الزبير و قال : و ما الذي يبعدنا منها وليتها أنت قمت بها و لسنادونك في قريش و لا في السابقة و القرابة .

قال السارح قال الشيخ أبو عثمان الجاحظ : والله لولا علمه أنّ عمر يموت في مجلسه ذلك لم يقدم على أن يفوّه من هذا الكلام بكلمة و لا أن ينبس (٤) منه لفظ ، فقال عمر : أفلا أخبركم عن أنفسكم : قالوا : قل فأننا لو استمعنا لك لم تعفنا ، فقال : أمّا أنت يا زبير فوعقة (٥) لقس (٦) مؤمن الرضى كافر الغضب ، يوماً إنسان و يوماً شيطان ، و لعلها الوأفضت إليك ظلّت قومك تلاطم بالبطحاء ، على مدّ من شعير ،

١- قال في القاموس ها تكون للتبني و يدخل على أربعة الى ان قال الرابع اسم الله في القسم عند حذف الحرف يقال ها الله بقطع الهمزة و وصلها و كلاهما مع اثبات الفها و حذفها انتهى

٢- و احتقبه و استحقبه ادخره ق

٣- وجم و جمأ و وجو ماسكت على غيظ و الشى . كرهه .

٤- نبس ينبس نبسا تكلم فاسرع ق

٥ - رجل و عن كمدل و وعقة كصخرة شرس سبى ، الخلق ضجر متبرم و به وعقة شراسة و وقعت على بارجل عجلت ما اوعتك اعجلك ، قاموس

٦- لغت نفسه الى الشى . نازت اليه و حرصت عليه و الرجل لعس و قيل لغت حيث و عن ابي زيد اللقبى هو الذى يلقب اناس و يسخر منهم فايق اللغة

أقريت إن أفضت إليك فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً ومن يكون يوم تفضب إماماً ، وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الامة و أنت على هذه الصفة .

ثم أقبل على طلحة و كان له مبعضاً منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال فسي عمر ، فقال له : أقول أم أسكت ؟ قال : قل فانك لاتقول من الخير شيئاً ، قال : أما نبي أرفك منذ اصيبت إصبعك يوم احد والباد (١) الذي حدث لك ، لقد مات رسول الله ﷺ ساخطاً عليك للكلمة (٢) التي قلتها يوم انزلت آية الحجاب .

قال الشراح : قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ : الكلمة المذكورة أن طلحة لما انزلت آية الحجاب قال بمحضر من من نقل عنه الى رسول الله ﷺ : ما الذي يغنيه حجابهن اليوم سيموت غداً فنكنهن ، قال : قال أبو عثمان أيضاً : لوقال لعمر قائل أنت قلت : إن رسول الله ﷺ مات وهو راض عن الستة فكيف تقول الآن لطلحة إنه ﷺ مات ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها ، لكان قد رماه بمشاقصة (٣) ولكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له : مادون هذا فكيف هذا ؟

ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص فقال : أما أنت صاحب مقنب (٤) من هذه المقانب تقابل به وصاحب قنص (٥) و قوس وأسهم وما زهرة والخلافة و امور الناس ثم أقبل على عبدالرحمن بن عوف فقال : و أما أنت يا عبدالرحمن فلو وزن نصف ايمان المسلمين بإيمانك لرجح ايمانك به ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك و ما زهرة و هذا الأمر

١ - الباد العجب والكبر وقد كانت اصيبت يده مع رسول الله (س) و فاه بها يوم احد

فايق اللفه

٢- روى المفسرون عن مقاتل قال قال حذجة بن عديده لئن قبض رسول الله (س) لانكحن عايشة بنت ابي بكر فنزلت و ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوالازواجه من بعده ابداً و في رواية على بن ابراهيم ان طلحة قال لئن امانت الله محمد النركضن بين خلايل نسائه كما ركض بين خلايل نساتنا منه

٣- المشقص كمنبر نصل عربض او سهم فيه ذلك او نصل طويل او سهم فيه ذلك

٤- المقنب من الخيل الاربعون والخمسون و في كتاب الفين زها ثلاثمائة يعنى انه صاحب جيوش وليس يصلح لهذا الامر فايق

٥- القنص محركة الصيد.

ثم أقبل عليّ عليّ عليه السلام فقال: لله أنت لولا دعاية (١) فيك أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح والمحنة البيضاء.

ثم أقبل على عثمان فقال هيباً (٢) إليك كأنني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحببها إليك فحملت بنى أمية و بنى أبي معيط على رقاب الناس و آثرتهم بالفي، فسارت فثارت ظم إليك عصابة من رابان (٣) ذو بان خ العرف فذبجوك على فراشك ذبحاً والله لئن فعلوا لتفعلن و لئن فعلت ليفعلن، ثم أخذ بناصيته فقال: فإذا كان ذلك فاذا ذكر قولي فإنه كاي .

ثم قال: ادعوا لي أباطلحة الأنصاري فدعوه له فقال: انظر يا أبا طلحة إذا عدتم من حفرتي فكن في خمسين رجلا من الأنصار حاملي سيوفكم فخذ هؤلاء التفر بامضاء الأمر و تعجيله و اجمعهم في بيت وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا و يختاروا واحداً منهم، فان اتفق خمسة و أبي واحد فاضرب عنقه، وإن اتفق أربعة و أبي اثنان فاضرب أعناقهما، و إن اتفق ثلاثة و خالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبدالرحمن فارجع الى ما قد اتفقت عليه فان اصررت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها، و ان مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر فاضرب أعناق الستة و دع المسلمين يختاروا لأنفسهم.

فلما دفن عمر جمعهم أبو طلحة و وقف على باب البيت بالسيف في خمسين من الأنصار حاملي سيوفهم ثم تكلم القوم و تنازعوا، فأول ما عمل طلحة أنه أشهدهم على نفسه أنه قد هب حقه من الشورى لعثمان، و ذلك لعلمه أن الناس لا يعدلون به علياً و عثمان و أن الخلافة لا تنحلص له و هذان موجودان، فأراد تقوية أمر عثمان و إضعاف جانب علي عليه السلام بهبة أمر لا انتفاع ولا تمكن له منه، فقال الزبير قمي معارضته و أنا أشهدكم على نفسي أنني قد هبت حقي من الشورى لعلي عليه السلام، و إنما فعل

١- الدعابة كمزاحة دعب يدع كمزح يمزح و (جل دعب، فابق اللغة

٢- الهبة من ينحى لدنس ثيابه و يقال لشيء يطرد هيه هيه بالكسر قاموس.

٣- الراب سبعون من الأبل و السيد الضخم قاموس

ذلك لأنه لما رأى علياً عليه السلام قد ضعفوا نخذل بهبة طالحة حقه امتنان دخلته حمية النسب ، لأنه ابن عمّة أمير المؤمنين عليه السلام وهي صفية بنت عبدالمطلب وأبو طالب خاله ، فبقي من الستة أربعة ، فقال سعد بن أبي وقاص : وأنا قد هبت حتى من الشورى لابن عمّي عبدالرحمن ، وذلك لأنهما من بني زهرة و لعلم سعد أن الأمر لا يتم له .

فلما لم يبق إلا الثلاثة قال عبدالرحمن لعليّ و عثمان : أيتكما يخرج نفسه من الخلافة ويكون إليه الاختيار في الاثنين الباقيين ؟ فلم يتكلم منهما أحد ، فقال عبدالرحمن : إنني اشهدكم قد أخرجت نفسي من الخلافة على أن اختار أحدهما ، فأمسك ، فبده بعليّ عليه السلام و قال له : أبأبعك على كتاب الله و سنة رسول الله و سيرة الشّيعين أبي بكر و عمر ، فقال : بل على كتاب الله و سنة رسوله و اجتهاد رأيي ، فعدل عنه إلى عثمان فعرض ذلك عليه ، فقال : نعم ، فعاد إلى عليّ عليه السلام فأعاد قوله ، فعلم ذلك عبدالرحمن ثلاثاً ، فلما رأى أن عليّاً غير راجع عما قاله و أن عثمان ينعم له بالاجابة صفق على يد عثمان ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فيقال : إن عليّاً عليه السلام قال له : والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه ، دقّ الله بينكما عطر منشم (١) قيل : ففسد بعد ذلك بين عثمان وعبدالرحمن فلم يكلم أحدهما صاحبه حتى مات عبدالرحمن .

وقال الشارح أيضاً : لما بنى عثمان قصره طمارد الزوراء وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه كان فيهم عبدالرحمن ، فلما نظر إلى البناء والطعام قال : يا بن عفان لقد صدقنا عليك ما كتنا نكذب فيك و إنني أستعيد بالله من بيعتك ، فغضب عثمان وقال : أخرجه عنّي يا غلام ، فأخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عباس كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض ، و مرض عبدالرحمان فعاده عثمان ،

١- منشم كقصد عطر شاق الدق او قرون السنبل سم ساعة و نبت الوجيه المطارة بكة

و كانوا اذا ارادوا القتال و تطيبوا بطبيها كثر القتلى فقالوا اخام من عطر منشم قاموس

فكلمه ولم يكلمه حتى مات .

أقول : هذا مارواه الشارح المعتزلي في قضية الشورى وأتبعه بروايات أخرى لامهم في إطالة الكلام بذكرها ، وإنما المهم الإشارة إلى بعض ما يطمئن به على عمر في هذه القضية من ابداعه في الدين وخروجه عن نهج الحق المبين و غير ذلك مما لا يخفى على أهل البصيرة واليقين :

منها مخاطبته القوم و مواجهتهم بمثل تلك الكلمات الكاشفة عن غلظ طبيعته وخشونة مسه و جفوته ، وذلك شاهد صدق على ما ذكره عليه السلام سابقا بقوله : فصيها في حوزة خشنآء يغلظ كلمها ويخشن مسها .

و منها خروجه في هذا الأمر عن النص والاختيار جميعاً .
و منها حصر الشورى في ستة و ذم كل واحد منهم بأن ذكر فيه طعنًا لا يصلح معه الامامة ثم أهله بعد أن طعن فيه .

و منها نسبة الامام عليه السلام إلى الدعابة والمزاحة و هو افتراء عليه و ظلم في حقه ، و مثل ذلك زعم عمرو بن العاص و كذبه عليه السلام في بعض خطبه الآتية بقوله : عجبا لابن النابغة يزعم أن في دعابة او أني امره قلعابة إلى آخر ما يأتي و هو المختار الثالث و الثمانون .

و منها جعل الأمر إلى ستة ثم إلى أربعة ثم إلى واحد و صفة بالضعف والقصور .
و منها ترجيح قول الذين فيهم عبدالرحمن لعلمه بأنه لا يكاد يعدل بالأمر عن ختته و ابن عمه .

و منها إدخاله عثمان في الشورى مع دعواه العلم بظهور الفساد و القتل من خلافته و صرف مال الله في غير أهله كما يدل عليه قوله : والله لئن فعلوا لتفعلن .

و منها أمره بقتل الثلاثة الذين ليس فيهم عبدالرحمن لوأصر و أعلی المخالفة و من المعلوم أن مخالفته لا يوجب استحقات القتل

و منها أمره بقتل الستة و ضرب أعناقهم إن مضت ثلاثة أيام و لم يتفقوا و من

الواضح أن تكليفهم إذا كان الاجتهاد في اختيار الامام فربما طال زمان الاجتهاد وربما قصر بحسب ما يعرض فيه من العوارض ، وكيف يسوغ الأمر بالقتل إذا تجاوزت الثلاثة إلى غير هذا مما هي غير خفية على أهل البصيرة والمعرفة .

الثالث

في ذكر طائفة من الاحتجاجات التي احتج بها الامام عليه السلام في مجلس الشورى ومناشداته معهم وتعدد فضائله وذكر خصائصه ، وهي كثيرة روتها الخاصة والعامة في كتبهم ونحن نقتصر على رواية واحدة.

وهو ما رواه الطبرسي في الاحتجاج عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : إن عمر بن الخطاب لما حضرته الوفاة وأجمع علي الشورى بعث إلى ستة نفر من قريش : إلى علي بن أبي طالب عليه السلام و إلى عثمان ابن عفان و إلى زبير بن العوام و إلى طلحة بن عبيد الله و عبد الرحمن بن عوف و سعد ابن أبي وقاص ، و أمرهم أن يدخلوا إلى بيت ولا يخرجوا منه حتى يبايعوا لأحدهم فان اجتمع أربعة علي واحد وأبي واحد أن يبايعهم قتل ، وإن امتنع اثنان و بايع ثلاثة قتل فاجمع رأيهم علي عثمان.

فلما رأى أمير المؤمنين عليه السلام ما هم القوم به من البيعة لعثمان قام فيهم ليتخذ عليهم الحجة ، فقال عليه السلام لهم : اسمعوا مني فان يك ما أقول حقا فاقبلوا ، و إن يك باطلا فانكروه ثم قال عليه السلام : انشدكم « نشدتكُم خ » بالله الذي يعلم صدقكم إن صدقتم و يعلم كذبكم إن كذبتُم هل فيكم أحد صلى القبلتين كلتيهما غيري ؟ قالوا : لا ، قال : انشدتكم بالله هل فيكم من بايع البيعتين كلتيهما بيعة الفتح و بيعة الرضوان غيري ؟ قالوا : لا ، قال : انشدتكم بالله هل فيكم أحد أخوه المزين بالجناحين « يطير بهما في الجنة خ » غيري ؟ قالوا : لا ، قال : انشدتكم بالله هل فيكم أحد عمّة سيد الشهداء غيري ؟ قالوا : لا ، قال : انشدتكم بالله هل فيكم أحد زوجة سيده نساء أهل الجنة غيري ؟ قالوا : لا . قال : انشدتكم بالله هل فيكم أحد ابناه ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وهما سيدا شباب

أهل الجنة غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد عرف الناسخ من المنسوخ في القرآن غيري؟ قالوا: لا.

قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد أذهب الله عنه الرجس و طهره تطهيراً غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد عين جبرئيل في مثال رحية الكلبى غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد أذى الزكاة وهور كعب غيري؟ قالوا: لا، قال فانشدتم بالله هل فيكم أحد مسح رسول الله عليه السلام عينيه وأعطاه الرأية يوم خيبر فلم يجد حراً ولا برداً غيري؟ قالوا: لا،

قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد نصبه رسول الله عليه السلام يوم غدیر خم بأمر الله فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد أخو رسول الله في الحضر و رفيقه في السفر غيري؟ قالوا: لا.

قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبدود يوم الخندق و قتله غيري؟ قالوا: لا، قال فانشدتم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلوات الله عليه وآله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي غيري؟ قالوا: لا.

قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد سماه الله تعالى في عشر آيات من القرآن مؤمناً غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد ناول رسول الله عليه السلام قبضة من التراب فرمى بها في وجوه الكفار فانهمزوا غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد وقف الملايكة يوم احد حتى ذهب الناس عنه غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد قضى دين رسول الله عليه السلام غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد اشتاقت الجنة إلى رؤيته غيري؟ قالوا: لا.

قال: فانشدتم بالله هل فيكم أحد شهد وفات رسول الله عليه السلام غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتم بالله هل فيكم أحد غسل رسول الله عليه السلام و كفنه غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتم بالله هل فيكم أحد ورت سلاح رسول الله عليه السلام ورايته و خاتمته

غيري؟ قالوا: لا،

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد جعل رسول الله ﷺ طلاقاً نساءه بيده
غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد حمله رسول الله ﷺ على ظهره حتى
كسر الأصنام على باب الكعبة غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد
نودي باسمه يوم بدر من السماء لاسيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا علي غيري؟
قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أكل مع رسول الله ﷺ من الطائر المشوي
الذي أهدي إليه غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله
ﷺ: أنت صاحب رأيتي في الدنيا وصاحب لوائي في الآخرة غيري؟ قالوا: لا؛
قال: فانشدتكم بالله هل فيكم أحد قدم بين يدي نجويه صدقة غيري؟ قالوا: لا، قال:
فانشدتكم بالله هل فيكم أحد خصف (١) نعل رسول الله ﷺ غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنا أخوك وأنت
أخي غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ:
اللهم انتني بأحب خلقك الخلق خ، إلى وأقواهم بالحق غيري؟ قالوا: اللهم خ، لا
قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد استقى ماء دلو بماء تمر وجاء بالتمر فأطعمه رسول
الله ﷺ وهو جايح غيري؟ قالوا: اللهم خ، لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد سلم عليه جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل
في ثلاثة آلاف من الملائكة كل واحد منهم في ألف من الملائكة خ، يوم بدر
غيري؟ قالوا: اللهم خ، لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد غمض عين رسول الله
ﷺ غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد وحده الله قبلي غيري؟ (٢)
قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد كان أول داخل على رسول الله ﷺ
و آخر خارج من عنده غيري؟ قالوا: لا، قال: فانشدتكم بالله هل فيكم أحد مشى

١- خصف النل يضعفها خرزها ق

٢- هكذا في النسخة والظاهر زيادته من.

مع رسول الله فمرّ على حديقة فقال «فقلت خ» ما أحسن هذه الحديقة ، فقال رسول الله ﷺ و حديقتك في الجنة أحسن من هذه الحديقة حتى إذا مرّ «مررت خ» على ثلاثة حدائق كل ذلك يقول رسول الله ﷺ حديقتك في الجنة أحسن من هذه غيري؟ قالوا : لا .

قال : نشدتم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أنت أوّل من آمن بي وأوّل من يصابحني يوم القيامة غيزي؟ قالوا : لا ، قال : نشدتم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله ﷺ بيده ويد امرأته وابنيه حين أراد أن يباهل نصارى نجران غيري؟ قالوا : لا .

قال : نشدتم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أوّل طلع يطلع عليكم من هذا الباب يا أنس فانه أمير المؤمنين وسيد المسلمين وخير الوصيتين وأولى الناس بالناس فقال أنس : اللهم اجعله رجلا من الأنصار فكنت أنا الطالع فقال رسول الله ﷺ لا أنس : ما أنت بأوّل رجل أحبّ قومه غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية :

« إِنَّا وَإِيكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ » .

غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه وفي ولده:

« إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا » .

إلى آخر السورة غيري؟ قالوا : لا ، قال : نشدتم بالله هل فيكم أحد أنزل الله فيه:

« أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ »

غيري ؟ قالوا : لا ، قال : نشدتم بالله هل فيكم أحد علمه رسول الله ﷺ ألف كلمة كل كلمة مفتاح ألف كلمة غيري؟ قالوا : لا .

قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحدنا جاء رسول الله يوم الطائف فقال أبو بكر وعمر: ناجيت علياً دوننا ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما انا ناجيته بل الله أمرني بذلك غيري ؟ قالوا: لا.

قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحدسقا رسول الله ﷺ من المهراس (١) غيري؟ قالوا: لا. قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله : أنت أقرب الخلق مني يوم القيامة يدخل بشفاعتك الجنة أكثر من عدد ربيعة و مضر غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أنت تكسى حين اكسى غيري؟ قالوا: لا .

قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أنت وشيعتك هم الفائزون يوم القيامة غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : كذب من زعم أنه يحبني و يبغض هذا غيري؟ قالوا: لا، قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : من أحب شعراتي هذه؟ فقد أحببني ومن أحببني فقد أحب الله، فقبله: وما شعراتك يا رسول الله ؟ قال: عليّ والحسن والحسين و فاطمة غيري؟ قالوا: لا.

قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أنت خير البشر بعد النبيين غيري؟ قالوا: لا. قال: نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أنت الفاروق تفرق بين الحق والباطل غيري؟ قالوا: لا، قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ : أنت أفضل الخلاق عملا يوم القيامة بعد النبيين غيري ؟ قالوا: لا .

قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله ﷺ كساء عليه و على زوجته وعلى ابنه ثم قال : اللهم أنا و أهل بيتي إليك لا إلى النار غيري ؟ قالوا: لا، قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد كان يبعث إلى رسول الله ﷺ الطعام وهو في

١- المهراس حجر منقور يدق فيه ويتوضأ منه، ق

(١ مكرر) المهراس صخرة منقورة تسع كثيرا من الماء، وقد يعمل منه حياض للماء ، نهايه .

الغار و يخبره بالأخبار غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: لا سر لله دونك غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت أخي ووزيري وصاحبي من أهلي غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت أقدمهم سلماً (١) وأفضلهم علماً و أكثرهم حلماً غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قتل مرحبا اليهودي مبارزة فارس اليهود غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وآله الاسلام فقال له: أنظرني حتى ألقى والدي، فقال له رسول الله: يا علي فأنها أمانة عندك، فقلت: فان كانت أمانة عندي فقد أسلمت غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد احتمل باب خيبر حين فتحها فمشى به مائة ذراع ثم عالجه بعده أربعون رجلاً فلم يطيقونه غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد (٢) نزلت فيه هذه الآية:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدُوا مِنْ يَدَيْ نَجْوَاهُمْ صَدَقَةٌ ».

فكنت أنا الذي قدم الصدقة غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: من سب علياً فقد سبني و من سبني فقد سب الله غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: منزلي مواجهمنزلك في الجنة غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: قاتل الله من قاتلك

١- السلم بفتح السين وكسرهما وهالفة الصلح والسلم بفتح السين واللام الاستسلام والاقبال
كقوله تعالى القوا اليكم السلم، نهايه

٢- هكذا في النسخة والظاهر انه غلط، منه.

٢ مكرر- الظاهر ان قبل نزلت لما ساطعة من النسخة، منه.

و عادى الله من عاداك غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد اضطلع على فراش رسول الله ﷺ حين أراد أن يسير إلى المدينة ووقاه بنفسه من المشركين حين أراد واقتله غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله أنت أولى الناس بأمّتي من بعدي غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت يوم القيامة عن يمين العرش والله يكسوك ثوبين أحدهما أخضرو الآخر وردي غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد صلى قبل الناس «مع رسول الله خ» بسبع سنين و أشهر غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنا يوم القيامة آخذ بحجزة ربي والحجزة النور و أنت آخذ بحجزتي (١) وأهل بيتي آخذون بحجزتك غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت كنفسى وحبك حبي و بغضك بغضى غيري؟ قالوا: لا، قال نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ولايتك كولايتي عهد عهده إلى ربي وأمرني أن ابغكموه غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: اللهم اجعله لى عوناً و عضداً و ناصرأ غيري؟ قالوا لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: المال يعسوب الظلمة و أنت يعسوب (٢) المؤمنين غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: لا بعثنّ اليكم رجلا امتحن الله قلبه للإيمان غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد أطمعه رسول الله ﷺ رمانة وقال: هذه من رمان الجنة لا ينبغي أن يأكل منه إلا نبي أو وصي نبي غيري؟ قالوا: لا.

قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ما سألت ربي شيئاً إلا

١- بالعاء، المهمة والجيم والزاء. حجة الأزار مقده و حجة السراويل، مجمع شده والجمع حبر

مثل غرقة و غرف نهاية

٢- يعسوب امير النحل و منه قيل للسيد يعسوب قومه، ص

أعطانيه ولم أسأل ربّي شيئاً إلاّ سألت لك مثله غيري؛ قالوا: لا، قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أنت أقومهم بأمر الله و أوفاهم بعهد الله واعلمهم بالقبضية و أقسمهم بالسوية و أعظمهم عند الله مزية غيري؛ قالوا : لا .

قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : فضلك على هذه الأمة كفضل الشمس على القمر و كفضل القمر على النجوم غيري؛ قالوا: لا، قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يدخل الله وليك الجنة وعدوك النار غيري؛ قالوا: لا، قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : الناس من أشجار شتّى و أنا و أنت من شجرة واحدة غيري؛ قالوا: لا.

قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا سيّد ولد آدم و أنت سيّد العرب و العجم خ و ولا فخر غيري؛ قالوا: لا، قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد رضى الله عنه في الآيتين من القرآن غيري؛ قالوا: لا، قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : موعذك و موعدي و موعدك شيعتك الحوض إذا خافت الامم و وضعت الموازين غيري؛ قالوا: لا .

قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم اني احبته فأحبه اللهم انبيى أستودعك غيري؛ قالوا: لا؛ قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أنت تحتاج الناس فتحجهم باقام الصلاة و ايتاء الزكاة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و إقامة الحدود و القسم بالسوية غيري؛ قالوا: لا.

قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيده يوم بدر (١) «غدير خ» فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض ابطنه و هو يقول: ألا إن هذا علي بن أبي طالب أخي و ابن عمي و وزيرى فوازدوه و ناصحوه و صدّقوه فهو وليكم غيري؛ قالوا: لا، قال : نشدتمكم بالله هل فيكم أحد نزلت فيه هذه الآية:

« وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شُحَّ

نَفْسِهِ فَأَوْلَيْكَ مُمُّ الْمُفَاحُونَ».

غيري؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد كان جبرئيل أحد ضيفانه غيري؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد أعطاه رسول الله ﷺ حنوطاً من حنوط الجنة ثم قال: أقسمه أنلانا نلنا لى تخنطنى به ونلنا لابنتى ونلنا لك غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد كان إذ ادخل على رسول الله ﷺ حينما وأدناه ورحب به و تهلل له وجهه غيري؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنا أفتخر بك يوم القيامة إذا افتخرت الأنبياء بأوصيائها غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد سرحه (١) رسول الله ﷺ بسودة براءة إلى المشركين من أهل مكة بأمر الله غيري؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: إني لأرحمك من ضغائن في صدور أقوام عليك لا يظهر ونهاحتسى بقعدوني فاذا افتقدوني خالفوا فيها غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أرى الله (٢) عن أمانتك أرى الله عن ذمتك غيري؟ قالوا: لا، قال: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت قسيم النار تخرج منها من زكى و تذر فيها كل كافر غيري؟ قالوا: لا.

قال: فهل فيكم أحد فتح حصن خيبر و شبى بنت مرحب فأدأها إلى رسول الله غيري؟ قالوا: لا، قال: فهل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ترد على الحوض أنت و شيعتك رؤاه مرويين مبيضة وجوههم و يرد على عدوك ظمأ مظمئين مقمحين (٣) مسودة وجوههم غيري؟ قالوا: لا.

ثم قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: أما إذا أقررتهم على أنفسكم واستبان لكم ذلك

١- سرحت فلانا الى موضع كذا ارسلته، م

٢- قال تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهله، منه

٣- في حديث على «ع» قال له النبي «ص» ستقدم على الله انت و شيعتك راضين ومرضيين و يقدم عليك عدوك غضابا مقمحين ثم جمع يده الى عنقه يراهم كيف الاقحاق رفع الراس وعض البصر يقال ادمعه الفل اذا ترك راسه مرفوعا من سيفه و مسه قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اهلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون نهايه

من قول نبيكم فعليكم بتقوى الله وحده لا شريك له ، و أنهاكم من سخطه و غضبه ولا تعصوا أمره ، وردوا الحق إلى أهله و اتبعوا سنة نبيكم فانكم إن خالفتم خالفتم الله ، فادفعوها إلى من هو أهله وهي له ، قال : فتغامزوا فيما بينهم و تشاوروا و قالوا : قد عرفنا فضله و علمنا أنه أحق الناس بها ، ولكنه رجل لا يفضل أحداً على أحد ، فان و ليموها إياه جعلكم و جميع الناس فيها شرعاً سواء ، ولكن ولوها عثمان فإنه يهوى الذي تهوون فدفعوها إليه .

الترجمة

تا هنگامی که در گذشت عمر براه خود و جان بمالکان دوزخ سپرد گردانید خلافترا در شش نفر گمان نمود که من یکی از ایشانم ، پس خداوند بفریاد من برس از برای شوری ، چگونه شك عارض شد بمردم در شأن من با اول ایشان که ابوبکر بود تا این که گشتم مقرون به امثال این اشخاص ، دلکن بجهت اقتضاء مصلحت مدارا کردم من با ایشان و نزدیک شدم بزمین در طیران هنگامی که ایشان نزدیک شدند ، و طیران کردم وقتی که ایشان طیران کردند ، پس میل کرد یکی از ایشان از من بجهت حقد و حسد که آن سعدوقاص بود یا طلحه ، و میل کرد دیگری از آن‌ها بسوی قرابت زن خود و آن عبدالرحمن بن عوف بود که میل نمود بعثمان بجهت آنکه برادر زن او بود ، و تنها میل آن بسوی او بجهت مصاهرت و قرابت نبود بلکه با شیء قبیح و شیء قبیح که آن بغض و عداوت امیرالمؤمنین علیه السلام بود ، یا طمع در وصول خلافت باو بعد از انقضاء ایام عثمان یا سایر اغراض نفسانیه که اظهار آن قبیح و ذکر آن مستهجن است .

الفصل الرابع

إِلَىٰ أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنِيهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُتَّفَقِهِ ، وَقَامَ مَعَهُ
بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ تَعَالَىٰ حِضْمَ الْأَبْلِ نَبْتَةَ الرَّيِّعِ ، إِلَىٰ أَنْ أَنْتَكَّتْ

عَلَيْهِ فَتْلُهُ ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ ، وَكَبَّتْ بِهِ بَطْنَتُهُ .

اللغة

(التفج) بالجيم الرفع يقال نفع الندى الثوب أى رفعه و(الحضن) الجنب وما بين الابط والكشح يقال للمتكبر جاء نافجاً حضنيه ولمن امتلاء بطنه من الأكل جاء نافجاً حضنيه ، والأنسب في المقام الثاني تشبيهاً بالمعير المنتفج الجبين من كثرة الأكل و(النيل) الروث وفي رواية الصدوق بين نيله كذا وهو بالكسر وعاء القضيبة أو نفسه و(المعتلف) موضع الاعتلاف وهو أكل الدابة العلف و(الخضم) الأكل بجميع الفم ويقال له القضم وهو الأكل باطراف الأسنان ، يقال خضم الشيء كعلم و ضرب أكله بجميع فمه ، وعن النهاية الخضم الأكل بأقصى الأضراس ، والقضم بأدناها.

ومن حديث أبي ذر (ره) وتأكلون خضماً وتأكل قضمأ ، وقيل : الخضم خاص بالشيء الرطب ، والقضم باليابس و(النبتة) بكسر النون النبتات يقال : نبت الرطب نباتاً وأنبته و(النكت) النقص يقال : نكت فلان المهد والحبل فانتكت نفضه فانتقض و(قتل) الحبل لواه وبرمه و(الاجهاز) إتمام قتل الجريح و إسرعه و(كبا) الفرس يكبو سقط على وجهه وكبابه أسقطه و(البطنة) بالكسر الكظلة وهو الاعتلاء من الطعام والإسراف في الأكل.

الاعراب

بين نيله ومعتلفه متعلق بقام أى قام بين رونه ومعتلف ، و جملة يخضمون منصوب المحل على الحالية .

المعنى

لما ذكر ~~في~~ خلافة الثاني ونبه على جملة الخلافة شورى بين الستة وأشار الى عدول بعض هؤلاء عن منهج الصواب ، أنبئه بما ترتب على ذلك وهو خلافة الثالث بقوله : (إلى أن قام ثالث القوم) والمراد بالقيام الحركة في تولي أمر الخلافة ،

و ثالث القوم هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ، و كان أبوه عفان ممن يضرب بالدَّف و يتخذنث به و يلعب ، رواه العلامة في كشف الحقّ و مؤلف كتاب إلزام التّواصب عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي هذا .

و أثبت عليه السلام له حالا يستلزم تشبيهه بالبعير واستمرار له صفته بقوله : (نافجا حضنيه) أى نافجا جنبيه و رافعا ما بين إبطه و كسحه من كثرة الأكل والشرب كالبعير المنتفج الجنين (بين نيله و معتله) أى قام بالأمر و كان حركته بين رونه و معتله يعنى لم يكن همته إلاّ الأكل والرّجيع كالبهائم التي لا اهتمام لها إلاّ بالأكل والرّوث قال الشارح المعتزلي : وهذا من أمضّ الذّمّ وأشدّ من قول الحطية الذي قيل إنّه أهجى بيت للعرب :

دع المكارم لاترحل لبغيتها و اقعذ فانك انت الطاعم الكاسي

هذا والمعنى على رواية الصدوق أنّ قيامه كان بين منكحه و مطعمه وبالجملة فالمقصود أنّ همته لم يكن إلاّ بطنه و فرجه و الترفه بالمال و اصلاح مصالح نفسه و أعمال دواعي خاطره من دون أن يكون له قيام بمصالح المسلمين و توجهه إلى اصلاح امور الخلافة و مراعاة لوازم الولاية (و قام معه بنو أبيه) أراد بهم بني امية فانهم قاموا معه حالكونهم (يخضمون مال الله) و يأكلونه بأقصى أضراسهم .

و هو كناية عن كثرة توسّعهم بمال المسلمين و شدة أكلهم من بيت المال من غير مبالاة لهم فيه (كخضم الابل) و أكلها بجميع فمها (نبته الربيع) و نباته ، و وجه الشبّه أنّ الابل لما كانت تستلذّ نبت الربيع بشهوة صادقة و تملأ منه أحناكها و ذلك لمجيئه عقيب يبس الأرض و طول مدّة الشتاء ، كان ما أكله أقارب عثمان من بيت المال مشبهاً بذلك ، لاستلذاذهم به و انتفاعهم منه بعد طول فقرهم ، و امتداد ضرّهم ، و ذلك الكلام منه عليه السلام خارج معرض التوبيخ والذّمّ إشارة إلى ارتكابه معهم مناهي الله المستلزم لعدم قابليته للخلافة و استعداده للإمامة .

قال الشارح المعتزلي: وصحت فيه فإسرة عمر فإنه أوطأ بني أمية رقاب الناس وولاهم الولايات و أقطمهم القطايع و افتتحت ادمينية في أيامه فأخذ الغمس كله فوهبه لمروان ، و طلب إليه عبدالله بن خلد بن اسيد صلة فأعطاه أربعمائة ألف درهم ، و أعاد الحكم بن أبي العاص بعد ان رسول الله ﷺ قد سيره ثم لم يرد أبو بكر ولا عمر و أعطاه مائة ألف درهم ، و تصدق رسول الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهروز على المسلمين فأقطعها عثمان الحرث بن الحكم أخا مروان ابن حكم، و أقطع مروان فذك وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفات أبيها صلوات الله عليه تارة بالميراث و تارة بالنحلة فدفعت عنها ، و حمى المرعي حول المدينة كلها عن مواشي المسلمين كلهم إلا عن بني أمية .

و أعطى عبدالله بن ابي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح افرقيمة بالمغرب وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين .
و أعطى أباسفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال ، و قد كان زوجته ابنته أم أبان فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان و بكى ، فقال عثمان: أتبكي ان وصلت رحمي ؟ قال : لا ، ولكن أبكي لأنني أظنك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله ﷺ و الله أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً فقال : ألق المفاتيح فانا سنجد غيرك ، و أتاه أبو موسى بأموال من العراق جلييلة فقسّمها كلها في بني أمية ، و أنكح الحرث بن الحكم ابنته عايشة فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنة انتهى .

و قال السيد المرتضى (قده) في محكي الشافعي : روى الواقدي باسناده عن المسود بن عنبسة قال : سمعت عثمان يقول : إن أبابكر و عمر كانا بنا و لان في هذا المال طلاق انفسهما و ذوى ارحامهما و إنني ناولت فيه صلة رحمي ، و روى إنه كان بحضرته زياد بن عبيد مولى الحرث بن كلدة الشامي وقد بعث إليه أبو موسى بمال عظيم من البصرة فجعل عثمان يقسمه بين ولده و اهله بالصحاف ، فبكي زياد فقال: لا تبك

فان عمر كان يمنع اهله و ذوي قرابته ابتغاء وجه الله ، و انا اعطي ولدي و أهلي و قرابتي ابتغاء وجه الله .

وقد روى هذا المعنى عنه من عدة طرق بألفاظ مختلفة ، و روى الواقدي ايضا قال قدمت ابل من ابل الصدقة على عثمان فوهبها للحريث بن الحكم بن أبي العاص ، و روى أيضاً أنه ولى الحكم بن ابي العاص صدقات قضاء فبلغت ثلاثمائة ألف فوهبها له حين أتاه بها . و روى ابو مخنف و الواقدي ان الناس انكروا على عثمان اعطاه سعد بن العاص مائة ألف و كلمه علي بن أبي طالب و الزبير و طلحة و سعد و عبدالرحمن في ذلك فقال : إن له قرابة ورحماً ، قالوا : وما كان لأبي بكر و عمر قرابة و ذو رحم؟ فقال : إن أبا بكر و عمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما و أنا احتسب في اعطاء قرابتي ، قالوا فهديهما والله احب اليانا من هديك .

و روى ابو مخنف إن عبدالله بن خالد بن اسيد بن ابي العاص بن امية قدم على عثمان من مكة و معه ناس فأمر لعبدالله بثلاثمائة الف و لكل واحد من القوم بمائة الف و صك بذلك على عبدالله بن الأرقم و كان خازن بيت المال فاستكره و رد الصك به ، و يقال : إنه سأل عثمان ان يكتب عليه بذلك كتاباً فأبى و امتنع ابن الأرقم ان يدفع المال إلى القوم ، فقال له عثمان : إنما انت خازن لنا فما حملك على ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم : كنت اراني خازن المسلمين وإنما خازنك غلامك والله لا آل لك بيت المال ابداً ، و جاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر و يقال بل القاهها إلى عثمان فدفعها إلى نائل مولاه .

و روى الواقدي ان عثمان أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت مال المسلمين إلى عبدالله بن الأرقم في عقيب هذا الفعل ثلاثمائة ألف درهم ، فلما دخل بها عليه قال له : يا أبا محمد إن أمير المؤمنين أرسل إليك يقول قد شغلناك عن التجارة و لك رحم أهل حاجة ففرق هذا المال فيهم و استعن به على عيالك ، فقال عبدالله بن الأرقم مالي إليه حاجة و ما عملت لأن يشينني عثمان والله إن كان هذا من بيت مال المسلمين ما بلغ قدر عملي أن اعطي ثلثمائة ألف ، و لكن كان مال عثمان فما لي إليه حاجة .

والحاصل أنه قد كان يصرف مال الله على نفسه و على أقاربه و أصحابه، وكان مستمرّاً في إتلاف بيت مال المسلمين مستتبداً برأيه في ذلك.

و انضم إليه أمور أخرى من تسيير أبي ذر إلى ربذة ، و ضرب عبدالله بن مسعود حتى كسر أضلعه ، و ما أظهر من المحجاب ، و العدول عن جادة الشريعة في إقامة الحدود و ردّ المظالم و كفّ الأيدي العادية و الانتصاب لسياسة الرعيّة .

(إلى أن ضاق له المخرج و عمى المصدر و انجرّ الأمر إلى اجتماع أهل المدينة عليه مع جماعة من أهل مصر (فاتكث) أي انتقض (عليه قتله) أي برم حبله وهو كناية عن انتفاض تدايره المبرمة و رجوعها إليه بالفساد و تأديتها إلى الهلاك (و اجهز عليه) أي أسرع إليه بالقتل بعد كونه مجروحاً (عمله) أي أعماله الشنيعة و أفعاله القبيحة التي صارت سبباً لقتله ففي الاسناد توسّع (و كبت به) أي أسقطته على وجهه (بطنته) و إسرافه في الشبّع كالجواد الذي يكبومن كثرة الأكل و الامتلاء و الكظة ، و هذه كلها إشارة إلى تآدي حركاته الشنيعة إلى سوء الخاتمة.

و قد قتل و انتقل إلى الحامية في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة من سنة خمس و ثلاثين من الهجرة ، و ذلك بعد ما غضب الخلافة اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً ، و قيل إحدى عشرة سنة و أحد عشر شهراً و أربعة عشر يوماً ، و قيل ثمانية عشر يوماً، و قد كان بعد قتله مطروحاً في خندق اليهود إلى ثلاثة أيام لا يستحل أحد دفنه و لا يقدم أحد على ذلك خوفاً من المهاجرين و الأنصار حتى نهى بنو أمية و دفنوه ، و قيل: كان مطروحاً في مزبلة اليهود ثلاثة أيام حتى أكلت الكلاب إحدى رجله فاستأذنوا علياً عليه السلام فأذن في دفنه و دفن في حش كركب وهي مقبرة كانت لليهود بالمدينة، فلمّا ولى معاوية وصلها بمقابر أهل الاسلام و يأتي تفصيل الكلام في كيفية قتله في شرح الكلام الثلاثين إنشأه الله هذا .

و العجب أن الشراح المعتزلي بعد ذكره ما حكينا عنه سابقاً في ذيل قوله عليه السلام : يخضمون مال الله اه ، قال : وقد أجاب أصحابنا عن المطاعن في عثمان بأجوبة

مشهورة في كتبهم والذي نقول نحن: إنها وإن كانت احدانا إلا أنها لم تبلغ المبلغ الذي يستباح به دمه وقد كان الواجب عليهم أن يخلعوه من الخلافة حيث لم يستصلحوه لها ولا يعجلوا بقتله.

أقول: وهذا الكلام منه صريح في عدم قابليته للخلافة ومع ذلك لا يكاد ينقض عجيبي منه كيف يجعله ثالث الخلفاء، ويعتقد بخلافته؟ وما ذلك إلا من أجل أنهم ألقوا آبائهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون.

الترجمة

تا آنکه ایستاد و متولی خلافت گردید سوم قوم که عثمان بن عفان علیه النیران بود در حالتی که باد کننده بود هر دو جانب خود را از کثرت کبر و غرور یا از زیادتى اکل و شرب، ایستاد او در میان سرکین یا در میان ذکر خود و موضع علف آن، یعنی همت او مصروف بخوردن و آشامیدن و سرکین انداختن بود مثل بهائم، و ایستادند با او فرزندان پدر او یعنی بنی امیه در حالتیکه میخوردند با جمیع دهان خودشان مال خدارا با لذت و رفاهیت مثل خوردن شتر بهمه دهان خود علف بهار را، و مستمر بودند بر این حالت تا اینکه باز شد تاب ریسمان تاییده او و بکشتن شتاب نمود بعد از جراحت بسیار کردار ناپسندیده او و برویش افکند کثرت اکل و شدت امتلاء او.

الفصل الخامس

فَمَارَاعِنِي إِلَّا وَالنَّاسُ إِلَيَّ كَعُرْفِ الضَّبِّ يَنْتَالُونَ عَلَيَّ حَتَّى لَقَدْ وُطِيَ الْحَسَنَانِ ، وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِضَةِ الْغَنَمِ ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَتَتْ طَائِفَةٌ ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى ، وَفَسَقَ آخَرُونَ ، كَأَنَّهِمْ لَمْ يَسْمُوا اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْمَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » ، بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا

وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُ «لَكِنَّهُمْ خ» حَايَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَأَقَهُمْ زَبْرُجُهَا.

اللغة

(راعني) الشّيء روعاً من باب قال أفزعني و روعني مثله وراعني جماله أعجبنى، وفي شرح المقامات عن الأزهري ما راعني إلاً بمجيبك اي ما شعرت إلاً بمجيبك كأنه قال : ما أصاب روعى إلاً لذلك ، و هذا كلام يستعمل في مفاجأة الأمر الأتري أنه يعاقب إذا المفاجأة تقول : خرجنا فاذاً زيد بالباب و خرجت فما راعني إلاً فلان بالباب و (عرف) الدابة شعر عنقها و عرف الضبع يضرب به المثل في الأزدحام و (التّول) صب ما في الاناء و انثال انصب و انثال عليه القول تتابع و كثر فلم يدر بأية بيده .

و قال المطرزي في شرح المقامات للحريري : الانثيال الاجتماع و الانصباب انفعال من التّول و هو جماعة النّحل و من قولهم : نوبلة من النّاس ، أى جماعة من بيوت متفرقة يقال : منه انثالوا عليه و ثولوا أى اجتمعوا و انثال التّراب انصب و منه انثال عليه النّاس من كلّ وجه أى انصبوا انتهى ، و (عطف) الشّيء جانبه و العطفان الجانبان .

و في بعض النسخ و شقّ عطا في وهو بالكسر الرّداء و هو أنسب و (الرّبيض و الرّبيضة) الغنم برعاتها المجتمعة في مرابضها (١) و (النكث) النّقض و (المروق) الخروج يقال مرق السّهم من الرمية مروفاً من باب قعد خرج منه من غير مدخله و منه قيل : مرق من الدّين أيضاً إذا خرج منه و (فسق) الرّجل فجرو في بعض النسخ قسط و هو من باب ضرب جار و عدل من الاضداد والمراد به هنا الأوّل و (وعى) الحديث و عياً من باب وعد حفظه و (حلى) الشّيء بعيني و بصدرى يعلى من باب تعب حسن عندى و أعجبنى و (راقني) الشّيء أعجبنى و (الزّبرج) الزّينة و الذّهب .

الاعراب

فاعل راغني محذوف مدلول عليه بالفعل ، و جملة والناس إلى حالبة مبنية لهيئة المفعول و مفسرة للمستنى المحذوف، وإلى متعلق بمحذوف تقديره والناس رسل إلى وقد صرح به في رواية الاحتجاج ، و كون الجملة مفسرة للمحذوف نظير قوله تعالى:

« ثُمَّ بَدَأَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجْنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ » .

قال الزمخشري في الكشاف: فاعل بدا مضمرة لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجنته والمعنى بداهم بداء أى ظهر لهم رأى ليسجنته اه، وتقدير كلام الامام عليه السلام على ما ذكرنا: ما راغني رابع إلا حالة أعني كون الناس رسلا إلى والرسل بفتح الحين القطيع من الابل والجمع إرسال مثل سبب و أسباب وبشبهه به الناس فيقال: جاءوا أرسالا أى جماعات متتابعين ، وجملة ينشالون إما خبر بعد خبر للناس ، أو حال بعد حال و مجتمعين حال من فاعل ينشالون .

المعنى

اعلم انه عليه السلام لما ذكر خلافة المتخلفين الثلاثة و بين حال أيام خلافتهم وأشار إلى ما ابتلى به الناس في تلك الأيام ، شرع في بيان كيفية انتقال الأمر إليه عليه السلام ظاهراً كما كان له باطنا و كان ذلك في شهر ذى الحجة يوم الجمعة بعد ماضى من الهجرة خمس وثلاثون سنة فقال عليه السلام (فما راغني) رابع (إلا) حالة (و) هو كون (الناس) متتابعين (إلى) متزاحمين (كحرف الضبع ينشالون على) يتتابعون ويكثرون القول (من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان) الحسن والحسين صلوات الله عليهما من شدة الازدحام .

و عن المرتضى (قده) ان أبا عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب روى في قوله عليه السلام وطئ الحسنان أنهما الإبهامان « وانشد للشنفر مضمومة (١) الكشحي خرماء

الحسن وكذا، وروى ان أمير المؤمنين عليه السلام إنما كان يومئذ جالساً محتبياً وهي جلسة رسول الله صلى الله عليه وآله المسماة بالقر فصآء وهي جمع الركبتين وجمع الذيل ، فلما اجتمعوا لبيابعمه زاحموه حتى وطئوا ابهاميه و شقوا ذيله بالوطى ولم يعن الحسن والحسين عليهما السلام وهما رجلان كساير الحاضرين .

و كيف كان فالمقصود بهذه الجملة الاشارة إلى كثرة تراحم الناس عليه عليه السلام وقد أكده ثانياً بقوله: (وشق عطفای) أراد بشق عطفه خدش جانبيه لشدة الاصطكاك منهم والزرحام ، أو شق جانبي قميصه بعلاقة المجاورة ، أو جانبي ردايه ، و يؤيده الرواية الاخرى أعني شق عطا في كما في بعض النسخ هذا.

وشقهم عطفه عليهم السلام أو عطافه إما لكثرة فرحمهم به عليهم السلام ، أو جر يا علي ماهو عادتهم من قلة مراعاة شرايط التوقير والأدب في المعاشرات والمخاطبات (مجتمعين حولي كرياضة الغنم) المجتمعة في مرابضها (فلما نهضت بالأمر) وقمت به بعد مضي السنين المتطاولة (نكثت طايفة) و نقضت بيعتها ، والمراد بها أصحاب الجمل وقد كان عليه السلام يتلو وقت مبايعتهم :

« وَ مَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ » .

(ومرقت) طايفة (اخرى) أى خرجت من الدين كمروني السهم من الرمية، والمراد بها أصحاب النهروان (و فسق آخرون) بخروجهم على الامام العادل و تعدد بهم عن سنن الحق ، وهم معاوية و أتباعه، و في بعض النسخ و قسط آخرون أى جادوا في حق أمير المؤمنين وظلموا آل محمد عليهم السلام حقهم ، وتسميتهم بالقاسطين كتسمية الأولين بالناكثين والمارقين مما سبقت من النبي صلى الله عليه وآله عند إخباره عليه السلام بالملاحم والوقايح التي تكون بعده صلوات الله عليه.

روى في غاية المرام من أمالي الشيخ باسناده عن المفضل بن عمر عن أبي عبدالله الصادق عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال : بلغنا سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله أن مولى لها ينتقص علياً عليه السلام و يتناوله ، فأرسلت إليه فلما صار إليها قالت له:

يا بنى بلغني أنك تنقص علياً و تناوله؟ قال: نعم يا أمّاه، قالت له: أقدنكلك أمك حتى أحدنك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، ثم أختر لنفسك.

إننا كنا عند رسول الله ﷺ ليلة تسع نسوة وكانت ليلتي و يومي من رسول الله ﷺ فأبيت الباب فقلت: أدخل يا رسول الله؟ قال: لا، فكبوت كبوة شديدة مخافة أن يكون ردني من سخطه أو نزل في شيء من السماء .

ثم البت «كذا» حتى أتيت الباب الثاني فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: لا، فكبوت كبوة أشد من الأولى ثم البت «كذا» حتى أتيت الباب الثالث فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: ادخلي يا أم سلمة فدخلت و علي عليه السلام جالس بين يديه وهو يقول: فذاك أبي و أمي يا رسول الله إذا كان كذا و كذا فما تأمرني؟ قال: أمرك بالصبر، ثم أعاد عليه القول ثانية فأمره بالصبر، فأعاد عليه القول الثالثة فقال له: يا علي يا أخي إذا كان ذلك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك و اضرب قدماً قدماً حتى تلتقاني وسيفك شاهر يقطر من دماهم.

ثم التفت عليه السلام إلى فقال لي تالله ما هذه الكأبة يا أم سلمة؟ قلت: الذي كان من ردك إياي يا رسول الله، فقال لي: والله ما رددتك من موجدة و إنك لعلي خير من الله و رسوله، ولكن أتيتني و جبرائيل يخبرني بالأحداث التي تكون بعدي فأمرني أن اوصي بذلك علياً.

يا أم سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا و أخي في الآخرة.

يا أم سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا و حامل لواء الحمد، غداً في القيامة.

يا أم سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب وصيبي و خليفتي من بعدي و قاضي عداتي و الذائد عن حوضي .

يا أم سلمة اسمعي و اشهدي هذا علي بن أبي طالب سيّد المسلمين و إمام

المتقين وقائد الفرّ المحجلين وقاتل النّسّاكين والقاسطين والمارقين ، قلت :
يا رسول الله من النّسّاكون؟ قال : الذين يبايعونه بالمدينة و ينكثون بالبصرة؛ قلت :
من القاسطون؟ قال : معاوية وأصحابه من أهل الشّام ، قلت : من المارقون؟ قال :
أصحاب النهروان ، فقال مولى أم سلمة فرّجت عني فرّج الله عنك والله لاسببت علياً
أبداً ، هذا .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة يأتي في مواقعها إنشاء الله ، ثم انه عليه السلام شدّد
النكير على الجماعة في مخالفتهم له وإعراضهم عنه بقوله : (كانتم لم يسمعوا الله تعالى
يقول : تلك الدّار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة
للمتقين) لما كانت الآية دالة على كون استحقاق الآخرة معلقاً على عدم إرادة العلوّ
والفساد كان اللّازم على من سمعها وتدبر فيها إن كان ذاعقل أن لا يريدهما، وهؤلاء
الجماعة لما علوا في الأرض وأفسدوا فيها وخالقوا الامام العادل و تركوا متابعتة
لاجرم شبههم بمن لم يسمعها لما ذكرنا من أن لازمة السّماع ترك إرادتهما.

ثم دفع توهم الاعتذار عنهم بعدم السّماع لواعترافه بقوله: (بلى والله لقد سمعوها
ووعوها) مؤكداً بالقسم واللام و كلمة التّحقيق ، ثم استدرك ذلك بالاهارة إلى
سرّ عدم حصول ثمرة السّماع بعد حصول نفسه بقوله : (ولكنّهم حلّيت الدنيا في
أعينهم وراقهم زبرجها) فكان ذلك هو المانع عن ترتب ثمرة السّماع عليه و الباعث
على إعراضهم عن الدّار الآخرة والسّبب لاشترائهم الضّلالة بالهدى و السّميم في
الأرض بالعلوّ والفساد .

و حاصل الكلام أن سماع الآية مقتضى لعدم إرادة العلوّ والفساد و يترتب
عليه مقتضاه لولم يصادف وجود المانع ، وأمّا مع المصادفة له كما في حق هؤلاء
الجماعة حيث افتتنوا بالدّنيا وأعجبهم ذهبها وزينتها فيبقى المقتضى على اقتضائه
ولا يترتب عليه آثاره هذا.

والضمائر الأربعة في قوله : ولكنّهم ، ولم يسمعوا ، وسمعوا ، ووعوا ، إمّا

راجعة إلى الطوائف الثلاث : الناكثين والمارقين والقاسطين و هو الأقرب لفظاً والانسب معنى والأظهر لمن تدبر ، أو إلى الخلفاء الثلاثة على ما استظهره المحدث المجلسي (قده) معملاً بأن الغرض من الخطبة ذكرهم لالطوائف ، و بأنه المناسب لما بعد الآية لاسيما في سماعها، ووعوها ، ضمير الجمع .

بقي الكلام في معنى الآية الشريفة و بعض ما تضمنها من النكات واللطائف فأقول : المشار إليها في الآية هي الجنة ، والاشارة إلى التعظيم والتفخيم ، يعني تلك التي سمعت بذكرها و بلغك وصفها ، والمراد بالعلو في الأرض هو التجبر والتكبر على عبادة الله والاستكبار عن عبادة الله ، و بالفساد الدعاء إلى عبادة غير الله أو أخذ المال و قتل النفس بغير حق أو العمل بالمعاصي.

روى في مجمع البيان عن زاوان (١) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو دالٌ يرشد الضال و يعين الضعيف و يمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن و يقرء : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، و يقول : نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة و أهل القدرة من ساير الناس .

و في غاية المرام عن أبي الحسن الفقيه ابن المغازلي الشافعي في مناقبه باسناده عن زاوان (١) أيضاً قال : رأيت علياً عليه السلام يمسك الشسوع بيده ثم يمر في الأسواق فيناول الرجل الشسوع و يرشد الضال و يعين الحمال على الحمولة و يقرء هذه الآية : تلك الدار الآخرة الآية ، ثم يقول : هذه الآية نزلت في الولاة و ذوي القدرة من الناس . و في مجمع البيان عن أبي سلام الأعرج عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : إن الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل في هذه الآية ، و قريب منه ما في الكشاف ، قال الطبرسي : يعني إن من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن يريد علواً في الأرض و قيل : إن الآية لما كانت بعد قصة قارون و قبل قصة فرعون ، كان العلو إشارة

١- كذا في النسخة في المفاهيم والمصحيح «زاوان» بالزاء، والذال المعجنتين كان من خواص أمير المؤمنين «ع» وكان حافظاً للقرآن بأعرابه و هزه بعد ما تكلم على «ع» بكلام في اذنه ، و نقل في فيه « المصحح » .

إلى كفر فوعون لقوله تعالى:

«عَلَا فِي الْأَرْضِ» والفساد إلى بنى قارون لقوله: «وَلَا تَبْسُجُ الْفَسَادَ

فِي الْأَرْضِ» .

ففي كلام الامام عليه السلام يحتمل كون الأول إشارة إلى الأولين والثاني إلى الثالث أو الجميع اليهم جميعاً ، و على ما استظهرناه فالأظهر كون الأول إشارة إلى طلحة وزبير و أتباعهما و معادية و أصحابه والثاني إلى أصحاب النهردان ، و يحتمل الإشارة فيهما إلى جميعهم هذا.

و بقي هنا شيء و هو أنه سبحانه لم يعلق الموعد في الآية الشريفة بترك العلو و الفساد لكن بترك إرادتهما و ميل القلوب إليهما كما علق الوعيد بالركون في قوله :

«وَلَا تَزْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» .

فيدل على قبح إرادة السوء و كونها معصية و يستفاد ذلك أيضاً من قوله سبحانه:

«وَالَّذِينَ يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»

وقوله : «إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ» .

و هو المستفاد من الأخبار المستفيضة مثل قوله عليه السلام : إنما يحشر الناس على نياتهم ، وقوله عليه السلام : نية الكافر شر من عمله ، و ماورد من تعليل خلود أهل النار فيها و أهل الجنة في الجنة بعزم كل منهما على الثبات على ما كانوا عليه من المعصية والطاعة لو كانوا مخلصين في الدنيا إلى غير هذه مما رواها المحدث الشيخ الحرّ في أدبيل الوسائل ، و إلى ذلك ذهب جمع من الأصحاب منهم العلامة و ابن إدريس و صاحب المدارك و شيخنا البهائي و المحقق الطوسي في التجريد ، إلا أن المستفاد من الأخبار الأخر هو العفو عن نية السوء و أنها لا تكتبوهي كثيرة أيضاً رواها في الوسائل ، و هو مذهب شيخنا الشهيد في القواعد ، قال في محكي كلامه:

لا يؤثر نية المعصية عقابا ولا ذماما لم يتلبس بها و هو مما ثبت في الأخبار العفو عنه انتهى .

وقد جمع شيخنا العلامة الأنصاري طاب رمسه بينهما بحمل الأدلة الأولى على من اشتغل بعد القصد ببعض المقدمات ، والثانية على من اكتفى بمجرد القصد أو حمل الأول على من بقي على قصده حتى عجز عن الفعل لا باختياره ، وحمل الآخر على من ارتدع عن قصده بنفسه .

وربما يجمع بينها بحمل أخبار العفو على نية المسلم وأخبار العقوبة على نية الكافر ، أو حمل النفي على عقوبة الآخرة والاثبات على عقوبة الدنيا ، أو حمل النفي على فعلية العقاب والاثبات على الاستحقاق ، أو حمل النفي على عقوبة السيئة التي هم بها فلا يكون عقوبة القصد كعقوبة العمل و حمل أخبار العقوبة على ثبوتها في الجملة ، إلى غير هذه من المحامل مما لا يخفى على الفطن العارف ، والله العالم بحقائق أحكامه

الترجمة

پس تعجب نیاورد مرا تعجب آورنده مگر حالت بیای آمدن مردم بسوی من بجهت عقد بیعت مثل بال گفتار در حالتیکه تراحم میگردند بر من از هر طرف حتی این که بتحقیق پایمال گردانیده شدند حسن و حسین علیهم السلام و شکافته شد دو طرف پیراهن من یا عبای من از کثرت ازدحام در حالتیکه مجتمع بودند گردا گرد من مثل گله گوسفند ، پس زمانیکه برخاستم بامر خلافت شکستند طایفه عهد بیعت مرا ، و خارج شدند طایفه دیگر از جاده شریعت مثل خروج تیر از کمان ، و فاسق شدند طایفه سیم گویا نشنیده اند آنها خداوند تعالی را که میفرماید در قرآن مجید خود ، که این دار آخرت است میگردانیم آن را بجهت کسانی که اراده نمیکنند بلندی را در زمین و نه فساد و فتنه را و عاقبت بخیر متقین و پرهیزکاران راست ، بلی بخدا قسم که بیقین شنیده اند این آیه را و حفظ کرده اند آنرا دلکن زینت داده شده است دنیا در نظر آن ها و تعجب آورده است زینت و زر دنیای فانی ایشان را .

الفصل السادس

أما والذي فَاقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ التَّسَمَةَ لَوْلَا حُضُورُ الحَاضِرِ ، وَقِيَامُ
 الحَبَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ، وَمَا أَخَذَ اللهُ تَعَالَى العَمَاءَ أَنْ لَا يُقَارُوا عَلَى كِطْطَةِ
 ظَالِمٍ ، وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِهَا ، وَكَسَقَيْتُ آخِرَهَا
 بِكَأْسِ أَوْلِيهَا ، وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنزٍ .

اللغة

(الفلق) الشق قال تعالى: فالق الحب والنوى (وبره) أى خلق قيل: وقلمما يستعمل
 في غير الانسان و(النسمة) محرّكة الانسان أو النفس والروح، وقد يستعمل فيما عدل الانسان
 و(قارمه) مقاراة قرمه و قيل إقرار كل واحد صاحبه على الأمر و تراعيهما به
 و(الكططة) ما يعترى الانسان من الامتلاء من الطعام و(السغب) بالتحريك الجوع
 و(الغارب) أعلى كتف الناقة و(الزهد) خلاف الرغبة والزهد القليل و(العفطة)
 قال ابن الأثير: الضرطة ، وقال الشراح المعتزلي : عفطة عنز ما تنثره من أنفها
 وأكثر ما يستعمل ذلك في النعجة ، فأما العنز فالمستعمل الأشهر فيها النقطه بالنون
 و يقولون : ماله عافط ولا نافط أى نعجة ولا عنز، ثم قال :

فان قيل أيجوز أن يقال العفطة هنا الحبة (١) فان ذلك يقال في العنز خاصة
 عفطت (٢) تعفط .

قيل ذلك جازيماً إلا أن الأحسن والأليق بكلام أمير المؤمنين عليه السلام التفسير
 الأول ، فان جلالاته وسودده يقتضي أن يكون ذلك أراد لا الثاني فان صح أنه لا يقال
 في العفطة إلا للنعجة ، قلنا إنه عليه السلام استعمله في العنز مجازاً .

١- الحبة الضرطة ق

٢- أى ضرطت ق

الاعراب

كلمة ما في قوله : و ما أخذ الله مصدريةً والجملة في تأويل المصدر معطوفة على الحضور أو موصولة والمائد محذوف و على الأَوَّل فجملة أن لا يقرأوا في محل النصب مفعولا لاخذ ، وعلى الثاني بيان لما أخذته الله بتقدير حرف جر أو نفس أن تفسيرية على حد قوله تعالى :

« وَتُودُوا أَنْ تَتَكَلَّمُ الْجَنَّةُ » وقوله : « فَأَنْطَلِقَ الْمَلَائِكَةُ أَنْ يَمْشُوا »

على ما ذهب إليه بعضهم ، و يحتمل أن يكون بدلاً أو عطف بيان.

المعنى

لما ذكر عليه السلام حاله مع القوم و حالهم معه من غضب الأَوَّل للخلافة وإدلائه بها بعده إلى الثاني و جعله لها بعده شورى و إقرانه له عليه السلام إلى النظائر المذكورين و إنتهائها إلى ثالث القوم و نبه على خلاف الناكثين والفاستين والمارقين له عليه السلام بعد قبوله الخلافة و نهوضها ، أردف ذلك كله ببيان العذر الحامل له على قبول هذا الأمر بعد عدوله عنه إلى هذه الغاية و قدم على ذلك شاهد صدق على دعواه بتصدير كلامه بالقسم العظيم فقال:

(أما والذي فلق الحبة) أى شقها و أخرج النبات منها بقدرته الكاملة (و بره النسمة) أى خلق الانسان و أنشأه بحكمته التامة الجامعة (لولا حضور الحاضر) للبيعة من الأنصار والمهاجر أو حضور الوقت الذي وقته رسول الله عليه السلام لقيامه بالنواهي والأوامر (و قيام الحجة) عليه عليه السلام (بوجود الناصر) والمعين (و لولا (ما أخذ) . (الله على العلماء) أى الأئمة عليهم السلام أو الأعم من (أن لا يقرأوا) ولا يترضوا ولا يسكنوا (على كظظالم) و بطنته (ولا سغب مظلوم) وجوعه و تبعه ، والكظظ كناية عن قوة ظلم الظالم والسغب كناية عن شدة مظلومية المظلوم والمقصود أنه لولا أخذ الله على أئمة العدل و عهده عليهم عدم جواز سكوتهم على المنكرات عند التمكن و القدرة (لأتيت حبلها) أى زمام الخلافة (على غاربها) شبه الخلافة بالناقة التي يتركها راعيها لترعى حيث تشاء ولا يبالي من يأخذها

و ما یصیبا ، و ذکر المغارب و هو ما بین السّنام و العنق تخبیل و إلقاء العجل ترشیح
 (ولسقیمت آخرها بکاس اولها) ای ترکتها آخر اکماتر کتھا أو لا دخلیت الناس یشربون
 من کأس الحیرة و الجھالة بعد عنمان و یعمهون فی سکرتمھم کما شربوا فی زمن الثلاثة
 (ولأفیتم دنیاکم هذه) التي رغبتم فیھا و تمکن حبیھا فی قلوبکم (أزهد عندي)
 و أهون (من عطفة عنز) ای شرطھا أو عطسھا .

الترجمة

آگاه باش ای طالب منہج قویم و سالک صراط مستقیم ، قسم بآن خداوندی
 کہ دانه را شکافت بقدرت کامله و انسان را خلق فرمود بحکمت بالغه ، اگر نمی
 بود حضور حاضرین از برای بیعت و قائم شدن حجت بر من بجهت وجود یاری
 کنندگان و آن چیزی کہ اخذ فرمود آن بپه خداوند بر علماء کہ قرار ندهند با
 یکدیگر و راضی نشوند بر امتلاء ستمکار و نه بر گرسنگی ستم رسیده ، هر آینه
 میبندم افسار خلافت را بر کوهان آن و هر آینه سیراب می کردم آخر خلافت
 را با جام اول آن ، و هر آینه می یافتید دنیای خودتان را کہ بآن مینازید و دین خود
 را کہ در طلب آن مینازید ، بی مقدارتر در نزد من از جیفه بز یا از عطسه آن

الفصل السابع

قالوا: وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ
 مِنْ خَطْبَتِهِ فَنَاقَلَهُ كِتَابًا فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ قَرَائَتِهِ قَالَ
 لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ اطَّرَدَتْ مَقَالَتُكَ مِنْ حَيْثُ
 أُنْفِضَتْ ، فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ ذَلِكَ شِقَاقَةٌ هَدَرَتْ مِنْ قَرْتٍ ،
 قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَسْفَتْ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسْفِي عَلَى هَذَا الْكَلَامِ
 إِلَّا يَكُونُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ بَلَّغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ .

اللغة

(أهل السواد) ساكنو القرى و تسمى القرى سواداً لخصرتها بالزرع والنسب والشجار والعرب تسمى الاخضر أسود و (ناوله) أعطاه و (الاطران) هو الجرى يقال: اطرد الأمر أى تبع بعضه بعضاً و جرى بعضه أثر بعض ، و نهران يطردان أى يجريان و (الافضاء) الانتهاء قال الشارح المعتبري : أصله خروج إلى الفضاء فكأنه شبهه حيث سكت بجاء عما كان يقوله بمن خرج من خباء أو جدار إلى فضاء من الأرض ، و ذلك لأن النفس والقوى والهمة عند ارتجال الخطب والاشعار تجتمع إلى القلب ، فاذا قطع الانسان و فرغ تفردت و خرجت عن حجر الاجتماع و استراحت و (الشقشقة) بالكسر شيء كالرّية يخرج البعير من فيه إذا هاج ، و يقال للخطيب ذو شقشقة تشبيهاً له بالفحل و (هدير) الجمل تردده الصوت في حنجرتة.

الاعراب

كلمة لولا إما للتمني أو الجواب معذوف أى لكان حسناً، والمقالة إمامرفوعة على الفاعلية لو كان اطردت بصيغة المؤنث الغائب من باب الافتعال ، أو منصوبة على المفعولية لو كان بصيغة الخطاب من باب الافعال أو الافتعال أيضاً.

المعنى

(قالوا و قام إليه رجل من أهل السواد) قيل : إنه كان من أهل سوادالعراق عند بلوغه بجاء إلى هذا الموضع من خطبته فنأوله كتاباً) وأعطاه (فأقبل) إليه وكان (ينظر فيه فلما فرغ) بجاء (من قرائته) وأجاب الرجل بما أراد حسب ما نشير إليه (قال له ابن عباس رحمه الله : يا أمير المؤمنين لو اطردت) أى جرت (مقالتك من حيث أفضيت) وانتهيت لكان حسناً (فقال بجاء : هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرأت) وسكنت .

شبهه ، بجاء نفسه بالفحل الهادر فاستعار لخطبته لفظ الشقشقة التي من خواص الفحل قيل : في الكلام إشعار بقلة الاعناء بمثل هذا الكلام إما لعدم التأخير في السامعين كما ينبغي ، أولقطة الاهتمام بأمر الخلافة من حيث إنها سلطنة ، أولالاشعار

بانقضاء مدته ، فإنها كانت في قرب شهادته ، أو لنوع من التسمية أو لغيرها (قال ابن عباس : فوالله ما أسفت على كلام قط كاسفي) و حزني (على هذا الكلام ألا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد)

قال الشارح المعتزلي : حدثني شيخي أبو الخير مصدق بن شيب الواسطي ، قال قرأت على الشيخ أبي محمد عبدالله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة ، فلما انتهيت إلى هذا الموضع قال لي : لوسمعت ابن عباس يقول هذا لقلت له : وهل بقي في نفس ابن عمك أمر لم يبلغه في هذه الخطبة لتأسف أن لا يكون بلغ من كلامه ما أراد ؟ والله ما رجح عن الأولين ولا عن الآخرين ولا بقي في نفسه أحد لم يذكره إلا رسول الله صلى الله عليه وآله .

و بقي الكلام في الكتاب الذي ناوله الرجل فأقول روى الشارح البحراني والمحدث الجزايري وغيره عن أبي الحسن الكندي (ره) أنه قال : وجدت في الكتب القديمة أن الكتاب الذي دفعه الرجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام كان فيه عدة مسائل إحداها ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان آخر و ليس بينهما نسب ؟ فأجاب عليه السلام بأنه يونس عليه السلام خرج من بطن حوت .

الثانية ما الشيء الذي قليله مباح و كثيره حرام ؟ فقال عليه السلام : هو نهر طالوت لقوله تعالى : إلا من اغترف غرفة بيده .

الثالثة ما العبادة التي إن فعلها أحد استحق العقوبة وإن لم يفعلها أيضاً استحق العقوبة ؟ فأجاب عليه السلام بأنها صلاة السكارى .

الرابعة ما الطائر الذي لا فرخ له و لا فرع ولا أصل ؟ فقال عليه السلام : هو طائر عيسى عليه السلام في قوله :

« وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَفْخُ فِيهِ فَيَكُونُ

طَيْرًا بِإِذْنِي » .

الخامسة رجل عليه من الدين ألف درهم وله في كيسه ألف درهم فضمنه ضامن

بألف درهم فحال عليه الحول فالزكاة على أي المالين تجب؟ فقال عليه السلام: إن ضمن الضامن باجازه من عليه الدين فلا يكون عليه، وإن ضمنه من غير إذنه فالزكاة مفروضة في ماله.

السادسة حج جماعة ونزلوا في دار من دورمكة وتركوا فيها ثيابهم واغلق واحد منهم باب الدار وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم إلى الدار فالجزاه على أبيهم يجب؟ فقال عليه السلام: على الذي أغلق الباب ولم يخرجهم ولم يضع لهم ماء السابعة شهد شهادته أربعة على محسن بالزنا فأمرهم الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلاثة الباقيين ووافقهم قوم أجانب في الرجم فرجع من رجمه عن شهادته و المرجوم لم يموت ثم مات فرجع الآخرون عن شهادتهم عليه بعد موته فعلى من يجب ديبته؟ فقال عليه السلام: يجب على من رجمه من المشهود ومن واقفه.

الثامنة شهد شاهدان من اليهود على يهودي أنه أسلم فهل يقبل شهادتهما؟ فقال عليه السلام: لا تقبل شهادتهما لأنهما يجوز أن تغير كلام الله وشهادة الزور.

التاسعة شهد شاهدان من النصارى على نصارى أو مجوسى أو يهودي أنه أسلم؟ فقال عليه السلام: تقبل شهادتهما لقول الله سبحانه:

«وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى» الآية

ومن لا يستكبر عن عبادة الله لا يشهد شهادة الزور.

العاشره قطع إنسان يد آخر فحضر أربعة شهود عند الامام و شهدوا على من قطع يده وأنه زنى وأنه محسن فأراد الامام أن يرحمه فمات قبل الرجم بقطع يده على القاطع دية القاطع أو دية النفس؟ فقال عليه السلام: على من قطع يده دية القاطع حسب ولو شهدوا أنه سرق نصابا لم يجب دية يده على قاطعها، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

الترجمة

راويان گویند برخاست بسوی آنحضرت مردی از اهل سواد کوفه نزد

رسیدن او باینموضع از خطبه خود پس داد او را نوشته پس روی آورد و نظر میفرمود بسوی آن ، پس چون فارغ شد از خواندن آن کتاب عرض کرد خدمت آنحضرت عبدالله بن عباس رحمه الله ای امیر مؤمنان و مقتدای عالمیان اگر جاری میفرمودی کلام بلاغت نظام خود را از آنجا که باقی مانده بود هر آینه خوب بود ، پس آنحضرت فرمود چه و در است آنحالت نسبت باینحالت ای ابن عباس این مانند شقه شتر بود که نزد هیجان نفس و اشتغال آن باصوت و غریدن از دهن بیرون آمد بعد از آن قرار گرفت و ساکن شد ؛ گفت عبدالله بن عباس بخدا قسم که تأسف نخوردم بر هیچ کلامی هرگز در مدت عمر خود چون تأسف خوردن خود بر این کلام که نشد امیر المؤمنین عَلَيْهِ السَّلَامُ برسد از آن کلام بجاییکه اراده کرده بود .

و من خطبة له عليه السلام (بعد مقتل طلحة و الزبير خ)

وهي الخطبة الرابعة

خطب بها امير المؤمنين عليه السلام بعد قتل طلحة و الزبير كما في شرح البحراني و المعتزلي و زاد في الأخير مخاطباً بها لهما و لغيرهما من أمثالهما وفيه أيضاً هذه الكلمات و الأمثال ملتقطة من خطبة طويلة منسوبة إليه قد زاد فيها قوم أشياء حملتهم عليها أهوائهم لا يوافق ألفاظها طريقته عليه السلام في الخطب و لاتناسب فصاحتها فصاحته و لا حاجة إلى ذكرها فهي شهيرة ، وفي البحار قال القطب الراوندي : أخبرنا بهذه جماعة عن جعفر الدريستي عن أبيه محمد بن العباس عن محمد بن علي بن موسى عن محمد بن علي الاسترابادي عن علي بن محمد بن سيار عن أبيه عن الحسن العسكري عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام و هذا ما نظرت بعد إلى تلك الخطبة التقت هذه منها على ما ذكره الشارح المعتزلي ، نعم رواها في كتاب الارشاد للمفيد (ره) بأدنى تغيير و اختلاف ، قال : من كلامه عليه السلام حين قتل طلحة و انتقض أهل البصرة :

بناتسنتم الشرف ، و بنا انفجرتم عن السرار ، و بنا اهتديتم في الظلماء ، و قر سمع لم يفقه الواعية ، كيف يراعي النبأ من أصمته الصيحة ، ربط جنان لم يفارقه

الخفقان ، ما زلت أنتظربكم عواقب الغدر، و أتو سمكم بحلية المغترين ، سترني عنكم جلباب الدين وبصرتكم صدق النية أقمت لكم الحق حيث تعرفون ولا دليل وتحترقون ولا تميهون ، اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان ، عزب فهم امره تخلف عني ، ما شككت في الحق منذ رأيت ، كان بنو يعقوب على المحجة العظمى حتى عقوا آباءهم وباعوا أخاهم ، وبعد الاقرار كانت توبتهم ، وباستغفار أبيهم وأخيهم غفر لهم هذا، وشرح ما ذكره الرضي قدس سره في ضمن فصلين .

الفصل الاول

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّمَاءِ ، وَتَسَنَّمْتُمْ الْعُلْيَاءَ ، وَبَدَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السَّرَارِ ،
وَقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ ، وَكَيْفَ بُرَاعِي النَّبَاةِ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ ، رُبِطَ
جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ ، مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ
بِحَلِيَّةِ الْمُغْتَرِّينَ ، سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ ، وَبَصَرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ .

اللغة

(الظلاماء) كصحراء الظلمة وقد تستعمل و صفاً يقال ليلة ظلماء أي شديدة
الظلمة و (التسنم) هو العلو وأصله ركوب السنم و (العلياء) كصحراء أيضاً السماء
و رأس الجبل و المكان العالي و كل ما علا من شيء و الفعلة العالية المتضمنة للرفعة
والشرف و (انفجرتم) أي دخلتم في الفجر و (السرار) الليلة والليلتان يستتر فيهما
القمر في آخر الشهر و روى أفجرتم قال الشارح المعتزلي : وهو أفصح وأصح لأن
انفعل لا يكون إلا لتطاول فعل نحو كسرته فانكسر و حطمته فانحطم إلا ما شذ من
قولهم : غلقت الباب فانغلق ؛ و أز عجته فانزعج ، وأيضاً فإنه لا يكون إلا حيث
يكون علاج وتأثير نحو انكسروا نحطم ولهذا قالوا : إن قولهم : انعدم خطاه ، وأما
افعل فيجبي لصيرورة الشيء على حال و أمر نحو أغد البعير أي صار ذاغدة وأجرب

الرجل إذا صار ذا إبل جرمي وغير ذلك وأفجرتم أى صرتم ذوي فجر و (الوقر)
تقل في الأذن أو ذهاب السمع كله ، وقد قر كوعد ووجل ومصدره وقر بالسكون
والقياس بالتشريك ووقر كعنى أيضاً وقرها الله يقرها .

و (الواعية) الصراخ والصوت كما في القاموس لا الصارفة كما ذكره الشارح
البحراني والمعتزلي تبعاً للجوهري ، و في القاموس أنه وهم ، وعن الأساس ارتفعت
الواعية أى الصراخ والصوت ، وفي الأقيانوس سمعت واعية القوم أى أصواتهم و (النبأة)
الصوت الخفي و (خفقت) الرأية كحسب خفقا وخفقتا محرّكة اضطربت وتحركت
و (توسم) الشيء تفرسه وتخيّله والمتوسّم الناظر في السمة الدالة وهي العلامة
وتوسم فيه الخير أو الشر أى عرف سمة ذلك و (الجلباب) بفتح الجيم وكسرهما
القميص وفي المصباح ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء وقال ابن فارس : الجلباب
ما يغطي به من ثوب وغيره والجمع الجلابيب .

الاعراب

الباء في قوله **بِإِذَا** بنا للسببية ، و كلمة عن في قوله عن السرار على حقيقتها
الأصلية وهي المجاوزة أى منتقلين عن السرار و متجاوزين له ، وقر بفتح الواو
وضمها على صيغة المعلوم أو المجهول وسمع فاعله على الأول وعلى الثاني الفاعل هو الله .

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة من أفصح كلامه **بِإِذَا** وهي على و جازتها متضمنة
لمطالب شريفة ونكات لطيفة ، ومشملة على مقاصد عالية وإن لاحظتها بعين البصيرة
والاعتبار وجدت كل فقرة منها مفيدة بالاستقلال مطابقة لما اقتضاه المقام والحال
وسيجيء الإشارة إلى بعض ذلك حسب ما ساعدته الوقت والمجال إن شاء الله .
فاقول قوله : (بنا اهتديتم في الظلماء) أى بآل محمد عليهم السلام اهتديتم في ظلمات
الجهل ، والخطاب لأهل البصرة وغيرهم من طلحة وزبير وماير حاضري الوقت وهو
جاد في حق الجميع وفيه إشارة إلى كونهم عليهم السلام سبب هداية الأنام في
الغياهب والظلام ، ولما كان الظلمة عبارة عن عدم الضوء عمّا من شأنه أن يكون

مضيئاً فتقابل النور تقابل العدم للملكة على ما ذهب إليه محققو المتكلمين والفلاسفة، أو عبارة عن كيفية وجودية تقابل التضاد كما ذهب إليه آخرون وهو الأظهر نظراً إلى أنها على الأول لا تكون شيئاً لأنها عدم وكيف ذلك والله سبحانه خالقها، وعلى أي تقدير كان قوله دالاً بالمطابقة على كونهم الهداة إلى سبيل النجاة في المدلهمات والظلمات، وبالالتزام على كونهم نوراً مضيئاً و قمرأ منيراً إذا اهتداه في الظلمة لا يكون إلا بالنور الظاهر في ذاته المظهر لغيره .

أما المدلول المطابقي فقد اشير إليه في غير واحدة من الآيات الكريمة وصرح به في الأخبار البالغة حد التظافر بل التواتر .

منها ما رواه في الكافي باسناده عن عبدالله بن سنان قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل :

« وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ »

قال : هم الأئمة صلوات الله عليهم .

ومنها ما في تفسير علي بن إبراهيم في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى :

« أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى

فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ »

فأما من يهدي إلى الحق فهو محمد صلى الله عليه و آل محمد عليهم السلام من بعده ، وأما من لا يهدي إلا أن يهدي فهو من خالف من قريش وغيرهم أهل بيته من بعده .

و منها ما في البحار من تفسير العياشي^٢ باسناده عن المعلى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى :

« وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ »

قال عليه السلام هو من يتخذ دينه برأيه بغير هدى إمام من الله من أئمة الهدى .

و منها ما في البحار أيضا من كثر جامع الفوائد وتاويل الآيات بالاسناد عن عيسى بن دادم النجار عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أنه سأل أباه عن قول الله عز وجل :

« قَمَنَ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى »

قال قال رسول الله ﷺ : أيها الناس اتبعوا هدى الله تهتدوا وترشدوا و هو هدى علي بن أبي طالب عليه السلام فمن اتبع هداه في حياتي و بعد موتي فقد اتبع هداي ومن اتبع هداي فقد اتبع هدى الله فلا يضل ولا يشقى ، إلى غير هذه مما لا نطيل بذكرها .
وأما المدلول الالتزامي و هو كونهم عليهم السلام أنواراً يستضاء بها في الليلة الظلماء ونجوماً يهتدى بها في غياب الدجى فقد اشير إليه في قوله سبحانه وتعالى :

« فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا »

روى علي بن إبراهيم في تفسيره عن علي بن الحسين عن البرقي عن ابن محبوب عن أبي أيوب عن أبي خالد الكابلي قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآية فقال : يا أبا خالد النور والله الأئمة من آل محمد إلى يوم القيامة هم والله نور الله الذي انزل وهم والله نور الله في السموات والأرض ، والله يا أبا خالد لنور الامام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار و هم والله ينورون قلوب المؤمنين و يحجب الله نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم ، والله يا أبا خالد لا يحبنا عبد و يتولانا حتى يطهر الله قلبه و لا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا و يكون سلماً لنا فإذا كان سلماً سلمه الله من شديد الحساب و آمنه من فزع يوم القيامة الأكبر .

وقال الصادق عليه السلام في مرويه العياشي إن الله قال في كتابه :

« اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، وَ الَّذِينَ

كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ »

فالنور هم آل محمد عليهم السلام والظلمات عدوهم .

و في البحار من تفسير فرات بن إبراهيم عن جعفر بن محمد الفزاري ممنوعاً عن ابن عباس في قول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفَايَةً مِنْ رَحْمَتِهِ »

قال : الحسن والحسين عليهما السلام

« وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ »

قال : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

وفي تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى :

« هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ »

قال : النجوم آل محمد عليه وعليهم السلام .

وفيه أيضاً عن عبدالرحمان بن محمد العلوي بإسناده عن عكرمة ، و سئل عن

قول الله تعالى :

« وَالشَّمْسِ وَضُحَيْهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّيْهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا »

إذا يغشئها

قال : الشمس وضحيتها هو محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ، والقمر إذا تليها أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام ، والنهار إذا جليها آل محمد الحسن والحسين عليهما السلام ، والليل

إذا يغشئها بنو أمية .

وفي البحار من تفسير العياشي عن معلى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام

في قوله تعالى :

« وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ »

قال : هو أمير المؤمنين عليه السلام ، وفيه من المناقب لابن شهر آشوب عن أبي الورد عن أبي جعفر عليه السلام في قوله :

« وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ »

قال . نحن النجم إلى غير هذه مما يطالع عليها العارف الخبير والمتتبع المجدد وبالجملة فقد ظهر وتحقق مما ذكرنا كله أنهم عليهم السلام نور الله في السموات والأرض والنجوم التي يهتدى بها في ظلمات البر والبحر والقمر الهادي في أجواز البلدان والقفار وغياب الليالي ولجج البحار .

فإن قلت: سلمنا ذلك كله ولكنك قد ذكرت أن الخطاب في قوله: بناهتديتم في الظلماء لطلحة والزرير ونظرائهما من أهل الجمل ، ومن المعلوم أنهم كانوا من المنافقين الناكثين فكيف يكونون من المهتدين ؟ مع أن اعتقادنا أنهم مخلدون في النار بخروجهم على الامام العادل و نقضهم بيعته ، والمهتدون يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يوم القيامة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما قال تعالى :

« وَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى »

قلت: أولاً إن اهتديتم بصيغة الماضي دالة على اهتدائهم فيما مضى فهو لا ينافي بارتدادهم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا اهتداه تارة يكون بالوصول إلى المطلوب وهو الموجب للأجر الجميل وهو الذي لا يتصور بعده الضلالة، وأخرى بالوصول إلى ما يوصل إلى المطلوب وهو لا يستلزم الوصول إليه البتة ولا ينافي الخذلان والضلالة قطعاً وثانياً إن المراد بالظلماء في قوله عليه السلام هو ظلمة الكفر والاهتداء هو الاهتداء إلى الاسلام وهو بانفراده لا يكفي في استحقاق الثواب ، بل لابد وأن ينضم إلى ذلك نور الولاية كما مر تحقيق ذلك وتفصيله في التذنيب الثالث من تذييبات الفصل الرابع من فصول الخطبة الأولى ، ويشهد بذلك ويوضحه مضافاً إلى ما مر :

ما رواه في البحار من كتاب غيبة النعماني عن الكليني بإسناده عن ابن أبي يعفور ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنني أخالط الناس فيكثر عجبني من أقوام لا يتوا لونكم

ويتوالون فلاناً وفلاناً لهم أمانة وصدق ووفاء ، وأقوام يتوالونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق قال : فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً وأقبل على كالمغضب ثم قال : لا دين لمن دان بولاية إمام جائر ليس من الله ، ولا عتب (١) على من دان بولاية إمام عادل من الله ، قلت : لا دين لاولئك ولا عتب على هؤلاء ، ثم قال عليه السلام : ألا تسمع قول الله عز وجل :

« اللَّهُ وَرِئَاسَةُ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ »

من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة أو المغفرة لولايتهم كل إمام عادل من الله قال :

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ

إِلَى الظُّلُمَاتِ »

فأي نور يكون للكافر فيخرج منه إنما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلما تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب لهم النار مع الكفر فقال :

« أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »

وأوضح من هذه الرواية دلالة ما في البحار من تفسير العياشي عن سعيد بن أبي الأصبح قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يسأل عن مستقر ومستودع ، قال : مستقر في الرحم ومستودع في الصلب ، وقد يكون مستودع الإيمان ثم ينزع منه ولقد مشى الزبير في ضوء الإيمان ونوره حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى مشى بالسيف وهو يقول لا نبايع إلا علياً عليه السلام وعن العياشي أيضاً عن جعفر بن مردان قال : إن الزبير اخترط سيفه يوم قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال لا أعمدته حتى اباع لعلي عليه السلام ثم اخترط سيفه فضارب علياً وكان ممن اعير الإيمان فمشى في ضوء نوره ثم سلبه الله إياه .

(وتسنمت العلياه) أى بتلك الهداية و شرافة الاسلام ركبت سنام العلياه

والرفعة علا ذكر كم ورفع قدركم ، شبه ﷺ العلياء بالنساقه وأثبت لها سمانها تخيلاً و رشح ذلك بذكر التنسّم الذي هو ركوب السنّام (و بنا انفجرتم) أو أفجرتم (عن السرّار) أى انفجرتم انفجار العين من الأرض ، أو دخلتم في الفجر ، أو صرتم ذوى فجر منتقلين عن السرّار ، و استعار ﷺ لفظ السرّار لما كانوا فيه من ليل الجهل وخمول الذّكر في الجاهلية وغيرها ، و لفظ الانفجار عنه لخروجهم من ذلك إلى نور الإسلام واستضائهم بضياء صباح وجودهم عليهم السلام كما قال عز من قائل :

« وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ »

قال أمير المؤمنين عليه السلام لابن الكواحيني سأله عن ذلك : يعني ظلمة الليل وهذا ضربه الله مثلاً لمن أدعى الولاية لنفسه وعدل عن ولاية الأمر قال : فقوله والصّبح إذا تنفّس قال : يعني بذلك الأوصياء يقول : إنّ علمهم أنور وأبين من الصّبح إذا تنفّس هذا و لمّا ذكر فضله عليهم بكونه ﷺ سبب هدايتهم و علة لعلو مقامهم و سموّ مكانهم و جهة لشرافتهم و رفعة قدرهم و داعياً لصيرورتهم من ظلمة النّوابة والضلالة إلى فجر الهداية و الرّشاد مع مقابلتهم كلّ ذلك بالنساق و النّسار و المتوّ و الاستكبار ، أردف ذلك بالدّعاء عليهم بقوله (و قر سمع لم يفقه الواعية) إشارة إلى أنّهم كيف لم يفقهوا بيانه بعد ما ينسّه و لم يقبلوه بعد ما سمعوه و لم يطيعوه بعد ما فهموه و جهلوا قدره بعد ما عرفوه .

قال البحراني : و هذا كما يقول أحد العلماء لبعض تلاميذه المعاند له المدعي لمثل فضيلته : إنّك بي اهتديت من الجهل و علا قدرك في النّاس و أنا سبب لشرفك أفكبر عليّ و قر سمعك لم لانفقه قولني و تقبله هذا ، و على ما ذكرناه من كون الواعية بمعنى الصّوت يكون معنى كلامه ﷺ نقل سمع لم يفقه الصّوت بعد ما سمعه ، و على قراءة و قر بصيغة المجهول يكون المعنى أنقل الله سمعاً لم يفقه الصّراخ ، و على ذلك فلا حاجة إلى ما تكلفه بعض شارحي كلامه عليه السلام تارة بجعل الواعية صفة لمحذوف مع حذف مفعول لم يفقه أى و قر سمع لم يفقه صاحبه بإذنه الواعية علم الشريعة ،

و اخرى بجعل الفاعل بمعنى المفعول مع حذف الموصوف أيضاً أى لم يفقه الأشياء الموعية ، وثالثة بجعلها بمعنى الصارفة .

فإن قلت : ما السرّ في وصفه السّمع بعدم الفقه لا بعدم السّماع وتعبيره بقوله : لم يفقه دون لم يسمع مع كون الواعية أيضاً من قبيل المسموعات لا للمفقوهات والحال أن الموصوف والمتعلق كليهما مقتضيان للتعبير بالثاني دون الأوّل .

قلت : بعد الغض عن عدم ملايمة الوصف بالثاني للدعاء بالوقر لاستلزامه تحصيل الحاصل أنّ السرّ في ذلك هو أنّ المقصود بالسّمع ليس مجرد السّماع والاستماع بل الفقه والفهم والاتعاظ بالمواعظ والنصائح بعد إدراك السّمع لها ، فإذا أدركها ولم يفقهها و لم يتم بمقتضياتها فهو حريّ بالدعاء عليه بكونه موقوراً ثقيلاً مع أنّ في التعبير بهذه اللفظة إشارة إلى غاية نفارهم واستكبارهم وشدّة لجأهم وعنادهم ونهاية بغضهم وعداوتهم ومنتهى نفرتهم عن قبول الحقّ كما قال عزّ من قائل :

« وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كَانُوا لَا يُفْقِلُونَ »

وصفهم بالصّم مع إنبات الاستماع أولاً من حيث عدم انتفاعهم بما يستمعون ، فهم والأصم على السواء وذلك فإنّ الإنسان إذا قوى بغضه لإنسان آخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة إلى طلب مقابح كلامه معرضة عن جميع الجهات الحسن فيه ، فالصّم في الاذن معنى ينافي حصول إدراك الصّوت فكذلك حصول هذا البغض والاستكبار والمنافرة كالمنافي للوقوف عن محاسن ذلك الكلام والاطلاع بما اريد منه .

ثمّ كما أنّه لا يمكن جعل الأصمّ سمياً فكذلك لا يمكن جعل العدوّ البالغ إلى هذا الحدّ صديقاً مطيعاً ، ولذلك اعتذر صلى الله عليه وسلم من عدم تأثير كلامه فيهم بقوله : (وكيف براعي النّبأة) أى الصّوت الخفي (من أصمته الصّيحة) إشارة إلى أنّ من لم يؤثّر فيه كلام الله وكلام رسوله الذي هو كالصّيحة المكررة عليهم حتّى جعلهم أصمّ من كثرة التكرار وشدّة الاصرار ، كيف يؤثّر فيهم كلامه صلى الله عليه وسلم الذي

نسبته إلى كلامهما نسبة النبأ إلى الصبيحة ، ومن المعلوم أن الصوت الضعيف لا يدرك عند الصوت القوي أو الحواس لا تدرك الأضعف مع وجود الأقوى المماثل في كفيته ، ففي هذه الفقرة من كلامه دلالة على عدم اختصاص تمردهم به بإلا فقط ، بل كانوا متمردين من أول الأمر مستكبرين عن طاعة الله وطاعة رسوله أيضاً كما أن قباها وفي سابقها إشارة إلى تماديهم في الغفلة بما غشت قلوبهم من الظلمة والقسوة حيث لم يسمعوا داعي الله ولم يفقهوا كلام الله ولم يتدبروا في القرآن ونكثوا بيعة ولي الرحمان ، قال سبحانه في الحديث القدسي : يا ابن آدم استقامة سماواتي في الهواء بلا عمد باسم من أسمائي ولا يستقيم قلوبكم بألف موعظة من كتابي ، يا أيها الناس كما لا يلين الحجر في الماء كذلك لا يفني الموعظة للقلوب القاسية .

ثم إنه بإلا لما دعى بالوقر على الأذن الغير الواعية للواعية وأتبعه بالإشارة إلى عدم إمكان تأثير نباته فيمن أصمته الصبيحة لاستحالة تأثر القلوب القاسية بالموعظة والنصيحة ، أرف ذلك بالدعاء للقلوب الوجلة الخائفة بقوله : (ربط جنان) أي سكن وثبت (لم يفارقه) الاضطراب (والخفقان) من خشية الله والاشفاق من عذابه ثم خاطب بإلا بقية أصحاب الجمل أو المقتولين أوهما معاً وقال : (ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر) والحيلة وأترقب منكم المكر والخديعة ، وذلك إما من أجل أن النبي عليه السلام أخبره بذلك و بأنهم يتقضون بيعته بعد توكيدها ، وإما من أجل استنباطه عليه السلام ذلك من حركانهم ووجنات أحوالهم كما يشعر به قوله : (وأنوسمكم بحلية المقترين) وذلك لأنه عليه السلام فهم أنهم من أهل الغرّة وقبول الباطل عن أدنى شبهة بمالاح له من صفاتهم وسماتهم الدالة على ذلك ، وكان علمه عليه السلام بذلك مستلزماً لعلمه بغدرهم بعدهم وتقصم لبيعته فكان ينتظر ذلك منهم .

ولذلك إن طلحة و الزبير لما دخلا عليه عليه السلام يستأذنانه في العمرة قال : ما العمرة تريدان ، فحلفا له بالله إنهما ما يريدان غير العمرة ، فقال لهما : ما العمرة تريدان وإنما تريدان الغدرة و نكث البيعة ، فحلفا بالله ما لخلاف عليه و لا نكث بيعته يريدان وما رأيهما غير العمرة ، قال لهما ، فاعيدا البيعة لي ثانياً ، فأعادها بأشد

ما يكون من الأيمان و الموائيق ، فأذن لهما فلماً خرجا من عنده قال لمن كان حاضراً : والله لا ترونيما إلا في فتنة يقتتلان فيها ، قالوا : يا أمير المؤمنين فسر بروهما عليك ، قال : ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً .

و قوله : (سترني عنكم جلباب الدين) قال البحراني : و لرد مورود الوعيد للقوم في قتالهم له ومخالفتهم لا أمره ، والمعنى ان الدين حال بيني وبينكم ، سترني عن أعين بصائركم أن تعرفوني بما أقوى عليكم من العنف بكم واللفظة عليكم وسرور وجوه تقويكم وردعكم عن الباطل وراه ما وقفتي عليه الدين من الرفق و الشفقة وشبه ذيل المفوعن الجرائم ، فكان الدين غطاء حال بينهم وبين معرفته فاستعار له لفظ الجلباب قال : وروي ستركم عنني أي عصم الاسلام مني دماءكم واتباع مدبركم وأن اجهد على جريحكم وغير ذلك مما يفعل من الأحكام في حق الكفار هذا .

ولما أشار ﷺ إلى عدد معرفتهم له حق معرفته وغفلتهم عن مراتب شأنه ووظيفته أتبعه بقوله : (وبصرتيكم صدق النية) وأشار بذلك إلى معرفته لهم حق المعرفة بعين اليقين و البصيرة من حيث صفاء نفسه و خلوص نيته و نور باطنه كما قال ﷺ : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، وقال الرضا ﷺ في رواية بصائر الدرجات لنا أعين لا تشبه أعين الناس و فيها نور ليس للشيطان فيه شرك ، و بذلك النور يعرفون كل مؤمن و منافق ويعرفون صديقهم من عدوهم كما يدل عليه أخبار كثيرة .

مثل ما رواه في البحار عن العيون عن تميم القرشي عن أبيه عن أحمد بن علي الأ نصاري عن الحسن بن الجهم قال : سئل عن الرضا ﷺ ما وجه إخباركم بما في قلوب الناس ؟ قال : أما بلغك قول الرسول ﷺ : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ؟ قال : بلى ، قال : فممن مؤمن إلا وله فراسة ينظر بنور الله على قدر ايمانه و مبلغ استبصاره وعلمه ، وقد جمع الله للأئمة مناً ما فرق في جميع المؤمنين و قال عز وجل في كتابه :

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ »

قَالَ الْمُتَوَسِّمِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ مِنْ بَعْدِهِ ، ثُمَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالْأُمَّةَ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَمِنْ كِتَابِ الْبَصَائِرِ وَالْإِخْتِصَاصِ عَنِ السَّنَدِيِّ بْنِ الرَّبِيعِ عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنِ ابْنِ رَمَابِ عَنِ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ ﷺ قَالَ : لَيْسَ مَخْلُوقٌ إِلَّا وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرٌ وَذَلِكَ مَحْبُوبٌ عِنْدَكُمْ وَلَيْسَ بِمَحْبُوبٍ مِنَ الْأُمَّةِ مِنْ آلِ عَهْدِ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ لَيْسَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ إِلَّا عَرَفُوهُ هُوَ مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرٌ ، ثُمَّ تَلَاهُ هَذِهِ الْآيَةَ :

« إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ » فَهَمَّ الْمُتَوَسِّمُونَ

وَمِنَ الْإِخْتِصَاصِ أَيْضًا بِإِسْنَادِهِ عَنِ جَابِرِ قَالَ : بَيْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ إِذْ جَاءَتْ امْرَأَةٌ تَسْتَعِدِّي عَلَى زَوْجِهَا فَقَضَى ﷺ لَزَوْجِهَا عَلَيْهَا ، فَغَضِبَتْ فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا الْحَقُّ فِيمَا قَضَيْتَ وَمَا تَقْضَى بِالسُّوِيَّةِ وَلَا تَعْدِلُ فِي الرَّعِيَّةِ وَلَا قَضَيْتَكَ عِنْدَ اللَّهِ بِالْمَرْضِيَّةِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا مَلِيحًا ثُمَّ قَالَ لَهَا : كَذَبْتَ يَا جَرِيَّةُ يَا بَذِيئَةَ (١) يَا سَلْفَعُ يَا سَلْفَلْقِيَّةَ (٢) يَا الَّتِي لَا تَحْمَلُ مِنْ حَيْثُ تَحْمَلُ النِّسَاءَ ، قَالَ : فَوَلَّتِ الْمَرْأَةُ هَارِبَةً مَوْلُودًا وَقَتُولًا : وَيَلِي وَيَلِي لَقَدْ هَتَكَتَ يَا بِنَّ أَيْطَالِبُ سِتْرًا كَانَ مُسْتَوْرًا .

قَالَ : فَلَحِقَهَا عَمْرُوبُ بْنُ حَرِيثٍ فَقَالَ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ لَقَدْ اسْتَقْبَلْتَ عَلِيًّا بِكَلَامِ سِرِّرَتِي بِهِ ثُمَّ إِنَّهُ نَزَعَ (٣) لَكَ بِكَلَامِ فَوَلِّيتَ عَنْهُ هَارِبَةً تَوَلُّوْلِينَ ، فَقَالَتْ إِنَّ عَلِيًّا ﷺ وَاللَّهِ أَخْبَرَنِي بِالْحَقِّ وَبِمَا أَكْتَمَهُ مِنْ زَوْجِي مِنْذُ وَلِي عَصْمَتِي وَمِنْ أَبِي يَ ، فَعَادَ عَمْرُؤُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ ، وَقَالَ لَهُ فِيمَا يَقُولُ : مَا أَعْرَفَكَ بِالْكَهَانَةِ فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ ﷺ : وَيَلِكُ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِالْكَهَانَةِ مِنِّي وَلَكِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِرْوَاحَ قَبْلَ

١- السيتة العلق ، لينة

٢- سلفه في الكلام إذا ه و فلانا طنه ، ق

٣- لعله على سبيل الاستعارة من قولهم نزع في القوس إذا مدها ، بعار .

الأبدان بالفی عام ، فلما ركب الأرواح فی أبدانها كتب بین أعینهم كافر و مؤمن و ما هم به مبتلون و ما هم علیه من سبیء عملهم و حسنه فی قدر اذن الفارة ، ثم أنزل بذلك قراناً علی نبیہ ﷺ فقال :

« إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ »

فكان رسول الله ﷺ المتوسم ، ثم أنا من بعده ، والأئمة من ذریتي هم المتوسمون فلما تأملتہا عرفت ما فیها وما هی علیه بسیمائہا .

و من البصائر باسنادہ عن عبدالرحمان یعنی ابن کثیر قال : حججت مع أبی عبد الله ﷺ فلما صرنا فی بعض الطريق صعد علی جبل فأشرف فنظر إلی الناس فقال : ما أكثر الضجيج و أقل الحجيج ، فقال له داود الرقي : یا بن رسول الله ﷺ هل يستجیب الله دعاء هذا الجمع الذي أرى ؟ قال : ويحك یا باسليمان إن الله لا یغفر أن یشارك به ، الجاحد لولاية عليؑ كعابد وثن ، قال : قلت : جعلت فداك هل تعرفون محبكم و مبغضكم ؟ قال : ويحك یا باسليمان إنه ليس من عبد یولد إلا كتب بین عینیه مؤمن أو كافر ، و إن الرجل لیدخل إلینا بولایتنا و بالبرائة من اعدائنا فترى مکتوباً بین عینیه مؤمن أو كافر ، قال الله عز وجل : « إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ » نعرف عدونا من و لیتنا .

و قد وضح بهذه الأخبار کلّ وضوح معنی قوله السابق : أتوسمکم بحلیة المعترین ، و ظهر أن توسمه عبارة عن نظره ﷺ إلی سماتهم الدالة علی خبث الطینة ولحاظه العلامات الكاشفة عن سوء السریرة ، فافهم ذلك و اعنتم .

الترجمة

بسبب نور وجود ما هدايت یافتيد در ظلمت شب جهالت ، و بواسطه ما سوار شديد بر كوهان بلذد يقين ، و بجهة ما منتقل گشتيد از شب ضلالت ، و بصباح اسلام رسيديد ، كر باد یا سنگين باد گوشي كه نفهميد صدای داعي حق را ، و چگونه مراعات بنمايد آواز ضعيف را آنکسي كه كر ساخته است اورا آواز قوی ، ثابت

باد قلبی که جدا نشد از آن طپیدن از ترس خدا ، همیشه بودم که انتظار میکشیدم از شما عاقبتهای خیانت داد بفرست مییافتم شمارا که متصفید بزینت فریفتگان از قبول باطل و نادوا ، پوشانید مرا از دیده شما برده دین من ، و یینا گردانید مرا برحال شما خلوص نیت و صفای باطن من .

الفصل الثاني

أَقْنَتْ لَكُمْ عَلَى سُنَنِ الْعَقِّ فِي جَوَادِ الْمَضَلَّةِ حَيْثُ تَأْتَعُونَ وَلَا دَلِيلَ
وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تَمِيهُونَ الْيَوْمَ أَطِيقُ لَكُمْ الْعَجَمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ ، عَزَبَ
رَأْيَ امْرَأَةٍ تَخْلَفَ عَنِّي ، مَا شَكَّكَتُ فِي الْعَقِّ مُذْ رَأَيْتُهُ ، لَمْ يُوجِسْ
مُوسَى خَيْفَةً عَلَى نَفْسِهِ ، أَشْفَقَ مِنْ غَلْبَةِ الْجُهَالِ ، وَدَوَّلَ الضَّلَالِ ، الْيَوْمَ
تَوَاقْنَا عَلَى سَبِيلِ الْعَقِّ وَالْبَاطِلِ ، مَنْ وَثِقَ بِهَاءِ لَمْ يَطْمَأَنَّ .

اللفظة

(أَقْنَتْ) بالمكان اقامة دام (سنن) الطريق مثلثة وبضمتين نهجه وجهته والسنة
الطريقة و السنة من الله حكمه و أمره ونبيه وأرض (مضلة) بفتح الميم والضاد
يفتح ويكسر أي يضل فيها الطريق و (أماء) الحافر وأموه بلخ الماء، والبهيمة (العجماء)
لأنها لا تفتح و استعجم الكلام علينا مثل استبهم وكلمة عجماء مبهمه و (عزب)
الشيء عزوباً من باب قعد بعد ، وغرب من بابي قتل وضرب خفي وغاب و (الوجس)
كالوعد الفزع يقع في القلب وأوجس في نفسه خيفة أي أحس و أضمر
(والاشفاق) الخوف و (دول) مثلثة جمع دولة .

وقال الفيومي تداول القوم الشيء تداولاً وهو حصوله في يد هذا تارة وفي يد
هذا اخرى ، و الاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول بالكسر مثل
قصة وقصع وجمع المضموم دول بالضم مثل غرفة وغرف ، ومنهم من يقول الدولة

بالضم في المال وبالفتح في الحرب وعلى هذا فالانسب أن يكون دول في كلامه عَلَيْهِ
بالكسر ليكون جمع دولة بالفتح و (التواقف) بالقاف قبل الفاء هو الوقوف و (الظماء)
شدة العطش .

الاعراب

العجماء بالفتح مفعول انطق أو صنة لمحذوف أى الكلمات و خيفة بالنصب
مفعول لم يوجس ، وأشفق بصيغة التفضيل صفة خيفة ويحتمل أن يكون بصيغة الماضي
واستدراكاً عن سابقه أى لم يوجس موسى خيفة على نفسه ولكنه أشفق من غلبة الجبال .

المعنى

لما ذكر ﷺ حال المناقنين معه من غدرهم واغترارهم ونفارهم واستكبارهم
وما هم عليه من الغفلة والجهالة بشأنه ﷺ ورتبه مع كونه سبب هدايتهم في الظلماء
وتسنمهم على سنام العلياء أردف ذلك بما يدل على وجوب اقتفاء آثاره ، واقتباس
أشعة أنواره في سلوك منهج الحق القويم وسير سبيل الله المستقيم فقال (أقمتم لكم)
أى دمت ونبت (على سنن الحق) وجهته (في جواد المضلة) أى الجواد التي يضل
فيها ويزل فيها الأقدام ، والمراد بسنن الحق هودين الله الذي لا يقبل من العباد غيره
وهو الصراط المستقيم الموصل إلى الرضوان و من جواد المضلة هو شبل الشيطان
المؤدية إلى النيران .

قال عبدالله بن مسعود : خط لنا رسول الله ﷺ خطا وقال : هذا صراط الله
ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله وقال : هذه سبل وعلى كل سبل منها شيطان
يدعون الناس إليها ثم تلا قوله تعالى :

« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَنْ سَبِيلِهِ »

والمراد بقوله ﷺ أقمتم لكم الإشارة إلى إقامته على نهج الحق لدعوة الناس إليه
كما قال تعالى :

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي »

قال أبو جعفر عليه السلام في تفسيره : ذلك رسول الله و أمير المؤمنين و الأوصياء من بعدهم عليهم السلام يعني أن الداعي هو رسول الله و من اتبعه أمير المؤمنين و الأوصياء التاهمون له في جميع الأقوال و الأفعال فمن أجاب لهم دعوتهم و سلك سبيلهم :

قَاوَلِكُمْ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا

و من تخلف عنهم ولم يجبههم دعوتهم و سلك سبيل غيرهم يكون ذلك حسرة عليه و يقول :
« يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
سَبِيلًا ، يَا وَيَا تَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا »

و بالجملة فمقصوده عليه السلام من كلامه إنني فعلت من هدايتكم و إرشادكم و أمركم بالمعروف و نهيكم عن المنكر ما يجب على مثلي فوفقت لكم جادة الطريق و منهجه حيث ان طرق الضلال كثيرة مختلفة و أنتم فيها تاهون حامرون (حيث تلتقون) و تجتمعون (و لا دليل) لكم (و تحفرون) الأبواب لتجدوا ماء تروون به غلتكم (فلاتميهون) و لا تجدون الماء (اليوم) انطق لكم العجماة ذات البيان (لتشهد بوجوب اتباعي و تدل على ما ينبغي فعله فيكل باب و كنس عليه السلام بالعجماة ذات البيان عن العبر الواضحة و ماحل بقوم فسقوا عن أمر ربهم و عما هو واضح من كمال فضله عليه السلام بالنسبة إليهم و عن حال الدين و مقتضى أوامره ، فان هذه الأمور عجماة لا نطق لها مقالاً ذات البيان حالاً ، و لما بينها عليه السلام لهم و عرفهم ما يقوله لسان حالها فكانه أنطقها لهم ، و قيل : العجماة صفة لمحذوف أى الكلمات العجماة ، والمراد بها ما في هذه الخطبة من الرموز التي لا نطق لها مع أنها ذات بيان عند اولى الالباب .

قال الشارح المعتزلي : و هذه إشارة إلى الرموز التي تتضمنها هذه الخطبة يقول : هي خفية غامضة وهي مع غموضها جلية لاولى الالباب فكأنها تنطق كما ينطق

ذو الالسنة كما قيل : ما الامور الصامتة الناطقة ؛ فقيل : الدلائل المخبرة والعبر الواضحة ، وفي الاثر سل الأرض من شق أنهارك وأخرج ثمارك ؛ فإن لم تجبك حواراً أجابتك اعتباراً، ثم إنه عليه السلام أشار إلى ذم من تخلف عنه و تويخه بقوله : (عزب) اي بعد أوغاب وخفي (رأى امرء تخلف عني) لأن التخلف عنه دليل على بعد الرأي الصائب عن المتخلف ، و ذلك لأن المتخلف لما فكر في أن أى الامور أنفع له أن يكون من متابعيه أو المتخلفين عنه ثم رأى أن التخلف عنه أوفق كان ذلك أسوء الآراء وأقبحها فهو في الحقيقة كمن أقدم على ذلك بغير رأى يحضره أولاً لأن الرأى الحق كان غارباً عنه .

ثم أشار عليه السلام إلى بعض علل وجوب اتباعه بقوله : (ما شككت في الحق) (١) منذرأيته) لأن من لم يشك في الحق أحق بالاتباع ممن كان في شك من دينه لاحتياجه إلى من يهديه قال سبحانه :

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ قَوْمًا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

(لم يوجس موسى خيفة على نفسه أشفق من غلبة الجهال) على الحق (ودول الضلال) وهذا تمثيل وإشارة إلى أن خوفه عليه السلام منهم لم يكن على نفسه بل كان شدة خوفه من غلبة أهل الجهل على الدين وفتنة الخلق بهم وقيام دول الضلال كما أن خوف موسى من جهالة السحرة على ما أخبر به سبحانه في كتابه الكريم كان من هذه الجهة قال في سورة طه :

« قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ، قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ، فَأَوْجَسَ

١- في البعاز من كتاب الارشاد في خطبة له (ع) و ما شككت في الحق منذرأيته هلك قوم ارجفوا عنى انه لم يوجس موسى في نفسه خيفة ارتيابا و لا شكا فيما اتاه من عنده ولم اشكك فيما اتانى من حق الله ولا ارتببت في امامتى و خلافة ابن عمى و وصية الرسول و انما اشفقوا . اخر . موسى . من غلبة الجهال دول الضلال و غلبة الباطل على الحق انتهى ، منه .

فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى، قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى»

قال الطبرسي: معناه فأحسن موسى و وجد في نفسه ما يجده الخائف ، و يقال أو جس القلب فرعاً أي أضمر ، و السبب في ذلك أنه خاف أن يلتبس على الناس أمرهم فيتوهموا أنهم فعلوا مثل فعله و يظنوا المساواة فيشكوا و لا يتبعونه ، ثم ذكر وجوهاً آخر في سبب الخوف والأظهر ذلك كما يشهد به كلام الامام عليه السلام ويدل عليه قوله: لا تخف إنك أنت الأعلى ، فإنه تقرير لقلبه عليهم على أبلغ وجه و آكد كما يعرب عنه الاستيناف و حرف التحقيق و تكرير الضمير و تعريف الخبر و لفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة و صيغة التفضيل (اليوم توافقنا على سبيل الحق و الباطل) أي وقتت على سبيل الحق و وقتتم على سبيل الباطل و ضم نفسه إليهم على حد قوله:

« إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ »

وقوله (من وفق بماء لم يظلم) الظاهر أن المراد به أن من كان على الحق و أيقن على ذلك و اعتمد على ربه و توكل عليه لا يبالي على ما وقع فيه ، كما أن من اتتمن بماء لم يفزعه عطشه ، و قال الشارح المعتزلي و البحراني إن مراده عليه السلام إن سكنتم إلى قولي و وقتتم بي كنتم أقرب إلى الهدى و السلامة و أبعد من الضلالة ، و ما ذكرناه أظهر

الترجمة

ثابت شدم من بجهة هدايت شما بر طريق حق در جاده هائیکه محل گمراهی است در مکانيکه ملاقات ميکريد بهمديگر و حال آنکه هيچ دليل و هادي نبود شمارا ، و چاه ميکنديد و بآب نيرسيديد يعنى بحث و کاوش ميکريد از برای اخراج نتيجۀ مطلوب در اوديۀ قلوب و از تحصيل نتيجۀ مطلوبه عاجز بوديد ، امروز بزبان در آردم بجهة شما حيوان بي زبان را يعنى هر که هست از ييزبانان مخبرند بلسان حال بامثال مقال من و ناطقند بر وجوب اتباع و حقيقت حال من ، غايب شد رأي صايب مردی که تخلف کرده است از من ، شك نکرده ام من در حق از آن

زمانیکه عالم بحق شدهام ، احساس نکرد موسی بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ خوفی را بر نفس خود که سخت تر بوده باشد از خوفی که داشت از غلبه جلاهان و قیام دولتهای کمراهان ، امروز ایستاده‌ایم ما و شما بر راه حق و باطل یعنی من ایستاده‌ام بر طریق هدایت و شما ایستاده‌اید در راه ضلالت ، هر کسیکه و نوق و اطمینان داشته باشد بآب تشنه نماند ، والله أعلم بالصواب .

و من کلام له عَلَيْهِ السَّلَامُ قبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ و خاطبه العباس و ابوسفیان بن حرب فی ان یبایعا له بالخلافة وهو الخامس من المختار فی باب الخطب

ورداه فی البحار من مناقب ابن جوزی بأدنی اختلاف تطالع علیه :

أَيُّهَا النَّاسُ شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُنَنِ النَّجَاةِ ، وَعَرَّجُوا عَن طَرِيقِ الْمُنَافِرَةِ ، وَضَعُوا تَبْجَانَ الْمُفَاخِرَةِ ، أَفْلَحَ مَنْ تَهَضَّ بِجَنَاحِ ، أَوْ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَّاحَ ، مَاءَ آجِنٍ وَ لُقْمَةَ مِصْ بِهَا آكَلَهَا ، وَ مُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لغيرِ وَ قَتِ إِيْتَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ ، فَإِنْ أَقْلُ يَقُولُوا حَرَّصَ عَلَى الْمَلِكِ ، وَإِنْ أَسْكُتُ يَقُولُوا جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّيْتِ وَاللَّيْتِ ، وَاللَّهِ لَا بِنُ أَبِي طَالِبٍ آتَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِتَدْيِ أُمِّهِ ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لِأَضْطَرَّ بْتُمْ إِضْطِرَابَ الْأَرِشِيَّةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ .

اللفة

(عرَّجوا) أى انحر فوا واعدلوا يقال : عرجت عنه عدلت عنه وتركنه و (تبجان) جمع تاج و هو الكليل و (فاخره) مفخرة و فخاراً عارضه بالفخر ، قال الشارح

المعتزلي : المفخرة هوانٌ يذكر كل من الرجلين فضائله ومفاخره ثم يتحاكما إلى ثالث و (الماء الاجن) المتغير الطعم واللون و (غصص) بالكسر و الفتح و بعض بالفتح و هو غاص و (جنيت الشجرة) واجتنيتها و (ينعت) الثمار من باب ضرب و منع أدركت و (اللتيا) بفتح اللام و التاء و تشديد الياء تصغير التي ، و اللتيا والتي من أسماء الداهية يقال : وقع فلان في اللتيا و التي أى في الداهية ، و قيل : يكنى بهذه اللفظة من كمال الشدة و العزن و بهذه المناسبة جعلت علماً للداهية ، و قيل : اللتيا الداهية التي بلغت الغاية و التصغير للتعظيم أو بالعكس و التصغير للتخثير .

و في بعض كتب الأديبة على ما يبالي أنه تزوج رجل امرأة قصيرة سيئة الخلق فقاسى منها شدة فطلتها ، و تزوج طويلة فقاسى منها أضعاف القصيرة فطلقها و قال بعد اللتيا و التي لا أتزوج فصار مثلاً ، و مثل ذلك ذكر الشارح البحراني ، و قال الحريري في المقامات : اللتيا تصغير التي و هو على غير قياس التصغير المطرد لأن القياس أن يضم أول الاسم إذا صغير و قد أقر هذا الاسم على فتحه الأصلية عند تصغيره إلا أن العرب عوضته من ضم أوله بأن زادت في آخره الفاء و أجرت أسماء الاشارة عند تصغيرها على حكمه فقال في تصغير الذي و التي : اللذيا و اللتيا و في تصغير ذا و ذاك : ذيا و ذياك ، و قد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا و التي و قيل : هما من أسماء الداهية ، و قيل : المراد بهما صغير المكروه و كبيره انتهى .

و (اندمج) في الشيء دخل فيه و استبره و (باح) ببره أظهره كأباحه و (الارشية) جمع رشاكسما و هو الحبل و (الطوى) كغنى اسم بئر بذى طوى على ما ذكره الفيروز آبادي ، و لعل المراد هنا مطلق البئر كطوية .

الاعراب

ماء آجن مرفوع على الابتداء و الخبر محذوف و هو ماصرح به في رواية ابن الجوزي أى أجدد بالعاقل اه ، أو خبير محذوف المبتداء أى ما تدعونى إليه ماء آجن و مجتنى الثمر مبتدأ و كالزراع خبره و على في قوله ~~الآجن~~ على مكنون علم بمعنى في

على حدّ قوله : و دخل المدينة على حين غفلة ، و البعيدة صفة و تأنيها باعتبار أن الطوى اسم للبئر وهى انثى .

المعنى

اعلم أنه قال الشّارح المعتزلى : لما قبض رسول الله عليه السلام و اشتغل على عليه السلام بفلسه و دفته و بويح أبوبكر خلا (١) الزبير و أبوسفيان و جماعة من المهاجرين بعبّاس و على عليه السلام لاجالة الرأى و تكلموا بكلام يقتضى الاستنهاض و التّشجيع ، فقال العبّاس رضي الله عنه ، قد سمعنا قولكم فلا لقلّة نستعين بكم ولا لظنّة تترك آرائكم فامهلونا نراجع الفكر فان لم يكن لنا من الانم مخرج بصير (٢) بنا و بهم الحق صرير الجدجد و نيسط إلى المجد أكفأ لا نقبضها أو يبلغ بالمدى ، و إن تكن الاخرى فلا لقلّة في العدد ولا لوهن في الأيد و الله لولا أن الاسلام قيّد الفتك لتدكدكت جنادل صخر يسمع اصطكاكها من المحلّ العلى ، فحلّ عليه السلام حبوته (٣) و قال : الصبر حلم و التّقوى دين و الحجّة عهد عليه السلام و الطريق الصراط ، أيها الناس شقوا أمواج الفتن الخطبة ، ثم نهض إلى منزله و افترق القوم .

و قال البحراني روى أنه لما تمّ في سقيفة بني ساعدة لأبي بكر أمر البيعة أراد أبوسفيان بن حرب أن يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضاً فيكون ذلك دماراً للدّين فمضى إلى العبّاس فقال له : يا أبا الفضل إن هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الأمر من بني هاشم و جعلوه في بني تيم ، وإنه ليحكم فينا غداً هذا اللفظ الغليظ من بني عدي فقم بناحتى ندخل على علي عليه السلام و نبايعه بالخلافة و أنت عم رسول الله عليه السلام و أنا رجل مقبول القول في قريش ، فإن دافعونا عن ذلك قاتلناهم و قتلناهم ، فأبى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له أبوسفيان : يا أبا الحسن لا تفاقل عن هذا الأمر متى كنّا لتيم الارذال و كان عليه السلام يعلم من حاله أنه لا يقول ذلك عصبه للدّين بل للفساد الذي

١- من الخلوة

٢- صر صريرا صاح و صوت ق

٣- و احتى بالنوب اشتمل اوجع بين ظهره و ساقيه بسامة و نعوها و الاسم العبوة و يضم ، ق

زواه في نفسه فأجابه ﷺ بقوله :

(أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة) شبه الفتن بالبحر المتلاطم في كون كل منهما سبب هلاك الخائضين فيها ، و قرن ذلك بالأموج التي هي من لوازم البحر وكنى بها عن هيجان الفتنة وثورانها ، وأتبعها بذكر سفينة النجاة التي هي من ملايمات البحر ، ولما كانت السفن الحقيقية تنجى من أمواج البحر استعارها لكل ما يحصل به الخلاص من الفتن ووجه المشابهة كون كل منهما وسيلة إلى السلامة (وعرجوا) أي انصرفوا واعدلوا (عن طريق المنافرة) إلى المتاركة و المسالمة (وضعوا تيجان المفاخرة) لما كان التاج ممّا يعظم به قدر الانسان و هو أعظم ما يفخر به استعاره لما كانوا يتعظمون به ويفتخرون وأمرهم بوضعه مريداً بذلك ترك التّفاخر الموجب لانبعاث الفتنة وهيجان العصبية ، ولما أمر ﷺ بالعدول عن التّفار والافتخار أشار إلى ما ينبغي أن يكون الانسان عليه في تلك الحالة التي هاجت فيها الفتن وعظمت فيها المعن بقوله : (أفلح من نهض بجناح أو استسلم فاراح) يعني أن الفلاح في تلك الحال بأحد الأمرين .

أحدهما النهوض إلى الأمر ومطالبة الحق بوجود الناصر والمعين للذين هما بمنزلة الجناح للطير في كونها واسطة الظفر بالمطلوب والفوز بالمقصود .
و ثانيهما التسليم والانتقاد و التّرك و السلامة لمن لم يكن له جناح النجاح فيستسلم وينقاد فيريح نفسه من تعب الطلب .

ثم أشار ﷺ إلى أن ما كانوا يدعون إليه ويحملونه عليه (ماء آجن) يتغير اللون و الطعم (و لثمة يقص بها) أي بأكلها (آكلها) أي ينشب في حلق آكلها و يكون غاصلاً لا يمكنه إساغتها ، و تشبيهه بالخلافة في تلك الحالة بهما إشارة إلى نفرة النفس عنها وعدم التذافها بها مع وجود المنافسة التي كانت فيها ، فهى في تلك الحال كانت لثمة منفضة و جرة لا يسيغها شاربها و قد ذكر شارحو كلامه في هذا المقام وجوهاً أخرى ما ذكرناه أظهر ، ثم إن هذا كله على جعل ماء آجن خبراً لمبتدئ محذوف على ما اشرنا إليه وأما على تقدير جعله مبتدئ حذف خبره مطابقاً

لماصرح به في رواية ابن الجوزي التي تأتي في التكملة الآتية ، فالغرض أن التحمل على المذلة والصبر على الشدة أولى مع حسن العاقبة وأحسن من ارتكاب أمر يوجب اشتداد البلية وسوء العاقبة.

ثم أخذني الاعتذار عن الامساك وترك المنازعة بقوله عنه : (ومعنتي الثمرة لغير وقت إنباعها كالزراع بغير أرضه) يعني من احتنى الثمرة قبل أن تدرك لا ينتفع بها كما لا ينتفع الزارع بغير أرضه من زرعه لعدم قدرته على الإقامة في محل زراعته وعدم إمكان سعيه في إصلاحها بسقيها وحراستها وجبايتها ونحوها ، و المقصود أن هذا الوقت ليس وقت طلب هذا الأمر ولا يسوغ لي المطالبة إما لعدم الناصر أو لغير ذلك .
وقال المحدث المجلسي طاب رمسه : ولعله شبه بشيء طلبه في هذا الوقت بمن يجتنى ثمرته مع عدم إنباعها ، وشبه اختيار الملعون الخلاقه بمن زرع في غير أرضه فيفيد ما تقدم أي عدم الانتفاع مع كمال التشبيه في الفقرتين (فإن أقل) في باب الخلافة شيئاً (يقولوا : حرص على الملك) كما قاله عمر في غير موضع واحد (وإن أسكت) من حيث اقتضاء المصلحة (يقولوا : جزع من الموت) وهذا كله إشارة إلى عدم أمنه عنه من حصائد الألسنة و غوائل الزخرفة ، حيث إنهم مع التسكلم كانوا ينسبونه إلى الحرص والاهتمام بأمر الدنيا ، ومع السكوت كانوا ينسبونه إلى الجزع والعجز والخوف من الموت كما هود أب المنافق العاسد والكافر الجاحد في كل عصر وزمان خصوصاً في حق مثله عنه .

كما قال الصادق عليه السلام في رواية المجلس : إن رضا الناس لا يملك وألستهم لا تضبط ، ألم ينسبوه عليه السلام يوم بدر إلى أنه أخذ من الغنم قطيفة حمراء حتى أظهره الله على القطيفة ، وبره نبيسه من الخيانة ، و أنزل في كتابه : و ما كان لنبي أن يغفل الآية .

وفي الصافي عن المجلس عن الصادق عليه السلام : إن رضا الناس لا يملك وألستهم لا تضبط وكيف تسلمون ما لم يسلم منه أنبياء الله و رسله و حججه ألم ينسبوا نبينا

خُذاً ~~وَمَا~~ إِلَى أَنَّهُ يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ فِي ابْنِ عَمَّةٍ عَلَيْهِ ~~السلام~~ حَتَّىٰ كَذَّبَهُمُ اللَّهُ فَقَالَ:
« وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ »

وقال الشاعر و ربما ينسب إليه ~~السلام~~ .

قيل إن الاله ذو ولد
ما نجا الله والرسول معاً
وقيل إن الرسول قد كهنا
من لسان الورى فكيف أنا

ثم إنّه ~~عليه السلام~~ أشار إلى بطالن ما زعموا في حقّه وتكذيب ما قالوا فيه من
جزعه من الموت على تقدير السكوت بقوله : (هيهات) أى بعد ما يقولون (بعد
اللتيا والتي) أى بعد هذه الداهية الكبرى وملاقات كبار الشهداء وصغارها (والله
لاين أبى طالب آنس بالموت) و أرغب فيه و أميل إليه (من) ميل (الطفل) و رغبته
(بندى أمه) و تفضيله ~~عليه السلام~~ انسه بالموت على انس الطفل بالسدى بملاحظة أن انس
الطفل جبلي وطبيعي في معرض الفناء والزوال و انسه ~~عليه السلام~~ بالموت و لقاء ربه عقلي
روحاني متصف بالبقاء والثبات فاین أحدهما من الآخر .

ثم أشار ~~عليه السلام~~ إلى سر سكوته عن طلب حقّه بقوله : (بل اندمجت) أى انطويت
(على مكنون علم لو بحت به) و أظهرته (لاضطربتم اضطراب الأرشية) والحبال
(في الطوى البعيدة) والبئر العميقة ، واختلفوا في أن المراد بالعلم المكنون ماذا ؟
فقيل : إنّه إشارة إلى الوصية التي اختصّ بها و قد كلن من جملتها الأمر
بترك النزاع في مبدء الاختلاف .

وقيل إن المراد به علمه بعواقب الامور المانع من سرعته إلى ما فيه المفسدة
والموجب لتوقفه على ما اقتضته المصلحة .

وقيل : إنّه أراد به علمه بأحوال الآخرة وأهوالها ، يعني أن الذي يضمني من
المنافسة في هذا الأمر والقتال عليه اشتغالي بما انطويت عليه من علم الآخرة ممّا
لو أظهرته لكم لاضطربتم اضطراب الحبال في الآبار خوفاً من العقاب و شوقاً إلى
الثواب ولذاهتم عمّا أتم في من التنافس في أم الدنيا .

أقول: والأظهر عندي أن المراد به هو ما أعلمه النبي ﷺ بالوحي الإلهي من جريان حكم القضاء اللازم على دوران رحى الضلالة بعده صلوات الله عليه وآله على قطبها إلى رأس خمس و ثلاثين من الهجرة، ثم قيام دولة بني أمية على ما يجري فيها على المسلمين والمؤمنين من العذاب الأليم والتكامل العظيم، ثم ملك الفراعنة أعني بني العباس على ما يبئلى به الناس فيه من الفتن والمعن، ولعل هذا الوجه أقرب، ومحصله أن القضاء الأزلي والقدر الحتمي قد جرى على وقوع هذه الأمور واستيلاء الدولة الباطلة لامحالة، فلا يشر النهوض ولا ينفع إلا السكوت، والله العالم بحقايق كلام وليه صلوات الله عليه وآله.

تكملة

هذا الكلام رواه المجلسي في البحار بأدنى اختلاف، قال: مأخوذ من مناقب ابن الجوزي خطبة خطب بها أمير المؤمنين ﷺ بعد وفات رسول الله ﷺ، روى مجاهد عن ابن عباس قال: لما دفن رسول الله ﷺ جاء العباس وأبوسفيان بن حرب و نفر من بني هاشم إلى أمير المؤمنين ﷺ، فقالوا: مدي يدك نبايعك وهذا اليوم الذي قال فيه أبوسفيان: إن شئت ملاءتها خيلا و رجلا، فخطب ﷺ وقال: أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، و عرجوا عن طريق المنافرة و وضعوا تيجان المفاخرة، فقد فاز من نهض بجناح، أو استسلم فارتاح، ماء آجن و لقمه يغص بها آكلها أجدد بالعاقل من لقمه تحشى بزنبور، و من شربة تلذ بها شاربها مع ترك النظر في عواقب الأمور، فإن أقل يقولوا: حرص على الملك؛ و إن أسكت يقولوا: جزع من الموت، هيهات هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بشدى أمه، و من الرجل بأخيه و عمه، و لقد اندمجت على مكنون علم لوبحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة.

الترجمة

از جمله کلام آنحضرتست در حینی که بیغیر خدا صلوات الله علیه و آله از

دنیا احتجاب فرمود و خطاب نمودند بآنحضرت عباس بن عبدالمطلب و ابوسفیان بن حرب در آنکه بیعت نمایند باو بخلافت ، پس فرمود در جواب ایشان :

ای مردمان بشکافید موجهای فتنه هارا که در تلاطم مانند بحار زخاراست بکشتیهای راستکاری ، و منحرف بشوید و عدول نمائید از راه مخالفت بسوی استکانت و سلامت ، و بگذارید از سرها تاجهای مکابرت و مفاخرت را ، راستکار کردید کسی که برخاست بجناح اعوان و انصار یا اطاعت نمود و نفس خود را راحت کرد ، چیزی که مرا بسوی آن دعوت میکنید از عقد بیعت همچو آبی است گنبدیده ، و مانند لقمه ایست که بسبب خوردن آن گلو گیر میشود خوردنده آن ، و چپینده میوه در غیر وقت رسیدن آن بمنزله کسی است که زراعت کننده است در غیر زمین خود ، پس اگر بگویم که میل دارم در خلافت میگویند که حریص است در ملک و امارت ، و اگر ساکت شوم میگویند که ترسید از مقاتله و شهادت ، چه دوداست آنچه میگویند بهما از این داهیه عظمی و مصیبت کبری و تعاقب شدائد بسیار و ملاقات سختیهای بیشمار ، بخدا قسم هر اینه پسر ابوطالب انس گیرنده تر است بمرک از انس گرفتن طفل شیرخواره بیستان مادر خود ، بلکه سبب سکوت و توقف من در اینباب آنستکه بیچیده شده ام بعلم مخزون و سرمکنونیکه پنهان است که اگر اظهار بدارم آنرا بشما هر آینه مضطرب میشوید ، و بلرزمیافتید مانند لرزیدن ریسمان در چاه دور و دراز ، و این اشاره است بقیام دولت اهل خلافت و طغیان و امتداد زمان غضب خلافت ایشان .

و من كلام له عليه السلام لها اشير اليه بان لا يتبع طلحة
والزبير ولا يرصد لهما القتال وهو سادس المختار
في باب الخطب الجارى مجراها

ورواه في البحار من الامالي بسند ياتي ، في شرح البحراني عن ابي عبيد قال
اقبل امير المؤمنين عليه السلام الطواف وقد عزم على اتباع طلحة والزبير وقتالهما فأشار إليه
ابنه الحسن عليه السلام أن لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال فقال عليه السلام في جوابه :

وَاللّٰهُ لَا اُكُوْنَ كَالضَّبْعِ تَنَامُ عَلٰى طُوْلِ الدِّمِ حَتّٰى يَصِلَ اِلَيْهَا
طَالِبُهَا وَيَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا ، وَلَكِنِّيْ اُضْرِبُ بِالْمَقْبِلِ اِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ
وَبِالسَّمِيعِ الْمُطْبِعِ الْعَاصِيِ الْغَرِيبِ اَبَدًا حَتّٰى يَأْتِيَّ عَلِيٌّ يَوْمِي ، فَوَاللّٰهِ
مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّيْ مُسْتَأْتِرًا عَلِيٌّ مُنْذُ قَبَضَ اللّٰهُ نَبِيَّهُ عليه السلام حَتّٰى
يَوْمِ النَّاسِ هَذَا .

اللفظة

(الضبع) بضم الباء حيوان معروف مؤنثة ، قال الفيروز آبادي و هي سبع
كالذئب إلا أنه إذا جرى كأنه أعرج و لذلك سمى السبع العرجاء و (اللدم)
اللطم والضرب بشيء : قيل يسمع وقعته و (ختله) يختله من باب نصر وضرب خدعه
و (استأثر) بالشئ استبد به .

الاعراب

على في قوله : على طول اللدم ، للاستعلاء المجازي على حد قوله تعالى :
' ولهم علي ذنب ' ، و الباء في قوله : بالمقبل وبالسامع ، للاستعانة أو المصاحبة ،

و عليّ في قوله : يأتي عليّ ، زائدة ، و حتىّ في قوله : حتىّ يوم النّاس بمعنى إلى والايان يهادون إلى للإشارة إلى دخول مابعدها في حكم ما قبلها إذ الغالب في حتىّ مع الخلوّ من القرينة هو الدخول ، كما أنّ الغالب في الي العكس ؛ صرح به ابن هشام في المعنى .

المعنى

اعلم أنّ الضّبع حيوان معروف بالحرق و العرب تقول في أمثالها أحرق من الضّبع ، و من حمقها أنّ الصّائد يأتي إلى باب مغارها فيضرب بعقبه الأرض عند الباب ضرباً خفيفاً ، و ذلك هو اللدم ويقول خامري ام عامر مراداً بصوت ليس بشديد فتنام على ذلك فيدخل إليها ويجعل الحبل في عرقوبها ويجرّها فيخرجها .

وفي شرح المعتزليّ و العرب يزعمون أنّ الصّائد يدخل عليها و جارها فيقول : اطرقني ام طريق خامري ام عامر ، ويكرّر ذلك مراراً فتلجأ إلى أقصى مغارها و تنقبض فيقول : ام عامر ليست في و جارها ام عامر نائمة ، فتمدّ يديها و رجليها و تستلقي فيدخل عليها و يوثقها .

أقول : عامر هو جرو الضّبع و ام عامر كنية لها و معنى خامري ام عامر استتري و الزمي مكانك من المخامرة و هو الاستتار و لزوم المكان ، و ام طريق كقبيط (١) كنية لها أيضاً و هو كثير الاطراق .

وفي القاموس يقال : خامري حضاجر أذاك ما تجاوز هكذا و جدناه و الوجه خامر بحذف الياء أو تجاوزين باثباتها ، و حضاجر علم جنس للضّبع غير منصرف لأنّه منقول عن الجمع و كان في الأصل حضجر بمعنى عظيم البطن سمّي به الضّبع مبالغة في عظم بطنها ، كأن كلّ فرد منها جماعة من هذا الجنس ، فهو علم للمفرد المؤنث و لذلك قال الفيروز آبادي : و الوجه أن يقال : تجاوزين ، و أما الوجه الآخر الذي ذكره و هو حذف الياء في خامر فهو مبنيّ على كونه علماً لجنس الضّبع الأعمّ الشامل

للذكر والانى على ما ذهب إليه البعض على ما حكاه الفيومي في المصباح .
 و كيف كان فاذا عرفت ما مهّدناه وضح لك معنى قوله ﷺ : (والله لا أكون
 كالضبيع تنام على طول اللدم حتى يصل إليها طالبها ويختلها) أى يخدعها (راصدها)
 و مترقبها و المقصود إنى لا أقعد عن الحرب و لا أؤخر القتال فيكون حالي مع
 القوم المشار إليهم حال الضبيع تنام على حيلة صائدها ، فأكون قد أسلمت نفسي لهم
 ويكونون متمكّنين منى تمكن صائد الضبيع منها يختله و خديعته (ولكنى أضرب)
 مصاحباً (بالقبيل إلى الحق) وجه (المدبر عنه و) احارب مستعيناً (بالسامع المطيع)
 اداعي الحق (العاصي المريب) في الحق الشاك فيه (ابدأ) أى مادام العمر (حتى
 يأتى على يومى) الذي قدر فيه موتى (فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقى) الذي كنت
 أستحقّه بنص من الله ورسوله (مستأثراً على) و مستبداً برأى غير محتاج إلى مشاورة
 الغير (منذ قبض الله نبيّه ﷺ) إليه (حتى يوم الناس هذا) يعنى أن التغلب
 على و اندفاعى عن الخلافة شيء لم يتجدد الآن بل كان منذ قبض رسول الله ﷺ
 إلى ذلك اليوم الذي خالفونى و نكثوا بيعتى .

و في الاحتجاج قال أمير المؤمنين ﷺ في أثناء كلام له : وهذا طلحة و الزبير
 ليسا من أهل النبوة و لا من ذرية الرسول حتى رأيا أن الله قد ردّ علينا حقنا
 بعد أعصر فلم يصبرا حولاً كاملاً و لا شهراً حتى وثبا على داب الماضين قبلهما ليذهبا
 بحقّى و يفرقا جماعة المسلمين عني ثم دعا عليهما .

وينبغى التنبيه على امور

الاول في ذكر نسب طلحة و الزبير أما طلحة فقد قال العلامة الحلبي قدس الله
 روحه في كشف الحق و قد ذكر أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي من علماء
 الجمهور أن من جملة البغايا و ذوي الرايات صعبة بنت الحضرمي و كانت لها راية
 بمكة و استصفت بأبي سفيان فوقع عليها أبو سفيان و تزوجها عبيد الله بن عثمان بن
 عمرو بن كعب بن سعد بن تيم فجمت بطلحة بن عبيد الله لستة أشهر ، فاختصم أبو سفيان
 و عبيد الله في طلحة فجعلوا أمرهما إلى صعبة فألحقته بمبيد الله فقيل لها : كيف تركت

أباسفيان؟ فقالت يد عبيد الله طليقة ويد أبي سفيان بكرة بوقال أيضاً: وممن كان يلعب به ويتخنت عبيد الله أبو طلحة .

وأما الزبير فقد قال في البحار: قال مؤلف كتاب إلزام النواصب و صاحب تحفة الطالب: قد ورد أن العوام كان عبداً لخويلد ثم اعتقه وتبناه (١) ولم يكن من قريش وذلك ان العرب في الجاهلية كان إذا كان لأحدهم عبد وأراد أن ينسبه إلى نفسه ويلحق به نسبه أعتقه وزوجه كريمة من العرب فيلحقه بنسبه و كان هذا من سنن العرب و يصدق ذلك شعر عدي بن حاتم في عبدالله بن الزبير بحضرة معاوية وعنده جماعة من قريش وفيهم عبدالله بن الزبير ، فقال عبدالله لمعاوية يا أمير المؤمنين ذرنا نتكلم عدياً فقد زعموا أن عنده جواباً ، فقال : إنني أحذركموه ، فقال : لا عليك دعنا وإياه فقال يا أبا طريف متى فقتت عينك؟ فقال : يوم فر أبوك وقتل شر قتلة وضربك الاشر على استك فوقت هارباً من الزحف وأنشديقول شعراً .

أما أبي يابن الزبير لوانني
و كان أبي في طي وأبواي
صحيحين لم ينزع عروقهما القبطا

قال معاوية : قد حدّ رتكموه فأيتتم ، وقوله : صحيحين اه تعريض بابن الزبير بأن أباه وآبا أبيه ليسا بصحيحي النسب وأنهما من القبط ولم يستطع ابن الزبير انكار ذلك في مجلس معاوية .

الثاني

في سبب نقض طلحة والزبير بيعته عليه السلام ، قال الشارح المعتزلي : لما بويع علي عليه السلام كتب إلى معاوية : أما بعد فإن الناس قتلوا عثمان من غير مشورة مني و يابعونني عن مشورة منهم و اجتماع فإنا أتاك كتابي فبايع وأوفد إلي أشرف أهل الشام قبلك ، فلما قدم رسوله على معاوية وقره كتابه بعث رجلاً من بني عيس وكتب معه كتاباً إلى الزبير بن العوام وفيه :

بسم الله الرحمن الرحيم لعبدالله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان

سلام عليك ، أما بعد فإني قد بايعت لك أهل القام فأجابوا واستوسقوا (١) كما يستوسق الحلب فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقنك إليهما بن أبي طالب فإنه لاشيء بعد هذين المصريين ، و قد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس إلى ذلك وليكن منكما الجد و التشمير أظفر كما الله و خذل مناديكما .

فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير ستر به و أعلم به طلحة وقرأه إياه فلم يشكا في النصح لهما من قبل معاوية و أجمعا عند ذلك علي خلاف علي عليه السلام .

قال الشارح : جاء الزبير و طلحة إلى علي عليه السلام بعد البيعة بأيام فقالا : يا أمير المؤمنين قد رأيت ما كنا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلما و علمت رأى عثمان كان في بني امية و قد ولاك الله الخلافة من بعده فولنا بعض أعمالك ، فقال عليه السلام لهما : ارضيا بقسم الله لكما حتى أرى رأيي و اعلمنا أنني لا اشرك في أماني إلا من أرضى بدينه و أمانيه من أصحابي و من قد عرفت و خيلته فانصرفا عنه و قد دخلهما اليأس فاستأذناه في العمرة .

وفي الاحتجاج عن ابن عباس أنه قال : كنت قاعداً عند علي عليه السلام حين دخل عليه طلحة و الزبير فاستأذناه في العمرة فأبى أن يأذن لهما فقال : قد اعترمتما ، فعادا عليه الكلام فأذن لهما ثم التفت إلي فقال : والله ما يريدان العمرة ، قلت : فلا تأذن لهما ، فردّهما ثم قال لهما : والله ما تريدان العمرة و ما تريدان إلا نكنا لبيعتكما و إلا فرقة لامتكما فحلفاله فأذن لهما ثم التفت إلي فقال : والله ما يريدان العمرة ، قلت : فلم أذنت لهما ؟ قال : حلفا لي بالله ، قال خرجا إلى مكة فدخلوا على عائشة فلم يزالا بها حتى أخرجاها .

وفي شرح المعتزلي من كتاب الجمل لأبي مخنف أن علياً عليه السلام خطب لما سار الزبير وطلحة من مكة و معهما عائشة يريدون البصرة فقال :
أيها الناس إن عائشة سارت إلى البصرة و معها طلحة و الزبير و كل منهما يرى

الأمر له دون صاحبه أما طلحة فابن عمها وأما الزبير فختها ، والله لو ظفروا بما أرادوا ولن ينالوا ذلك أبداً ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبه ولا تحل عقدة إلا في مصيبة الله وسخطه حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة أي والله ليقتلن ثلثهم وليبرين ثلثهم وليتوين ثلثهم و أنها التي تنبحها كلاب العوَاب و أنهما ليعلمان أنهما مخطئان و رب عالم قتله جهله و معه علمه لا ينفعه و حسبنا الله و نعم الوكيل ، فقد قامت الفتنة فيها الفتنة الباغية أين المحتسبون أين المؤمنون ؟ مالي و لقريش أما والله لقد قتلتم كافرين و لا قتلتم مفتوتين ، و مالنا إلى عايشة من ذنب إلا أنا أدخلناها في حيزنا والله لا يقرب الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته .

ورداه في البحار من كتاب الكافية لابطال توبة الخاطئة قريباً منه ، و فيه بدل قوله : وليتوين ثلثهم وليرجع ثلثهم و بدل قوله : و مالنا إلى عايشة من ذنب و ما لنا إليها من ذنب غير أننا خيرنا عليها فأدخلناها في حيزنا

الثالث

ردى المحدث المجلسي (قده) في البحار من أمالي المفيد عن الكاتب عن الزعفراني عن الثقفى عن الفضل بن دكين عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : لما نزل عليٌّ عليه السلام بالربذة سألت عن قدومه إليها فقيل : خالف عليه طلحة و الزبير و عايشة و صاروا إلى البصرة فخرج يريدهم فصرت إليه فجلست إليه حتى صلى الظهر والعصر فلما فرغ من صلاته قام إليه ابنه الحسن عليه السلام فجلس بين يديه ثم بكى و قال : يا أمير المؤمنين إنني لا أستطيع أن أكلمك و بكى عليه السلام ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لانبك يا بني و تكلم و لانه من حين الجارية .

فقال : يا أمير المؤمنين إن القوم حصروا عثمان يطلبونه بما يطلبونه إما ظالمون أو مظلومون فسألتك أن تعتزل الناس وتلمح بمكة حتى تنوب العرب وتعود إليها أحلامها وتأتيك وفودها فوالله لو كنت في جحر ضب لضربت إليك العرب آباط الأبل حتى تستخرجك منه ثم خالفك إلى الحق طلحة و الزبير فسألتك أن لا تتبعهما

وتدعما فان اجتمعت الامة فذاك وان اختلفت رضيت بما قسم الله وأنا اليوم أسألك أن لا تقدم العراق واذكرك بالله أن لا تقتل بمضبة .

فقال امير المؤمنين عليه السلام أما قولك : إن عثمان حصر فما ذاك وما على منه وقد كنت بمعزل عن حصره ، و أما قولك : امت مكة فوالله ما كنت لأكون الرجل يستحل به مكة ، و أما قولك : اعتزل العراق ودع طلحة و الزبير فوالله ما كنت لأكون كالضبع ينتظر حتى يدخل عليها طالبها فيضع العجل في رجلها حتى يقطع عرقوبها ثم يخرجها فيمزقها ارباً ارباً ولكن أباك يا بني يضرب بالمقبل إلى العنق المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المخالف أبداً حتى يأتي علي يومي فوالله ما زال أبوك مدفوعاً عن حقه مستائراً عليه منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا وكان طارق بن شهاب اي وقت حدث بهذا الحديث بكى هذا

والمستفاد من هذه الرواية أنه عليه السلام خطب بهذه الخطبة بالرغبة ، والمستفاد من رواية الشارح البحراني السالفة أنه خطب بها بمكة ، والله العالم بحقايق الوقايح .

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آنحضرتست که فرمود درحینى که اشاره کرده شد بسوى او که نرود بى طلحه و زبير و مهيا نسا زد بجهت ايشان مقاتله و محاربه را و اشاره کننده حضرت امام حسن عليه السلام بود که بحضور پدر بزرگوار اين عرض را نمود پس آن امام عالمقام جوابداد :

بخدا سوگند که من نمیتوانم مثل کفتار بشوم که بخوابد بردرازي زدن صيد کننده او باشنۀ خود را بسنگ که اين از جمله اسباب صيد اوست تا اينکه برسد باو طلب کننده و فريب دهد او را انتظار کشنده او، و لکن من ميزنم باستعانت ومصاحبت کسیکه اقبال کننده حق است اوبار کننده از حق را و بیاری شتونده فرمان بردار گنه کار شک آورنده را در جميع حالات و در همه اوقات تا اينکه بیاید بسوى من روز موعود من .

پس بخداوند سوگند همیشه بوده ام دفع کرده شده از حق خود ممنوع

گردیده از خلافت مستبد در امر و تنها ایستاده ام بر کار خود و هیچ ناصر و معین من نبوده از آن زمان که قبض فرمود حق سبحانه و تعالی روح پر فتوح پیغمبر خود را تا روز مردمان این روزگار ، یعنی اغتصاب خلافت و ممنوع شدن من از حق خود چیزی نیست که تا زگی داشته باشد و از آن استیحا ش بکنم ، بلکه امریست مستمر از روز وفات حضرت رسالت مآب سلام الله علیه تا امروز که این منافقین بامن بمقام نقض عهد آمده و بنایشان دنع نمودن من است از حق خود ، والله أعلم بالصواب .

و من خطبة له ﷺ وهي الخطبة السابعة

إِتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مَلَكَآ ، وَاتَّخَذُوا لَهُ أَشْرَكَآ ، قَبَاضَ وَفَرَّخَ
فِي سُدُورِهِمْ ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ ، فَتَنَّرَ فِي أَعْيُنِهِمْ ، وَتَلَقَّ
بِالسَّيْتِيهِمْ ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَالَ ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطْلَ ، فَعَلَّ مَنْ قَدَّشَرَ كُهُ
الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَتَلَقَّ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ .

اللغة

(الشيطان) فاعال من شطن إذا تباعد فكأنه يتباعد عند ذكر الله تعالى ،
وقيل إنّه فعلان من شاط يشيط إذا احترق غضباً لأنّه يحترق و يفضب إذا أطاع
العبد لله سبحانه و (ملك) الامر ما به قوامه و (الاشراك) إمتاجع شريك كشریف
و أشراف و هو الأظهر ، أو جمع شرك و هو حبال الصید و الغالب في جمعه شرك
بضمّتين و قد يجمع على أشراك كجبل و أجمال و (باض) الطائر و نحوه يبيض بيضاً فهو
بامض و (فرّخ) من باب التفعيل و (دبّ) المسفر ديباً من باب ضرب سار و (درج)
السبي دروجاً من باب قعد مشى قليلاً ، و قد يتغنّ الدبيب بالحركة الغفبة
و (الخطل) الكلام الفاسد يقال : أخطل في كلامه أى أخطأ

الاعراب

فعل من قد شر كه مفعول مطلق مجازي لقوله : اتخذوا إذا العامل محذوف والتقدير

فعلوا ذلك فعل من أ.

المعنى

اعلم أنه عليه السلام أشار في هذه الخطبة إلى ذم المنابذين والمخالفين له والمتمردين عن طاعته فقال: (اتخذوا الشيطان لا مرمهم ملاكاً) أى به قوام امورهم ونظام حالهم فعملوه ولبالهم سلطاناً عليهم متصرفاً فيهم بالأمر والنهي كما قال سبحانه:

« إِن تَعَدُّوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ » وقال تعالى: « إِنَّا جَعَلْنَا

الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ »

أى حكمنا بذلك لأنهم يتناصرون على الباطل يؤمنون به و يتولون الشيطان ويشركون بالرُّحمن كما قال تعالى:

« إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ »

(و اتخذهم له أشراكاً) يعنى أنهم بعد ما ملكوا الشيطان امورهم فتصرف فيهم بأن أخذهم شركاه له وجعلهم جنوده وأتباعه كما قال تعالى:

« إِن تَسْتَعِذَّ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسِيهِمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ

أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْغَاسِرُونَ »

وأما على جعل الاشراك جمعاً لشرك فقد قال السَّيِّاحُ البهراني أنه استعارة حسنة ، فإنه لما كان فائدة الشرك اصطياد ما يراد صيده وكان هؤلاء القوم بحسب ملك الشيطان لا راعهم وتصرفه فيهم على حسب حكمه أسباباً لدعوة الخلق إلى مخالفة الحق ومنايذة إمام الوقت وخليفة الله في أرضه اشبهوا الاشراك لاصطيادهم التعلق بالسنتهم و أموالهم و جذبهم إلى الباطل بالأسباب الباطلة التي ألقاها إليهم الشيطان ونطق بها على السنتهم فاستعار لهم لفظ الاشراك .

ثم أشار عليه السلام إلى ملازمة الشيطان لهم بقوله (فهاض و فرخ في صدورهم) كالطائر الذي بيض و فرخ و ذلك لا يكون إلا بعد طول الملازمة والاقامة ، فعبه

صَدُورِهِمْ بِعَشْرِ الطَّيْرِ وَمَوْطِنُهُ إِذَا الْبَائِضُ لَا يَبِيضُ إِلَّا فِي مَسْكَنِهِ ، وَكَتَبْتُ بِالْبَيْضِ
وَالْفَرَخِ عَنْ إِقَامَتِهِ عَلَيْهِمْ وَمَسْكَنِهِ فِي قُلُوبِهِمْ لِأَغْوَانِهِمْ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِمَا
مَعْنَاهُمَا الْأَصْلِيَّ لِأَنَّهُ لَا تَنَاجٍ لَهُ وَإِنَّمَا يَبِيضُ وَيَفْرَخُ بِنَفْسِهِ .

كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَارَوَاهُ فِي الْبَحَارِ مِنَ الْخِصَالِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ
مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الْآبَاءُ ثَلَاثَةٌ آدَمُ وَوَلَدٌ مُؤْمِنٌ ، وَالْجَانُّ وَوَلَدٌ كَافِرٌ
وَإِبْلِيسُ وَوَلَدٌ كَافِرٌ وَلَا يَسُ فِيهِمْ تَنَاجٍ إِنَّمَا يَبِيضُ وَيَفْرَخُ وَوَلَدُهُ ذُكُورٌ لَيْسَ فِيهِمْ أُنَاثٌ .
وَفِيهِ مِنَ الْعِلَلِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَمْرٍو بْنِ خَالِدٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ
عَلِيِّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله : إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حِينَ أَمَرَ آدَمَ أَنْ يَهْبِطَ ،
هَبِطَ آدَمُ وَزَوْجَتُهُ وَهَبِطَ إِبْلِيسُ وَلَا زَوْجَةَ لَهُ وَهَبِطَتِ الْحَيَّةُ وَلَا زَوْجَ لَهَا فَكَانَ أَوَّلُ
مَنْ يَلُوطُ بِنَفْسِهِ إِبْلِيسُ فَكَانَتْ ذُرِّيَّتُهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ وَكَانَتْ ذُرِّيَّةُ آدَمَ مِنْ
زَوْجَتِهِ فَأَخْبِرْهُمَا أَنَّهُمَا عَدُوٌّ أَنْ لِهَذَا

وَلَكِنْ الْأَوَّلُ أَظْهَرَ هُوَ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ لِأَنَّ الْكِنَايَةَ أَبْلَغُ مِنَ الْإِفْصَاحِ وَأَسَدُّ مِنْ
التَّصْرِيحِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ نَظِيرَ قَوْلِهِ صلى الله عليه وآله : إِنْ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى
الدَّمِّ ، فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ لَيْسَ أَنَّهُ يَدْخُلُ عِرْوَقَهُ وَأُورَادَهُ وَتَجَاوِيفَ أَعْضَانِهِ بَلِ الْمَعْنَى
أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَزَالُ يَرِاقِبُ الْعَبْدَ وَيُوسِسُ إِلَيْهِ فِي نَوْمِهِ وَيَقْظَتِهِ ، إِذْ هُوَ جَسْمٌ لَطِيفٌ
هُوَ أَيْ يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ إِلَى ذَلِكَ الْإِنْسَانِ فَيُوصِلُ كَلَامَهُ وَوَسْوَاسَهُ إِلَى بَاطِنِ أُذُنِهِ فَيَصِيرُ
إِلَى قَلْبِهِ ، وَاللَّهُ الْعَالِمُ بِكَيْفِيَّةِ ذَلِكَ .

وَبِالْجُمْلَةِ كَلَامُ الْعَرَبِ إِشَارَاتٌ وَتَلْوِيحَاتٌ وَكَلَامٌ إِذَا ذَهَبَ عَنْهُ الْمَجَازُ
وَالِاسْتِعَارَةُ وَالْكِنَايَةُ زَالَتْ بَرَاعَتُهُ وَفَارَقَهُ رَوْنَقُهُ وَبَقِيَ مَفْسُولًا وَصَادَ عَامِيًا مَرْدُودًا
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَكَذَلِكَ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ عليه السلام أَفْصَحُ الْفَصْحَاءِ وَأَكْمَلُ الْبَلْغَاءِ ،
فَيَكُونُ فَائِدَةُ كَلَامِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَلْزِمُكَ وَيُرَاوِدُكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُ
فَلْيَلِكْ بِالْإِحْتِرَازِ مِنْهُ وَالتَّوَقُّفِ مِنْ كَيْدِهِ وَمَكْرِهِ ، وَفَائِدَةُ كَلَامِهِ عليه السلام أَنَّ الشَّيْطَانَ
اسْتَوْطِنَ قُلُوبَهُمْ وَلَزِمَ صُدُورَهُمْ لِزُومِ الطَّيْرِ الْبَائِضِ عَلَى بَيْضَتِهِ (وَدَبُّ دُرُجٍ فِي حَجُورِهِمْ)
دَيْبُ الْوَلَدِ فِي حَجَرٍ وَالِدِيهِ فَهُوَ مَعَهُمْ لَا يَفَارِقُهُمْ وَلَا يَفَارِقُونَهُ ، وَعَلَى الْوَجْهِ الْآخَرَ

الذي ذكرناه من احتمال استعمال باض وفرخ في معناهما الحقيقي فالأظهر رجوع الضميرين في دب ودرج إلى الفرخ المستفاد من فرخ .

ثم أشار **عليه السلام** إلى شدة اتحاده معهم بقوله (فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم) وذلك لأن النظر والنطق و سائر أفعال الأعضاء والجوارح بأسرها تابعة لارادة القلب، إذ القلب هو الحاكم عليها بالأمر والنهي والمتصرف في مملكة البدن والرئيس على الجوارح والمشاعر الباطنة والظاهرة .

و لما جعلوا هؤلاء قلوبهم عش الشيطان و موطنه وألقوا مقاليد امورهم إليه وعزلوا عقولهم عن التصرف والتدبير ، كان إرادتهم القلبية التي هي منشأ الحركات و الأفعال للجوارح تبعاً له و منبعثة من وسوسته و إغوائه ، فيكون جميع الأفعال والحركات و المسكنات لهم مستندة إليه و صادرة عن حكمه ، فيكون نظرهم نظر الشيطان و نطقهم نطق الشيطان لا ينظرون إلا إلى ما فيه رضاه ، ولا ينطقون إلا بما هو مطلوبه ومناه .

(۱) عند ذلك (ركب بهم الزلل) و الضلالة (وزين لهم الخطل) و الفكاهة و فعلوا ذلك مثل (فعل من قد شره الشيطان في سلطانه و نطق بالباطل على لسانه) يعني كما أن من جعله الشيطان شريكاً له في تسلطه وأمره ونهيه و كان ناطقاً بالباطل على لسانه ، يكون جميع أفعاله واقواله في جميع أحواله تبعاً لذلك اللعين ، فكذلك هؤلاء المنافقين والمنابذين لعنة الله عليهم أجمعين .

الترجمة

أخذ نمودند منافقان شیطان را بجهة کارهای خودشان محل اعتماد و مابه القوام ، و اخذ نمود شیطان ایشان را بجهة خود شریکان ، پس تخم شقاوت نهاد و جوجه در آورد و در سینه ایشان بحرکت در آمد و باتدريج رفتار کرد در کنار ایشان ، پس با چشم آنها نگاه نمود و با زبان ایشان گویا گردید ، پس سواد نمود ایشان را بر مرکب لغزش و گناه و زینت داد بجهة ایشان قول فاسد و تباه را ، مینماید کارها را مثل کردن کسیکه شریک نموده باشد او را شیطان در سلطان و طغیان خود ، و همچو

كردن کسیکه گویا باشد بامر باطل بر زبان او ، یعنی افعال و اقوال اینها مثل فعل و قول کسی است که من جمیع الوجوه مطیع شیطان بوده باشد و از غایت اختلاط و امتزاج باشیطان اثبیت از میانه برداشته شود .

ومن كلام له **عنه** یعنی به الزبیر فی حال اقتضت ذلك وهو ثامن المختار فی باب الخطب

زَعَمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ يَدَيْهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقْرَأَ بِالْبَيْعَةِ، وَأَدْعَى الْوَلِيْعَةَ، فَلَيَاتِ عَلَيْهَا بِأَمْرِ يُعْرَفُ، وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيهَا خَرَجَ مِنْهُ.

اللفظ

(ولج) يلج ولوجاً ولجة دخل ، والوليعة الدخيلة والبطانة وخاصتك من الرجال و من تتخذة معتمداً من غير أهلک ، وهو وليجتهم ای لصيق بهم ، و المراد هنا ما أضمره الإنسان في قلبه .

الاعراب

الفاء في قوله **عنه** : فقد أقر ، وقوله : فليأت ، فصيحة وفي قوله : فليدخل جواب للشرط

المعنى

اعلم أن الزبير بعد نكته بيعته **عنه** كان يمتدح عن ذلك ، فیدعی تارة أنه أكره على البيعة و (يزعم) أخرى أنه ورى في ذلك تورية ونوى دخيلة و (أنه قد بايع بيده و لم يبائع بقلبه) فأجاب **عنه** عنه ورد ادعائه بأنه (قد أقر بالبيعة) بتسليمه البيعة بيده ظاهراً و (ادعى) أنه أضمر في باطنه ما يفسد بيعته من (الوليعة) والبطانة وهذه دعوى لا تسمع منه ولا تقبل شرعاً مالم ينصب عليها دليلاً ولم يقم عليها برهاناً (فليأت) على اثباتها (بأمر يعرف) صحته ودليل يتضح دلالاته (و إلا) أى إن لم يقم عليها برهاناً كما أن الشأن ذلك (فليدخل فيما خرج منه) من طاعته **عنه** وانقياد حكمه وليمض على بيعته .

قال الشارح المعتزلي : لما خرج طلحة و الزبير من المدينة إلى مكة لم يلقيا أحداً إلا و قالوا : ليس لعلي في أعناقنا بيعة وإنما بايعناه مكرهين فبلغ علياً عليه السلام قولهما فقال عليه السلام : أبعدهما الله و أعزب دارهما و أنا والله لقد علمت أنهما سيقتلان أنفسهما أحبت مقتل و يأتيان من وردا بأشام يوم و لقد أتيتني بوجهي فاجرين و رجعا بوجهي غادرين ناكثين ، والله لا يلقىاني بعد هذا اليوم إلا في كتيبة خشنة يقتتلان فيها أنفسهما فبمدأ لهما و سحقاً .

وفي الاحتجاج عن نصر بن مزاحم أن أمير المؤمنين عليه السلام حين وقع القتال و قتل طلحة تقدم على بظلة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الشهباء بين الصغين ، فدعا الزبير ، فدنا إليه حتى إذا اختلفت أعناق دابتيهما ، فقال : يا زبير انشدك أسمع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول : إنك ستقاتل علياً و أنت له ظالم ، قال ، اللهم نعم ، قال : فلم جئت ؟ قال : جئت لا صلح بين الناس فأدبر الزبير وهو يقول :

ترك الأمور التي يخشى عواقبها
 أنى علياً بأمرٍ كنت أهرفه (١)
 قتلت حسبك من عدل أبا حسن
 فاخترت عادراً على نارٍ موججة
 نبئت طلحة وسط النقع منجدلاً
 قد كنت أنصره أحياناً و ينصرني
 حتى ابتليتنا بأمر ضاق مصدره
 لله أجمل في الدنيا وفي الدين
 قد كان عمر أيبك الخير مذحين
 فبعض ما قلته ذا اليوم يكفيني
 أنى يقوم لها خلق من الطين
 مأوى الضيوف و مأوى كل مسكين
 في النسابات ويرمى من يراميني
 فأصبح اليوم ما يعنيه يعنيني

قال : و أقبل الزبير إلى عايشة فقال : يا أمه والله مالي في هذا بصيرة و أنا منصرف ، فقالت عايشة : يا أبا عبد الله أفردت من سيف ابن أبي طالب ؟ فقال : انتها والله طوال حداد تحملها فتية أنجاد ثم خرج را جمعاً فمر بوادي السباع فيه الأحنف ابن قيس قد اعتزل في بني تميم فأخبر الأحنف بانصرافه فقال : ما أصنع به إن كان

(١) نادى علي بأمر لست أدكره ، خ .

الزبير قد القي (الف خ) بين غارين (١) من المسلمين و قتل أحدهما بالآخر ثم هويريد اللحاق بأهله فسمعه ابن جرموز فخرج هو ورجلان معه وقد كان لحق بالزبير رجل من كلب ومعه غلامه .

فلما أشرف ابن جرموز و صاحبه على الزبير فحرك الرجلان رواجلهما وخلقًا الزبير وحده ، فقال الزبير : مالك ما هم ثلاثة و نحن ثلاثة فلما أقبل ابن جرموز قال له الزبير : مالك إليك عنّي فقال ابن جرموز : يا أبا عبد الله إنني جئتك لأسألك عن أمور الناس قال : تركت الناس على الركب يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف .

قال ابن جرموز : يا أبا عبد الله أخبرني عن أشياء أسألك عنها قال : هات ، فقال أخبرني عن خذلك عثمان و عن بيعتك علياً و عن نقضك بيعته و عن إخراجك عيشة أم المؤمنين و عن صلواتك خلف ابنك و عن هذه الحرب التي جتتها و عن لحوقك بأهلك فقال : أما خذلي عثمان فأمر قدم الله فيه الخطيئة و آخر فيه التوبة ، و أما بيعتي علياً فلم أجد منها بداً إذ بايعه المهاجرون و الأنصار ، و أما نقض بيعة فأنما بايعته بيدي دون قلبي ، و أما إخراجي أم المؤمنين فأردنا أمراً و أراد الله غيره ، و أما صلواتي خلف ابني فأنما خالته قد متني ، فتنحى ابن جرموز عنه ، و قال قتلني الله إن لم أقتلك .

وفي شرح المعتزلي بعد ما ذكر سؤال ابن جرموز و جواب الزبير قال : فسار ابن جرموز معه و كل واحد منهما يتقي الآخر فلما حضرت الصلاة فقال الزبير يا هذا إننا نريد أن نصلي ، فقال ابن جرموز : أنا أريد ذلك فقال الزبير : فتؤممني و أؤمك ، قال : نعم فتى الزبير رجلاً و أخذ وضوءه ، فلما قام إلى الصلاة شد ابن جرموز عليه قتلته و أخذ رأسه و خاتمه و سيفه و حثا عليه تراباً يسيراً و رجع إلى

١- و في حديث علي عليه السلام قال يوم الجمل ما ظنك بامرء جمع بين هذين الفارين أي الجيشين و الفار الجماعة هكذا أخرجه أبو موسى في التين و الواو و ذكره الهروي في التين و الباء قال و منه حديث الاحنف قال في الزبير حين منصرفه من الجمل ما صنع ان كان جمع بين غارين، نهايه

الأحنف فأخبره ، فقال : والله ما أدري أسأت أم أحسنت ، اذهب إلى علي عليه السلام فأخبره فجاء إلى علي فقال للأذن : قل له : عمرو بن جرموز بالباب ومع رأس الزبير و سيفه فادخله .

و في كثير من الروايات أنه لم يأت بالرأس بل بالسيف فقال له : أنت قتلته قال : نعم قال : والله ما كان ابن صفيّة جباناً ولا ليثيماً ولكن الحين (١) و مصارع السوء ، ثم قال ناوطني سيفه فناولوه فهزّه ، و قال : سيف طال ما جلى به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فقال ابن جرموز : الجائزة بأمر المؤمنين ، فقال عليه السلام : أما أنتي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول بشر قاتل ابن صفيّة بالنار ، فخرج ابن جرموز خائبا وقال :
 أتيتُ عليّاً برأس الزبير فبشر بالنار يوم الحساب
 فقلت له إن قتل الزبير فإن ترض ذلك فمك الرضا
 و ربّ المحلّين والمحرمين لسيمان عندي قتل الزبير
 ثم خرج ابن جرموز على علي عليه السلام مع أهل النهر ، فقتله معهم فيمن قتل .

فان قيل : أليس ما رواه ذلك صريحا في توبة الزبير حيث إنه لو لم يكن تائبا لما استحقّ قاتله النار بقتله ، فيدل ذلك على صحة ما ذهب إليه الشارح المعتزلي وفاقالساير المعتزلة من صحة توبة الزبير .

قلت : قد أُجيب عنه تارة بأنّ بشارة القاتل بالنار لا ينافي كون المقتول فيها أيضاً ، ولا يلزم توبته ، وذلك لأنّ ابن جرموز قتل الزبير على وجه الغيلة والمكر وهذه منه معصية لا شبهة فيها فانّما استحقّ ابن جرموز النار بقتله إياه غدرأ لأنّ

المقتول في الجنة .

و أُجيب أُخرى بأنّ جرموز كان من جملة الخوارج كما ذكره الشّارح في آخر كلامه و النبي ﷺ قد كان خبره بحالهم و دلّه على جماعة منهم بأعيانهم وأوصافهم ، فلما جاءه ابن جرموز برأس الزبير أشفق أمير المؤمنين عليه من أن يظنّ به لمظلم ما فعله الغير و يقطع له على سلامة العاقبة و يكون قتله الزبير شبهة فيما يصير إليه من الخارجيّة قطع عليه بالنار لتزول الشبهة في أمره و ليعلم أنّ هذا الفعل الذي فعله لا يساوي شيئاً مع ما يرتكبه في المستقبل .

و الذي يدلّ على أنّ بشارته بالنار لم تكن لكون الزبير تابعاً بل لبعض ما ذكرناه هو أنّه لو كان الأمر كما ادّعوه لا فاداه أمير المؤمنين عليه به ففي عدوله عليه من ذلك دلالة على ما ذكرنا كما هو واضح لا يخفى ، مضافاً إلى أنّه لو كان تابعاً لم يكن مصرعه مصرع سوء لا سيّما و قد قتله غادراً ، و يأتي إنشاء الله تحقيق هذا المعنى في شرح الكلام المائة والسابعة والثلاثين بما لا مزيد عليه فانتظر .

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آنحضرتست که اراده نموده بآن زبیر را در حالی که اقتضا میکرد آنرا ادعا میکند زبیر که بیعت کرده بدشت خود و بیعت نموده بقلب خود ، پس بتحقیق اقرار نمود بیعت خود شرعاً و ادعا کرد پنهان داشتن خلاف آنرا در باطن ، پس باید که بیارود بر آن دعوی بادللی که شناخته میشود بآن دلیل صحّت آن دعوی ، و اگر اقامه دلیل نتواند بکند باید داخل شود بآن چیزی که از آن خارج شده .

ومن کلام له ﷺ وهو تاسع المختار فی باب الخطب

وَقَدْ أُرْعِدُوا وَأُزْبِقُوا ، وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفِشْلُ ، وَ لَسْنَا
لُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ ، وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُنْظِرَ .

اللفظة

(أرعد) الرجل و (أزبق) أوعد و نهد و قال الكميت :

أرعد و أبرق يا يزيد فما وعيدك لي بضائر

و (الفشل) بفتحيتين مصدر فشل إذا ضعف وجبن
الاعراب

الفشل مرفوع على الابتداء قدم عليه خبره توسعاً ، والفعلان الواقعان بعد حتى منصوبان إما بنفس حتى كما بقوله الكوفيون ، أو بأن مضمرة نظراً إلى أن حتى إنما تخفض الألف ، وما يعمل في الأسماء لا يعمل في الأفعال ، وكيف كان فهي في الموضوعين إما بمعنى إلى كما في قوله سبحانه :

« حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ »

أو بمعنى إلا كما في قوله :

ليس العطاء من الفضول سماحةً حتى تجود وما لديك قليل

قال ابن هشام : وهذا المعنى (١) ظاهر من قول سيبويه في تفسير قولهم : والله لا أفعل إلا أن تفعل ، المعنى حتى أن تفعل والأظهر في كلامه عليه السلام إرادة المعنى الثاني فافهم .

المعنى

اعلم أن كلامه عليه السلام في هذا المقام ناظر إلى طلحة و الزبير و أتباعهما من أصحاب الجمل و وارد في توبيخهم و ذمهم (و) ذلك لأنهم (قد أرعدوا و أبرقوا) أي أوعدوا و اوتهدوا قبل إيقاع الحرب (ومع هذين الأمرين الفشل) إذ الوعيد و التهديد و الضوضاء قبل إيقاع الحرب و الظفر على الخصم أمانة الضعف و الجبن و علامة رذالة النفس ، كما أن الصمت و السكوت أمانة الشجاعة و لذلك أنه عليه السلام قال لأصحابه في تعليم آداب الحرب في ضمن كلامه المائة و الرابع و العشرين : و أميتوا أصواتكم فإنه أطرده للفشل ، و قال لأصحابه في غزوة الجمل : إياكم و كثرة الكلام فإنه فضل ثم بعد الإشارة إلى ذمهم و رذالة أنفسهم أشار عليه السلام إلى علو همته و فضيلة نفسه و أصحابه بقوله : (و لسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر) يعني كما أن

فضيلة السحاب اقتران وقوع المطر منه برقه و إسالته بامطاره فكذلك
أقولنا مقرونة بأفعالنا و إسالة عذابنا مقارنة بامطاره ، ويحتمل أن يكون المعنى
إتينا لا نهدد إلا أن نعلم أننا سنوقع ، ولا نوءد إلا إذا أوقفنا بخصمنا ، يعني إذا
أوقفنا بخصمنا أو عدنا حينئذ بالايقاع به غيره من خصومنا وهكذا كان حال الشجعان
في سالف الزمان وغايره .

كما روي أن كاتب حدود الروم كتب إلى المعتمض أن أبا قيس الرومي
حاكم قلعة عمورية أمسك امرأة من المسلمين بعد بها وهي تصيح واتجاه وامعتصماه
وأبوقيس يستهزه بها ويقول : إن المعتمض يركب مع جنوده على خيل بلق يأتي إلي
ويستخرجك من عذابي ، فلما ورد عليه الكتاب كان خادمه معه قدح من ماء السكر
يشربه المعتمض فقال له احفظ هذا ولا تناولنيه إلا في بيت المرأة المسلمة ، فخرج
من سر من رأى وأمر بمساكره أن لا يركب إلا من عنده فرس أبلق فاجتمع عنده
ثمانون ألفاً يركبون خيلاً بلقاً ، وكان المنجمون أشاروا عليه بأن لا يسافر وأن قلعة
عمورية لا تفتح على يديه .

فقال إن رسول الله ﷺ قال : من صدق منجماً فقد كذب ما أنزل الله على
محمد فسار إلى القلعة وحصرها مدة وكان الشتاء في غاية البرد فخرج المعتمض يوماً
من خيمته و وجد العسكر واقفا من شدة البرد لا يقدر على رمي السهم ، فأمر
بمأتي قوس وركب إلى حصار القلعة بنفسه فلما رآه جنوده ركضوا على القلعة من
أطرافها وفتحوها فسأل عن المرأة فدلوها عليها واعتذر لديها ، وقال : إنك ندبتني من
عمورية وسمعتك من سامرأ وقلت : لبسك ، فما أنا ركبت على الخيل البلق واخذت
بظلامتك ، ثم أمر خادمه باحضار ماء السكر فشربه وقال : الآن طاب الشراب واحتوى
على ما فيها من الأموال وقتل ثلاثين ألفاً أو أزيد هذا .

و في قوله ﷺ لا نسيل حتى نمطر تعريض على أصحاب الجمل وأنهم في
وعيدهم و اجازتهم بمنزلة من يدعى أنه يحدث السيل قبل إحداث المطر وهذا
محال لأن السيل إنما يكون من المطر فكيف يسبق المطر ، والله العالم بحقائق

كلام أوليايه .

الترجمة

يعني مانند رعد در تهديد می‌غرنند و مانند برق در توعید می‌جھند و با این دو امر ترس و جبن است ، و نیستیم ما که برسائیم تا اینکه واقع گردانیم ، و نه سیل روان نماییم تا اینکه بیارائیم ، والله اعلم .

و من خطبة له عليه السلام وهي الخطبة العاشرة

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ ، وَاسْتَجَابَ خَيْلَهُ وَرَجَاهُ ، وَإِنَّ مَعِيَ لَبَصِيرَتِي ، مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَا لُبْسَ عَلَيَّ ، وَأَنْتُمْ اللَّهُ لَا فَرْطَنَ لَهُمْ حَوْضًا أَمَا مَاتَهُ ، لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ ، وَلَا يَمُودُونَ إِلَيْهِ .

اللغة

(الخيل) الفرسان و (الرّجل) بالفتح جمع راجل كالركب جمع راكب و (أيم الله) مخفف أيمن قال الفيومي أيمن اسم استعمل في القسم والتزم رفعه كما التزم رفع لعمر والله ، و همزته عند البصريين وصل واشتقاقه عندهم من اليمن و هو البركة ، وعند الكوفيّين قطع لأنه جمع بعين عندهم وقد يختصر منه ويقال وأيم الله بحذف الهمزة والنون ثم اختصر ثانياً فيقال م الله بضم الميم وكسرها و (افرطن) إمّا بفتح الهمزة وضم الراء مضارع فرط زيد القوم كقعد أي سبقهم وتقدم عليهم ، و فرط بفتحيتين المتقدم في طلب الماء يهبيء الدلاء و الارشاء ، وإمّا بضم الهمزة وكسر الراء من باب الافعال مأخوذ من أفرط المزايدة أي ملأها و (الماتح) كالمايح وهو المستقي من البئر إلا أن الفرق بينهما كعجاجهما كما قاله أبو علي ، يعني أن التاء بنقطتين من فوق و كذلك الماتح لأنه المستقي فوق البئر والياء بنقطتين من تحت و كذلك المايح لأنه الذي ينزل إلى البئر فيملاؤه الدلو .

الاعراب

ألا حرف تنبيه تدلُّ على تحقُّق ما بعدها لتركبها من همزة الاستفهام و لاء النَّفَى ،
 وهمزة الاستفهام إذا دخلت على النَّفَى أفادت التحقيق نحو :
 « أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّبَ الْمُؤْمِنِينَ »

قال الزمخشري : ولكونها بهذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها إلا
 مصدرّة بنحو ما يتلقّى به القسم نحو :

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ »

أقول : وكان ينبغي له أن يضيف إلى ذلك وقوع نفس القسم بعدها كما في كلامه
 ﷺ ، وأيم الله مرفوع بالابتداء خبره محذوف أي أيم الله قسمي وقد يدخله اللام
 للتوكيد فيقال ليمن الله قسمي ، و افرطن إن كان عن فعل فحوضاً منصوب بنزع
 الخافض واللام في لهم إما للتقوية على حد قوله : يؤمن للمؤمنين ، أو تعليلية أي
 لاسبقتم أو لاسبقن لأجلهم إلى حوض على حد قوله : واختار موسى قومه ، وإن كان
 من افعال فحوضاً مفعول به ولهم مفعول لأجله أي لأجلهم فحوضاً ، وجملة لا يصدرون
 عنه ولا يعودون إليه حالية أوصفة للحوض .

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة ملتقطة من خطبة طويلة له ﷺ لما بلغه أن طلحة والزبير
 خلما بيعته و هو غير منتظم ، و قد أورد السيد منها فصلاً آخر وهي الخطبة الثانية
 والعشرون ؛ و نورد تمام الخطبة هناك إنشاء الله و على ذلك فالمراد بقوله ﷺ :
 (الإِنِّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حَزْبَهُ) هو الشَّيْطَانُ الحَقِيقِي لِمَعَادِيَةِ كَمَا تَوَهَّمَهُ الشَّارِحُ
 المَعْتَزَلِي ، و حَزْبُهُ هُوَ طَلْحَةُ وَ الزَّبِيرُ وَ أَتْبَاعُهُمَا وَ هُمُ الْمُرَادُ أَيضاً بِقَوْلِهِ : (وَ اسْتَجَلِبْ
 خَيْلَهُ وَ رَجُلَهُ) وَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الْبَاعِثُ لَهُمْ عَلَى مَخَالَفَةِ الْحَقِّ وَ الْجَامِعِ
 لَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ بوسوسته و اغرائه و تزيينه الباطل في قلوبهم و أن هؤلاء أطاعوا له
 و أجابوا دعوته و شاركوه في الدعاء إلى الباطل فصاروا حزبه قال تعالى :

« وَاسْتَفْزِرْزِ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ . سَوَاتِكَ وَأَجَابَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ
وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَرْوَادِ وَعِدُّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ
إِلَّا غُرُورًا »

أي استخف من استطعت منهم أن تستغزه بدعائك إلى الفساد قال ابن عباس : كل
راكب أو راجل في معصية الله فهو من خيل إبليس وجنوده و يدخل فيه كل راجل
وماش في معصية الله فخياله ورجله كل من شاركه في الدعاء إلى المعصية .
ثم أشار (عليه السلام) إلى كمال عقله و استعداده بقوله : (و أن معي لبصيرتي) يريد
أن البصيرة التي كانت معي في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم تتغير ، و إلى هذه اشيرت
في قوله تعالى :

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ »

قال أبو جعفر (عليه السلام) في رواية الكافي ذلك رسول الله و أمير المؤمنين و الأوصياء من
بعدهما ، يعني أن الداعي إلى الله مع البصيرة هو رسول الله و أمير المؤمنين و الأوصياء
التابعون له في الأقوال و الأفعال .

ثم أكد كمال عقله بالاشارة إلى عدم انخداعه بخدع الشيطان و بتليسه
الباطل بصورة الحق كما يلبس على ذوى البصائر الضعيفة و أولى العقول السخيفة
سواء كان مخادعته بغير واسطة وهو المشار إليه بقوله : (ما لبست على نفسي) أي
لا يلبس على نفسي المطمئنة ماتلقيه إليها نفسي الأمامة ، أو بواسطة غيره و هو
المشار إليه بقوله : (و لا لبس على) أي لم يحصل التليس على من الخارج من
جنود إبليس و أتباعه الذين تلقفوا عنه الشبه و صار في قوتهم أن يلبسوا الحق صورة
الباطل (و أيم الله لأفرطن لهم حوضاً أناماتحه) هذا الكلام منه (عليه السلام) و ارد مورد
التهديد و جار على سبيل الاستمارة ، و معناه لاسبقنهم أولاً سبقن لأجلهم حياض
الحرب التي أنا متدرّب بها ، أولاً ملثن لهم حياض الحرب التي هي عادتني و أنا خبير بها

قال الشَّارحُ البَحراني : استعمارُ إفراطِ الحوضِ لجمعه الجندُ و تهيئةُ أسبابِ الحربِ و كَتبني بقوله : أنا ماتمه ، أَنه هو المتولي لذلك و في تخصيصِ نفسه بالمتحِ تأكيدُ تهديدِ لعلمهم بشجاعته و قد حذف المضافُ إليه أي أناماتح مائه إذ الحوض لا يوصف بالمتح و قوله : (لا يصدرون عنه و لا يعودون إليه) يعني أن الوارد عنهم إليه لا يصدر عنه و لا ينجومنه فهو بمنزلة من يفرق فيه وأنَّ من نجامنهم لا يطمع في الحرب مرّةً أخرى و لا يعود إليها أبداً .

الترجمة

آگاه باش قسم بخدا که بتحقیق شیطان ملعون جمع کرده است حزب خود را از برای اغواء و اضلال و جمع نموده است سواران و پیادگان یعنی أعوان و انصار خود را ، و بددرستی بصیرتی که داشتم در زمان حضرت رسالت مآب صلوات الله علیه و آله با من است ، نپوشانیده‌ام بر نفس خود باطل را بصورت حق ، و پوشانیده نشده است بر من یعنی بر ضلالت نیفتاده‌ام نه از قبل نفس خود و نه بواسطه اضلال دیگری قسم بخداوند هر آینه سبقت می‌کنم ایشان را بسوی حوضهای حرب یا بر می‌کنم بجهة ایشان حوضهای محاربه و مقاتله را که من آب کشنده آن حوضها می‌باشم ، یعنی خیر و بصیر باشم پانها چنان حوضهاییکه باز نگرود از آنها آنها می‌باشند و باز نیابند بسوی آنها آنها می‌باشند ، یعنی هر که بسوی بحر حرب شتابد غرق شود و جان بمالك دوزخ بسپارد ، و هر که از آن دریای خونخوار نجات یابد دیگر باره طمع در جنگ نمی‌نماید ، و الله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب

و من كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما اعطاه الراية يوم الجمل وهو الحادي عشر من المختار في باب الخطب .

تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزَلُّ ، عَضَّ عَلَى نَاجِدِكَ ، أَعْرَأَ اللَّهُ جُمُوعَتَكَ ،

تَد فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ ، إِزِم بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ ، وَغَضَّ بَصْرَكَ ،
وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

اللغة

(عض) أمر من عضضت اللقمة وبها وعليها من باب تعب لكن بسكون المصدر ومن باب منع أمسكتها (الناجد) السن بين الضرس والنياب وضحك حتى بدت نواجذها ، قال تغلب : المراد الأنياب ، وقيل الناجذ آخر الأضراس وهو ضرس الحلم لأنه ينبت بعد البلوغ وكمال العقل وقيل : الأضراس كلها نواجذ (والجمجمة) عظم الرأس المشتمل على الدماغ وربما يعبر بها عن الانسان كما يعبر عنه بالرأس و (تد) أمر من وتد قدمه في الارض اى اثبتها فيها كالوتد .

الاعراب

متعلق تزول و تزل مخذوف أى تزل الجبال عن مكانها و لا تزل عن مقامك وموضعك ، والباء في قوله : ارم ببصرك زائدة ، يقال : رميته ورميت به أقيته ، وسبحانه منصوب على المصدر بمخذوف من جنسه أى سبحته سبحانا ، ونقل عن سيبويه أن سبحان ليس بمصدر بل هو واقع موقع المصدر الذي هو التسييح ، و الاضافة إلى المفعول لأنه هو المسبوح بالفتح ، ونقل عن أبي البقاء أنه جوز أن يكون الاضافة إلى الفاعل وقال : المعروف هو الأول ؛ والمعنى على ذلك اسبح مثل ما سبح الله به نفسه

المعنى

اعلم أنه ﷺ أشار في كلامه هذا إلى أنواع آداب الحرب و كيفية القتال وعلم محمداً سنة امور منها .

الأول ما عليه مدار الظفر والغلبة وهوالثبات والملازمة و إليه أشار بقوله : (تزول الجبال و لا تزل) و هو خير في معنى الشرط اريد به المبالغة أى لو زالت الجبال عن مواضعها لا تنزل وهو نهى عن الزوال مطلقاً لأن النهى عنه على تقدير زوال الجبال الذي هو محال عادة مستلزم للنهى عنه على تقدير العدم بالطريق الاولى .

الثاني ما أشار إليه بقوله : (عضّ على ناجذك) فانّ عضّ النواجذ ينبو السيف عن الدماغ من حيث إنّ عظام الرأس تشتدّ وتصلب عند ذلك كما قال ﷺ في موضع آخر : وعضّوا على النواجذ ، فانه أنبا للصّوارم عن الهام مضافا إلى ما في عضّتها من ربط الجاش (١) عن الفشل والخوف كما يشاهد في حال البرد والخوف الموجب للرّعدة فانه إذا عضّ على أضراره تسكن رعدته ويتماسك الانسان بدنه .
الثالث ما أشار إليه بقوله : (أعر الله جمجمتك) والمراد به بذلها في طاعة الله لينتفع بها في دين الله كما ينتفع المستعير بالعارية ، قال الشارح المعتزلي : ويمكن أن يقال إنّ ذلك إشعار بانه لا يقتل في تلك الحرب لأنّ العارية مردودة ولو قال له : يع الله جمجمتك لكان ذلك إشعاراً له بالشهادة فيها .
أقول : وذلك لقوله سبحانه :

« إِنِ اللّٰهُ اشْتَرٰى مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ اَمْوَالَهُمْ وَاَنْفُسَهُمْ بِاَنْ لَّهُمُ الْجَنَّةَ فَيَقْتُلُوْنَ وَيُقْتَلُوْنَ » الآية .

الرابع ما أشار إليه بقوله : (تد في الأرض قدمك) و هو أمر بالزمام قدمه في الأرض كالوئد لاستزامه ربط الجاش واستصحاب العزم وكونه مظنة الشجاعة .
الخامس ما أشار إليه بقوله : (ارم ببصرك أقصى القوم) وهو الأمر بفتح عينيه ورفع طرفه ومدّ نظره إلى أقاصي القوم ليعلم على ما ذا يقدم فعل الشجاع المقدم غير المبالي لأنّ الجبان تضعف نفسه و يضطرب قلبه فيكون غضيض الطرف ناكس الرأس لا يرتفع طرفه ولا يمتدّ عنقه .

السادس ما أشار إليه بقوله : (و غضّ بصرك) و هو أمر بغضّ بصره بعدمده عن بريق سيوفهم ولمعان دروعهم ، لأنّ مدّ النظر إلى بريق السيوف مظنة الرهبة والدّهشة ، ثمّ إنّ ﷺ بعد تعليمه آداب المحاربة والمقاتلة قال له : (و اعلم أنّ النصر من عند الله سبحانه) ليتأكد ثباته بتوقفه بالله سبحانه مع ملاحظة قوله تعالى :

«إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ» هذا

و ينبغي لنا أن نذكر هنا طرفاً من وقائع الجمل مما يناسب المقام بما فيه من الإشارة إلى مورد ذلك الكلام منه ١٤٤.

فاقول : في البحار من كتاب المناقب من كتاب جمل انساب الأشراف أنه زحف علي عليه السلام بالنسب غداة يوم الجمعة لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست و ثلاثين وعلى ميمنته الأشر و سعيد بن قيس وعلى ميسرته عمار و شريح بن هانئ وعلى القلب محمد بن أبي بكر و عدي بن حاتم وعلى الجناح زياد بن كعب و حجر ابن عدي و على الكمين عمرو بن الحمق و جندب بن زهير و على الرجلة أبوقنادة الأنصاري و أعطى رايته محمد بن الحنفية ثم أوقفهم من صلاة الغداة إلى صلاة الظهر يدعوهم و يناشدهم ويقول لعائشة إن الله أمرك أن تقرى في بيتك اتقي الله و ارجعي، و يقول لطلحة و الزبير ، خباأتانساكم ما أوبرزتما زوجة رسول الله صلى الله عليه و آله واستغزتماها فيقولان : إنما جئنا للطلب بدم عثمان و أن يرد الأمر شورى و البست عائشة درعاً و ضربت على هودجها صفائح الحديد و ألبس اليهودج درعاً و كان اليهودج لواء أهل البصرة و هو على جمل يدعى عسكرياً .

ابن مردويه في كتاب الفضائل من ثمانية طرق أن أمير المؤمنين عليه السلام قال للزبير : أما تذكر بما كنت مقبلاً بالمدينة تحدثني إذ خرج رسول الله صلى الله عليه و آله فرآك معي و أنت تبسم إلي فقال لك : يا زبير أتحب علياً ؟ فقلت : وكيف لا أحبه و بيني وبينه من النسب و المودة في الله ما ليس لغيره ، فقال : إنك ستقاتله و أنت ظالم له فقلت : أعوذ بالله من ذلك ، و قد تظاهرت الروايات أنه عليه السلام قال : إن النبي صلى الله عليه و آله قال لك : يا زبير تقاتله ظلماً و ضرب كتفك قال : اللهم نعم ، قال : أفجئت تقاتلني ؟ فقال : أعوذ بالله من ذلك ، ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام : دع هذا بايعتني طامعاً ثم جئت محاربا فماعدنا مما بدا ، فقال : لا جرم والله لا قاتلتك .

حلية الأولياء قال عبدالرحمن بن أبي ليلى فلقيه عبدالله ابنه فقال : جبنأجبنأ

فقال يابنئ : قد علم الناس أنني لست بجبان ولكن ذكرني عليّ شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ فحلفت أن لا أقاتل ، فقال : دونك غلامك فلان اعتقه كفارة بيمينك
نزّهة الابصار عن ابن مهدي أنه قال همام الثقفي :

أيعتق مكحولاً (١) ويعصي نبيّه لقد تاه عن قصد الهدى ثم عوق
لشتان ما بين الضلالة و الهدى وشتان من يعصي الاله ويعتق

وفي رواية قالت عايشة لا والله بل خفت سيوف ابن أبي طالب أما أنها طوال
حداد تحملها سواد أنجاد ولئن خفتها فلقد خافها الرّجال من قبلك ، فرجع إلى القتال
فقيل : لا أمير المؤمنين ﷺ إنّه قد رجع ، فقال دعوه إن الشيخ محمول عليه ، ثم
قال ﷺ : أيتها الناس غضوا أبصارهم وعضوا على نواجذكم وأكثروا من ذكر ربكم
وإياكم وكثرة الكلام فانه فشل ، ونظرت عايشة إليه وهو يجول بين الصّفيين فقالت :
انظروا إليه كان فعله فعل رسول الله ﷺ يوم بدر ، أما والله ما ينتظرك إلا زوال
الشمس فقال عليّ ﷺ يا عايشة :

« عَمَّا قَلِيلٍ لَتُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ »

فجدّ الناس في القتال فنهاهم أمير المؤمنين ، وقال اللهم إنني أعذرت وأنظرت فكن
لي عليهم من الشاهدين ، ثم أخذ المصحف وطلب من يقره عليهم :

« وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۗ الْآيَةَ

فقال مسلم المجاشعي : ها أناذا فخوّفه ﷺ بقطع يمينه وشماله وقتله فقال : لا عليك
يا أمير المؤمنين فهذا قليل في ذات الله فأخذه ودعاهم إلى الله فقطعت يده اليمنى
فأخذه بيده اليسرى فقطعت فأخذه بأسنانه فقتل فقالت أمه شعراً :

يا رب إن مسلماً أتاهم بمحكم التنزيل إذ دعاهم

يتلو كتاب الله لا يخشاهم فرملوه (١) رملك لحاهم (٢)
 فقال عليؑ: الآن طاب الضراب، وقال لمحمد بن الحنفية و الرابة في
 يده: يا بني تزول الجبال ولا تنزل إلى آخر مامر ثم صبر سويعة فصاح الناس عن
 كل جانب من وقع السبال، فقال عليؑ: تقدم يا بني فنقدم و طعن طعناً منكراً
 وقال عليؑ:

اطعن بها طعن أبيك محمد لا خير في الحرب إذا لم توقد
 بالمشرقي (٣) والقنا المسدد والضرب بالخطي (٤) والمهند
 فأمر الأشران يحمل فحمل وقتل هلال بن وكيع صاحب ميمنة الجمل وكان
 زيد يرتجز ويقول: ديني ديني وبيعي يمي وجعل مخنف بن مسلم يقول:
 قد عشت يا نفس و قد غنيت دهرأ و قبل اليوم ما عييت
 و بعد ذا لا شك قد فنيت أما ملك طول ما حييت
 فخرج عبدالله بن الشيربي قائلاً:
 يارب إنني طالب أبا الحسن ذاك الذي يفرق حقاً بالفتن
 فبرز إليه عليؑ قائلاً:
 إن كنت تبغي أن ترى أبا الحسن فاليوم تلقاه ملياً فاعلمن
 فضربه ضربة مجرفة (٥) فخرج بنو ضبة وجعل يقول بعضهم:
 نحن بنو ضبة أعداء عليؑ ذاك الذي يعرف فيهم بالوصي
 وكان عمر بن الشيربي يقول:

١- اي لطفوه بالدم منه

٢- جمع لعية منه

٣- المشرفية سيوف نسبت الى مشارف وهي قرى من أرض العرب تدلو عن الريف ذكره

الجوهرى وقال الهند السيف المطبوع من حديد الهند بعار

٤- و الغط موضع باليمامة ينسب اليه الرماح الغطلة لانها تحمل من بلاد الهند فتقوم به بعار

٥- جرفه جرفاً وجرفة ذهب به كله ق

إن تنكروني فانا ابن التيربي قاتل علباء و هذا الجملي
ثم ابن صوحان على دين علي

فبرز اليه عمار قائلاً :

لا تبرح العرصة يا ابن التيربي اثبت اقاتلك على دين علي
وأرداه عن فرسه وجر برجله إلى علي رضي الله عنه فقتله فخرج أخوه قائلاً :

أضربكم و لو أرى علياً عمته أبيض مشرفياً
وأسمراً عنظناً (١) خطياً فخرج علي رضي الله عنه متكرراً وهو يقول :

يا طالباً في حربته علياً يمسخه ابيض مشرفياً
اثبت ستاقاه بهما ملياً مهذباً سميدعاً (٢) كميّاً

فضربه فرمى نصف رأسه فناداه عبدالله بن خلف الخزاعي صاحب منزل عايشة بالبصرة :
أتبارزني؟ فقال رضي الله عنه : ما أكره ذلك ولكن ويحك يا ابن خلف ما راحتك في القتل
وقد علمت من أنا، فقال : ذرني من بذحك (٣) يا ابن أبي طالب ثم قال :

إن تدن مني يا علي فترا (٤) فإنتي دان إليك شبراً
بصارم يسقيك كاساً مرأ ها إن في صدري عليك وتراً (٥)
فبرز إليه علي رضي الله عنه قائلاً :

يا ذا الذي يطلب مني الوترا إذا كنت تبغي أن تزور القبرا
حقاً وتصلني بعد ذلك جمرأ فادن تجدني أسداً هزبرأ

١- الاسمر الرمح والعنظن الطويل

٢- السبيدع السيد الموطو، الاكتاف والكمى الشجاع المتكى في سلاحه لانه كمي نفسه
اي سترها بالدرع والبيضة بعار

٣- البنخ الكبر لفة

٤- الفتر ما بين طرف السبابة والابهام اذا فتحهما لفة

٥- الوتر بالكسر والفتح العقد وطلب الدم لفة

اصعطل (١) اليوم ذعاقاً صبراً

فضر به ﷺ فطير جمجمته فخرج ماذن الضبي قائلاً :

لا تطمعوا في جمعنا المكلل
الموت دون الجمل المجلل
فبرز إليه عبدالله بن نهشل قائلاً :

إن تنكروني فانا ابن نهشل
فارس هيجاو خطيب فيصل

فقتله وكان طلحة يحث الناس و يقول عباد الله الصبر الصبر في كلام له ، وعين
البلادري أن مروان بن الحكم قال والله ما أطلب ناري بعثمان بعد اليوم أبداً فرمى
طلحة بسهم فأصاب ركبته والتفت إلى أبان بن عثمان وقال لقد كفيتك أحد قتلة أهلك

معارف القتيبي أن مروان قتل طلحة يوم الجمل فاصاب ساقه الحميري :

واختل (٢) من طلحة المزهو جنته
سهم بكف قديم الكفر غدار
في كف مروان اللعين أرى
رھط الملوك ملوك غير أختيار

وله :

و اغتر طلحة عند مختلف القنا
فاختل حبسة قلبه بمدلق (٤)
في مارقين من الجماعة فارقوا
باب الهدى وحيا (٥) الربيع المخصب
وحمل أمير المؤمنين ﷺ على بني ضبة فما رأيتهم إلا كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف فانصرف الزبير فتبعه عمرو بن جرموز و جز رأسه و أنى به إلى
أمير المؤمنين ﷺ فقالوا : يا عايشة قتل طلحة والزبير و جرح عبدالله بن عامر

١- اصعطه الرمح طعنه به في انفه وصعطه واصعطه سطة، لفة

٢- اختل بسهم اى انتظم واختل به انتظمه به، لفة

٣- رجل جبل الذراعين ضخهما بحار

٤- دلق السيف من عمده اخرجه بحار

٥- العيا بالقصر النخصب والمطر بحار

من يدي عليّ فضالحي عليّاً فقال كبير عمرو (١) عن الطوق وجلّ أمر عن العتاب
ثم تقدّمت فحزن عليّ عليه السلام وقال : إن الله وإنّا إليه راجعون فجعل يخرج واحد بعد
واحد و يأخذ الزمام حتى قتل ثمان وتسعون رجلاً ثم تقدّمهم كعب بن سورة
الازدي و هو يقول :

يا معشر الناس عليكم أممكم فإنها صلاتكم و صومكم
و الحرمة العظمى التي تعمكم لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم

فقتله الاشر فخرج ابن جفير الازدي وهو يقول :

قد وقع الأمر بما لم يحذر والنبل يأخذن وراء المسكر
و أمنا في حذرنا المشمر

فبرز إليه الأشر قائلاً :

اسمع ولا تعجل جواب الاشر واقرب تلاق كأس موت أحمر
ينسيك ذكر الجمل المشمر

فقتله ثم قتل عمير الغنوي و عبدالله بن عتاب بن اسيد ثم جال في الميدان جولاً
و هو يقول :

نحن بنوالموت به غدينا

فخرج إليه عبدالله بن الزبير فطعنه الأشر وأرداه و جلس على صدره ليقتله ،
فصاح عبدالله اقتلونني و مالكا و اقتلوا مالكا معي فقصد إليه من كل جانب فخلاه
وركب فرسه فلمتارأوه راكباً نفرقوا عنه و شدّ رجل من الأزدي على عهد بن الحنفية
و هو يقول : يا معشر الأزدي كرتوا فضربه ابن الحنفية فقطع يده وقال : يا معشر الأزدي
فرّوا فخرج الأسود بن البخترى السلمي قائلاً :

١ - كبير عمرو عن الطوق اي لم يبق للصلح مجال قال الزمخشري في المستقصى هو عمرو بن

عدي ابن اخت حذيفة قد طوق صغيراً ثم استهوته الجن مدة فلما عاهدت امه باعادة الطوق اليه
قال حذيفة ذلك بعار

ارحم إلهي الكل من سليم و انظر إليه نظرة الرحيم

فقتله عمرو بن الحمق فخرج جابر الأزدي قائلاً

يا ليت أهلي من عمار حاضري من سادة الأزد وكانوا نصري

فقتله محمد بن أبي بكر ، وخرج عوف القيني قائلاً :

يا أمّ يا أمّ خلا مني الوطن لا ابتغي القبر ولا أبغي الكفن

فقتله محمد بن الحنفية ، فخرج بشر الضبي قائلاً :

ضبة أبدى للعراق عممة (١) وأضرم الحرب العوان (٢) المضرمة

فقتله عمار وكانت عايشة تنادي بأرفع صوت أيتها الناس عليكم بالصبر وإنما تصبر الأحرار فأجابها كوفي :

يا أمّ يا أمّ عقت فاعلموا والأُم تغذو ولدها و ترحم

أما ترى (٣) كم من شجاع يكلم و تجتليها مته و المعصم

و قال آخر :

قلت لها وهي على مهوات إن لنا سواك أمهات

في مسجد الرسول ناديات

فقال الحججاج بن عمرو الأنصاري :

يامعشر الأنصار قد جاء الاجل إنني أرى الموت عياناً قد نزل

فبادروه نحو أصحاب الجمل ما كان في الأنصار جبن وفشل

فكل شيء ما خلا الله الجلل (٤)

وقال خزيمة بن ثابت :

١- المعامع الجماعات المتفرقة، بعار

٢- العوان من الحرب التي قوتل فيها مرة، بعار

٣- اما ترى كم شجاع يكلم، خل

٤- الجلل بالتحريك العظيم الهين

لم يفضبوا لله إلا للجمل
والموت أجزى من فرار وفشل
والموت خير من مقام في خمل

وقال شريح بن هاني :

لا عيش إلا ضرب أصحاب الجمل
و القول لا ينفع إلا بالعمل
ما إن لنا بعد علي من بدل

وقال هاني بن عروة المذحجي :

يا لك حرباً حشها جمالها
قائدة ينقصها ضلالها
هذا علي حوله أقيالها

و قال سعد بن قيس الممداني :

قل للوصي اجتمعت قحطانها
إن يك حرب اضمرت نيرانها
وقال عمار :

إنني لعمار و شبيخي ياسر
والحق في كف علي ظاهر
طلحة فيها و الزبير غادر

وقال الأشر :

هذا علي في الدجى مصباح
نحن بذنا في فضله فصاح
وقال عدي بن حاتم :

أنا عدي و يمانى حاتم
هذا علي بالكتاب عالم
لم يعصه في الناس إلا ظالم

وقال عمرو بن الحمق :

هذا علي قائد يرضى به
أخو رسول الله في أصحابه
من عوده النامي ومن نصابه

وقال رفاعة بن شداد البجلي :

إِنَّ الَّذِينَ قَطَعُوا الْوَسِيلَةَ
وَنَازَعُوا عَلِيَّ الْفَضِيلَةَ

فِي حَرْبِهِ كَالنَّمْعَةِ الْأَكْبَلَةِ

و شككت (١) السهم اليهودج حتى كأنه جناح نسر أودرع قنفذ ، فقال أمير المؤمنين : ما أرى يقاتلكم غير هذا اليهودج اعقروا الجمل . وفي رواية عرقبوه ، فإنه شيطان وقال لمحمد بن أبي بكر : انظر انظر إذا عرقب الجمل فأدرك اختك فوارها فمرقب رجل منه فدخل تحته رجل ضيبي ثم عرقب آخرى عبدالرحمن فوقع على جنبه فقطع عمار نسعه فأتاه علي عليه السلام و دق رمحه على اليهودج وقال : يا عايشة أهكذا أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تفعلني ؟ فقالت : يا أبا الحسن ظفرت فأحسن وملكنت فأسجح فقال لمحمد بن أبي بكر : شأنك بأختك فلا يدنو أحد منها سواك ، فقال : فقلت لها : ما فعلت بنفسك عصيت ربك وهتكت سترك ثم أبحت حرمتك وتعرضت للقتل ، فذهب بها إلى دار عبدالله بن خلف الخزاعي فقالت : أقسمت عليك ان تطلب عبدالله بن الزبير جريحاً كان أوقتيلا ، فقال : إنه كان هدفاً للأشتر فانصرف محمد إلى العسكر فوجده ، فقال : اجلس يا ميشوم أهل بيته ، فأتاها به فصاحت وبكت ثم قالت : يا أخي استأمن له من علي عليه السلام ، فأنى أمير المؤمنين عليه السلام فاستأمن له منه فقال عليه السلام : أمنته وأمنت جميع الناس .

و كانت وقعة الجمل بالخريبة ووقع القتال بعد الظهر وانقضى عند المساء فكان مع أمير المؤمنين عشرون ألف رجل منهم البديريون ثمانون رجلاً وممن بايع تحت الشجرة مأتان و خمسون و من الصحابة ألف و خمسمائة رجل ، وكانت عايشة في ثلاثين ألف أويزيديون منها المكبيون ستمائة رجل ، قال قتادة : قتل يوم الجمل عشرون ألفاً ، وقال الكلبي قتل من أصحاب علي عليه السلام ألف رجل وسبعون فارساً ، منهم زينة بن صوحان و هند الجملي وأبو عبدالله العبدى وعبدالله بن رقية .

و قال أبو مخنف و الكلبي : قتل من أصحاب الجمل من الأزد خاصة أربعة

آلاف رجل ، ومن بني عدي ومواليهم تسعون رجلاً ، ومن بني بكر بن وائل ثمانمائة رجل ، ومن بني حنظلة تسعمائة رجل ، ومن ناجية أربعمائة رجل ؛ والباقي من أخلاط الناس إلى تمام تسعة آلاف إلا تسعين رجلاً القرشيون منهم طلحة والزبير وعبدالله ابن عتاب بن اسيد وعبدالله بن حكيم بن خرام وعبدالله بن شافع بن طلحة وعجدة بن طلحة وعبدالله بن ابي بن خلف الجمحي وعبد الرحمن بن معد وعبدالله بن معد .
وعرقب الجمل أو لا أمير المؤمنين عليه السلام ويقال المسلم بن عدنان ويقال رجل من الانصار ويقال رجل ذهلي وقيل لعبد الرحمن بن صرد الشوخي لم عرقت الجمل؛ فقال:

علي ولكني رأيت المهالكا

عقرت ولم أعقر بها لهوانها

إلى قوله فياليتني عرقته قبل ذلك

تبصرة

في ترجمة محمد بن الحنفية والاشارة إلى بعض أحواله ومناقبه .

أقول : اشتهاره بابن الحنفية لأن أمها خولة بنت جعفر بن قيس من قبيلة بني حنيفة وكنيته أبو القاسم برخصة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ولم يرخص في حق غيره أن يكنى بأبي القاسم والاسم محمد ذكره ابن خلكان في تاريخه .

قال الشارح المعتزلي : أم محمد رضي الله عنه خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة

ابن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ، واختلف في أمرها فقال قوم : إنهناسية من سبايا الردة قوتل أهلها على يد خالد بن الوليد في أيام أبي بكر لما منع كثير من العرب الزكاة وارتدت بنو حنيفة وادعت نبوة مسيلمة وأن أبا بكر دفعها إلى علي عليه السلام من سهمه في المغنم وقال قوم منهم أبو الحسن علي بن محمد بن سيف المدائني : هي سبية في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام إلى اليمن فأصاب خولة لابني زيد وقد ارتدوا مع عمرو بن معدي كرب وكانت زيد سبتها من بني حنيفة في غارة

لهم عليهم فصارت في سهم علي عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن ولدت منك غلاماً فسمه باسمي وكنهه بكنيتي فولدت له بعد موت فاطمة عليها السلام غمداً فكنناه أبا القاسم وقال قوم وهم المحققون وقولهم الأظهر : إن بني أسد أغارت على بني حنيفة في خلافة أبي بكر فسبوا خولة بنت جعفر وقدموا بها المدينة فباعوها من علي عليه السلام وبلغ قومها خبرها فقدموا المدينة على علي فعرفوها وأخبروه بموضعها منهم فأعتقها ومهرها وتزوجها فولدت له غمداً فكنناه أبا القاسم وهذا القول خيار أحمد بن يحيى البلاذري في كتابه المعروف بتاريخ الأشراف .

وقال : كان علي عليه السلام يقذف لمحمد في مهالك الحرب ويكف حسناً وحسيناً عنها وقيل لمحمد لم يفرربك أبوك في الحرب ولا يفرر بالحسن والحسين عليهما السلام ؟ فقال : إنهما عيناها وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه يمينه .
أقول : هذا الجواب منه رضي الله عنه يكفي في جلالة قدره و سمو مكانه و خلوص باطنه .

وقال : لما تقاعس محمد يوم الجمل عن الحملة و حمل علي بالرابية فضضع أركان عسكر الجمل ، دفع إليه الرابية وقال : امح الأولى بالأخرى وهذه الأنصار معك وضم إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين في جمع الأنصار كثير منهم من أهل بدر حمل حملات كثيرة أزال بها القوم عن مواقعهم وأبلى بلاه حسناً فقال خزيمة بن ثابت لعلي عليه السلام : أما أنه لو كان غير محمد اليوم لافتضح (١) ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة و جعفر لما خفناه عليه وان كنت أردت أن تعلمه الطعان فطال ما علمته الرججال ، وقالت الأنصار : يا أمير المؤمنين لو لا ما جعل الله تعالى لحسن وحسين عليهما السلام لما قدعنا على محمد أحداً من العرب فقال علي عليه السلام : أين النجم من الشمس والقمر أما أنه قد اغني وأبلى وله فضله ولا ينقص فضل صاحبيه عليه وحسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله إليه فقالوا يا أمير المؤمنين : إننا والله ما نعلمه كالحسن والحسين ولا نظلمهما له ولا نظلمه لفضلهما عليه حقه فقال علي عليه السلام أين يقع ابني من ابني رسول الله

عنه ، فقال خزيمه بن ثابت فيه شعراً :

نجد ما في عودك اليوم و صمة
أبوك الذي لم يركب الغيل مثله
فلو كان حقاً من أبيك خليفة
و أنت بعمد الله أطول غالب
و أقربها من كل خير تريده
و أظعنهم صدر الكمي برمحه
سوى أخويك السيدين كلاهما
أبي الله أن يعطي عدوك مقعداً

و في البحار من المناقب دعا أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن الحنفية يوم الجمل فأعطاه رمحه و قال له : أقصده بهذا الرمح قصد الجمل فذهب فمنعوه بنوضبه فلما رجع إلى والده انتزع الحسن رمحه من يده و قصد قصد الجمل و طعنه برمحه و رجع إلى والده و على رمحه أثر الدم فتمعز وجه محمد من ذلك فقال أمير المؤمنين عليه السلام لا تأنف فإنه ابن النبي و أنت ابن علي .

أقول: هذا نبت من مناقبه و فضائله في زمن أبيه سلام الله عليه و أما بعده فقد كان خالصاً في التشيع و مخلصاً للولاية لأخويه عليهما السلام و بعدهما لابن أخيه علي بن الحسين سلام الله عليه .

كما يوضحه ما رواه ثقة الاسلام الكليني عطر الله مضجعه في الكافي بإسناده عن الفضل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لما حضرت الحسن بن علي عليهما السلام الوفاة قال : يا قنبر انظر هل ترى من وراء بابك مؤمناً من غير آل محمد عليهم السلام فقال : الله و رسوله و ابن رسوله أعلم مني قال : ادع لي محمد بن علي فأتيته فلما دخلت عليه قال : هل حدث الأخير قلت أجب أبا محمد فمجل على شسع نعله فلم يسوه و خرج معي يعدو فلما قام بين يديه سلم فقال له الحسن بن علي عليهما السلام : اجلس فإنه ليس مثلك يغيب عن سماع كلام يحيى به الأموات ويموت به الأحياء كونوا و عية العلم ومصايح

الهدى فإن ضوء النهار بعضه أضوه من بعض ، أما علمت أن الله تبارك و تعالی جعل ولد ابراهيم عليه السلام أئمة و فضل بعضهم على بعض وأتى داود عليه السلام زبوراً و قد علمت بما استأثر الله به محمداً عليه السلام يا محمد بن علي إني أخاف عليك الحسد و إنما وصف الله به الكافرين فقال الله عز و جل :

« كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ »

ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً يا محمد بن علي ألا أخبرك بما سمعت من أبيك فيك ؛ قال : بلى ، قال : سمعت أباك عليه السلام يقوم يوم الظلة (البصرة خ) من أحب أن يبرئني في الدنيا والآخرة فليبرئ محمداً ولدي ، يا محمد بن علي لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لاخبرتك ، يا محمد بن علي أما علمت أن الحسين بن علي عليه السلام بعد وفاة نفسي و مفارقة روحي جسمي امام من بعدي وعند الله جل اسمه في الكتاب ووراثته من النبي صلى الله عليه وآله أضافها الله عز و جل له في وراثته أياه و أمه صلى الله عليهم ، فعلم الله أنكم خيرة خلقه فاصطفى منكم محمداً صلى الله عليه وآله و اختار محمد علياً عليه السلام و اختارني علي بالامامة و اخترت أنا الحسين عليه السلام .

فقال له محمد بن علي : أنت إمام و أنت وسيلتي إلى محمد صلى الله عليه وآله والله لو دوت أن نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام الاوان في رأسي كلاماً لا تنزفه الدلاء ولا تغيره نقمة الرياح كالكتاب المعجم في الرق المنمنم اهم بابدائه فاجدني سبقت اليه سبق الكتاب المنزل أو ما جاءت (خلت خ) به الرسل و أنه الكلام بكل به لسان الناطق و يد الكاتب حتى لا يجد قلماً و يؤتوا بالقرطاس جما فلا يبلغ فضلك و كذلك يجزي الله المحسنين ولا قوة إلا بالله .

الحسين أعلمنا علماء و أئمة و أقربنا من رسول الله صلى الله عليه وآله رحماً كان فتمهيا قبل أن يخلق ، و قرء الوحي قبل أن ينطق ، و لو علم الله في أحد خيراً غير محمد صلى الله عليه وآله ما اصطفى الله محمداً فلما اختار الله محمداً و اختار محمد علياً و اختارك علي اماماً و اخترت الحسين ، سلمنا و رضينا من بغيره برضى و من كنا نسلم به من مشكلات أمرنا .

و عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام يذكر فيه كيفية دفن الحسن عليه السلام بعد ما ذكر منع عايشة من دفنه عند النبي صلى الله عليه وآله واحتجاج الحسين عليه السلام عليها قال : ثم تكلم محمد بن الحنفية وقال لما يشة بوماعلى بقل وبوماعلى جمل فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوة لبني هاشم ، قال : فأقبلت عليه فقالت : يا بن الحنفية هؤلاء الفواطم يتكلمون فما كلامك ؟ فقال لها الحسين عليه السلام : و انتي (أنت خ) تبعدين عمداً من الفواطم فوالله لقد ولدته ثلاث فواطم فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم وفاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص (مقص خ) بن عامر الحديث .

و عن أبي عبيدة و زرارة جميعاً عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما قتل الحسين عليه السلام أرسل محمد بن الحنفية إلى علي بن الحسين عليه السلام فخلى به فقال له : ابن أخي قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله دفع الوصية والامامة من بعده إلى أمير المؤمنين عليه السلام ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين عليه السلام وقد قتل أبوك رضي الله عنه وصلى على روحه لم يوص ولم يوصك و أنا عمك و صنو أبيك و ولادتي من علي عليه السلام في سنتي و قدمي أحق بها في حدانتك فلا تنازعني في الوصية والامامة ولا تحتاجني .

فقال له علي بن الحسين عليه السلام : اتق الله ولا تدع ما ليس لك بحق إنني أعظك أن تكون من الجاهلين إن أبي ياعم صلوات الله عليه أوصى إلى قبل أن يتوجه إلى العراق وعهد إلى في ذلك قبل أن يشهد (يستشهد خ) بساعة وهذا سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله عندي فلا تمرض لهذا فانتني أخاف عليك نقص العمر و تشتت الحال ، إن الله عز وجل جعل الوصية والامامة في عقب الحسين عليه السلام فإذا أردت أن تعلم ذلك فانطلق بنا إلى الحجر حتى نتحاكم إليه ونسأله عن ذلك .

قال أبو جعفر عليه السلام وكان الكلام بينهما بمكة فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود ، فقال علي بن الحسين عليه السلام لمحمد بن الحنفية : ابده أنت فابتهل إلى الله عز وجل واسأله أن ينطق لك الحجر ثم سأله فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله عز وجل ثم دعا الحجر فلم يجبه فقال علي بن الحسين عليه السلام يا عم لو كنت وصياً وإماماً لأجابه

قال له محمد فادع الله أنت يا بن أخي و اسأله فدعا الله علي بن الحسين عليه السلام بما أراد ثم قال :

أَسْأَلُكَ بِالَّذِي جَعَلَ فِيكَ مِيثَاقَ الْأَنْبِيَاءِ وَ مِيثَاقَ الْأَوْصِيَاءِ وَ مِيثَاقَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ لِمَا خَبَرْتَنَا مِنَ الْوَصِيِّ وَالْإِمَامِ بَعْدَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام؛ قَالَ: فَتَحَرَّكَ الْحَجَرُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَزُولَ عَنْ مَوْضِعِهِ ثُمَّ أَنْطَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مَبِينٍ فَقَالَ: أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الْوَصِيَّةَ وَالْإِمَامَةَ بَعْدَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بِنْتُ فَاطِمَةَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَكَ، قَالَ فَانصرفت محمد بن علي وهو يتولى علي بن الحسين عليه السلام .

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آنحضرتست که فرمود پسر خود محمد بن حنفیه را هنگامی که داد اورا علم در روز حرب جمل : زایل میشوند کوهها از جای خود وتوزایل مشو از جای خودت ، دندان بالای دندان خود بگذار عاریه بده بخداوند تعالی کاسه سر خودت را ، میخ ساز بر زمین قدم خود را یعنی نابت قدم باش و در مکان خود محکم بایست ، بینداز چشم خود را بر نهایت قوم تا در کار قتال خود با بصیرت بوده باشی ، و فرو خوابان چشم خود را از لمعان سیوف که مظنه خوف وخشیت است و بدان بدرستی که نصرت از حق سبحانه وتعالی است

ومن كلام له عليه السلام لهما اظفره الله باصحاب الجمل وهو

الثاني عشر من المختار في باب الخطب

وَ قَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَدِدْتُ أَنْ أَخِي فَلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى

مَا نَصَرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلَيَّ أَعْدَاؤِكَ فَقَالَ عليه السلام : أَهْوَى أَخِيكَ مَعْنَاهُ ؟ فَقَالَ :

نَعَمْ ، قَالَ عليه السلام : فَقَدْ شَهِدْنَا وَ لَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا قَوْمٌ فِي أَصْلَابِ

الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ سَيَرَعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ ، وَ يَقْوَى بِهِمُ الْإِيْمَانُ .

اللغة

(يرعف) بهم الزمان يوجدهم و يخرجهم كما يعرف الانسان بالدم الذي يخرج من انفه قال الشاعر :

وما عرف الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضرباً

الاعراب

هوى مرفوع المعلن على الابتداء ومعنا خبره وفاعل شهد الأ و ل ضمير راجع إلى أخيك ، وفاعل شهد الثاني قوم و اسناد يعرف الى الزمان مجاز عقلي إذ الفاعل الحقيقي هو الله وهو من قبيل الاسناد إلى الظرف أو الشرط والمعد لأن الزمان من الاسباب المعدة لقوابل وجودهم .

المعنى

لما كان بعض أصحابه عليه السلام يحب حضور أخيه معهم في تلك الحرب حتى يرى نصرة الله لأوليائه على أعدائه ويفرح بذلك قال عليه السلام له : (أهوى أخيك معنا) يعني أن أخيك كان هواه معنا و كان إرادته وميله أن يكون في حزبنا (فقال : نعم) هو من مواليك و كان هواه معك (قال عليه السلام : فقد شهدنا) أخوك بالقوة و إن لم يكن حاضراً بالفعل وحصل له من الأجر مثل ما حصل للحاضرين بمقتضى هواه ومحبتته التي كانت له ، ثم أكد حضوره بقوله عليه السلام : (ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في أصلاب الرجال وأرحام النساء) من المحبين والموالين وعباد الله الصالحين (سيرعف بهم الزمان) ويخرجهم من العدم إلى الوجود (ويقوى بهم الإيمان) .

اعلم أن الشارح المعتزلي ذكر في شرح هذا الفصل نبذاً من الوقايع التي صدرت منه عليه السلام بعد ظفروه على أصحاب الجمل ولانهم لنا في الاطالة بالاشارة إلى جميع ما ذكره هنا مع خلو أكثرها عن المناسبة للمقام ، وإنما ينبغي الاشارة إلى طوافه

ﷺ على القتلى بعد ما وضعت الحرب أو زارها ، و ما قاله ﷺ لطلحة حين وقوفه عليه قصداً للتنبية على خطئه الشارح تبعاً لأصحابه ، ولذا ذكر أولاً ما رواه أصحابنا رضى الله عنهم في هذا الباب ، ثم تتبعها بما رواه الشارح .

فاقول : روى الطبرسي في الاحتجاج أنه ﷺ لامرأً على طلحة بين القتلى قال اقدموه ، فأقدم فقال : إنه كانت لك سابقة لكن الشيطان دخل منخريك فأوردك النار وفيه أيضاً روى أنه ﷺ مرَّ عليه فقال : هذا الذاكث بيعتي و المنشىء للفتنة في الامة والمجلب على والداعي إلى قتلي و قتل عترتي اجلسوا طلحة ، فأجلس فقال أمير المؤمنين ﷺ : يا طلحة بن عبيدالله لقد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً ؟ ثم قال : اضجعوا طلحة ، و سار فقال بعض من كان معه : يا أمير المؤمنين تكلم طلحة بعد قتله ؟ فقال : والله لقد سمع كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول الله ﷺ يوم بدر ، و هكذا فعل ﷺ بكعب بن سور لما مرَّ به قتيلاً ، وقال : هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنه ناصر أمه (١) يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه ، ثم استفتح وخاب كل جبار عنيد ، أما انه دعا الله أن يقتلني فقتله الله و في البحار من كتاب الكافية لا بطل توبة الخاطئة روى خالد بن مخلد عن زياد بن المنذر عن أبي جعفر عن آباءه عليهم السلام قال : مرَّ أمير المؤمنين ﷺ على طلحة و هو صريع فقال : اجلسوه ، فاجلس ، فقال : ام والله لقد كانت لك صحبة ولقد شهدت وسمعت ورأيت ولكن الشيطان أزاغك وأمالك فأوردك جهنم .

و روى الشارح المعتزلي عن اصبح بن نباتة أنه لما انهزم أهل البصرة ركب عليّ ﷺ بغلة رسول الله ﷺ والشهباء وكانت باقية عنده وسار في القتلى ليستعرضهم فمرَّ بكعب بن سور القاضي قاضي البصرة و هو قتيلا فقال : اجلسوه ، فاجلس ، فقال : ويل أمك كعب بن سور لقد كان لك علم لو نفعك ولكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار أرسلوه ، ثم مرَّ بطلحة بن عبيدالله قتيلاً فقال : اجلسوه فاجلس ، ثم قال : قال أبو مخنف في كتابه : فقال له : ويل أمك طلحة لقد كان لك قدم لو نفعك

ولكن الشيطان أضلك فأزلك فجعلك إلى النار .

قال الشارح بعد ذكر ذلك وأما اصحابنا فيروون غير ذلك ، يروون أنه قال له لما اجلسوه : اعزز على أبا محمد أن أدرك معقراً تحت نجوم السماء و في بطن هذا الوادي ابعدها في الله وذبيك عن رسول الله ، فجاء إليه انسان فقال : اشهد يا أمير المؤمنين لقد مررت عليه بعد أن أصابه السهم و هو صريع فصاح بي فقال : من أصحاب من أنت ؟ فقلت : من أصحاب أمير المؤمنين ، فقال امديدك لا يبيع لأمر المؤمنين فمددت إليه يدي فبايعني لك فقال علي عليه السلام : أبا الله أن يدخل طلحة الجنة الاويعتي في عنقه ، انتهى كلامه .

و أنت خير بما فيه أما أولاً فلا ن هذه الرواية مما انفرد أصحابه بنقلها فهي غير مسموعة و المعروف بين الفريقين هو ما رواه أبو مخنف ، وثانياً أن الشارح قال في أوائل شرحه عند الكلام على البغاة والخوارج : أما أصحاب الجمل فهم عند أصحابنا هالكون كلهم إلا عايشة وطلحة والزبير ، فانهم تابوا ولولا التوبة لحكموا لهم بالنار لاصرارهم على البغي فان هذا الكلام منهم صريح في استحقاقه للنار لولا التوبة ولا بد لهم من إثبات التوبة وأنسى لهم بذلك ومبايعته لمن يبايع أمير المؤمنين عليه السلام في تلك الحال التي كان عليها صريعاً بين القتلى آيساً من الحياة لا يكفي في رفع العقاب واستحقاق الثواب قال سبحانه :

« إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ، وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَصَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا »

بل، أقول: إن توبته في تلك الحال على تسليم كون تلك المبايعة منه توبة إنما هي مثل توبة فرعون التي لم تنجّه من عذاب ربه كما قال تعالى:

« فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ

قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ،

الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ »

وحاصل ما ذكرته عدم ثبوت التوبة أولاً وعدم كفايتها في رفع العقوبة على تقدير ثبوتها ثانياً.

وهيها لطيفة

يعجبني ذكرها لمناسبته للمقام وهي أن الشيخ المحدث الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق ذكر في لؤلؤة البحرين عند التعرّض لأحوال شيخ الطائفة محمد بن محمد بن النعمان المفيد (قده) عن الشيخ رام بن أبي فراس في كتابه أن الشيخ المفيد (ره) كان من أهل عكبرا ثم انحدر وهو صبي من أبيه إلى بغداد واشتغل بالقراءة على الشيخ أبي عبد الله المعروف بجعل، وكان منزله في درب رباح من بغداد وبعد ذلك اشتغل بالدرس عند أبي ياسر في باب خراسان من البلدة المذكورة.

ولما كان أبو ياسر المذكور بما عجز عن البحث معه والخروج عن عهده أشار عليه بالمضي إلى علي بن عيسى الرماني الذي هو من أعظم علماء الكلام، فقال الشيخ: إنني لا أعرفه ولا أجد أحداً يدلّني عليه، فأرسل أبو ياسر معه بعض تلامذته وأصحابه فلمّا مضى وكان مجلس الرماني مشحوناً من الفضلاء جلس الشيخ في صف النعمان وبقي يتدرّج في القرب كلما خلا المجلس شيئاً فشيئاً لاستفادة بعض المسائل من صاحب المجلس، فاتفق أن رجلاً من أهل البصرة دخل وسأل الرماني فقال له: ما تقول في حديث الغدير وقصة الغار؟ فقال الرماني: قصة الغار ورواية وخبر الغدير

روایة و لا تعارض الرواية الدرّاية و لما كان ذلك الرجل البصري ليس له قوة المعارضة سكت وخرج .

فقال الشيخ إنني لم أجد صبراً عن السكوت عن ذلك فقلت : أيها الشيخ عندي سؤال ، فقال : قل ، فقلت : ما تقول في من خرج على الامام العادل و حاربه ؟ فقال : كافر ، ثم استدرك فقال : فاسق ، فقلت ما تقول في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ؟ فقال : إمام عادل ، فقلت : ما تقول في حرب طلحة و الزبير له في حرب الجمل ؟ فقال : انهم تابوا ، فقلت له : خبر الحرب دراية و التوبة رواية ، فقال : أو كنت عند سؤال الرجل البصري ؟ فقلت : نعم ، فقال : رواية برواية و سؤالك متجه وارد

ثم إنه سأله من أنت و عند من تقرأ من علماء هذا البلد ؟ فقلت : عند الشيخ أبي عبد الله جعل ، ثم قال لي : مكانك و دخل منزله و بعد لحظة خرج و بيده رقعة ممهورة فدفعها إلي فقال : ادفعها إلى شيخك أبي عبد الله ، فأخذت الرقعة من يده و مضيت إلى مجلس الشيخ المذكور و دفعت له الرقعة ففتحها و بقي مشغولاً بقرائتها و هو يضحك فلما فرغ من قرائتها قال : إن جميع ما جرى بينك و بينه قد كتب إليّ و أوصاني بك و لتبك المفيد ، والله الهادي .

الترجمة

از جمله کلام آنجناب و لایتمآب است هنگامیکه مظفر و منصور گردانید خداوند سبحانه و تعالی اورا باصحاب جمل و گفت اورا بعض اصحاب اودوست داشته که برادر من فلان حاضر بود در این حزب تا اینکه میدید آنه چیز را که نصرت داده تورا خدایتعالی بآن بردشمنان تو ، پس فرمود آنحضرت آیا میل و محبت برادر تو باماست ؟ گفت بلی یا امیرالمؤمنین ، فرمود پس بتحقیق حاضر است با ما و بخدا سوگند البته حاضرند بامادر این لشکر گاه ما جماعت محبان ما که در پشتهای پدرانند و در رحمهای مادران ، زود باشد که بیرون آورد ایشانرا زمان مانند بیرون آمدن خون از دماغ ، و قوت کیرد بسبب وجود ایشان ایمان و اهل طفیان مقهور شوند

در دست ایشان .

و من كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة وهو الثالث عشر من المختار في باب الخطب

تكلّم بذلك بعد الفراغ من قتال أهلها وقد رواه الطبرسي في الاحتجاج وعليّ ابن إبراهيم التميمي والمحدث البحراني بزيادة و نقصان يعرف تفصيل ذلك في أول التنبهات إن شاء الله .

كُفْتُمْ جُنْدَ الْمَرَأَةِ وَأَتْبَاعَ الْبَيْهَمَةِ ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ ،
أَخْلَافُكُمْ دِقَاقٌ ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، وَدَيْتُكُمْ نِفَاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ ،
الْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ مُرْتَمٍ بِذَنْبِهِ ، وَالشَّاحِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرِخْمَةٍ مِنْ
رَبِّهِ ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجَوْجُؤِ سَفِينَةٍ ، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ
فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا ، وَغَرِقَ مَنْ فِي ضَنْفِهَا . وَفِي رِوَايَةٍ وَأَيْمُ اللَّهِ لَتُغْرَقَنَّ
بَلَدُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجَوْجُؤِ سَفِينَةٍ أَوْ نَعَامَةٍ جَائِعَةٍ .
وَفِي رِوَايَةٍ كَجَوْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ .

اللغة

(الرغاء) وزان غراب صوت البعير ورغت الناقة ترغو صوتت فهي واغية
(الذيق) خلاف الجليل و(شاقه) مشاقه وشقاقا خالفه وحقيقته ان يأتي كل منهما ما
يشق على صاحبه فيكون كل منهما في شق غير شق صاحبه و (نافق) الرجل نفاقا
إذا أظهر الإسلام لأهله وأضر غير الإسلام و (الزُعاق) بضم الزاء المعجمة المالح
(بين أظهر) الناس و بين ظهرهم و بين ظهرانيهم بفتح النون كلها بمعنى بينهم ، وفائدة

إدخاله في الكلام أن إقامته بينهم على سبيل الاستظهار بهم والاستناد إليهم و كان
 المعنى أن ظهراً منه قدامه و ظهراً ورائه فكانه مكنوف من جانبه هذا أصله ، ثم
 كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم وإن كان غير مكنوف بينهم و (الجوجؤ) كهدهد
 من الطير والسفينة صدرهما وقيل عظام الصدر و (جشم) الطائر والارنب يجشم من
 باب ضرب جثوماً وهو كالبروك من البعير .

الاعراب

الفاء في قوله : فاجتنب ، وقوله : فهربتم ، فصيحة ، وقوله كأنني بمسجدكم اه
 كان للتقريب و الباء زائدة والأصل كأنني أبصر مسجدكم ثم حذف الفعل وزيدت
 الباء كما ذكره المطرزي في شرح قول الحريري : كأنني بك تنحط ، من أن الأصل
 كأنني ابصرك تنحط حذف الفعل وزيدت الباء وقال ابن عصفور : الباء والكاف في كأنني
 بك تنحط ، وكانك بالديالمة تكن ، كافتان لكأن عن العمل ، والباء زائدة في المبتدأ
 وعلى ذلك فيكون قوله **كأنني** بمسجدكم مبتدأ وكجزؤ جو سفينة خبره وجملة قد بعث
 حال متممة لمعنى الكلام كالحال في قوله تعالى :

« فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ »

وقال نجم الأئمة الرضوي في المثال الثاني : الأولى أن تبقى كأن على معنى التشبيه
 ولأنحكّم بزيادة شيء ، وتقول التقدير كأنك تبصر بالديالمة أي تشاهدها من قوله تعالى :

« فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ »

والجملة بعد المجرور بالباء حال أي كأنك تبصر بالديالمة وتشاهدها غير كائنة .

المعنى

اعلم أنه **عليه السلام** ذكر في كلامه ذلك اموراً سبعة نبه فيها على ذمهم و توبيخهم
 الاول ما أشار **عليه السلام** إليه بقوله : (كنتم جند المرأة) وأراد بها عايشة حيث
 جعلوها عقد نظامهم و مدار قوامهم ، ومن المعلوم أن النساء على نقصان عقولهن

وحظوظهنّ و ايمانهنّ على ما استعرفها تفصيلا في محلّها مذمومة عند العرب وسائر العقلاء ، فالتابع لها و الجاعل زمام امره إليها لابدّ و أن يكون أنقص عقلاً منهنّ و حرّاً بالذمّ والتوبيخ .

روى في البحار من كنز جامع الفوائد وتاويل الآيات عن محمد البرقي عن الحسين ابن سيف عن أخيه عن أبيه عن سالم بن مكرم عن أبيه قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالى :

« مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ »

قال : هي الحميراء قال مؤلف الكتاب : إنّما كنتى عنها بالعنكبوت لأنّه حيوان ضعيف اتخذت بيتاً ضعيفاً أو هن البيوت ، و كذلك الحميراء حيوان ضعيف لقلّة عقلها وحظها و دينها اتخذت من رأبها الضعيف وعقلها السخيف في مخالفتها و عداوتها لمولاهما بيتاً مثل بيت العنكبوت في الوهن و الضعف و سيأتي بعض الأخبار فيها في التنبيه الثاني إن شاء الله .

الثاني مانبه عليه السلام عليه بقوله : (وأتباع البهيمة) وأراد بها الجمل .

قال في البحار : و أعطى يعلى بن منبه عايشة جملاً اسمه عسكري اشتراه بمأتي دينار و قيل بشمانين ديناراً فركبته و قيل : كان جملها لرجل من عرنية قال العرني بينما أنا أسير على جمل إذ عرض لي راكب قال اتبيع جملك ؟ قلت : نعم ، قال : بكم ؟ قلت : بألف درهم قال : أمجنون أنت ؟ قلت : ولم والله ما طلبت عليه أحداً إلا أذركته ولا طلبني وأنا عليه أحد إلا آفته ، قال : لو تعلم لمن نريده إنّما نريده لأمّ المؤمنين عايشة ، فقلت : خذه بغير ثمن قال : بل ارجع معنا إلى الرّحل فنعطيك ناقة و دراهم قال : فرجعت فأعطوني ناقة مهربة و أربعمأة درهم أو ستمأة .

و في شرح المعتزلي لما عزمت عايشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بعيراً ابداً يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن امية ببعير المسمّى عسكرياً و كان عظم الخلق

شديداً ، فلما رأته أعجبها ، وأنشأ الجمال يحدّثها بقوته وشدّته ويقول في أثناء كلامه عسكر ، فلما سمعت هذه اللفظة استرجفت و قالت ردّوه لاحاجة لي فيه و ذكرت حيث سألت رسول الله ﷺ ذكر لها هذا الاسم و نهاها عن ركوبه وأمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغير لها بجلال غير جلاله ، و قيل لها قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً وأشدّ قوّة و اتيت به فرضيت .

ثم إنه ﷺ أوضح متابعتهم للبهيمة بقوله : (رغا فأجبتهم) فان كونهم مجيبين لرغائه شاهد صدق على المتابعة وقد كان الجمال راية أهل البصرة قتلوا دونه كما يقتل الرجال تحت الرايات ، و كان كل من أراد الجدل في الحرب و قاتل قتال مستميت يتقدم الجمال و يأخذ بخطامه و ردّى أنه اخذ الخطام سبعون رجلاً من قريش قتلوا كلهم و كان أكثر الناس حماية له و ذبّا عنه بني ضبّة والأزد .

وفي شرح المعتزلي عن المدائني والواقدي أنه ما حفظ دجزقط أكثر من رجز قيل يوم الجمال ، و أكثره لبني ضبّة و الأزد الذين كانوا حول الجمال يحامون عنه ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل ، والأيدى تطيح من المعاصم ، وأقناب البطن تندلق من الأجواف ، و هم حول الجمال كالجراد الثابتة لا تزلزل ولا تتحلحل (١) حتى لقد صرخ بأعلى صوته ويلكم : اعقروا الجمال فإنه شيطان ، ثم قال ﷺ اعقروه وإلّا فئت العرب لا يزال السيف قائماً وراكماً حتى يهوى البعير إلى الأرض فعمدوا له حتى عقروه فسقط و له رغاء شديداً فلما برك كانت الهزيمة وإليه أشار ﷺ بقوليه : (و عقر فهربتهم) .

قال أبو مخنف حدّثنا مسلم الأور عن حبة العرنى قال : فلما رأى عليّ عليه السلام أن الموت عند الجمال وأنه مادام قائماً فالجرب لا يطفأ و وضع سيفه على عاتقه و عطف نحوه و أمر أصحابه بذلك و مشى نحوه و الخطام مع بني ضبّة فاقتتلوا قتالاً شديداً و استحرّ القتل في بني ضبّة فقتل منهم مقتلة عظيمة وخلص عليّ عليه السلام في جماعة من النخع و همدان إلى الجمال .

فقال لرجل من النخع اسمه بحير : دونك الجمل يا بحير فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه وضرب بجرائه الأرض وعج عجا شديداً لم يسمع بأشد منه فما هو إلا أن صرع الجمل حتى فرت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب واحتملت عايشة يهودجها فحملت إلى دار عبدالله بن خلف و أمر علي عليه السلام بالجمل أن يحرق ثم يذرى بالريح ، و قال : لعنة الله من دابة فما أشبهه بمجل بني إسرائيل ثم قرء :

« وَانظُرْ إِلَى إِلِهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا »

وفي الاحتجاج أن محمد بن أبي بكر وعمارة بن ياسر توليا عقره بعد طول دمانه ، وروي أنه كلما قطعت قائمة من قوائمه نبت على أخرى حتى قتل

الثالث ما ذكره بقوله عليه السلام (أخلاقكم دقاق) أى رذيلة حقيرة قال الشراح المعتزلي : في الحديث ان رجلا قال له : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أحب أن انكح فلانة إلا أن في أخلاق أهلها دقة فقال له : إيتاك و خضراء الدمن إيتاك و المرأة الحسنة في منبت السوء و علل البحراني دقة أخلاقهم بأن أصول الفضائل الخلقية لما كانت ثلاثة: الحكمة و العفة و الشجاعة و كانوا على طرف الجهل لوجوه الآراء المصلحية و هو طرف التفريط من الحكمة العلمية و على طرف الجبن و هو التفريط من الشجاعة و على طرف الفجور و هو طرف الإفراط من ملكة العفة و العدالة لاجرم صدق أنهم على رذائل الأخلاق و دقاقها .

أقول : و يشهد على جهلهم اتباعهم للمرأة و متابعتهم للبهيمة ، و على جبنهم مامر في الخطب السابقة من قوله عليه السلام : وقد أردوا و أبرقوا و مع هذين الأمرين الفشل ، و على فجورهم خروجهم على الامام العادل و محاربتهم معه .

الرابع ما نسبته ﷺ عليه بقوله : (و عهدكم شقاق) يعني معاهدتكم لا يمكن الاعتماد عليها والوثوق بها ، لأنها صورية و ظاهرية وفي المعنى و الحقيقة مخالفة وعداوة يشهد بذلك نكثهم لبعثته بعد عقدهم إياه .

الخامس ما أشار ﷺ إليه بقوله : (ودينكم نفاق) وذلك أنهم أظهروا الاسلام أى الايمان بألسنتهم وخالفوا بقلوبهم كما حكى ﷺ فيما سبق عن الزبير أنه يزعم أنه بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد أقر بالبيعة وأدعى الوليعة .

السادس ملوحة مائهم المشار إليه بقوله : (وماؤكم زعاق) أى مالح بسبب قربه من البحر يوجب أمراضاً كثيرة كسوء المزاج والبالدة و فساد الطحال ونحوها وهذا وإن لم يكن من أفعالهم الاختيارية إلا أنه مما يذم به البلد فيستحقون بذلك المذمة لسوء اختيارهم ذلك المكان قال الشاعر :

بلاد بها الحمى و اسد عرينة

فأنتى لمن قد حل فيها لراحم

(و) السابع أن (المقيم بين أظهركم مرتين بذنبه) لأنه إما أن يشاركهم

في الذنوب أزيهاها فلا ينكرها ، وقد ورد الاخبار عن أئمتنا الأ طهار سلام الله عليهم على تحريم مجاورة أهل المعاصي ومخالطتهم اختياراً والمجالسة معهم وكون المجاور والمجالس مستحقاً بذلك للعقوبة .

مثل ما رواه في الوسائل باسناده عن مهاجر الأ سدي عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

مر عيسى بن مريم عليه السلام على قرية قدمات أهلها و طيرها ودوابها فقال : أما أنتم لم يموتوا إلا لسخطه ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا ، فقال الحواريون : ياروح الله و كلمته

ادع الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنتجنبها ، قال : فدعا عيسى عليه السلام

فنودي من الجو أن نادهم فقام عيسى بالليل على شرف من الأرض فقال : يا أهل

القرية ، فأجابه مجيب منهم لييك ، فقال : ويحكم ما كانت أعمالكم ؟ قال : عبادة

الطاغوت وحب الدنيا مع خوف قليل و أمل بعيد و غفلة في لهو و لعب إلى أن قال :
وكيف عبادتكم للطاغوت ؟ قال : الطاعة لأهل المعاصي قال : كيف كان عاقبة أمركم ؟
قال : بتنافي عافية و أصبحنا في الهاوية . فقال : و ما الهاوية ؟ قال : سجين ، قال :
وما سجين ؟ قال : جبال من جمر توعد علينا إلى يوم التيامة إلى أن قال ، قال :
ويحك كيف لم يكلمني غيرك من بينهم ؟ قال : يا رُوح الله إنهم ملجمون بلجم من
نار : بأيدي ملائكة غلاظ شداد و إنني كنت فيهم و لم أكن منهم فلما نزل العذاب
أعمنى معهم و أنا معلق بشعرة على شفير جهنم لا أدري أكبكب فيها أم أنجمونها ،
فالتفت عيسى عليه السلام إلى العواريين فقال : يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش
والتنوم على المزابل خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة .

وعن أبي حمزة عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : سمعته يقول : أما
إنه ليس من سنة أقل مطرا من سنة ولكن الله يضعه حيث يشاء إن الله جل جلاله
إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدر لهم من المطر في تلك السنة إلى غيرهم
وإلى الفيافي والبحار والجبال ، وإن الله ليعذب الجمل في جحرتها بحبس المطر عن
الأرض التي هي بمحلتها لخطايا من بحضرتها . وقد جعل الله لها السبيل إلى مسلك
سوى محللة أهل المعاصي قال : ثم قال أبو جعفر عليه السلام : فاعجبوا يا أولى الأبصار .

وعن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليهما السلام في حديث طويل قال : أيناكم وصحة
العاصين ومعونة الظالمين ومجادرة الفاسقين ، احذروا فتنهم وتباعدوا من ساحتهم .
وفي الفقيه عن محمد بن مسلم قال : مر بي أبو جعفر عليه السلام وأنا جالس عند قاض
بالمدينة فدخلت عليه من الغد فقال عليه السلام : ما مجلس رأيتك فيه أمس قال : قلت له :
جعلت فداك إن هذا القاضي لي مكرم فربما جلست إليه فقال : وما يؤمنك أن
تنزل اللعنة فتعمتكم معه ، وروي في خبر آخر فتمت من في المجلس .

و في الكافي عن الجعفري قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : مالي رأيتك عند
عبد الرحمن بن يعقوب ؟ فقال : إنّه خالي ، فقال عليه السلام : إنّه يقول في الله قولاً عظيماً
يصف الله ولا يوصف بما جلس معك وتركتنا ، و إنما جلست معنا وتركته ؛ فقلت :

هو يقول ماشاء أى شىء عليّ منه إذا لم أقل ما يقول؛ فقال أبو الحسن عليه السلام : أما تخاف أن تنزل به نعمة فتصيبكم جميعاً ، أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى عليه السلام وكان أبوه من أصحاب فرعون فلمّا لحقت خيل فرعون موسى تخلف عنه ليعظأباه فيلحقه بموسى فمضى أبوه وهو براغمه حتى بلغ طرفان البحر ففرقا جميعاً فأتى موسى الخبير فقال : هوفي رحمة الله ولكن النعمة إذا نزلت ليس لها عمّن قارب المذنب دفاع . وقوله عليه السلام : (والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه) و ذلك لأنّ المقيم بينهم والمخالط معهم إذا كان رهيناً بذنبه يلزمه كون الشاخص عنهم والمتباعد من ساحتهم متداركاً برحمة الله لسلامته من عقوبة المجاورة والمجالسة

ثمّ أشار عليه السلام إلى ابتلائهم بالعقوبة الدنيوية قبل عذاب الآخرة وقال : (كأنني بمسجدكم كجوجؤ سفينة قد) برز من الماء حين (بعث الله عليها) أى على البصرة (العذاب من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها) قال الرضى (وفي رواية) اخرى (وأبى الله لتغرقنّ بلدتكم حتى كأنني أنظر إلى مسجدك كجوجؤ سفينة أو نعامه جائمة) أى باركة متلبدة بالأرض قال : (وفي رواية) نالثة (كجوجؤ طير في لجة بحر) .

قال الشارح المعتزلي : أمّا إخباره عليه السلام أن البصرة تغرق عدال المسجد الجامع فقد رأيت من يذكر أن كتب الملاحم تدلّ على أن البصرة يهلك بالماء الأسود ينفجر من أرضها فتغرق ويبقى مسجدها ، والصحيح أن المخبر به قد وقع فإن البصرة غرقت مرّتين مرّة في أيام القادر بالله ومرّة في أيام القائم بأمر الله غرقت بأجمعها ولم يبق منها إلا مسجدها الجامع مبارزاً بعضه كجوجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام : جائها الماء من بحر الفلاس من جهة الموضع المعروف الآن بجزيرة الفرس ومن جهة الجبل المعروف الآن بجزيرة السنّام ، وخربت دورها وغرق كلّ ما في ضمنها و هلك كثير من أهلها ، و أخبار هذين الغرقين عند أهل البصرة يتناقله خلفهم عن سلفهم .

أقول : ولا بأس بما ذكره إلا أنّ المستفاد من ذيل هذه الخطبة على ما رواها

الشارح البحراني حسبما تعرفه في أول التنيهات أن الماء الذي يفرق به البصرة ينفجر من الأرض كما قال عليه السلام : و إنني لأعرف موضع منفجره من قريتمك هذه وظاهر ذلك أنه لا يكون من ناحية اخرى ، والله العالم بحقايق الأمور

و ينبغي التنبيه على امور الاول

اعلم أن هذه الخطبة رويت بطرق مختلفة قد رواها جماعة من الأصحاب بزيادة ونقصان ولا بأس بالإشارة إليها تكثيراً للفائدة .

فمنها ما في الاحتجاج عن ابن عباس (رض) قال : لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل البصرة وضع قتباً على قتب فحمد الله وأثنى عليه فقال : يا أهل البصرة يا أهل المؤتفكة يا أهل الداء (١) العضال يا أتباع البهيمة يا جند المرأة رغافأجتم وعقر فهر بتم ، ما ذككم زعاق ، ودينكم نفاق ، و أحلامكم دقاق ، ثم نزل عليه السلام يمشي بعد فراغه من خطبته فمشينا معه فمرّ بالحسن البصري و هو يتوضأ فقال : يا حسن أسبغ الوضوء فقال : يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ويصلون الخمس ويسبغون الوضوء ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : قد كان ما رأيت ، فما منمك أن تعين علينا عدونا ؟ فقال : والله لاصدقك يا أمير المؤمنين لقد خرجت في أول يوم فاغتسلت و تحنطت و صببت على سلاحي وأنا لا أشك في أن التخلّف عن أم المؤمنين عايشة كفر ، فلمّا انتهيت إلى موضع من الخريبة (٢) نادى مناد يا حسن إلى أين ارجع فإنّ القاتل والمقتول في النار ، فرجعت ذاعراً وجلست في بيتي .

فلمّا كان في اليوم الثاني لم أشك أن التخلّف عن أم المؤمنين هو الكفر فتحنطت و صببت على سلاحي و خرجت اريد القتال حتى انتهيت إلى موضع من الخريبة فنادى مناد من خلفي يا حسن إلى أين مرة بعد اخرى فإنّ القاتل و المقتول في النار .

١- الداء العضال الداء الذي لا دواء له صحاح

٢- هي بضم الغاء، محلة من محال البصرة ينسب إليها خلق كثير نهاية .

قال علي عليه السلام: صدقت أفندرى من ذلك المنادي؟ قال: لا، قال عليه السلام: أخوك إبليس وصدقك أن القاتل والمقتول منهم في النار، فقال الحسن البصري: الآن عرفت يا أمير المؤمنين أن القوم هلكي.

ومنها ما في تفسير علي بن إبراهيم القمي في تفسير قوله:
« وَالْمُؤْتَفِكَةُ أَهْوَى »

قال: المؤتفكة (١) البصرة، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: يا أهل البصرة ويا أهل المؤتفكة يا جند المرأة واتباع البيمة رغا فأجبتهم وعقر فهربتم ماؤكم زعاق و اخلاقكم دقائق « وأحلامكم رقات خ ل » وفيكم ختم الشقاق و لعنتم على لسان سبعين نبياً إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أن جبرئيل عليه السلام أخبره أنه طوى له الأرض فرأى البصرة أقرب الأرضين من الماء وأبعدها من السماء، وفيها تسعة أعشار الشر و الداء العضال، المقيم فيها مذنب والخارج عنها برحمة وقد انتفكت بأهلها مرتين وعلى الله تمام الثالثة، وتمام الثالثة في الرجعة.

أقول: قال في مجمع البيان: المؤتفكة المنقلبة وهي التي صار أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها، وأهوى أى انزل بها في الهواء قال: والمؤتفكة قرى قوم لوط المخسوفة أهوى أى اسقط أهواها جبرئيل بعد أن رفعها وهذا تنزيلها وما رواه القمي رحمه الله تأويلها، وقال القمي في تفسير قوله سبحانه:

« وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ »

المؤتفكات البصرة، والخاطئة فلانة وفي نسخة حميراء، وفي البحار وأما التأويل الذي (٢) ذكره علي بن إبراهيم فقد رواه مؤنذ تأويل الآيات الباهرة عن محمد البرقي عن سيف بن عميرة عن أخيه عن منصور بن حازم عن حمران قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: وجاء فرعون يعني الثالث، ومن قبله يعني الأولين، والمؤتفكات أهل

١- قال في تفسير البضاوي المؤتفكة القرى التي انتفكت بأهلها أى انقلبت وعن النهاية في حديث انس البصرة إحدى المؤتفكات يعنى انها غرقت فشبها غرقها بانقلابها منه
٢- يعنى فى الآية الاخيرة، منه

البصرة ، بالخاطئة الحميراء ، فالمراد بمجيء الأ ولين والثالث بعاشة أنهم استسواها بما فعلوا من الجور على أهل البيت عليهم السلام أساساً به تيسر لها الخروج و لولا ما فعلوا لم تكن تجتري على ما فعلت ، والمراد بالموثفاتك أهل الموثفاتك والجمع باعتبار البقاع والقرى والمحلات .

و منها ما في شرح البحراني متفرقة إلا أن المحدث العلامة المجلسي (ره) جمع ما وجد منها في البحار وألف شتاتها ونحن نرويها من البحار من الشرح . قال (قدّه) : روى الشيخ كمال الدين بن ميثم البحراني مرسلًا أنه لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من أمر الحرب لأهل الجبل أمر منادياً ينادي في أهل البصرة أن الصلاة الجامعة لثلاثة (١) أيام من غد إن شاء الله ولا عذر لمن تخلف إلا من حجة أو علة فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً فلما كان اليوم الذي اجتمعوا فيه خرج عليه السلام فصلى بالناس الغداة في المسجد الجامع فلما قضى صلاته قام فأسند ظهره إلى حائط القبلة عن يمين المصلّى فخطب الناس وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على النبي وآله واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم قال :

يا أهل البصرة يا أهل الموثفة ائتفكت (٢) بأهلها ثلاثاً وعلى الله تمام الرابعة ، يا جند المرأة و اعوان البهيمة رغا فأجبتهم و عقر فانهمزتم اخلاقكم دفاق و دينكم نفاق و ماؤكم زعاق ، و بلادكم اتن بلاد الله تربة و ابعدها من السماء ، بها تسعة اعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفوالله ، كأنسى انظر إلى قريبتكم هذه وقد طبقتها الماء حتى ما يرى منها الا شرف المسجد كأنه جوجو طير في لجة بحر فقام إليه الأحنف (٣) بن قيس فقال له : يا امير المؤمنين متى يكون ذلك ؟

١- اى بعد ثلاثة ايام واللام للاختصاص منه ،

٢- اى انقلبت اما حقيقة أو كناية عن الفرق منه

٣- الاحنف هو الذى كان معتزلاً عن الفريقين يوم الجمل و يكنى ابا بحر بالبلاء الموحدة

واسمه الضعك بن قيس من بنى تميم ، بحار الانوار

قال: يا أبا بحر إنك لن تدرك ذلك الزمان و إنَّ بينك و بينه لقرونا ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا إخوانهم إذا هم رأوا البصرة قد تحولت أخصاصها (١) دوراً و آجامها قصوراً فالهرب الهرب فانه لا بصرة لكم يومئذ .

ثم التفت عن يمينه فقال : كم بينكم و بين الأبلّة؟ (٢) فقال له المنذر بن الجارود فذاك أبي وأمّي أربعة فراسخ قال له : صدقت فوالذي بنت عمداً وآله وأكرمه بالنسبة وخصه بالرّسالة وعجل بروحه إلى الجنّة لقد سمعت منه كما تسمعون منى أن قال لي : يا علي هل علمت أن بين التي تسمى البصرة وتسمى الأبلّة أربعة فراسخ وسيكون في التي تسمى الأبلّة موضع أصحاب العشور يقتل في ذلك الموضع من امتي سبعون ألفاً شهيدهم يومئذ بمنزلة شهداء بدر .

فقال له المنذر : يا أمير المؤمنين و من يقتلهم فذاك أبي وأمّي؟ قال : يقتلهم اخوان الجنّ وهم جيل (٣) كأنهم الشياطين سود ألوانهم منتنة أرياحهم (٤) شديد كلهم (٥) قليل سلبيهم طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه ، ينفّر لجهادهم في ذلك الزمان (٦) قوم هم أذلة عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان ، مجهولون في الأرض معروفون في السماء تبكي السماء عليهم وسكانها والأرض وسكانها .

١- جمع خص بيت يعمل من الغضب القضب بحار

٢- بضم الهزة والباء و تشديد اللام الموضع الذي به مدينة البصرة و في الأبلّة اليوم موضع

العشارين حسبما أخبر (ع) به بحار

٣- الجيل هو الصف من الناس وقيل كل قوم يختصون بلغة فهم جيل بحار

٤- جمع ربح وهي الرابعة بحار

٥- الكلب بالتحريك الشر و الإذى و شبه جنون يعرض الإنسان من عض الكلب الكلب

والسلب بالتحريك ما يأخذه أحد القرينين في الحرب من قرينه ما يكون عليه بحار

٦- وكانه أشار إلى خروج صاحب الريح وكان جيشه حفا نامشائهم يكن لهم قفمة لجم ولا

جمجمة خيل بحار الانوار

ثم هملت (١) عيناه بالبكاء ثم قال : ويحك يا بصرة وياك يا بصرة لارهيج (٢) له ولا حس (٣) فقال له المنذر : يا أمير المؤمنين وما الذي يصيبهم من قبل الفرق مما ذكرت وما الويح وما الويل ؟ فقال : هما بابان فالويح باب رحمة والويل باب عذاب يابن الجارود نعم تارات (٤) عظيمة منها عصة يقتل بعضها بعضاً ، ومنها فتنة يكون بها خراب منازل وخراب ديار وانتهاك أموال (٥) و قتل رجال وسباء نساء يذبحن ونجايابويل امرهن حديث عجيب منها أن يستحل (٦) بها الدجال الأكبر الأعمور (٧) الممسوح العين اليمنى والآخرى كأنها ممزوجة بالدم لكأنها في العمرة علقمة ناتى (٨) الحدقة كهيئة حبة العنب الطافية (٩) على الماء فيتبعه من أهلها عدّة من قتل بالابلة من الشهداء اناجيلهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب ثم رجف (١٠) ثم قذف (١١) ثم خسف (١٢) ثم مسح ثم الجوع الأغير ثم الموت الأحمر وهو الفرق .
يا منذر إن للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزبير الأوّل لا يعلمها إلا

١- اى فاضت بالدمع بحار

٢- بالتحريك الغبار بحار

٣- الصوت الخفى بحار

٤- جمع تارة اى مرات والمعنى ترد عليهم فتنة عظيمة مرة بعد اخرى بحار

٥- اخذ الاموال بما لايجل بحار

٦- اى يتغذها مسكنوا وينزلها من حل بالمكان اذا نزل وصف الدجال بالاكثر مدعى

الاباطيل كما فى بعض الاخبار بحار

٧- الذى ذهب احدى عينيه بحار

٨- الناتى المرتفع بحار

٩- طفا على الماء يطفو اذا علا ولم يرسب بحار

١٠- الرجف الزلزلة والاضطراب بحار

١١- القذف الرمي بالحجارة ونحوها

١٢- الغسف الذهاب فى الارض و خسف المكان أن يغيب فى الارض وهذا الغسف يعتدل

العلماء منها الخريبة ومنها تدمر (١) ومنها المؤتفكة ، يامنذر والذي فلق الحبة و بيرة النسمة لو أشاء لأخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة متى تغرب و متى تعمر بعد خرابها إلى يوم القيامة وإن عندي من ذلك علما جمًا (٢) وإن تسألوني تجدوني به عالماً لا اخطئ منه علما (٣) ولادافناه ولقد استودعت علم القرون الاولى وها هو كائن إلى يوم القيامة .

ثم قال : يا أهل البصرة إن الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطة شرف ولا كرم إلا وقد جعل فيكم أفضل ذلك و زادكم من فضله بمنته ما ليس لهم أنتم أقوم الناس قبلة قبلتكم على المقام حيث يقوم الامام بمكة ، وقارتكم أقره الناس ، وزاهدكم أزهد الناس ، وعابدكم أعبد الناس ، و تاجركم أنجر الناس و أصدقهم في تجارته ، و متصدقكم أكرم الناس صدقة ، وغنيكم أشد الناس بدلاً و تواضعاً ، و شريفكم أحسن الناس خلقاً . و أنتم أكرم الناس جواراً و أقلهم تكلفاً لما لا يرضيه و أحرصهم على الصلاة في جماعة ، نمرتكم أكثر الثمار ، و أموالكم أكثر الأموال و صفادكم أكيس (٤) الاولاد ، نساؤكم أفنح النساء و أحسنهن تبغلاً (٥) سخر لكم الماء يفتدو (٦) عليكم و يروح ، صلاحاً لأمعاشكم و البحر سبباً لكثرة أموالكم فلوصير تم

ان يكون خسف جيش او طائفة بالبصرة او خسف مدينتهم و بعض مساكنهم و وصف الجوع بالانخيلان الجوع غالباً يكون في السنين الجعدة و سنوات الجذب تسمى غير الانخيلان اطالها من قلة الامطار و ارضيها لدم النبات و اما لان وجه الجائع يشبه الوجه المنبر و المراد بالجوع الانخيل الجوع الكامل الذي يظهر لكل أحد بحار

١- من البمار بضم الهلاك بحار

٢- الجم الكثير بحار

٣- العلم بالتحريك الجبل و الرابية و دافنا، الامر داخله ذكره في القاموس اى لا اخطئ

من ظاهراً و لا خفياً بحار

٤- الكيس بالفتح خلاف الصق بحار

٥- مصاحبة الزوجية بحار

٦- عدو الماء و رواه اليه كناية عن الجزر و المدنى الوقتين فان نهر البصرة و الانهار القارئة له

واستقمتم لكانت لكم شجرة طوبى مقيلاً ظلًا ظليلًا (١) غير أن حكم الله فيكم ما من وقضاؤه نافذ لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب يقول الله :

« وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا

عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا »

واقسم لكم يا أهل البصرة ما الذي ابتدאתكم به من التوبيخ إلا تذكيراً و موعظة لمابعد لكيلا تسرعوا إلى الونوب في مثل الذي وثبتم وقد قال الله لنيبه ﷺ

« وَ ذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ »

ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتطرية (٢) بعد التذكير والموعظة ربهتمني لكم ولا رغبة في شيء مما قبلكم فأنسى لا اريد المقام بين أظهركم إنشاء الله لامور تحضرنى قد يلزمني المقام بها فيما بينى و بين الله لا عذولى في تركها و لا علم لكم بشيء منها حتى يقع مما اريد أن أخوضها (٣) مقبلاً ومدبراً .

فمن أراد أن يأخذ بنصيبه منها فيفعل ، فلمعري إنه للجهاد الصافي صفاء (٤) لنا كتاب الله ولا الذي أردت به من ذكر بلادكم موجدة (٥) منى عليكم لما شأقتمونى

يد في كل يوم وليلة مرتين و يدور في اليوم و الليلة ولا يبيض وقتا كطلوع الشمس و غروبها وارتفاعها وانخفاضها ويكون ذلك بالمد الیومی و يكون المد عند زيادة نور القمر اسد و يسی ذلك بالمد الشهرى و اشار عليه السلام بهذه الفقرة الى فائدة المد و الجزر بحار

١- الظل الظليل القوى الكامل و من عادة العرب وصف الشيء بثل لفظه للبالغة و قيل اى

الظل الدائم الذى لا تنسخه الشمس كما في الدنيا بحار

٢- التطرية البالغة في المدح و الغالب فيه الاطراء بحار

٣- الغرض في تلك الامور مقبلاً ومدبراً مبالغة في نفي الاستكفاف عنها و توطين النفس

من القيام بها بحار

٤- اى جملة خالصا عن الشوائب منه

٥- بكسر الجيم المض و الشاقة و الاثناق الغلاف و المعاداة بحار

غير أن رسول الله ﷺ قال لي يوماً وليس معه غيري : إن جبرئيل الروح الأمين حملني على منكبه الأيمن حتى أراني الأرض ومن عليها وأعطاني أقاليدها (١) و لم يكبر ذلك على كما لم يكبر على أبي آدم علمه الاسماء ولم يعلمه الملائكة المقرَّبون .
و اني رأيت بقعة على شاطي البحر تسمى البصرة ، فاذا هي أبعد الأرض من السماء وأقربها من الماء وأنها لا تسرع الأرض خراباً وأخشنها (اخشبا خ) تراباً و أشدّها عذاباً ، ولقد خسف بها في القرون الخالية مراراً وليأتين (٢) عليها زمان و ان لكم يا أهل البصرة و ما حولكم من القرى من الماء ليوما عظيما بلاؤه و اني لأعرف موضع منفجره من قريتكم هذه ، ثم أمور قبل ذلك تدهمكم (٣) اخفيت عليكم و علمناه فمن خرج عند دنو عرقها فبرحمة من الله سبقت له ، ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه وما الله بظالم للعبيد .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة ومن أهل الفرقة ومن أهل البدعة ومن أهل السنة؟

فقال ﷺ : إذا سألتني فافهم عني و لا عليك أن لا تسأل أحداً بعدي ، أما أهل الجماعة فأنا ومن اتبعني وإن قلّوا ، فذلك الحق عن أمر الله وأمر رسوله ، وأما أهل الفرقة فالمخالفون لي ولمن اتبعني وإن كثروا ، وأما أهل السنة فالمستمسكون بما سنّه الله و رسوله و إن قلّوا ؛ و أما أهل البدعة فالمخالفون لأمر الله و لكتابه و لرسوله العالمون «العاملون ظ» برأيهم و هوائلهم و إن كثروا قدمضى منهم الفوج (٤) الأ و ل و بقيت أفواج و على الله قسمها (٥) و استيصالها عن جدر الأرض (٦) و بالله التوفيق

١- جمع اقليد وهو المفتاح بعار

٢- النون للتفخيم اي يأتي عليها زمان شديد بعار

٣- اي تفجأكم و تشيكم بعار

٤- المراد به اما أصحاب الجمل أو الاعم منهم و من الخلفاء و اتباعهم بعار

٥- القضم كسر الشئ، مع الابانة بعار

٦- الجدر الارض الصلبة المستوية بعار

أقول : و لعلّ تمام الخطبة ما رواه في الاحتجاج عن يحيى بن عبدالله بن الحسن عن أبيه عبدالله بن الحسن ، قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب بالبصرة بعد دخولها بأيام ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني من أهل الجماعة ومن أهل الفرقة وساق إلي قوله و استيصالها عن جدد الأرض وبعده فقام إليه عمّار وقال : يا أمير المؤمنين إن الناس يذكرون الفيه ويزعمون أن من قاتلنا فهو وماله وولده في لنا

فقام إليه رجل من بكر بن وائل يدعى عباد بن قيس وكان ذا عارضة ولسان شديد فقال يا أمير المؤمنين والله ما قسمت بالسوية ولا عدلت في الرعية فقال : عليه السلام ولم ويحك ؟ قال : لا نك قسمت ما في العسكر وتركت الأموال والنساء والذرية فقال : أيها الناس من كان له جراحة فليداوها بالسمن ، فقال عباد : جئنا نطلب غنائمنا فجاتنا بالترهات .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : إن كنت كاذباً فلا أمانك الله حتى يدركك غلام نقيف ، قيل : ومن غلام نقيف ؟ فقال رجل لا يدع لله حرمة إلا أنت همكما ثقيل أيموت أوبة تل ؟ فقال عليه السلام يقصه قاصم الجبارين يموت فاحش يحترق منه دبره لكثرة ما يجري من بطنه .
يا أخابكر انت امره ضعيف الرأي أو ما علمت أننا لا نأخذ الصنفير بذنوب الكبير ، وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة وتزوجوا على رشد وولد واعلى فطرة وإنما لكم ما حوى عسكرهم وما كان في دورهم فهو ميراث فان عدا أحد منهم أخذنا بذنبه وإن كف غنا لم نعمل عليه ذنب غيره .

يا أخابكر لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل مكة ، فقسم ما حوى العسكر ولم يتعرض لما سوى ذلك . وإنما تبع أثره حذ والتعل بالتل .
يا أخابكر أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها وأن دار الهجرة لا يحل ما فيها إلا بحق فمهلاً مهلاً رحمكم الله فان لم تصدقوني وأكثرتم عليّ وذلك (١)

أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي هَذَا غَيْرِ وَاحِدٍ فَأَيُّكُمْ يَأْخُذُ عَائِشَةَ بِسَهْمِهِ؟ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَصَبْتُ وَأَخْطَأْنَا وَعَلِمْتُ وَجْهَلْنَا فَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَنَادِي النَّاسِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ أَصَبْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَصَابَ اللَّهُ بِكَ الرَّشَادَ وَالسَّدَادَ.

فَقَامَ عِبَادُ (عَمَارُ خ) فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ وَاللَّهِ إِنْ اتَّبَعْتُمُوهُ وَأَطَعْتُمُوهُ لَنْ يَضِلَّ بِكُمْ عَنْ مَنِهْلِ نَبِيِّكُمْ ﷺ حَتَّى قَيْسُ (١) شِعْرَةَ كَيْفٍ؟ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ وَقَدْ اسْتَوَدَعَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِلْمَ الْمَنَابِ وَالْقَضَايَا (وَالْوَصَايَا خ ل) وَفَصَلَ الْخُطَابَ عَلَى مَنَاجِهُ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ لَهُ أَنْتَ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، فَضَلَا خُصَمَاءُ اللَّهِ بِهِ وَإِكْرَامًا مِنْهُ لِنَبِيِّهِ حَيْثُ أَعْطَاهُ مَا لَمْ يَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ قَالَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): انظُرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ مَا تَوَدُّونَ بِهِ فَاغْمُضُوا لَهُ فَإِنَّ الْعَالَمَ أَعْلَمُ بِمَا يَأْتِي بِهِ مِنْ الْجَاهِلِ الْخَسِيسِ الْأَخْسُ فَاتَّقُوا حَامِلَكُمُ إِِنْ شَاءَ اللَّهُ إِنْ أَطَعْتُمُونِي عَلَى سَبِيلِ النَّجَاةِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ مَشَقَّةٌ شَدِيدَةٌ وَمَرَارَةٌ عَتِيدَةٌ (٢) وَالذُّنْيَا حَاوَةٌ وَالْحَلَاوَةُ لِمَنْ اغْتَرَبَ بِهَا مِنَ الشَّقْوَةِ وَالنَّدَامَةِ عَمَّا قَلِيلٍ.

ثُمَّ إِنِّي أَخْبِرُكُمْ أَنَّ جَيْلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَمْرَهُمْ نَبِيِّهِمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا مِنَ النَّهْرِ فَلَجُوا فِي تَرْكِ أَمْرِهِ فَشْرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ، فَكَوْنُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ مِنْ أَوْلَادِكُمُ الَّذِينَ أَطَاعُوا نَبِيِّهِمْ وَلَمْ يَعْصُوا رَبَّهُمْ وَأَمَّا عَائِشَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النَّسَاءِ وَلَهَا بَعْدَ ذَلِكَ حَرَمَتُهَا الْأُولَى وَالْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ، يَعْفُو عَمَّنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ.

الثاني

فِي الْإِشَارَةِ إِلَى جُمْلَةٍ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ فِي نَهْيِ عَائِشَةَ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَى الْقِتَالِ وَمَا فِيهَا الْإِشَارَةُ إِلَى تَعَدُّبِهَا عَنْ حُدُودِ اللَّهِ وَعَمَّا أَوْجَبَاهُ فِي حَقِّهَا فَتَقُولُ قَالَ تَعَالَى:

« يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ أَمَّا الْعَذَابُ

١- يقال بينها قيس رمح وقاس رمح اي قدر رمح صحاح

٢- العتيد العاضر الهيباله

ضَعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا »

روى علي بن إبراهيم في تفسيره باسناده عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الفاحشة الخروج بالسيف ، وقال تعالى :

« وَقرْنٌ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى »

روى في الصافي من الاكمال عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث ان يوشع ابن نون وصي موسى عاش بعد موسى ثلاثين سنة وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى فقالت : أنا أحق منك بالأمر فقاتلها فقتل مقاتليها وأحسن اسرها ، وإن ابنة أبي بكر ستخرج على علي عليه السلام في كذا وكذا ألف من أمته فيقاتلها فيقتل مقاتليها ويأسرها فيحسن اسرها ، وفيها أنزل الله تعالى : « وقرن في بيوتكن ولا تبرج الجاهلية الأولى » يعني صفراء بنت شعيب ، وروى القمي عن الصادق عن أبيه عليه السلام في هذه الآية قال : أى سيكون جاهلية اخرى ، وفي البحار من الكافية من تفسير الكلبي عن ابن عباس لما علم الله أنه سيجرى حرب الجمل قال لأزواج النبي صلى الله عليه وآله : وقرن في بيوتكن ولا تبرج الجاهلية الأولى وقال :

« يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ

ضَعْفَيْنِ »

في حربها مع علي عليه السلام وفي الاحتجاج روى الشعبي عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي قال : كنت بمكة مع عبد الله بن الزبير وطلحة والزبير فارسا إلى عبد الله بن الزبير وأمامه فقالا له : إن عثمان قتل مظلوما وإننا نخاف أمر أمّة محمد صلى الله عليه وآله أن يختل بهم ، فان رأيت عايشة أن تخرج معنا لعل الله أن يرتق بها فتقا ويشعب بها صدعا .

قال : فخرجنا نمشي حتى انتهينا إليها فدخل عبد الله بن الزبير معها في سترها وجلست على الباب فأبلغها ما ارسلنا به إليها ، فقالت : سبحان الله ، والله ما امرت بالخروج وما تحضرني من أمّته المؤمنة إلا أم سلمة فان خرجت خرجت معها

فرجع إليها فبلغها ذلك فقلا ارجع فلتأتها فهي أنقل عليها منّا فرجع إليها فيبلغها فأقبلت حتى دخلت على أم سلمة فقالت أم سلمة : مرحباً بعايشة والله ما كنت لي بزودة فما بذلك ؟ قال : قدم طلحة والزبير فخبيراً أنّ أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً ، فصرخت أم سلمة صرخة أسمعت من في الدار ، فقالت : يا عايشة أنت بالأمس تشهدين عليه بالكفر وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوماً بما تريدن ؟ قالت : تخرجين معنا فلعن الله أن يصلح بخروجنا امرأة محمد ﷺ ، قالت : يا عايشة اخرجي وقد سمعت من رسول الله ﷺ ما سمعنا .

نشدتك بالله يا عايشة الذي يعلم صدقك إن صدقت أتذكرين يوماً كان نوبتك من رسول الله ﷺ فصنعت حريرة في بيتي فأثبت بها وهو يقول : والله لا تذهب الليالي والأيام حتى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له : الحوآب امرأة من نسائي في فقة باغية فسقط الاناء من يدي فرفع رأسه إلي وقال : مالك يا أم سلمة ؟ قلت : يا رسول الله ألا يسقط الاناء من يدي وأنت تقول ما تقول ؟ ما يؤمنني أن أكون أنسائي ؟ فضحكت أنت فالتفت إليك فقالت : ممّ تضحكين يا حميراء الساقين إنسي أحسبك هيه .

ونشدتك بالله يا عايشة أتذكرين ليلة أسرى بنامع رسول الله ﷺ من مكان كذا وكذا وهو بيني وبين علي بن أبي طالب ﷺ بعدتنا فدخلت جملك فحال بينه وبين علي فرفع مقرعة كانت معه فضرب بها وجه جملك وقال : أما والله ما يومه منك بواحد ولا بليته منك بواحدة إنّه لا يبغضه إلا منافق كذّاب .

وانشذك بالله أتذكرين مرض رسول الله ﷺ الذي قبض فيه فأتاه أبوك يعودك ومعه عمر وقد كان علي بن أبي طالب ﷺ يتعاهد نوب رسول الله ﷺ ونعله وخفّه ويصلح ما دهي (١) منها ، فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله ﷺ وهي حضرمية وهو يخصفها خلف البيت فاستأذنا عليه فأذن له ما فقلا : يا رسول الله كيف أصبحت ؟ قال : أحمد الله ، قال : لا بدّ من الموت ، قال : لا بدّ من الموت : قال : لا بدّ من الموت : قال :

يا رسول الله فهل استخلفت أحداً؟ قال: ما خليفتي فيكم إلا خاصف النمل فمراً على عليٍّ عليه السلام وهو يخصف نمل رسول الله صلى الله عليه وآله كل ذلك تعرفيه يا عايشة وتشهدين عليه ثم قالت أم سلمة: يا عايشة أنا أخرج على عليٍّ عليه السلام بعد الذي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فرجعت إلى منزلها وقالت: يا بن الزبير ابلغهما إنني لست بخارجة من بعد الذي سمعته من أم سلمة فرجع فبلغهما قال: فما انتصف الليل حتى سمعنا رغاء إبليها ترتحل فارتحلت معهما

وفيه عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آبائه عن عليٍّ عليهم السلام قال: كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد بعد أن صلى الفجر ثم نهض ونهضت معه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يتجه إلى أعلمني بذلك وكان إذا أبطأ في ذلك الموضع صرت إليه لأعرف خبره لأنه لا يتصبر قلبي على فراقه ساعة واحدة، فقال لي: أنا متجه إلى بيت عايشة ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله ومضيت إلى بيت فاطمة الزهراء عليها السلام فلم أزل مع الحسن والحسين فأنا وهي مسروران بهما.

ثم إنني نهضت وصرت إلى باب عايشة فطرقت الباب فقالت لي عايشة: من هذا؟ فقلت لها: أنا عليٌّ فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله راقد فانصرفت، ثم قلت: رسول الله راقد وعايشة في الدار فرجعت وطرقت الباب فقالت لي عايشة: من هذا؟ فقلت لها: أنا عليٌّ، فقالت: إن النبي صلى الله عليه وآله على حاجة فانتيت مستحياً من دقي الباب ووجدت في صدري مالا أستطيع عليه صبراً، فرجعت مسرعاً فدفقت الباب دقاً عنيفاً، فقالت لي عايشة من هذا؟ فقلت لها: أنا عليٌّ فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: افتحي الباب، ففتحت و دخلت فقال لي: اقعدي يا أبا الحسن احديني بما أنا فيه أو تحدثني بابطانك عني؟ فقلت: يا رسول الله حدثني فإن حديثك أحسن.

فقال: يا أبا الحسن كنت في أمر كتمته من ألم الجوع فلما دخلت بيت عايشة وأطلت القعود ليس عندها شيء تأتي به فمددت يدي وسألت الله القريب المجيب فهبط عليَّ حبيبي جبرئيل ومعه هذا الطير ووضع اصبعه على طائر بين يديه فقال: إن الله تعالى أوحى إلي أن آخذ هذا الطير وهو أطيب طعام في الجنة فأنتك به يا محمد،

فحمدت الله عز وجل كثيراً وعرج جبرئيل فرفعت يدي إلى السماء فقلت : اللهم يسرّ عبداً يحبّك و يحبّني يأكل معي هذا الطير ، فمكثت ملياً فلم أر أحداً يطرق الباب فرفعت يدي إلى السماء فقلت : اللهم يسرّ عبداً يحبّك و يحبّني يأكل معي هذا الطير فمكثت ملياً فلم أر أحداً يطرق الباب فرفعت يدي إلى السماء فقلت : اللهم يسرّ عبداً يحبّك و يحبّني و تحبّه وأحبّه يأكل معي هذا الطير ، فسمعت طرقت الباب و ارتفاع صوتك فقلت لعائشة : ادخلي علياً ، فدخلت .

فلم أزل حامداً لله حتى بلغت إليّ إذ كنت تحبّ الله و تحبّني و يحبّك الله وأحبّك ، فكل يا علي فلما أكلت أنا ورسول الله ﷺ الطائر قال لي : يا علي حدثني فقلت : يا رسول الله لم أزل منذ فارقتك أنا وفاطمة والحسن والحسين محرورين جميعاً ثم نهضت أريدك فجئت فطرقت الباب فقالت لي عائشة : من هذا ؟ فقلت : أنا عليّ ، فقالت : إنّ رسول الله راقداً ، فانصرفت فلما أن صرت إلى بعض الطريق الذي سلكته رجعت فقلت : إنّ رسول الله راقداً وعائشة في الدار لا يكون هذا ، فجئت فطرقت الباب فقالت لي : من هذا؟ فقلت لها أنا عليّ فقالت إنّ رسول الله على حاجة فانصرفت مستحياً ، فلما انتهيت إلى الموضع الذي رجعت منه أول مرة وجدت في قلبي مالم أستطع عليه صبراً ، فقلت : النبي ﷺ على حاجة وعائشة في الدار ، فرجعت فندقت الباب الدقّ الذي سمعته يا رسول الله فسمعتك يا رسول الله وأنت تقول لها : ادخلي علياً فقال رسول الله ﷺ : آيت (١) إلا أن يكون الأمر هكذا يا حميرا ما حملك على هذا ؟ قالت : يا رسول الله اشتبهت أن يكون أبي يأكل من الطير ، فقال لها : ما هو أول ضغن بينك وبين عليّ ﷺ وقدوقفت على ما في قلبك إنشاء الله لتقاتلينه فقالت : يا رسول الله وتكون النساء يقاتلن الرجال ؟ فقال لها : يا عائشة إنك لتقاتلين علياً و يصحبك و يدعوك إلى هذا نفر من أهل بيتي وأصحابي فيحملونك عليه

وليكونن في قتالك أمر يتحدث به الأ ولون والآ خرون وعلامة ذلك أنك تركين الشيطان ثم تبئين قبل أن تبلفي إلى الموضوع الذي يقصد بك إليه فتنبح عليك كلاب الحوآب فتستلين الرجوع فتشهد عندك قسامة أربعين رجلاً ماهي كلاب الحوآب فتصيرين إلى بلد أهله أنصارك ، و هو أبعد بلاد على الأرض من السمء وأقربها إلى الماء ، ولترجعن وأنت صاغرة غير بالغة ما تريدن ، ويكون هذا الذي يردك مع من يشق به من أصحابه وأنه لك خير منك له و لينذرناك ما يكون الفراق بيني و بينك في الآخرة وكل من فرق علي بيني و بينه بعد وفاتي ففراقه جازي .

فقال يا رسول الله : ليتني مت قبل أن يكون ما تعدني فقال : هيهات هيهات والذي نفسي بيده ليكون ما قلت حتى كأني أراه ،

ثم قال ﷺ لي : قم يا علي فقد وجبت صلاة الظهر حتى أمر بلالاً بالأذان فأذن بلال وأقام وصلى و صليت معه ولم نزل في المسجد .

وفيه عن الباقر (عليه السلام) أنه قال : لما كان يوم الجمل و قد رشق (١) هودج عايشة بالنبل قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : والله ما أراني إلا مطلقها فانشد الله رجلاً سمع من رسول الله ﷺ يقول : يا علي أمر نسايتي بيدك من بعدي لما قام فشهد قال : فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدرين فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله يقول يا علي أمر نسايتي بيدك من بعدي ، قال : فبكت عايشة عند ذلك حتى سمعوا بكائها .

و في البحار من كتاب الكافية لابطال توبة الخاطئة عن الحسن بن حماد عن زياد بن المنذر عن الأصبح بن نباتة قال : لما عقر الجمل وقف علي (عليه السلام) على عايشة فقال وما حملك على ما صنعت ؟ قالت زيت (٢) و زيت ، فقال : أما والذي فلق الحبة وبرء النسمة لقد ملأت أذنيك من رسول الله ﷺ وهو يلمن أصحاب الجمل وأصحاب النهروان أما أحيافهم فيقتلون في الفتنة و أما أمواتهم ففي النار على ملة اليهود ،

١- الرشق تيرباران كردن

٢- زيت و زيت اي كيت و كيت

إلى غير ذلك مما رواها الأُصحاب وتركناروايتها مخافة الأُطناب .

الثالث

قال العلامة الحلبي طاب ثراه في كتاب كشف الحق و نهج الصدق : خرجت عايشة إلى قتال أمير المؤمنين صلوات الله عليه ومعلوم أنها عاصية بذلك .
أما أولاً فلأن الله قد نهاها عن الخروج وأمرها بالاستقرار في منزلها فهتكت حجاب الله و رسوله وتبرجت وسافرت في محفل عظيم وجم غفير يزيد على ستة عشر ألفاً .

و أما ثانياً فلأنها ليست ولي الدم حتى تطالب به ولا لها حكم الخلافة فبأي وجه خرجت للطلب؟ .

وأما ثالثاً فلأنها طلبته من غير من عليه الحق لأن أمير المؤمنين عليه السلام لم يحضر قتله ولا أمر به ولا واطأ عليه وقد ذكر ذلك كثيراً .

وأما رابعاً فلأنها كانت تعرض على قتل عثمان وتقول : اقتلوا نعتلاً قتل الله نعتلاً فتمسأ بلغها قتله فرحت بذلك ، فلما قام أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة اسندت القتل إليه و طالبت به بدمه لبغضها له و عداوتها معه ، ثم مع ذلك تبعها خلق عظيم وساعدها عليه جماعة كثيرة الوفا مضاعفة ، وفاطمة سلام الله عليها لما جاءت تطالب بحق اذنها الذي جعله الله لها في كتابه العزيز وهي محقة فيه لم يتبعها مخلوق و لم يساعدها بشر انتهى كلامه .

الترجمة

از جمله کلام فصاحت نظام آن امام عالی مقام است که در مذمت بصره و أهل آن فرموده : بودید شما لشکر زن که عایشه است و تابعان بهیمة که جمل او بود آواز کرد آن جمل ، پس جواب دادید آنرا و بی کرده شد پس گریختید ، خلقهای شما رذیل و حقیر است و عهد شما مخالفت است و شقاق ، و دین شما دو رومی است و نفاق ، و آب شما بی مزه است و شور ، اقامت کننده در میان شما رهین است بگناه خویش ، و رحلت نماینده از شما دریافته شده است بر حمة پروردگار خود ، گویا من

نظر میکنم بمسجد شما که فرا گرفته است آنرا آب بمرتبۀ که دیده نمیشود مگر کنکره های آن مسجد مانند سینۀ کشتی در دریا، بتحقیق که فرو فرستاده خداوند سبحانه بر بصره که شهر شما است عذاباً از بالای آن، و غرق کرده شده کسیکه در میان آن شهر بوده، و در روایت دیگر وارد شده که فرمود قسم بذات خداوند هر آینه غرق کرده شود این شهر شما تا اینکه گویا من نظر میکنم بسوی مسجد آن شهر همچو سینۀ کشتی بر روی دریا یا شتر مرغ سینۀ خوابیده در دریا، و در روایت دیگر آمده که همچو سینۀ مرغ در میان دریا

و من كلام له عليه السلام في مثل ذلك وهو الرابع عشر من
المختار في باب الخطب الجارية مجراها

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ ، وَ سَفِهَتْ
حُلُومُكُمْ ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ ، وَأَكَلَةٌ لِأَكْلِ ، وَ قَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ .

اللغة

(سفه) سفهاً من باب تمب و سفه بالضمّ سفاهة فهو سفیه و السّفه النقص في العقل وأصله الخفة و سفه الحقّ جهله قال سبحانه :
« وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ لِنَفْسِهِ »

قال الطبرسيُّ صاحب التفسير : أي جهل قدره و (الحلم) العقل و الجمع حلوم و أحلام و (الغرض) ما ينصب ليرمى بالسهم و (النابل) ذوالنبل و (الأكلة) بضم الهمزة اسم للمأكل و (قريسة) الأسد ما يفرسه و (صول) البعير و الأسد ككرم صالة و ائب الناس أو صار يقتل الناس ويعد عليهم فهو صائل و صؤل .

الاعراب

العطف في قوله عليه السلام : و سفهت حلومكم للتفسير و التوكيد إن كان المراد بالسّفه المعنى الأوّل ، و إلاً فللتأسيس و الفاء في قوله : فأنتم ، فصيحة وهو ظاهر .

المعنى

قد عرفت في شرح الخطبة السابقة أن قوله ﷺ (أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء) مما حكاه ﷺ عن النبي والمراد بقرب أرضهم من الماء إما كون موضع البصرة منخفضاً قريباً من البحر كما يشاهد من دخول الماء حديقهم ومزادهم كل يوم مرة أو مرتين ، أو كونها قريبة من الفرق بالماء فيكون قوله ﷺ : من الماء من قبيل الحذف والايصال ، وأما بعد أرضهم من السماء فأمّا من حيث انخفاضها عن غيرها من الأرض ، أو من حيث بعدها عن دائرة المعدل .

قال الشارح المعتزلي : إن أبواب علم الهيئة وأهل صناعة التنجيم يذكرون إن أبعد موضع في الأرض من السماء الأبله ، وذلك موافق لقوله ﷺ ومعنى البعد عن السماء ههنا هو بعد تلك الأرض المخصوصة عن دائرة معدل النهار ، والبقاع والبلاد تختلف في ذلك ، وقد دلت الارصاد والآلات النجومية على أن أبعد موضع في المعمورة عن دائرة معدل النهار هو الأبله ، والأبله هي قبة البصرة انتهى .

وفيه أن كونها أبعد بلاد العرب من المعدل مسلم وأما كونها أبعد موضع منه في المعمورة ممنوع قطعاً و فاسد حساً إلا أن يكون مراده به ما ذكرناه ويكون التسامح في العبارة هذا .

و يحتمل أن يكون المراد ببعدها من السماء البعد من سماء الرحمة والاستعداد لنزول العذاب وقوله : (خفت عقولكم و سفوت حلومكم) وصف لهم بقلّة العقل والسفاهة الموجبة لانحطاط الرتبة والدرجة في العقائد الدينية والعبادات البدنية وإشارة إلى قلّة استعدادهم لدرك وجوه المصالح الواقعية كما يشهد به متابعتهم للمرأة وإجابتهم للبهيمة ، وتنبيه على جهالتهم وعدم تفكيرهم في عواقب الامور وغفلتهم عن اصلاح أحوالهم و على تسرعهم إلى ما لا ينبغي ولاجل ذلك حسن التفريع بقوله : (فأنتم غرض لنا بل) أي هدف لمن يريد أذاكم (واكله لا كل) أي عرضة لأن يطمع في أموالكم ويأكلها من يريد أكلها (فريسة لصائل) أي في

معرض أن يفترسكم من يريد قتلکم و هلاککم ، و هذا کله من لوازم خفة العقل
والسفاهة وقلّة الفهم والغباوة .

الترجمة

از جمله کلام آن امام انام است درمثل همین مقام : زمین شما نزدیک است
بآب وود است از آسمان خفیف است عقلهای شما و سغیه است حلمهای شما ، پس
شما بواسطه نقصان عقل و قلة تدبیر نشانه اید از برای هر تیر اندازنده ، و طعمه اید از
برای هر خورنده ، و شکارید از برای هر حمله کننده ، و هجوم آورنده ، والله اعلم بالصواب .

ومن کلام له **عنه** فیما رده علی المسلمین من قطاع
عثمان و هو الخامس عشر من المختار فی باب

الخطب الجاری مجراها

وَاللّٰهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِنَّ النَّسَاءَ ، وَ مُلِكَ بِهِنَّ الْاِمَاءَ ، لَرَدَدْتُهُ
فَاِنَّ فِي الْمَدْلِ سِعَةً ، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْمَدْلُ فَالْجَوْرُ عَآئِهٖ اَضِيقُ .

اللفظة

(القطاع) اسم لما ينقل من المال كالاراضي والحصون ويقابله الصفايا وهو
اسم للمنقول و في شرح المعتزلي القطاع مسا يقطعه الامام لبعض الرعية من ارض
بيت المال ذات الخراج ويسقط عنه خراجه ويجعل عليه ضريبة يسيرة عوضاً عن الخراج

الاعراب

اسناد تزوج وملك إلى النساء والاماء مع خلوها من علامة التأنيث على حد
قوله تعالى : وَ قَالَ نِسْوَةٌ .

المعنى

اعلم أن هذا الكلام مع الخطبة الآتية من فصول خطبة خطب **عليه السلام** بها بمد

قتل عثمان ، وقد رويت بزيادة ونقصان ونحن نوردها بتمامها في شرح الخطبة الائمة ونقول هنا مضافاً إلى ماسياتي أنه قد رواه الشارح المعتزلي عن الكلبى مرفوعاً إلى أبي صالح عن ابن عباس (رض) قال : إن علياً عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال : ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان و كل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال ، فإن الحق القديم لا يبطله شيء ، ولو وجدته قد تزوج به النساء و فرق في البلدان لردته إلي حاله فإن في العدل سعة و من ضاق عنه العدل فالجور عنه أضيح إذا أحطت خبراً بذلك فلنعد إلى شرح كلامه عليه السلام على ما أورده الرضى ره .

فتقول : إن عثمان كان أقطع كثيراً من بني امية وغيرهم من أصحابه و أتباعه قطايح من أرض الخراج كما عرفته في شرح الفصل الرابع من فصول الخطبة الشقشقية و قد كان عمر أقطعها أيضاً إلا أنه أقطعها لأرباب الجهد و العناء و ذوى الوقايح المشهورة في الحروب ، ترغيباً في الجهاد ، ولما كان قطايحه لغرض صحيح لم يتعرض عليه السلام له بعد نهوضه بالخلافة ، و إنما تعرض لقطايح عثمان التي أقطعها لمجرد هوى نفسه و ميلاً إلى أصحابه من غير عناء في الحرب فقال عليه السلام (والله لو وجدته) أى ما بذله عثمان من تلك القطايح (قد تزوج به النساء و ملك به الاماء) أى صار مهراً للحرائر و نمنا للاماء (لردته) إلى حاله ذإلى بيت مال المسلمين .

ثم علل ذلك بقوله : (فإن في العدل سعة) يعني أن وجوب الرد بمقتضى العدل و فيه وسعة للناس إذ به نظامهم و قوام امورهم ، و لولاه لاختل النظام و ضاع القوام .

ثم أكد ذلك بقوله : (و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيح) يعني من ضاق عليه القيام بالحكم الذي اقتضاه العدل فالجور الذي أقدم عليه بمقتضى هوى نفسه و ميل طبعه أضيح عليه في الدنيا و الآخرة ، و ذلك توعيد لهم و إشارة إلى أن رد القطايح التي أقطعها عثمان لهم و إن كان ضيقاً عليهم و شاقاً في أنفسهم ، لكنه عدل و القيام به سهل بالنسبة إلى عدم الرد و الامتناع منه ، لأنه جور و هو أضيح عليهم منه في الدنيا و الآخرة ، أما في الدنيا فلا نساها ربما انتزعت منهم قهراً و يكون

جورهم سبباً للتحريج والتضييق ، و أمّا الآخرة فلكونها موجبة للسخط
و العقوبة هذا .

وذكر شارحو الكتاب في تفسير كلامه عليه السلام ذلك وجوهاً يأبى عنها الذوق السليم
و الطبع المستقيم من أراد الاطلاع عليها فليرجع إليها .

قال الكلبي بعد روايته ما روينا عنه سابقاً : ثم أمر عليه السلام بكل سلاح وجد
لعثمان في داره مما تقوى بها (١) على المسلمين قبض و أمر بقبض نجائب كانت
في داره من ابل الصدقة قبضت و أمر بقبض سيفه و درعه و أمر أن لا يعرض لسلاح
وجد له لم يقاتل به المسلمون و بالكف عن جميع أمواله التي وجدت في داره و غير
داره ، و أمر أن ترجع الأموال التي أجاز بها عثمان و حيث اصببت أو اصببت أصحابها
فبلغ ذلك عمرو بن العاص و كان بايلة من أرض الشام أنها حيث دئب الناس على
عثمان فنزلها ، فكتب إلى معاوية ما كنت صانعاً فاصنع اذا قشرك ابن أبي طالب من
كل مال تملكه كما تقشر عن العصا لحائتها (٢)

قال الشارح المعتزلي : وقال الوليد بن عقبة وهو أخو عثمان من أمه يذكر
قبض علي عليه السلام نجائب عثمان وسيفه وصلاحه : (٣)

و لا تنهبوه لا تحلّ مناهبه	بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم
و عند علي درعه و نجائبه	بني هاشم كيف الهواة بيننا
و بز ابن (٤) اردى (٥) فيكم و حرايبه	بني هاشم كيف التودد منكم
سواء علينا قاتلاه و سالبه	بني هاشم إلا تردوا فانتنا
كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه	بني هاشم إننا و ما كان منكم

١- متعلق بقوله وجد منه

٢- اى قشرها منه

٣- اى الصلح

٤- اى سلبه ،

٥- اردى ام عثمان منه

قتلتم أخي كى ماتكونوا مكانه
 فاجاب عبد الله بن ابي سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب بأبيات طويلة من جملتها :
 فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم
 اضيع والقاء لدى الروع صاحبه
 سلوا أهل مصر عن سلاح ابن اختنا
 فهم سلبوه سيفه و حرايبه
 و كان وليّ الأمر بعد عهد
 عليّ إلى أن أظهر الله دينه
 و أنت امرؤ من أهل صفور نارخ
 و قد أتزل الرحمن إنك فاسق
 و شبته كسرى و قد كان مثله
 و ما لك في الاسلام سهم تطالبه
 شيهاً بكسرى هديه و ضرابه

أى كان كافراً كما كان كسرى كافراً قال الشاعر : و كان المنصور إذا أنشد
 هذا البيت يقول لمن الله الوليد هو الذي فرق بين بني عبد مناف بهذا الشعر .

الترجمة

از جمله کلام آنحضرت است در خصوص چیزی که ردّ فرموده بود آن را
 بر مسلمانان از قطعه‌های عثمان که بر بنی امیه و سایر اعوان خود بخشش کرده
 بود و آن کلام عدل نظام اینست که فرمود : بخداوند سوگند اگر بیابم آن مال را
 که تزویج شده باشند بآن زنان و ملک شده باشند بآن کنیزان هر آینه بر میگردانم
 آن را ، از جهت اینکه در عدل وسعت است و هر که تنگ آید براو عدل پس جور
 و ستم براو تنگ تر است .

ومن کلام له عليه السلام له بابويع بالمدينة وهو السادس عشر

من المختار في باب الخطب الجارية مجراها

والأدلى العنوان بمن خطبة له عليه السلام كما في بعض النسخ لأن هذه من جلال
 خطبها ومن مشهوراتها وهو أوّل خطبة خطبها بالمدينة بعد ما نهض بالخلافة و قد
 رواها جمع مناه من العامة كالكليني في روضة الكافي والمفيد في الارشاد والمحدث

المجلسي والشارح البحراني والشارح المعتزلي من كتاب البيان والتبيين للجاحظ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى وغير هؤلاء إلا أن فيها على اختلاف طرقها زيادة ونقصاناً وتغييراً كثيراً ونحن نوردها بتمامها بعد الفراغ من شرح ما أورده الرضِيُّ قُدَّسَ سرُّه بطريق الكليني توضيحاً لما أورده وثبتنا لما ذكره مع الإشارة إلى التفسير بعض ما رواه الكليني أيضاً وشرح ما أورده الرضِيُّ ره في ضمن فصلين .

الفصل الأول

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةً وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ، إِنْ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْمِيرَةُ عَمَّا
 يَنْ يَدِيهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ ، حَجَزَهُ التَّقْوَى عَنِ التَّفَحُّمِ فِي الشُّبُهَاتِ ، أَلَا وَإِنْ
 بَلَيْتِكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَثَّ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ ،
 لَتَبْلَبُلَنَّ بَلْبَلَةً . وَتَنْزَرُ بَلُنَّ غَرْبَلَةً ، وَتُسَاطِنُ سَوْطَ الْقَدْرِ ، حَتَّى يَبُودَ
 أَسْفَلَكُمْ أَعْلَاكُمْ ، وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ ، وَلَيْسَيَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصْرُوًا ،
 وَلْيَقْصُرَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا سَبْقُوًا ، وَاللَّهُ مَا كَتَمْتُ وَسَمِعْتُ ، وَلَا كَذِبْتُ
 كَذِبَةً ، وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَذَا الْقَامِ ، وَهَذَا الْيَوْمِ أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَبِيلٌ
 شُمْسٌ مُحِيلٌ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَخَلِمَتْ لُجُبُهَا ، فَتَفَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ ، أَلَا وَإِنْ
 التَّقْوَى مَطَايَا ذُلٌّ مُحِيلٌ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَأَعْطُوا إِزْمَتَهَا ، فَأَوْرَدَتْهُمْ الْجَنَّةَ
 حَقًّا وَبَاطِلًا ، وَلِكُلِّ أَهْلٍ قَلْبَيْنِ أَمْرًا الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا قَوْلًا ، وَلَيْنَ قَلِّ الْحَقُّ
 قَلْبًا وَكَلِّ ، وَكَلِّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ .

قال الرضِيُّ رَهْ أَقُولُ : إنَّ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَدْنَى مِنْ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ (١) مَا تَبْلَغُهُ مَوَاضِعُ الْإِسْتِحْسَانِ ، وَ إِنْ حَظَّ الْعَجَبُ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَظِّ الْمَعْجَبِ بِهِ ، وَ فِيهِ مَعَ الْحَالِ الَّتِي وَصَفْنَا زَوَائِدَ مِنَ الْفَصَاحَةِ لَا يَقُومُ بِهَا لِسَانٌ ، وَ لَا يَطْلَعُ فَجْهًا إِنْسَانٌ ، وَ لَا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ إِلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِحَقٍّ ، وَ جَرَى فِيهَا عَلَى عَرَقٍ ، وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ

اللغة

(الرهينة) الوثيقة و (الزعيم) الكفيل و (صرحت) كشفت و (العبر) جمع العبرة و (المثالات) العقوبات و (العجز) الحجب و المنع و (تقمّم) فلان ألقى نفسه في المهلكة ، و تقمّم الانسان في الأمر دخل فيه من غير روية و (تبيلبت) الألسن اى اختلطت ، و في النهاية البلايل الهموم و الأُحزان و بلبلة الصدر و سوسته و منه حديث عليّ عليه السلام لتبيلبن بلبلة و (تغزبلن) من غزبل الدقيق اى نخله أو من غزبلت اللحم اى قطعت و (ساط) القدر يسوطه سوطاً قلب ما فيها من الطعام بالمعراك و أداره حتّى اختلط أجزائه و (السباق) كشدّاد و (الوشمة) بالشين المعجمة الكلمة بالمهملة الأثر و العلامة و (شمس) الفرس شمساً و شمساً منع ظهره من الركوب فهو شمس و الجمع شمس كرسى (١) و (اللجم) بضمّتين جمع لجام و (ذلل) جمع ذلول كرسى و رسول و هو المنقار قال سبحانه :

« قَانَسُكِي سُبُلَ رَبِّكَ ذُلُلًا »

و (امر) الباطل بالكسر إذا كثرت

الاعراب

من المثالات بيان لما ، و جملة حجزه اه مرفوعة المعلّ على كونها خبران ، و تبيلبن و تغزبلن و تساطن كلّها بالبناء على المفعول ، و كتبت بالبناء على المفعول أو على

١- الاحسان فى كلام السيد ره مصدر احسن اذا فعل حسنا و مواقع الاحسان الكلمات الصنة و مواضع الاستحسان الفكر المستحسنة قوله وان حظ الى قوله به اى ان تعجب الفصحاء من حسنه أكثر من عجبهم بانفسهم باستفراج معاسنه لان فيه معاسن لا يكتمهم التمبر عنها وان تعجبوا منها من حواشى نهج البلاغة

المعلوم وكلاهما صحيحان محتملان ، و فاعل خلعت ضمير مستتر راجع إلى الخيل ولجمها منصوب على المفعوليّة ، أو خلعت بصيغة المجهول ، ولجمها نايب عن الفاعل وحقّ وباطل خبران لمبتدأ محذوف بقرينة المقام أى الأمور كلها إما حقّ أو باطل أدان التقوى حقّ والخطاه باطل على ما سبق التصريح اليهما .

و قوله لقديمًا فعل فاعل الفعل عايد إلى الباطل و المفعول محذوف أى قديمًا فعل الباطل ذلك و إسناده إليه مجاز والمراد به أهله أو أن فعل بمعنى افعل كما في قوله قد جبر الدين الاله فجبر أى فأنجبر، وقوله : فلربما و لعل كلمة ما كافة مهية لدخول رب على الفعل المحذوف بعدها بقرينة المقام ، و لعل للترجي و المعمول محذوف وتقدير الكلام ولئن قل الحق فلربما يكون غالباً ولعله ينتصر أهله .

المعنى

اعلم أنه صدّد كلامه بما يكون مرغبا لهم في الاستماع بما يقوله بقوله : (ذمّتي بما أقول) (رهينة) أى وثيقة (و أنابه) أى بكونه صدقا مطابقا للواقع (زعيم) و كقيل ثم أشار إليهم إلى وجوب الاعتبار بالعبر النافعة من حيث كونها وسيلة إلى التقوى الحاجز عن الاقتحام في الشبهة وقال (إن من صرحت له العبر) أى كشفت (عمّا بين يديه من المثالات) والعقوبات الواقعة على الامم السابقة والجارية في القرون الخالية يكون انكشاف تلك العبر واعتباره بها مؤدبا إلى الخشية من الله سبحانه و(حجزه التقوى عن التعمّم في الشبهات) والاقتحام في الهلكات من غير روية . والمراد بالشبهات الأمور الباطلة الشبيهة بالحقّ وحاجزية التقوى منها من حيث إنه لما كان عبارة عن اتيان الأوامر وترك النواهي كما قال الصادق عليه السلام في تفسيره بعد ما سئل عنه : أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك ، لا بد وأن يكون المتصّف به مجتنباً من الشبهات كيلا يقع في المناهي والمحرمات ، فإن الأخذ بها و التعمّم فيها مظنة الوقوع في الحرام من حيث لا يعلم وقد وقع الإشارة إلى ذلك في عدة روايات

مثل ما رواه في الوسائل بإسناده عن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: من الورع من الناس؟ قال: الذي يتورع من محارم الله ويجتنب هؤلاء فإذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه

وعن عمر بن حفص عنه عليه السلام أيضاً في حديث قال: وإتاما الأمور ثلاثة: أمر بين رشده فيتبع، وأمر بين غيّه فيجتنب، وأمر مشكل يردّ علمه إلى الله سبحانه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله حلال بين و حرام بين و شبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات و هلك من حيث لا يعلم، ثم قال في آخر الحديث: فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات

و عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن لكل ملك حمى وإن حمى الله حلاله و حرامه والمشتبهات بين ذلك، كما لو أن راعياً رعى إلى جانب الحمى لم يثبت غنمه أن تقع في وسطه، فدعوا المشتبهات

إذا عرفت ذلك فاعلم أنه عليه السلام لما نبههم على لزوم التقوى وأنه مانع من تعمّ الشبهات نبههم بعده على أنهم في الشبهات مغمورون بقوله: (ألا وإن بليتكم هذه قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله) وأشار عليه السلام ببليتهم هذه إلى ما هم عليه من تشتت الآراء وتفرق الأهواء وعدم الألفة والاجتماع في نصرته الله عن شبهات يلقيها الشيطان على الأذهان القابلة لوسوسته المقهورة في يده، وذلك من أعظم الفتن التي بها يبتيلى الله عباده كما قال:

« وَ تَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِقْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ »

وهي أمور تشبه ما كان عليه الناس حال بعثة النبي صلى الله عليه وآله، لأنهم كانوا يومئذ ملأ متفرقة وأهواء منتشرة وطرائق متشتتة، وفيه تنبيه لهم على أنهم ليسوا من تقوى الله في شيء، ولا على دين الحق أيام خلافة الثلاثة كما أنهم لم يكونوا من أهل الدبابة في أيام الفترة ويوم بعثة النبي صلى الله عليه وآله، وإشارة إلى أنهم كما كانوا يومئذ مأمورين بالتمسك بأذيال النبوة كي يخلصوا من الكفر والضلالة فكذلك هؤلاء

اليوم مأمورون باتباعه والاعتباس من أنواره ﷺ ليبتدوا بها في ظلمات الشبهات ومدلهمات الجهالة

كما قال الرضا عليه السلام في حديث عبدالله بن جندب المروي في الوسائل من تفسير العياشي: «إن هؤلاء القوم سنع لهم الشيطان اغترهم بالشبهة ولبس عليهم أمر دينهم وأرادوا الهدى من تلقاه أنفسهم فقالوا لم ومتى وكيف فأتاهم الهلك من مأمّن احتياطهم وذلك بما كسبت أيديهم وماربك بظلام للعبيد، ولم يكن ذلك لهم وعليهم بل كان الفرض عليهم والواجب لهم من ذلك الوقوف عند التحير ورد ما جهلوه من ذلك إلى عامله «عالمه ظ» ومستنبطه لأن الله يقول في كتابه:

« وَ لَوْ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالِىَ الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ

يَسْتَنْبِطُوهُ مِنْهُمْ »

يعني آل عهد عليهم السلام وهم الذين يستنبطون من القرآن ويعرفون الحلال والحرام وهم الحجّة لله على خلقه وقد مضى في شرح الفصل الرابع من فصول الخطبة الثانية. ثم إنّه ﷺ لما ذكر وقوعهم في البلية وقابل يوم بيعة يوم البعثة أشار إلى مآل ذلك الابتداء وما يؤل إليه آخر أمر المبايعين من خلوص بعضهم وارتداد الآخرين فقال: (والذي بعثه بالحق لتبليبن ببلية) أي لتخلطن بعضهم ببعض وتقعن في الهوم والأحزان وسادس الصدور (و لتفرلبن غربة) أي ليميزن جيدكم من رد يكم تميز نخالة الدقيق من خالصه بالفربال.

كما قال الصادق عليه السلام في رواية ابن أبي يعفور المروية في الكافي في باب التمهيص والامتحان: لا بد للناس من أن يحصوا ويميزوا ويفرلوا ويستخرج في الفربال خلق كثير (و لتساطن سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم) لتصريف أمة الجور إبانكم وتقليبكم من حال إلى حال وإهانتكم وتغييركم من وضع إلى وضع ومن دين إلى دين، ويحتمل أن يكون المراد به أنه يصير عزيزكم ذليلاً وذليلكم عزيزاً ويرفع أراذلكم ويهبط أكابركم (و ليسبقن سابقون كانوا قصرأوا) وهم

المقتصرون عن نصرته في مبدئه الأمر بعد وفاة الرسول ﷺ الناصرون لله في ولايته
المقاتلون معه في ساير حروبه (وليقتصرن سبأقون كانوا سبقوا) وهم الذين كانت لهم سابقة
في الاسلام ثم خذلوه وانحرفوا عنه وقاتلوه كأصحاب الجمل والشام وأهل النهردان
قال الشارح البحراني : ويشبه أن يكون مراده ﷺ أعم من ذلك ، فالمقتصرون
الذين يسبقون كل من أخذت العناية الالهية بيده وقاده زمام التوفيق إلى الجهد في
طاعة الله واتباع ساير أو امره والوقوف عند نواهيهِ و زواجره بعد تقصير في ذلك ،
وعكس هؤلاء من كان في مبدئه الأمر مستمرّاً في سلوك سبيل الله ثم جذبته هواه إلى
غير ما كان عليه و سلك به الشيطان مسالكه فاستبدل بسبقه في الدين تقصيراً
وانحرافاً عنه .

ثم إنه ﷺ لما أخبرهم بعواقب أمورهم ومآل حالهم أكد ذلك بالقسم البار
تحقيقاً لوقوع المخبر به لا محالة ، ونبه ﷺ على أنه ما ينطق عن الهوى في هذه
الأخبار و أمثالها وإنما تلقاها من مصدر النبوة و دوحه الرسالة فقال : (والله ما
كنتم وشمة) على البناء للمفعول أي لم يكن مني رسول الله ﷺ كلمة أو علامة
مما يجب عليه إظهاره ، أو بالبناء على المعلوم أي لم أكن شيئاً مما يتعين على
الاباحة (١) به من كلمة أو أثر وعلامة (ولا كذبت كذبة) في شيء مما أخبرت به
(ولقد نبئت) أي أنبئت رسول الله ﷺ (بهذا المقام) وهو مقام اجتماع الخلق
عليه (وهذا اليوم) أي يوم يعيتمهم له .

ثم إنه ﷺ أورد كلامه بالترهيب عن الخطاء والترغيب في التقوى بالتنبيه
على ما يقود إليه كل منهما وقال : (ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها
وخلعت لجمها فتحمّت بهم في النار) وهو من لطيف التشبيه ومن قبيل تشبيه المعقول
بالمحسوس ، ووجه التشبه أن الفرس الشموس التي خلعت لجمها كما أنها تجري
على غير نظام و تتحمّم بصاحبها في المعاطب و المهالك ، فكذلك الخطيئة تجري
راكبها بركوبه عليها على غير نظام الشريعة فتورده أعظم موارد الهلكة ، و هي نار

الجحيم المعدة للعاين والخطئين (ألا وإنّ التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها
واعطوا أزمته فأوردتهم الجنة) و التشبيه فيه كما في سابقه ، و وجه الشبه أن
المطية الذلول التي زمامها بيد راکبها كما أن من شأنها أن تتحرك براكبها على
رفق ونظام ويصرفها الرّاکب من أجل كون زمامها بيده عن المهالك و يسير بها
إلى المقاصد ، فكذلك التقوى ، فإن صاحبه الذي زمامه بيده هي الحدود الشرعيّة
التي بها يملكه ويستقرّ عليه يسهل (١) له سلوك الصراط المستقيم والمطف عن الشمال
و اليمين ، و يتمكّن من الفوز بالسعادة الأبدية و من الوصول إلى أسنى المطالب
السنية وهي الجنة التي عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

ثمّ إنّهُ ﷺ لما أشار إلى أنّ هيينا طريقين مسلوّكين أحدهما طريق الخطاء
و الآخر طريق التقوى ذكر بعدهما أنّهما (حقّ و باطل) يعني أنّ التقوى حقّ
و الخطاء باطل أو أنّ الأمور كلّها إمّا حقّ أو باطل (ولكلّ) منهما (أهل) أي
سالك يسلكه و طالب يطلبه بمقتضى طيب الطينة و خبثها (فلئن امر الباطل) و كثر
(لقد يما فعل) الباطل أي أهله ذلك (و لئن قل الحقّ فلربّما) يكون غالباً مع
قلته على الباطل (ولعلّه) ينتصر أهله (ولقلّما أدبر شيء فاقبل)

قال الشارح البحراني : استبعاد لرجوع الحقّ الى الكثرة و القوّة بعد قلته
وضعفه على وجه كليّ فإنّ زوال الاستعداد للأمر مستلزم لزوال صورته و صورة الحقّ
إنّما ابيضت على قلوب صفت و استعدت لقبوله فإذا اخذ ذلك الاستعداد في النقصان
بموت أهله أو بموت قلوبهم ، و تسوّد ألواح نفوسهم بشبه الباطل ، فلا بدّ أن ينقص
نور الحقّ و تكثر ظلمة بسبب قوّة الاستعداد لها ، و ظاهر أنّ عود الحقّ و إضاءة
نوره بعد ادباره و إقبال ظلمة الباطل أمر بعيد و قلّما يعود مثل ذلك الاستعداد لقبول
مثل تلك الصّورة للحقّ و لعلّه يعود بقوّة فيصبح ألواح النفوس و أرضها مشرقة
بأنوار الحقّ و يكرّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق و ما ذلك على الله بعزيز ،

وفي ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق^١ وبعث على القيام به كيلا يضمحل بتخاذلهم عنه فلا يمكنهم تداركه انتهى كلامه هذا .

ولعل الظاهر المناسب في شرح الفقرات الأخيرة أعني قوله : حق^٢ وباطل إلى آخر كلامه عليه السلام ما ذكره بعض الأخباريين (١) حيث قال حق^٣ وباطل خبران لمبتدئ محذوف أي الامام حق^٤ وباطل وهو تقسيم للامام على قسمين ، أحدهما الامام بالحق^٥ وإليه اشير في قوله تعالى :

« إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا » وفي قوله : « وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا »

والثاني الامام بالباطل وإليه الإشارة في قوله :

« وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ إِلَى النَّارِ »

وأمر الباطل من باب نصر وعلم وحسن من الامارة بمعنى الولاية ، ولتديماً منصوب على الظرفية ، وعامله فعل بعده على البناء للمجهول وضميره عائد إلى المصدر المفهوم من أمر وحذف فاء الجزاء مع كون الشرط والجزاء ماضيين لفظاً ومعنى اكتفاء بذكرها في الجملة التالية ، ولئن قل الحق^٦ بضم القاف على البناء للمفعول من باب نصر من القل وهو الرفع ، قال في القاموس استقله حمله ورفع كقله واقله ، فلربما ولعل^٧ للتقليل ونددة الوقوع والتقدير ربما كان كذلك ولعله كان كذلك .

وهو إشارة إلى أن الحق^٨ قد يكون غالباً كما في زمن سليمان عليه السلام وذوي القرنين والمقصود بذلك الإشارة إلى كون الحق^٩ غالباً في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومغلوباً في أزمنة الخلفاء الثلاثة وغالباً في زمنه عليه السلام أيضاً وهو نادر وعلى هذا فمعنى كلامه عليه السلام أن الامام حق^{١٠} و باطل ولكل منهما أهله فان صار الباطل أميراً بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلقد فعل ذلك أي امرة الباطل في قديم الزمان وليس بأمر حادث يتعجب منه ، ولئن ارتفع الاحتم بالحق^{١١} بعد خلافة الثلاثة فلربما كان كذلك ولعله كان كذلك ولعلما

١- ملا خليل القرويني في شرح روضة الكافي من

أدبر شيء من الحق فاقبل إليه انتهى كلامه والله العالم .

تكملة

قد أشرنا في صدر الكلام أن هذا الفصل من كلامه عليه السلام كالفصل الآتي من كلامه مما رواه العامة والخاصة و وعدناك هناك أن نذكر تمام الخطبة و نفسر بعض فقراتها المحتاجة إلى التفسير والبيان فأقول وبالله التكلان:

روى ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن علي بن رئاب ويعقوب السراج عن أبي عبدالله عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام لما بويع بعد مقتل عثمان صعد المنبر فقال :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا فَاسْتَعْلَى، وَدَنَا فَتَعَالَى، وَارْتَفَعَ فَوَقَّ كُلَّ مَنْظَرٍ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا (عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ خ ل) رَسُولُ اللَّهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِينَ،
مُصَدِّقًا لِلرُّسُلِ الْأَوَّلِينَ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفًا رَحِيمًا، وَصَلَّى اللَّهُ
وَمَلَائِكَتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ . أَمَا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ الْبَغْيَ يَقُودُ أَصْحَابَهُ
إِلَى النَّارِ، وَإِنْ أَوَّلَ مَنْ بَغَى عَلَى اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ عَنَاقُ بِنْتِ آدَمَ، وَأَوَّلُ
قَتِيلٍ قَتَلَهُ اللَّهُ عَنَاقُ، وَكَانَ مَجَاسِئًا جَرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ فِي جَرِيْبٍ، وَكَانَ
لَهَا عِشْرُونَ إِبْصَعًا، فِي كُلِّ إِبْصَعٍ ظُفْرَانٍ مِثْلُ النِّجَاجِيِّينَ، فَسَلَطَ اللَّهُ
عَلَيْهَا أَسَدًا كَالْفِيلِ، وَذِي بَأْسٍ كَالْبَعِيرِ، وَنَسْرًا مِثْلَ الْبَعْلِ، فَقَتَلُوها، وَقَدْ
قَتَلَ اللَّهُ الْجَبَابِرَةَ عَلَى أَفْضَلِ أَحْوَالِهِمْ، وَأَمِنْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَأَمَاتَ
هَامَانَ وَأَهْلَكَ فِرْعَوْنَ، وَقَدْ قُتِلَ عُثْمَانُ، أَلَا وَإِنَّ بِلَيْتِكُمْ قَدْ عَادَتْ

كَهَيْتِيهَا يَوْمَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ .

وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبْلَيْنَ بَلْبَلَةً ، وَ لَتُغْرَبَلْنَ غَرْبَلَةً ، وَ لَتُسَاطُنَّ
سَوْطَ الْقِدْرِ ، حَتَّى يَمُودَ أَسْفَلَكُمْ أَعْلَاكُمْ ، وَ أَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ ، وَ لَيَسْبِقَنَّ
سَابِقُونَ كَانُوا قَصْرُوا ، وَ لَيَقْصُرَنَّ سَبَاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا ، وَ اللَّهُ مَا كَتَمْتُ
وَسْمَةً ، وَ لَا كَذِبْتُ كَذِبَةً ، وَ لَقَدْ بُنِنْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ ، وَ هَذَا الْيَوْمِ .

أَلَا وَإِنَّ الْخَطَابَا خَيْلُ شَمْسٍ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَ خَاطَتْ لُجْبَهَا ،

فَتَفَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ .

أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا دُلِّلَ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَ أَعْطُوا أَرْزَمَتَهَا ،

فَأَوْرَدَتْهُمْ الْجَنَّةَ ، وَ فُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُهَا ، وَ وَجَدُوا رِيحَهَا وَ طَيْبَهَا ، وَ قِيلَ
لَهُمْ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ .

أَلَا وَ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى هَذَا الْأَمْرِ مَنْ لَمْ أُشْرِكْ فِيهِ ، وَ مَنْ لَمْ أَهْبُهُ

لَهُ ، وَ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ تَوْبَةٌ إِلَّا بِنَبِيٍّ يُبْعَثُ .

أَلَا وَ لَا نَبِيٌّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ ، أَشْرَفُ مِنْهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ

فَأَهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، حَقٌّ وَ بَاطِلٌ وَ لِكُلِّ أَهْلٍ ، فَلَيْنَ أَمْرَ الْبَاطِلِ
لَقَدْ بَا قَلْ ، وَ لَيْنَ قَلِّ الْحَقِّ لِرُبَّهَا وَ لَعَلِّ ، وَ لَقَامَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ ،

وَ لَيْنَ رُدِّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ سَعْدَاءُ ، وَ مَا عَلِيٌّ إِلَّا الْجَهْدُ ، وَ إِنِّي
لَأَخْشَى أَنْ تَكُونُوا عَلَى فِتْرَةٍ مِثْلَتِمْ عَنِّي مِثْلَةَ كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ

مَحْمُودِي الرَّأْيِ، وَ لَوْ أَشَاءُ لَقُلْتُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ .

سَبَقَ فِيهِ الرَّجُلَانِ وَقَامَ الثَّلَاثُ كَالْفُرَابِ ، هِمَّتُهُ بَطْنُهُ ، وَيَلُهُ لَوْ
قَصَّ جَنَاحَاهُ وَقُطِعَ رَأْسُهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، شَفَلَ عَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
أَمَامَهُ ثَلَاثَةٌ وَإِنَّمَانِ ، خَنَسَةٌ لَيْسَ لَهُمْ سَادِسٌ مَلَكٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ،
وَلَيْسِي أَخَذَ اللَّهُ بِضَبْعِيهِ ، وَسَاعِ مُجْتَهِدٌ ، وَطَالِبٌ مَرْجُو ، وَمُقَصَّرٌ
فِي النَّارِ .

أَلِيمِينَ وَالشَّهَالَ مُضَيَّةٌ ، وَالطَّرِيقُ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَةُ ، عَائِنَا بَاقِي
الْكِتَابِ وَآثَارُ الثُّبُوءِ، هَلَكَ مَنْ ادَّعَى ، وَخَابَ مَنْ افْتَرَى ، إِنْ اللَّهُ أَدَبَ
هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّيْفِ وَالسُّوْطِ ، وَ لَيْسَ لِأَحَدٍ عِنْدَ الْإِمَامِ فِيهَا هَوَادَةٌ ،
فَانسَتَرُوا فِي يُيُوتِكُمْ ، وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ، وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ
مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ .

و في مروى البحراني بعد قوله عليه السلام : من أبدى صفحته للحق هلك : أَلَا وَإِنْ كُلُّ
قَطِيْمَةٍ قَطَمَهَا عَثْمَانُ وَمَا أَخَذَهُ مِنْ بَيْتِ «مَالِظ» الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِمْ
فِي بَيْتِ مَالِهِمْ وَلَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النِّسَاءَ وَفُرِّقَ فِي الْبَلَدِ ، فَإِنَّهُ
إِنْ لَمْ يَسْمَعْ الْحَقَّ قَالِ بَاطِلٌ أَضَيَّقُ عَنْهُ .

بيان

(الجرب) الوادي استعير للقطعة المتميزة من الأرض وفي المصباح للفيومي من كتاب المساحة للسؤال ما محصله أنه عشرة آلاف ذراع و عن قدامة الكاتب ما محصله أنه ثلاثة آلاف ذراع وستمئة ذراع ، و (المنجل) كمنبر حديدية يقضب بها الزرع و الواسع الجرح من الاسنة (و أمات هامان و أهلك فرعون) كناية عن الأول والثاني كما في قوله تعالى :

« وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ، وَ نَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ »

(من لم اشرك فيه) كما أشرك موسى هارون على ما أشير إليه في قوله سبحانه : « و أشركه في أمري » و هونص صريح في عدم رضائه بخلافة من سبق إليه (ومن لم أهبه له) اللأم للانتفاع (و من ليست له توبة إلا بنبي يبعث) استثناء مفرغ و المقصود أنه لا يتصور للتلاثة توبة بسبب من الاسباب إلا أن يبعث الله نبياً بعد وفاة النبي ﷺ : دون فصل يكون شرعه ناسخاً لشرع محمد ﷺ و رافعاً لما أوجبه من خلافته ﷺ و وجوب اتباعه و ما حكم به من بطلان خلافة الثلاثة (أشرف منه) قيل : الضمير في أشرف عائد إلى من وفي منه راجع إلى مصدر سبقني و كلمة من للتعليل و الجملة استينافية يائية و المعنى أنه أشرف من لم اشركه فيه من أجل سبقته إلى هذا الامر (على شفا جرف هار) أي على قاعدة هي أضعف القواعد و هو الباطل و النفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات (فانهار به في نار جهنم) أي فهو الباطل به في نار جهنم و هذا مأخوذ من قوله سبحانه في سورة البرائة :

« أَقْمَنَ أَسْسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمَّنْ أَسْسَ

بُنْيَانُهُ عَلَى سَفَا (١) جُرْفٍ هَارٍ فَأَنهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

(لئن ردّ عليكم أمركم) الذي يلزمكم القيام به وهو امتثالهم لأمره وتصديقهم بامامته ﷺ (انكم) تكونون حينئذ (سعداء و ما عليّ إلاّ الجهد) بفتح الجيم اى الجدّ و الاجتهاد يعنى أنا أعمل على ما يجب على القيام به من أمر الشريعة و عزل و لاة السوء و امراء الفساد عن المسلمين فان تم ما أريدته فذاك، و إلاّ كنت قد أعذرت نظير قوله سبحانه :

« فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ »

قوله: (كالغراب همته بطنه) حيث يقع على الجيفة و على الثمرة و على الحبة و في المثل أحرص من غراب و أجشع من غراب (ويله) منصوب على النداء و حرف النداء محذوف (لوقص جناحاه) أى قطع بالمقراض و نحوه كان خيراً له و المقصود أنه لو كان قتل قبل تلبّسه بالخلافة كان خيراً له من تقمّمه فيه و قوله (ثلاثة واثنان) مرفوعان على الابتداء و (خمسة) خبر لهما و هو فذلّكة العدد كما في قوله سبحانه :

« ثَلَاثَةٌ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ »

والمقصود أنّ المكلفين على خمسة أقسام منشعبة من قسمين لأنّه إمّا معصوم أو غير معصوم، و المعصوم على ثلاثة أقسام (ملك يطير بجناحيه) حامل للوحى و نحوه (ونبي أخذ الله بضبعيه) و عضده و وصيّ (ساع) في الدين (مجتهد) في الشرع أى متحمّل للجهد و المشقّة (و) غير المعصوم على قسمين أحدهما (طالب) للجنّة (يرجو) رحمة ربّه (و) الثّانى (مقصر) في الدين هالك (في النّار) قوله: (إنّ الله أدب) اه

١- الشفا الشفير و جرف الوادى جانبه الذى يتعفر امله بالما و تجرّفه السيول و الهار الهائر الذى

إشارة إلى بعض مطاعن الثلاثة من تعطيلهم حدود الله سبحانه لملاحظة القرابة أو لأغراض أخرى (الهوادة) اللين وما يرجى به الصلاح وقيل هو الشفاعة لترك الانتقام من مرتكب العصيان هذا .

وغير ما ذكرته مما يحتاج من كلامه عليه السلام إلى التفسير يأتي في شرح الفصل الآتي بيانه ، والله الهادي .

الترجمة

و از جمله کلام بلاغت نظام آنحضرت است: عهد و پیمان من بصحت آنچه میگویم در گرداست و من بصدق و صواب بودن آن کفیل و ضامنم ، بدرستی که کشف نمود از برای او عبرتها از آنچه در پیش او گذشته از عقوبات مانع میشود او را پرهیز کاری از انداختن نفس خود در شبهه ها ، آگاه باشید بتحقیق که بلیه که عبارت است از اختلاف آراء و تفرق اهواء رجوع نموده بر مثال دهیت آن در آن روز که خداوند سبحانه پیغمبر خود را مبعوث فرمود .

قسم بآن کسی که برانگیخت پیغمبر خود را بحق هر آینه مخلوط میشود بهمدیگر مخلوط شدنی ، و البته بیخته میشود بفربال بیختنی که خوب و بد از همدیگر تمیز مییابد ، و البته برهم زده میشود مثل برهم زدن آنچه در دیکست از طعام با قاشق و نحو آن تا باز برگردد پست ترین شما بر بلندترین شما و بلندترین شما بر پست ترین شما ، یعنی زیر و بالا میشود ، و البته پیشی میگیرند پیش افتاده گانی که بودند باز پس مانده ، و البته مقصر میشوند پیش گیرندگان که بودند پیش افتاده مراد از طایفه اولی اشخاصی بودند که بعد از وفات حضرت رسالتآب صلوات الله علیه و آله از نصرت آنحضرت قصور ورزیدند و در زمان خلافت آن بزرگوار با جان و دل بیعت نموده و شیعه خالص وی شدند

و مراد از طایفه دوم اشخاصی هستند که ایشان را در اسلام سابقه بود و در زمان امامت آن امام عالی مقام انحراف ورزیده و با او بمقام مقاتله و محاربه برآمدند مثل طلحه و زبیر و سایر اصحاب جمل و نهران .

بعد از آن اشاره میفرماید باینکه این اخبار غیبیه از منبع نبوت و مهبط وحی و رسالت مأخوذ گردیده و احتمال خلاف در آن بوجه نمیشود، و فرمود بغدادی سوگند پنهان داشته نشده ام از هیچ کلمه، یعنی حضرت رسول ﷺ جمیع مطالب را بمن اطلاع داد، با اینکه پنهان نداشتم هیچ کلمه را که لازم بود اظهار آن و دروغ نگفتم هیچ دروغی، و بتحقیق که خبر داده شده ام باین مقام که مقام اجتماع خلق است بر من و بر این روز که روز بیعت مردمان است بامن.

آگاه باشید که بتحقیق خطاها اسبانی هستند سرکش که سوار شده باشند بر آن صاحبان آن و برکنده باشند لجامهای خود را، پس انداخته باشند در مهالك آتش راکبان خود را، آگاه باشید بدرستی که تقوی و پرهیز کاری شترانی هستند رام که سوار شده باشند بر آن صاحبان آن، و داده شده باشند بدستهای ایشان افسارهای ایشان، پس وارد سازند در بهشت عنبر سرشت سواران خود را، پرهیز کاری راهی است راست و خطاها راهی است باطل و هر یکی را از این دو راه اهلی است، پس اگر بسیار شود باطل هر آینه در قدیم الزمان کرده است آنرا اهل آن و در آن زمان بهممان قرار، و اگر کم شده است حق در آن زمان پس بسا که غالب شود آن و امید هست که منصور باشد اهل آن و هر آینه کم است که پشت کرده باشد چیزی پس روی آورد.

سید رضی رضی الله عنه بعد از ادای خطبه فرموده که میگویم من بدرستی در این کلام امام علیه السلام که کوتاه ترین لفظ است از موارد حسن چیزی هست که نمی رسد بآن مواضع وقوع تحسین، یعنی فکرها که ادراک حسن کلام را میکنند و تعداد محاسن آن را مینمایند و بدرستی که بهره تعجب از این کلام بیشتر است از بهره خود پسندی، یعنی تعجب فصحا از بدایع حسن او بیشتر است از بهره عجب بسبب استخراج نکات رائقه و لطائف فایقه آن، بجهة اینکه بسا بدایعی در آن هست که نقل آنرا بنور بصیرت ادراک مینماید، ولی زبان بیان از تعبیر و تقریرش عاجز و قاصر است.

و در این کلام بلاغت نظام با وجود حالتی که وصف کردم زیادتهاست از صناعت فصاحت که قایم نمیشود بآدای آن هیچ زبان ، و اطلاع نمییابد بعمق آن هیچ انسان ، و نمیشناسد آن چیز را که من گفتم از این اوصاف مگر کسیکه عمر خود را مصروف یدارد در این صناعت فصاحت براستی ، و جدای شود این صناعت بر عروق و اعصاب آن ، و آن را کما هو حقّه دانسته باشد ، و تعقل نمیکند آنرا مگر عالمان کاملان .

الفصل الثانی

ثُمَّ لِمَنْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالتَّارُ أَمَامَهُ ، سَاعٍ سَرِيعٍ نَجَا ، وَطَالِبٌ بَطِيءٌ رَجَا ، وَ مُقَصِّرٌ فِي التَّارِ هَوَى ، الِیْمِیْنُ وَ الشَّمَالُ مَضَلَّةٌ ، وَ الطَّرِيقُ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَةُ ، عَلَیْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَ آتَارُ النُّبُوَّةِ ، وَ مِنْهَا مَنَفَذُ السَّنَةِ ، وَ لِیْهَا مَصِیْرُ الْعَاقِبَةِ ، هَلَكَ مَنْ ادَّعَى ، وَ خَابَ مَنْ افْتَرَى ، مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلسَّحْقِ هَلَكَ عِنْدَ جَهْلَةِ النَّاسِ ، وَ كَفَى بِالْعَرَاءِ جَهْلًا أَنْ لَا یَعْرِفَ قَدْرَهُ ، لَا یَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنَخُ أَصْلِ ، وَلَا یَظْهَرُ عَلَیْهِ زَرْعُ قَوْمٍ ، فَاسْتَتَرُوا یُؤْتِكُمْ ، وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَیْنِكُمْ ، وَ التَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَ لَا یَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ ، وَ لَا یَلْمُ إِلَّا نَفْسَهُ .

اللغة

(الطريق) یدگر فی لغة نجدوبه جاء القرآن فی قوله تعالی :

« فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا »

ویؤنسث فی لغة الحجاز وعلیه جری قوله سورة الاحقاف و (الجادة) معظم الطريق و (الصفحة)

من كل شيء كالصّفح جانبه و (السّنخ) من كل شيء أصله و (البيّن) بالفتح من الأضداد يطلق على الوصل وعلى الفرقة ، ومنه ذات البيّن للعداوة والبغضاء ، وقولهم لاصلاح ذلت البيّن أى لاصلاح الفساد بين القوم ، والمراد اسكان النّائرة .

الاعراب

شغل على البناء للمفعول ، ومن الموصولة نائب عن الفاعل ؛ والجنّة والنّار مرفوعان على الابتداء ، و أمامه خبر والجملة صلة لمن ، وقيل : إن شغل مسند إلى الضمير المستتر العائد إلى الثالث السابق في كلامه ﷺ حسبما حكيناه من الكافي ، ومن الجنّة بكسر الميم جار ومجرور ، والنّار أمامه مبتدأ وخبر .

ويؤيد ذلك ما في رواية الكافي من تبديل كلمة من بكلمة عن ، وعليه فالمعنى شغل الثالث يعنى عثمان عن الجنّة والحال أن النار أمامه ، وساع وطالب و مقصّر مرفوعات على الخبرية من محذوف بقرينة المقام ، وإضافة الباقي إلى الكتاب إمامن قيل إضافة الصفة إلى الموصوف أى الكتاب الباقي بين الامّة ، أو بمعنى من ، فيها إشارة إلى وقوع التحريف في القرآن و نقصان فيه ، و كفى بالمرء الباء زائدة في المفعول ، و إضافة السّنخ إلى أصل من قبيل سعيد كرز و كرى القوم ، و استتروا بيوتكم أى في بيوتكم منصوب بنزع الخافض ، والتّوبة من ورائكم كلمة من بمعنى في وهو واضح .

المعنى

قد عرفت في شرح الفصل السابق أن هذا الفصل من الخطبة التي ذكرناها هناك وقوله ﷺ (شغل من الجنّة والنّار امامه) جملة خبرية في معنى الانشاء ، يعني من كان الجنّة والنّار أمامه يجب أن يكون مشغولا بهما عن جميع ما يشغل عنهما من زبرج الدنيا وزخارفها ولذاتها وشهواتها ، والمراد بالاشتغال بهما الاشتغال بما يؤد به إلى الجنّة وينجيه من النّار ، ومن كونها أمامه كونها نصب قلبه وخياله بمرئى ومسمع منه غير غافل عنها متذكر الهامدة عمره ، فيشغل بهما عن غيرهما .

ويحتمل أن يكون المراد أن الانسان لما كان من بدو نشأته وعمره إلى منتهاه بمنزلة المسافر إلى الله، و كان دائماً في قطع مسافة والانتقال من نشأة إلى نشأة، والتبدل من طور إلى طور من أطوار العالم الجسماني و أطوار نشأة الآخرة من حين الموت إلى حين البعث من حيث إن الموت ليس عبارة عن عدم الانسان، بل من بطلان قلبه لخروج روح منه قائماً بذاتها دون افتقادها بهذا البدن فله بعد هذه النشأة نشآت كثيرة في القبر والبرزخ و عند العرض والحساب و الميزان إلى أن يدخل الجنة أو النار، لاجرم (١) كان المنزل لذلك المسافر إحداهما فكأنما أمامه في ذلك السفر وغايتين يؤتمهما الانسان من مبدئه خلقته إلى أن ينزل إلى إحداهما ومن كان أبدأ في السفر إلى غاية معينة فيجب أن يكون مشغولاً بمهمات تلك الغاية.

ولمَّا نَبِهَ ﷺ عَلَى وجوب الاشتغال بهما قسم الناس باعتبار ذلك الاشتغال إلى أقسام ثلاثة أحدها (ساع) إلى رضوان الله (سريع) في عدوه (نجا) برحمة ربه (و) الثاني (طالب) للرضوان (بطيء) في سيره (رجا) للفران (و) الثالث (مقصر) في طاعة الرحمن سالك سبيل الشيطان مخلد (في النار هوى) إلى الجحيم واستحق العذاب الأليم وقد اشير إلى الأقسام الثلاثة في قوله سبحانه :

« وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ، فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ، وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ »

فأصحاب الميمنة هم المؤمنون من أهل التبعات يوقفون للحساب، وأصحاب المشئمة هم المقصرون الظالمون الذين سلك بهم الشيطان سبله فأوردهم النار وهم مهانون وأما السابقون فهم الفائزون العائزون لقصب السبق يسبقون الخلق إلى الجنة من غير حساب، ويشمل هذا القسم الأنبياء والأولياء كشمول قوله ﷺ : ساع

سريع نجا ، لهم .

ويشهد به ما في غاية المرام من تفسير الشعلبي باسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : قسم الله الخلق قسمين ، فجعلني في خيرها قسماً فذلك قوله تعالى :

« وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ »

فأنا خير أصحاب اليمين ، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرها ثلاثاً ، فذلك قوله تعالى :

« وَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالسَّابِقُونَ »

وأنا من خير السابقين ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها بيتاً فذلك قوله تعالى :

« إِنَّا نُؤْتِيهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَكَوَاتٍ كَثِيرَةً وَنُؤْتِيهِمُ الْجَنَّةَ غَيْرَ الْمَقْرُونِ »

هذا والآية يظهر بمقتضى الحال والمقام وبملاحظة إقراره الأنبياء في قسم رابع مستقل كما سبق ذكره في شرح الفصل السابق ، خروج الأنبياء من هذا القسم وإرادته بالساع السريع نفسه الشريف والتقاء من شيعته كسلمان وأبي ذر والمقداد ، وبالطالب البطي ، سائر الشيعة ، وبالمقصر الجاحد لولايته ، وقد فسر السابقون في الآية بذلك أيضاً .

كما رواه في غاية المرام من أمالي الشيخ باسناده عن ابن عباس قال : سألت

رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل :

« وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ »

فقال لي جبرائيل : ذلك عليّ وشيعته هم السابقون إلى الجنة المقربون من الله بكرامة لهم .

و يؤيده (١) ما رواه علي بن إبراهيم في تفسير قوله :

« وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلَىٰ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ »

قال : وهم النقباء : أبوزر والمقداد وسلمان وعمار ومن آمن وصدق وثبت على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

ولما قسم الناس إلى السابقين واللاحقين والمقصرين ، أشار عليه السلام لهم إلى الطريق التي يجب سلوكها ونصب عليها أعلام الهدى ليوصل إلى حضرة الحق سبحانه وتعالى فقال : (اليمين و الشمال مضلة و الطريق الوسطى هي الجادة) الموصلة لسالكها إلى المطلوب وهي حظيرة القدس ، و ذلك لأن طريق السالكين إلى الله إما العلم أو العمل ، فالعلم طريق القوة النظرية ، والعمل طريق القوة العملية ، وكل منهما محتور بذيلتين هما طرفا التفريط و الإفراط ، والوسط منهما هو العدل و الطريق الوسطى هي الجادة الواضحة لمن اهتدى

أقول : و لعله كنى باليمين و الشمال عن طريق الجب و الطاغوت ، و بالطريق الوسطى عن طريق الولاية له عليه السلام ، وأشار بقوله مضلة إلى كونهما في ضلالة فيضلان سالكي طريقهما البتة ، و بقوله هي الجادة إلى وجوب سلوك الطريق الوسطى ، و هي ولايته لكونها سالمة و محفوظة من الضلالة منصوبة عليها أعلام الهداية فهو عليه السلام السبيل الأظم و الصراط الأقوم و ولايته الطريق الوسطى و الجادة العظمى لأن جميع العباد إنما يصلون إلى الله تعالى إلى محبته و جنته و قربه و الفوز لديه بما أعد له لمن أطاعه بولايته و محبته و طاعته ، و إنما تصعد أعمال الخلق إلى الله إذا كانت جارية على سنته و طريقته و كانت مأخوذة عنه بالتسليم له و الرد إليه و بالولاية له و البرائة من أعدائه و هو قول الله عز و جل :

« إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ »

يعني أن الله لا يقبل من أحد عمله إلا من المتقي ، و هو الذي أحب الله و رسوله و اتتمر بأمره و انتهى عن نهيهِ و والى ولي الله و عادى عدو الله ، و معنى المتقين في الباطن المتقون من ولاية أعدائه عليه السلام و هم أهل الشمال و اليمين ، فمن اتقى سنة أعدائه

فهو المبتغي ، فكان عليه السلام هو الطريق إلى الله وولايته أيضاً طريق صعود الأعمال إليه تعالى وقد اشير إلى هذه الطرق الثلاث أعني اليمين و الشمال و الوسطى ، و إلى التحذير من الأولين و وجوب سلوك الأخيرة في غير واحد من الآيات و الأخبار مثل ما رواه في غاية المرام من الكافي بإسناده عن بريد العجلي قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله :

« أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » فكان جوابه :

« أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ وَانصَباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً »

يقول الأئمة الضلال والدعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمد سبيلاً
« أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَإِنَّ جَدَّ لَهُ نَصِيراً »

وفيه من تفسير العياشي بإسناده عن بريد العجلي عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

« وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بِكُمْ »

عَنْ سَبِيْلِهِ »

قال: تدري ما يعني بصراطي مستقيماً؟ قلت: لا، قال: ولاية علي والأوصياء، قال: وتدري ما يعني فاتبعوه؟ قلت: لا، قال: يعني علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، قال: وتدري ما يعني بقوله: ولا تتبعوا السبل؟ قلت: لا، قال: ولاية فلان و فلان والله، قال: وتدري ما يعني فتفرق بكم عن سبيله؟ قال: قلت: لا، قال: يعني سبيل علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفيه عن الكليني بإسناده عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام

قال: قلت:

« أَقَمَنَ يَنْشِي مُكَبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَنْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

قال : إن الله ضرب مثل من حاد عن ولاية علي عليه السلام كمن يمشي مكباً على وجهه لا يهتدى لأمره ، وجعل من تبعه سويّاً على صراط مستقيم ؛ و الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام .

وفيه عن ابن شهر آشوب عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم وعلي بين يديه مقابله ، ورجل عن يمينه ، ورجل عن شماله ، فقال صلى الله عليه وآله اليمين والشمال مضلة ، و الطريق السوي الجادة ، ثم أشار صلى الله عليه وآله بيده إن هذا صراط علي مستقيم فاتبعوه الآية .

وفيه عن علي بن إبراهيم في تفسيره قال : حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن علي بن رباب قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : نحن والله سبيل الله الذي أمركم الله باتباعه ، ونحن والله الصراط المستقيم ، ونحن والله الذين أمر الله بطاعتهم ، فمن شاء فليأخذ من هنا ، ومن شاء فليأخذ من هناك ، لا تجدون عنا والله محيصاً ل ، عنها محيصاً .

وفيه عن سعد بن عبدالله في كتاب بصائر الدرجات بإسناده عن زر بن حبیش عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : سمعته يقول : إذا دخل الرجل حفرة أتاه ملكان اسمهما منكر ونكير فأول ما يسألانه عن ربّه ثم عن نبيّه ثم عن وليّه فان أجاب نجاً ، وإن تعيّر عذّباه ، فقال رجل : فما حال من عرف ربّه و لم يعرف وليّه ؟ قال : مذنب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء و من يضل الله فلن تجده سبيلاً ، فذلك لا سبيل له ، وقد قيل للنبي صلى الله عليه وآله من ولينا يا نبي الله ؟ فقال : وليكم في هذا الزمان علي و من بعده وصيه لكل زمان عالم يحتج الله به لئن يكون كما قال الضلال قبلهم حين فارقتهم أنبياءهم

« لَوْ أُرْسِلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ »

فما كان من ضلالتهم وهي جهالتهم بالآيات وهم الأوصياء فأجابهم الله عز وجل :

« قُلْ تَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ اهْتَدَىٰ »

وإنما كان ترَبَّصهم أن قالوا : نحن في سعة من معرفة الأوصياء حتى نعرف إماماً فغيرهم الله بذلك ، و الأوصياء هم أصحاب الصراط وقوفا عليه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم عند أخذه الموائيق عليهم ووصفهم في كتابه ، فقال عز وجل :

« وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ »

وهم الشهداء على أوليائهم و النسبى الشهيد عليهم أخذهم موائيق العباد بالطاعة وأخذ النسبى الميثاق بالطاعة فجرت نبوته عليهم ذلك قول الله عز وجل :

« فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ »

شَهِيداً يُؤَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ نَسَوِي بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا »

وفيه عن محمد بن العباس معنعناً عن الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى :

« فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنْ اهْتَدَىٰ »

قال : علي صاحب الصراط السوي ومن اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت .

وإذا أحطت خبيراً بما ذكرنا وظهر لك أن المراد بالطريق الوسطى هي ولايته

عليه السلام المعبّر عنه تارة بالصراط السوي ، و أخرى بالصراط المستقيم ، وثالثة بالطريق

السوي ، ورابعة بسبيل الله الذي أمر الله باتباعه ، ظهر لك معنى قوله : (عليها باقي

الكتاب) أى على الطريق الوسطى الباقي من الكتاب بعد وقوع التحريف فيه أو عليها

الكتاب الباقي بين الأمة و الثقل الأكبر الذي خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله فيهم .

وعلى أى تقدير فالمراد به أن من سلك طريق الولاية يحصل له العلم بالكتاب ويتيسر له أخذه من قيمه والعالم به وهو صاحب الولاية المطلقة ، لما قد عرفت التلازم وعدم الافتراق بين الثقلين الأكبر والأصغر في الفصل السابع عشر من فصول الخطبة الأولى وعرفت تفصيلاً في التذييل الثالث من تذييلات ذلك الفصل أن أمير المؤمنين والطيبين من آلهم عليهم السلام هم العالمون بتزويل الكتاب وتأويله وعمامة وخصمه ومرسله ومحدوده ومجمله ومبينه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وظاهره وباطنه ، وأن علمه منحصر فيهم عليهم السلام وأن من ادعى حمله وحفظه على ما انزل والعلم بمفاهيمه غير العترة الطاهرة فهو كذاب ، وفي بعض النسخ عليها ما في الكتاب يعني مدار ما في الكتاب وقوامه على تلك الطريقة هذا .

ويحتمل أن يكون المراد من كون باقي الكتاب أو ما في الكتاب عليها كونه منصوباً عليها وعلما بهتدى به إليها ، إذ فيه دلالة على هذه الطريقة كما أن في الباقي منه على تقدير النقصان ما فيه كفاية لوجوب سلوكها ولزوم متابعتها كآيات السلفية وغيرها من الآيات النزلة في شأنه عليه السلام والمشيئة إلى ولايته .

وهذان الاحتمالان جاربان في قوله عليه السلام : (و آثار النبوة) أى على هذه الطريقة أعلام النبوة و أما راتها ، من سلكها يظهر له تلك الأعلام لكون الولاية مظهر النبوة ، و على الاحتمال الثاني فالمعنى أن آثار النبوة منصوبة على تلك الطريق بتلك الآثار يهتدى إليها ويستدل عليها ، ولا يبعد أن يكون المراد بالآثار على هذا الاحتمال هو الأخبار النبوية والآيات المنقولة عنه عليه السلام (ومنها من هذا السنة) النبوية ومخرج الشريعة المحمدية عليه وآله آلاف الثناء والتحمية ، إذ به وبالطيبين من اولاده سلام الله عليهم انتشر الشرايع والأحكام وعرف الحلال والحرام ، واستقامت الشريعة الطاهرة واستحكمت السنة الباهرة .

(واليها مصير العاقبة) أى عاقبة الخلق في الدنيا والآخرة ، أمّا في الدنيا

فلأن نظام امورهم في حركاتهم و سكناتهم مبنى على القوانين الشرعية المأخوذة من هذه الطريقة ، وإلى تلك القوانين ترد عواقب امورهم ، وعليها يحملون ، و أما في الآخرة فواضح لأن إياب الخلق إليه ﷺ ؛ وإلى أولاده الطاهرين ، وحسابهم عليهم وإليه الإشارة في قوله سبحانه :

« إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ »

أى إلى أولياتنا رجوعهم ومصيرهم بعد الموت ، وعليهم جزاؤهم على أعمالهم ، ويشهد بما ذكرته صريحاً ما ورد في فقرات الزيارة الجامعة الكبيرة : وإياب الخلق إليكم و حسابهم عليكم .

قال المحدث المجلسي في شرح هذه الفقرة : أى رجوعهم في الدنيا لأجل المسائل و الزيارات ، و في الآخرة لأجل الحساب ، كما روى عنهم عليهم السلام أنهم الميزان أى الحقيقي والواقعي ، أو في الآخرة بقربنة وحسابهم عليكم كما قال تعالى أى إن إلينا أى إلى أولياتنا بقربنة إياهم ثم إن علينا حسابهم .

وروى في الأخبار الكثيرة أن حساب الخلايق يوم القيامة إليهم و لا استبعاد في ذلك كما أن الله تعالى قرّر الشهود عليهم من الملائكة و الأنبياء و الأوصياء والجوارح مع أنه تعالى قال :

« وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً »

وهو القادر الديان يوم القيامة ويمكن أن يكون مجازاً باعتبار حضورهم مع الأنبياء عند محاسبة الله إياهم انتهى .

أقول : وما ذكره أولاً هو الأظهر إذ المصير إلى المجاز إنما هو مع تعذر إرادة المعنى الحقيقي ، و أما مع الامكان فلا ، و قد دلّت الأخبار الكثيرة كما اعترف (ره) به أيضاً على أن المحاسبهم عليهم السلام فيتعين إرادة الحقيقة .

ومن هذه الأخبار ما في الكافي عن الباقر عليه السلام إذا كان يوم القيامة وجمع الله

الأولين والآخريين لفصل الخطاب دعى رسول الله ﷺ ودعى أمير المؤمنين فيكسى رسول الله ﷺ حلة خضراء تضيء ما بين المشرق والمغرب ويكسى أمير المؤمنين ﷺ مثلها ويكسى رسول الله ﷺ وردية يضيء لها ما بين المشرق والمغرب ويكسى عليّ ﷺ مثلها ، ثم يصعدان عندها ، ثم يدعى بنا فيدفع إلينا حساب الناس ، فنحن والله مدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار .

و عن الكاظم ﷺ و إلينا إياب هذا الخلق و علينا حسابهم ، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عز وجل حتمنا على الله في تركه لنا فأجابنا إلى ذلك ، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلك وعوضهم الله عز وجل هذا .

و يحتمل أن يكون المراد من قوله ﷺ : و إليها مصير العاقبة ، كون مدار عاقبة الخلق وخاتمهم خيراً و شرّاً على الولاية ، فان كان العبد مدعنا بالولاية كان عاقبته عاقبة خير ، وإن كان منكراً لها كان عاقبته عاقبة شر ، كما دلّت عليه الأخبار المتواترة والمستفيضة الواردة في تفسير قوله سبحانه :

« وَ قَفُوْهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُوْلُوْنَ »

مثل ما روى في غاية المرام عن الشيخ في مصباح الأنوار بإسناده عن عبدالله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إذا كان يوم القيامة أقف أنا وعليّ على الصراط بيد كل واحد منا سيف فلا يمر أحد من خلق الله إلا سألتاه عن ولاية عليّ ﷺ فمن معه شيء منها نجا وإلا ضربنا عنقه وألقيناه في النار ثم تلا .

« وَ قَفُوْهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُوْلُوْنَ مَا لَكُمْ لَأَنْتُمْ أَصْرُونَ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْأِمُونَ »

و الأخبار في هذا المعنى كثيرة لا حاجة إلى الإطالة (هلك من ادعى) الإمامة من غير استحقاق لها (و خاب من افترى) على الله و عليّ رسول في دعواه لها ، والجملةتان تحتملان الدعاء والأخبار ، و المراد بالهلاك الأخرى و بالخيبة الحرمان والخسران كما أشير إليه في قوله تعالى :

« وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ »

قال أبو عبد الله عليه السلام في مروية البحار من غيبة النعماني بإسناده عن ابن ظبيان عنه في تفسيره : من زعم أنه إمام وليس بإمام .

وفي البحار أيضاً من تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام :

« وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ »

قال : من ادعى الإمامة دون الإمام .

وعن علي بن ميمون الصايغ عن ابن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم : من ادعى إمامة من الله ليست له ، و من جحد إماماً من الله ، و من قال : إن فلان و فلان نصيباً في الإسلام .

و من المحاسن بإسناده عن العلا عن محمد قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن أئمة الجور و أتباعهم لمعزولون عن دين الله و الحق قد ضلوا بأعمالهم التي يعملونها

« كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البَعِيدُ »

(ومن أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس) أراد به نفسه و نبه به على أن المتجرّد لظهور الحق في مقابلة كل باطل وردّ الجهل من جهالاتهم و حملهم على مرّ الحق و صعبه في كل وقت يكون في معرض الهلاك بأيديهم و ألسنتهم ، إذ لا يعدم منهم من يوليه المكره و يسعى في دمه .

و يشهد بذلك ما رواه السيد المحدث الجزائري ره مرفوعاً في كتابه المسمّى

بزهر الرِّيح أن الصَّادق عليه السلام سئل عن الخلفاء الأربعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما بال الشيخين قد انتظمت لهما أمور الخلافة وجرت على أيديهم فتوح البلاد من غير معارضة أحد من المسلمين؟ وما بال عثمان و أمير المؤمنين عليه السلام لم تنتظم لهما أمور الخلافة بل قامت المسلمون على عثمان وحصروه في داره وقتلوه وسط بيته ، وأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فنارت الفتن في زمن خلافته حتى قتل النّاكثين والقاسطين والمارقين ؛ فأجاب عليه السلام أن أمور تلك الدّنيا والخلافة فيها لا يجري بباطل بحت ولا بحق خالص ، بل تجري بحق وبباطل ممزوجين ، وأمّا عثمان فأراد أن يجري أمور الخلافة بمحض الباطل فلم يتم له الأمر ، وأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فأراد أن يجري أحكامها على الطريقة المستقيمة والسّنن النبويّة فلم يحصل له ما أراد ، وأمّا الشّيخان فأخذوا قبضة من الحقّ وقبضة من الباطل فجرت لهما الأمور كما أرادا .

ولما نبّه عليه السلام على معاندة الجهال للحقّ وأهله أشار إلى ما يترتب على صفة الجهالة وماهي ثمرة لها بقوله : (وكفى بالمرء جهلًا إن لا يعرف قدره) ويتمدي طوره و يجعل رتبته ولا يتصوّر نفسه كأحد النّاس ، وهذا من أعظم المهلكات لكونه منشأ العجب والكبر والغرور والآثية وأدعاه ما ليس له بأهل كما في معاوية عليه الهاوية حيث لم يعرف رتبته وقدره وأدعى الخلافة وسعى في إهلاكه عليه السلام وإفساد الأمر عليه لا بداء صفحته للحقّ ، وحمله النّاس على الطريقة المستقيمة والوجهة البيضاء التي كانت مكروهة لذلك اللّعين بمقتضى طبيئته الغبيئة .

ثمّ نبّه عليه السلام على لزوم التقوى بقوله : (ولا يهلك على التقوى سنخ أصل) كان بناؤه عليه إذ الأصل الذي كان بنيانه على التقوى محال أن يهلك و يلحق بانيه خسران كما قال سبحانه :

« أَقْمَنُ أَسْسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِّنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أَسْسَ

بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ »

(ولا يظماً عليه زرع قوم) لأن من زرع في أرض قلبه زرعاً أخروبياً كالمعارف الإلهية والعقائد الحقة و سقاها ماء التقوى و جعله مادتها فلا يلحق ذلك الزرع ظمأ ، بل عليه ينشأ بأقوى ساق و أزكى ثمرة فقولته : (فاستتروا بيوتكم) قد عرفت في شرح الفصل السابق أن هذا الكلام مسبوق بقوله ﷺ : إن الله أدب هذه الأمة بالسيف والسوط و ليس لأحد عند الامام فيها هواده ، أى شفاعة في تأخير التعزير أو تركه وهو وارد في مقام التهديد والتوعيد وإشارة إلى أنه ﷺ لا يأخذه في الله لومة لائم وأنه لا يشفع عنده في إقامة الحدود والسياسات ولا يعطل الأحكام بالشفاعة كما عطلها من تقدم عليه ﷺ .

و لما نبههم على ذلك أمرهم بالاستتار في بيوتهم كيلا يجتمعوا على المنافرات والمفاخرات والمشاجرات فيحصل من اجتماعهم ما يوجب الحد والتعزير ولا يمكن له إسقاطه بالشفاعة والهواده ، فالاستتار في البيوت كناية عن الاعتزال حسب ما لماده الفتن و لما كان قطع مادة الفتنة سبباً لا صلاح ذات البين أردفه بقوله : (وأصلحوا ذات بينكم) ثم نبه العصاة على استدراك عصيانهم بالرجوع إلى التوبة بقوله : (والتوبة من ذنوبكم) قال الشارح البحراني : وكونها وراء لأن الجوازب الإلهية إذا أخذت بقلب العبد فجذبته عن المعصية حتى أعرض عنها والتفت بوجه نفسه إلى ما كان معرضاً عنه من الندم على المعصية والتوجه إلى القبلة الحقيقية فإنه يصدق عليه إذن أن التوبة وراء أى وراء عقلياً وهو أولى من قول من قال من المفسرين أن ذنوبكم بمعنى أمامكم (ولا يحمد حامد إلا ربه ولا يلم لائم إلا نفسه) جملتان خيريتان في معنى الانشاء يعني أنه يجب أن يكون حمد كل حامد لله سبحانه لكونه مبدء جميع المحامد والخيرات ، ويجب أن يكون لوم كل لائم على نفسه لكونها منشأ الشرور والخطيئات كما قال تعالى :

« مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ »

والحمد لله والصلاة على نبيه وآله .

الترجمة

مشغول گردید آنکسی که بهشت دوزخ در پیش اوست باینها از غیر اینها و مکلفین باعتبار اشتغال باینها سه فرقه اند یکی سعی نماینده برضای خداوند شتابنده در سعی خود و نجات یافت برحمت پروردگار ، دومی طلب کننده خیرات که کامل است در آن طلب امیدوار است بمغفرت کردگان ، سومی تقصیر کننده در طاعات که فرود آمده است در جهنم ، جانب راست و جانب چپ محل ضلالت و گمراهی است و راه میانه آن جاده است درست ، و برادرست باقی کتاب واجب التکریم و علامت نبوة واجب التعظیم ، و از اوست مخرج سنن مطهرة و باوست باز گشت عاقبت خلق در دنیا و آخرت ، هلاک شد کسیکه دعوی امامت نمود بیاطل ، و فضول و نومید گردید کسیکه اقترب است بخداوند و رسول ، کسیکه ظاهر گردانید روی خود را از برای حق در مقابل باطل هلاک شد نزد مردمان نادان و جاهل ، و کفایت میکند مرورا از حیث جهالت اینکه قدر خود را نشناسد و رتبه و شان خود را نداند ، و هلاک نمیشود اصلی که بناه آن برهیز کاری بوده باشد ، و تشنه نمیشد زراعت هیچ گروهی که آبیاری آن از برهیز کاری گردد ، پس پنهان شوید در خانه های خودتان و اصلاح کنید در میان مردمان و توبه و پشیمانی در پیش شما است ، و باید که حمد و ثنا نکند هیچ ستایش کننده در روزگار مگر پروردگار خود ، بجهة اینکه اوست منعم علی الاطلاق و سزاوار تعظیم و اجلال ، و باید که ملامت نکند هیچ ملامت کننده مگر نفس خود را که منشأ شر است و فساد .

و من کلام له ﷺ فی صفة من یتصدى للحکم بین

الامة و لیس لذلك باهل و هو السابع عشر من

المختار فی باب الخطب الجاری مجراها

هذا الکلام الشریف رواه المفید فی الارشاد من نقات اهل النقل عند الغامّة

و العامة ، و الطبرسيُّ أيضاً في الاحتجاج مرسلًا عنه عليه السلام كالكتاب ، وثقة الاسلام الكليني قدس الله روحه في باب البدع والرأى والمقاييس من اصول الكافي مسنداً تارة ومرفوعاً اخرى حسبما تعرفه ، وأما ما ذكره الرضیُّ قدس سره فهو أنه قال :

إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ ، جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعَةٍ ، وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ قَهْوَةٌ فِتْنَةٌ لِمَنْ افْتَتَنَ بِهِ ، ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، مُضِلٌّ لِمَنْ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ ، حَمَالٌ خَطَابَا غَيْرِهِ ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ ، وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مَوْضِعٌ فِي جُجْهَالِ الْأُمَّةِ ، غَارٌّ فِي أَعْبَاشِ الْفِتْنَةِ ، عَمِ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدَاةِ ، قَدْ سَاهَا أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَيْسَ بِهِ ، بَكَرًا فَاسْتَكْتَرَ مِنْ جَمِيعِ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ ، وَاکْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ ، جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ، ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا لَتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ ، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّا لَهَا حَشْوًا رَتًّا مِنْ رَأْيِهِ ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشَّبَهَاتِ مِثْلَ نَسِيجِ الْمُنْكَبُوتِ ، لَا يُدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ ، فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ ، جَاهِلٌ خَبَاطُ جِهَالَاتٍ ، عَاشٍ رَكَابُ عَشَوَاتٍ ، لَمْ يَعْضُ عَلَى الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ ، يُدْرِي الرُّوَابَاتِ إِذْ رَأَى الرِّيحَ الْهَشِيمَ ، لِأَمَلِي وَاللَّهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا فُوضَ إِلَيْهِ ، لَا

يَحْسِبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ ، وَلَا يَرَى أَنْ مِنْ وَرَاءَ مَا بَلَغَ مِنْهُ
 مَذْهَبًا لغيره ، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ أَكْتَمْتُمْ بِهِ ، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ ،
 تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدَّمَاءَ ، وَتَبِجُ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ ، إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مِنْ
 مَعْسَرٍ يَمِيشُونَ جَهْلًا ، وَيَمُوتُونَ ضَلَالًا ، لَيْسَ فِيهِمْ سَلْعَةٌ أُبُورُ مِنْ
 الْكِتَابِ إِذَا تُبِي حَقُّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ تَيْعًا ، وَلَا أُغْلَى تَمَنَّا
 مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ
 وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ .

اللغة

(وكله) إلى نفسه بالتخفيف يكله و كلاً و كولاً تركه ونفسه و (الجائر)
 باعجام الأول أو باعجامهما وفي بعض نسخ الكافي بالمهملتين و المعاني متقاربة أي
 عادل أو متجاوز أو حيران (عن قصد السبيل مشغوف) بالغين المعجمة و في بعض
 النسخ بالمهملة و بهما قرء قوله تعالى : قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا و على الأول فهو مأخوذ
 من شغاف القلب أي حجابها أو سوبداه ، وعلى الثاني من الشغف وهو شدة الحب
 و إحراقه القلب و (البدعة) اسم من ابتدع الأمر إذا أحدثه كالرفعة من الارتفاع
 و الخلفة من الاختلاف و (الهدى) بفتح الأول و سكون الثاني الطريقة و السيرة
 أو بالضم والقصر وهو الرشد و (رهن) وفي بعض النسخ رهين أي مأخوذ و (القمش)
 جمع الشيء من ههنا وههنا و (موضع) بضم الميم و كسر الصاد مسرع من وضع
 البعير أسرع و أضعه راكبه فهو موضع به أي أسرع به و (غار) بالغين المعجمة
 والراء المهملة المشددة أي غافل و في بعض النسخ عاد بالعين والدال المهملتين من
 العدو بمعنى السعى أو من العدوان ، وفي أكثر نسخ الكافي عان بالعين و النون من

قولهم عنى فيهم اسيراً أى أقام فيهم على اسارة واحتبس وعناه غيره حبسه ، و العاني الأسير ومن عنى بالكسر بمعنى تعب أو من عنى به فهو عان اشتغل واهتم به ، و (الأغباش) جمع غبش كسبب وأسباب وهو ظلمة آخر الليل ، وفي بعض النسخ أعطاش الفتنة ، والغطش أيضاً الظلمه .

وعمى عما كرمى ذهب بصره كله فهو أعمى و (عم) وهي عمياء و عمية و العمى أيضاً ذهاب بصر القلب و البكرة و البكور هو الصباح و (بكر) و بكر بالتشديد والتخفيف إذا دخل فيه و كثيراً ما يستعملان في المبادرة و الاسراع إلى شيء في أى وقت كان ، و منه الحديث بكر و بصلاة المغرب أى صلّوها عند سقوط القرص و ردى من الماء بالكسر و (ارتوى) امتلا من شربه و الماء (الآجن) المتغير الطعم و اللون و (اكتنز) من الاكتناز وهو الاجتماع و في بعض النسخ وأكثر وهو الظاهر . و (التخليص) التبيين و هو قريب من التلخيص أو هما واحد و (الحشو) فضل الكلام و (الرت) بفتح الراء و التشديد الخلق ضد الجديد و (عاش) خابط في ظلام و (العشوة) بتثنية الأ و ل الأمر الملبس الذي لا يعرف وجهه مأخوذة من عشوة الليل أى ظلمته و (ذرت) الريح الشيء ذروا و أذرتة إذ راء أطارته و قلبته و (الهشيم) التبت اليابس المنكسر و في بعض الروايات يذروا و آيات ذروا الريح و في بعضها يذري الروايات ذروا الريح الهشيم ، و توجيهه مع كون الذر مصدر يذرو لا يذري هو كونهما بمعنى واحد حسب ما عرفت فصح إقامة مصدر المجر و مقام مصدر المزيد (و المليء) بالهمزة الثقة الغني قال الجزري : قد أولع الناس بحذف الهمزة و تشديد الياء و (يحسب) إما بكسر السين من الحسبان ، وإما بالضم من الحساب و (العج) رفع الصوت و (السلة) بالكسر المتاع و (أبور) أفل من البور و هو الفاسد و بار الشئى فسد و بارت السلة كسدت و لم ينفق ، وهو المراد هنا وأصله الفساد أيضاً و (نفق) البيع إذا راج .

الاعراب

قوله بگر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر روى من جمع منونا
وبغير تنوين أما بالتنوين فيحتمل كونه بمعنى المفعول أى من مجموع وكونه على
معناه الحقيقي المصدرى وعلى كل تقدير فما موصولة مبتداء وخبر خبره وقل صلتها
وفاعل قل ضمير مستكن عايد إلى الاستكثار المفهوم من استكثر وضمير منه عايد
إلى الموصول والجملة مجرورة المحل لكونها بدلاً للجمع ، وأما بدون التنوين
فالموصوف محذوف وهو المضاف إليه أى من جمع شيء الذي قل منه خير ، فما على
ذلك موصولة ويحتمل كونها مصدرية أى من جمع شيء قلته خير من كثرته .

وقيل إن جمع مضاف إلى ما و المحذوف هوان المصدرية بعدها ، و قل
مبتداء بتقديرها على حد وتسمع بالمعدي خير من أن تراه ، أى من جمع ما أن أقل
منه أى قلته خير ، وفي رواية الكافي بگر فاستكثر ما قل منه خير ، وقوله : واكتنز
من غير طائل اسناد اكتنز إلى فاعله و هو الرجل الموصوف إما على سبيل المجاز
أو في الكلام تقدير أى اكتنزله العلوم الباطلة ، وعلى ما في بعض النسخ من قوله :
فاكثر من غير طائل لا يحتاج إلى تكلف ، وضامناً إما صفة لقاضياً أو حال بعد حال .

المعنى

اعلم أن البغض كالحب الذي هو ضده لما كان من صفات النفس
أعني نفار النفس عن الشيء و كان إسناده إليه سبحانه محالاً لا جرم ينبغي أن يراد
به حينما اسند إليه معناه المجازي أعني سلب الفيض والاحسان وهذا المعنى
هو المراد بقوله عليه السلام : (ان أبغض الخلائق إلى الله رجلان) مما زجان بين الحق
و الباطل متشبهان بذيل التشبهات و الجهالات يحسبان أنهما من علوم الدين
و مراتب اليقين .

و إنما كانا أبغض الخلائق باعتبار أن ضردهما الناشي من جهالتهما بأمر
الدين لم يكن راجعاً إلى أنفسهما فقط ، بل متعدياً إلى الغير وسارياً إلى الأتباع
وباقيا في الأعتاب إلى يوم القيامة فكانا مع ضلالتهما في نفسيهما مضلين لغيرهما عن

سلوك جادة اليقين وتحصيل معارف الدين ، فلذلك كانا أبغض المخالفتي .
وكيف كان فأحمد الرجلين (رجل وكله الله إلى نفسه) أي فوض إليه أمره
و خلاه و نفسه و جعل و كوله و اعتماده عليها لظنه الاستقلال في نفسه على القيام
بمصالحة وزعمه القدرة على تحصيل المراد والوصول إليه بالرأى والقياس والاستحسانات
الفاصلة التي لا أصل لها ، و الروايات التي لم تؤخذ من مأخذها فلا جرم أفاض الله
عليه صورة الاعتماد على نفسه فيما يريد من أمور الدين وقوانين الشرع المبين
فلم يدر أنه هلك في أي واد :

« وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ »

وحيث إنه كان اعتماداً عليه (فهو جائر عن قصد السبيل) ومائل عن طريق الحق
و ضال عن الصراط المستقيم و واقع في طرف الافراط من فضيلة العدل قريب من
الشر بعيد عن الخير كما ورد في بعض الأدعية : و لا تكني إلى نفسي طرفة عين ،
فانك ان وكلتني إلى نفسي تقربني من الشر و تباعدني من الخير .
و سر ذلك أن النفس بالذات مائلة إلى الشر فإذا سلبت عنها أسباب التوفيق
و الهداية تاهت في طريق الضلالة و الغواية (مشغوف بكلام بدعة و دعاء ضلالة) أي
دخل حب كلام البدعة و دعوته الناس إلى الضلالة شغاف قلبه أي حجاباه أو سويداه
و على كونه بالعين المهملة فالمعنى أنه غشى حبها قلبه من فوقه إذ الشعفة من القلب
رأسه عند معلق النياط ، وهو عرق علق به القلب إذا انقطع مات صاحبه ، وعلى أي تقدير
فالمقصود به كونه أشد حباً و أفرط ميلاً إلى كلامه الذي لا أصل له في الدين
و دعوته المضلة عن نهج اليقين ، فهو من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة
الدنيا فهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

كما قال رسول الله ﷺ : كلُّ بدعة ضلالة وكلُّ ضلالة في النار

و عنه عليه السلام أيضاً في رواية الكافي : أبي الله لصاحب البدعة بالتوبة ، قيل : يا

رسول الله وكيف ذلك ؟ قال : إنه قد اشرب قلبه حبها

ولا بأس بتحقيق الكلام في معنى البدعة وقد عرفت معناها اللغوي وغلبت في العرف على ما هو زيادة في الدين أو نقصان منه ، وقيل : كل ما لم يكن في زمن النبي ﷺ فهو بدعة .

ورده الأردبيلي بمنع الشرطية وقال : البدعة هي كل عبادة لم تكن مشروعة ثم أحدثت بغير دليل شرعي أو دل دليل شرعي على نفيها فلوصلت أودعى أو فعل غير ذلك من العبادات مع عدم وجودها في زمانه ﷺ فإنه ليس بحرام لأن الأصل كونها عبادة ولغير ذلك مثل الصلاة خير موضوع والدعاء حسن انتهى ، وأنت خير بما في تخصيصها بالعبادات لظهور عمومها لها ولغيرها .

والتحقيق فيهما ذكره الشهيد قده في القواعد قال في محكي كلامه : ومحدثات الأمور بعد عهد النبي ﷺ تنقسم أقساماً لا يطلق اسم البدعة عندنا إلا ما هو محرم عندنا أو لها الواجب كتدوين القرآن والسنة إذا خيف عليها التفات من الصدور فإن التبليغ للقرآن الآتية واجب إجماعاً ولا يتم إلا بالحفظ ، وهذا في زمن الغيبة واجب ، وأما في زمان ظهور الامام عليه السلام لأنه الحافظ لها حفظاً لا يتطرق إليه خلل وثانيها المحرم ؛ وهو كل بدعة تناولها قواعد التحريم وأدلتها من الشريعة كتقديم غير المعصومين عليهم وأخذهم مناصبهم واستيثار ولاية الجور بالأموال ومنعها مستحقها وقتال أهل الحق وتشريدهم وإبعادهم والقتل على الظننة والالزام ببيعة الفساق والمقام عليها وتحريم مخالفتها والغسل في المسح والمسح على غير القدم ، وشرب كثير من الأشربة ، والجماعة في النوافل والأذان الثاني يوم الجمعة ، وتحريم المتعتين ، والبغى على الامام وتوريث الأبعد ومنع الأقارب ، ومنع الخمس أهله والافتطار في غير وقته إلى غير ذلك من المحدثات المشهورات ، ومنها تولية المناصب غير الصالح لها ببذل أو إرث أو غير ذلك .

وثالثها المستحب وهو ما تناولته أدلة التدب كبناء المدارس والربط ، وليس منه اتخاذ الملوك الالهية ليعظموا في النفوس اللهم إلا أن يكون مرهبا للعدو ورابعها المكروه ، وهو ما شملته أدلة الكراهة كالزيادة في تسبيح الزهراء

عليها السلام و ساير الموظفين أو النقيصة منها والتنعم في الملابس والماكل بحيث يبلغ الاسراف بالنسبة إلى الفاعل وربما أدى إلى التحريم إذا استضر به هو و عياله وخامسها المباح ، وهو الدأخل تحت الأدلة المباحة كدخل الدقيق فقد ورد أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله ﷺ اتخاذا المناخل لأن لبن العيش والرأفاهية من المباحات فوسيلته مباحة انتهى كلامه رفع مقامه

وقد تحصل من ذلك أن البدعة عبارة عن محدثات الأمور المحرمة وأن الرجل الموكول إلى نفسه الجائر عن قصد السبيل قد شغف بها وبدعوته إلى الضلالة ومن أجل ذلك كان سبباً لضلالة من أجاب دعوته (فهو فتنة لمن افتتن به) وبلاء لمن اتبع له (ضال عن هدى من كان قبله) أى عن سيرة أمة الدين وطريقة أعلام اليقين الذين أخذوا العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية بالهام الهى وإرشاد نبوي ، وذلك من حيث اغتراره بنفسه واعجابه بكلامه واستقلاله برأيه واستغناؤه بما اخترعه فهمه وما ابتدعه وهمه عن الرجوع إليهم والعكوف عليهم .

كما قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام (١) لعن الله أباحنيفة كان يقول: قال عليٌ وقلت أنا ، وقالت الصحابة وقلت هذا و على كون هدى في كلامه عليه السلام بضم الهاء والألف المقصورة فالمراد به كونه ضالاً عن الصراط المستقيم مع وجود هدى قبله مأمور باتباعه وهو كتاب الله وسنة رسوله وأعلام هده الحاملون لدينه ، لما أشرنا إليه من استبداده برأيه الفاسد ونظره الكاسد نظير ما صدر عن أبي حنيفة ونظرائه

كما حكاه الزمخشري في ربيع الأبرار قال : قال يوسف بن أسباط : رد أبوحنيفة على النبي ﷺ أربعمأة حديث أو أكثر قيل : مثل ماذا ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : للغرس سهمان ، وقال أبوحنيفة : لا أجعل سهم بهيمة أكثر من سهم المؤمن وأشعر رسول الله ﷺ وأصحابه البدن ، وقال أبوحنيفة : الاشعار مثله ، وقال

رسول الله ﷺ: البيعان بالخيار ما لم يفترا، وقال أبو حنيفة إذا وجب البيع فقد لزم، وكان رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً، وقال أبو حنيفة: القرعة قمار انتهى (مضل لمن اقتدى به في حياته و بعد موته) وذلك لأن من كان ضالاً في نفسه و مشعوباً بكلامه البدعة و دعائه الضلالة لابد أن يكون مضلاً و سبباً لا ضلال غيره في حال حياته و هو ظاهر، و بعد ممانته أيضاً من حيث بقاء العقائد الباطلة و المذاهب الفاسدة المكتسبة عنه بعده، ألا ترى كيف بقي مذهب أبي حنيفة و الشافعي و أحمد بن حنبل و مالك و غيرها من المذاهب المبتدعة و الآراء المخترعة المفضلة إلى الآن؛ و تبقى إلى ظهور صاحب الزمان فتبعتها جمع كثير و تضل بها جم غفير و لذلك صار هذا الرجل المضل (حتمال خطايا غيره) كحمله خطايا نفسه حيث كان سبباً لضلالته فهو (رهن بخطيئته) كما أنه رهن بخطيئة غيره مأخوذ بها و معاقب عليها كما قال سبحانه: « لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّوهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلْسَاءٌ مَا يَزِرُونَ »

قال الفخر الرازي: إنّه يحصل للرؤساء مثل أوزار الأتباع، والسبب فيه ما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع كان له مثل أجر من اتبعه لا ينقص من أجورهم شيء، و أيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع كان عليه مثل وذر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيء.

و اعلم أنه ليس المراد أنه تعالى يوصل العقاب الذي يستحقه الأتباع إلى الرؤساء، لأن هذا لا يليق بعبد الله و الدليل عليه قوله تعالى:

« وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » و قوله: « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

وَزْرَ أُخْرَى »

بل المعنى أن الرئيس إذا وضع سنة قبيحة عظم عقابه حتى أن ذلك العقاب

يكون مساوياً لكل ما يستحقه كل واحد من الأتباع .

قال الواحدى : لفظة من في قوله : ومن أوزار الذين يضلونهم ، ليست للتبعض لأنها لو كانت للتبعض لخفض عن الأتباع بعض أوزارهم و ذلك غير جازم لقوله لا يظلم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ، ولكنها للجنس أى ليحملوا من جنس أوزار الأتباع هذا .

ولما فرغ من أوصاف أول الرجلين أشار إلى ثانيهما و ذكر له أحداً وعشرين وصفاً .

الأول ما أشار إليه بقوله : (ورجل قمش جهلاً) أى جمعه من أفواه الرجال أو من الروايات الغير الثابتة عن الحجّة أو ممّا اخترعه وهمه بالقياس والاستحسان واستعداد لفظ الجمع المحسوس للمعقول بقصد الايضاح .

الثاني أنه (موضع في جهنم الأمة) يعنى أنه مسرع بين الجهال أو أنه مطرح فيهم وضيع ليس من أشرف الناس على ما ذكره البحراني من كون وضع بفتح الضاد ، وقال إنه يفهم منه أنه خرج في حق شخص معين و إن عمه وغيره .

الثالث أنه (غارفي أعباش الفتنة) أى غافل في ظلمات الخصومات لا يهتدي إلى قطعها سيلاً ، و قد مرّ فيه وجوه آخر في بيان اللغة .

الرابع أنه (عم بما في عقد الهدنة) يعنى أنه عميت بصيرته عن ادراك مصالح المصالحة بين الناس فهو جاهل بالمصالح مشير للفتن

الخامس أنه (قد سمّاه أشباه الناس عالماً وليس به) والمراد بأسباه الناس العوام والجهال لخلوهم عن معنى الانسانية وحققتها وهم يشبهون الناس في الصورة الظاهرة الحسية التي بها يقع التمايز على سائر الصور البهيمية، ولا يشبهون في الصور الباطنية العقلية التي هي معيار المعارف اليقينية والعلوم الحقيقية ، فهؤلاء الأشباه لفقد بصائرهم ونقصان كمالاتهم ينخدعون بتمويه ذلك الرجل ويزعمون من تلبسه بزي العلماء أنه عالم مع أنه ليس بعالم

السادس: أنه (بكر فاستكثر من جمع ما قلّ منه خير ممّا كثر) يعني أنه أسرع وبادر في كلِّ صباح ، وهو كناية من شدة اهتمامه وطلبه في كلِّ يوم أو في أوّل العمر إلى جمع شيء فاستكثر منه ما قليلة خير من كثيره ، أو قلته خير من كثيره ، والمراد بذلك الشيء إمّا هرات (١) الدنياء وأسبابها ، وبؤيده مناسبتها لما قبله يعني أنه لم يطلب العلم ولكن طلب أسباب الدنيا التي قليلها خير من كثيرها ، هذا إن كان جمعها على وجه الحلال و إلاّ فلا خير فيه أصلاً ، وإمّا الشبهات المضلّة والآراء الفاسدة والعقائد الباطلة وبؤيده زيادة ارتباط ذلك بما بعده ، وعلى التقديرين فيه تنبيد على غاية بعده عن الحقّ والعلم لرسوخ الباطل في طبعه وثبوتها في ذهنه .

السابع ما يترتب على بكوره واستكثاره من جمع الشبهات ، وهو ما أشار إليه بقوله : (حتّى إذا ارتوى من آجن) يعني حصل له الامتلاء من شرب الماء الآجن المتعفن (و اكتنز) أى اجتمع له العلوم الباطلة (من غير طائل) ولا فائدة يتصور فيها (جلس بين الناس قاضياً) استعمار الآجن للشبهات الفاسدة والأفكار الباطلة و العلوم الحاصلة له من الاستحسانات و الأقيسة ، كما يستعمار عن العلوم الحقيقية و المعارف اليقينية بالماء الصّافي الزلال ، ثمّ و شح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وجعل غايته المشار إليها من ذلك الاستكثار جلوسه بين الناس قاضياً

الثامن كونه (ضامناً لتخليص ما التبس على غيره) لوثوقه من نفسه بفصل ما بين الناس من الخصومات و المرافعات وظنّه القابليّة لقطع المنازعات ، و منشأ ذلك الوثوق و الاطمينان هو زعمه أن العلوم الحاصلة له من آرائه الفاسدة و أقيسته الباطلة علوم كاملة كافية قي تخليص الملتبسات و تليخيص المشكلات مع أنها ليست بذلك .

التاسع ما أشار إليه بقوله : (فان نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشواً

رتاً من رأيه ثم جزم به) يعني أنه إذا نزلت به إحدى المسائل المبهمة المشكلة الملبس عليه وجه فصلها وطريق حلها هيباً لها كلاماً لا طائل تحته ولاغناء فيه وأعدّ لحلها وجهاً ضعيفاً من رأيه ثم قطع به كما هو شأن أصحاب الجهل المركب العاشر ما نبه عليه بقوله : (فهو من ليس الشبهات في مثل نسج العنكبوت) نسج العنكبوت مثل للأمور الواهية كما قال سبحانه :

« وَإِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »

قال الشراح البحراني : ووجه هذا التمثيل أن الشبهات التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف إذا قصد حل قضية تكثر فيلبس على ذهنه وجه الحق منها فلا يهتدى له لضعف ذهنه ، فتلك الشبهات في الوها تشبه نسج العنكبوت ، وذهنه فيها يشبه ذهن الذباب الواقع فيه ، فكما لا يتمكن الذباب من خلاص نفسه من شبك العنكبوت لضعفه ، فكذا ذهن هذا الرجل لا يقدر على التخلص من تلك الشبهات ، وقال المحدث المجلسي بعد نقله كلام البحراني هذا : أقول : ويحتمل أيضاً أن يكون المراد تشبيه ما يلبس على الناس من الشبهات بنسج العنكبوت لضعفها وظهور بطلانها لكن تقع فيها ضعفاء العقول فلا يقدر على التخلص منها لجهلهم وضعف يقينهم ، والأول أنسب بما بعده .

الحادي عشر أنه (لا يدري أصاب) فيما حكم به (أم أخطأ فان أصاب خاف أن يكون قد أخطأ وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب) وخوف الخطاء مع الاصابة ورجاء الاصابة مع الخطاء من لوازم عدم الدراية في الحكم والافتاء .

الثانية عشر أنه (جاهل خبساط جهالات) أراد به أنه جاهل بالأحكام كثيراً لخبط في جهلاته ، كنى به عن كثرة أغلاطه التي يقع فيها في القضايا والأحكام فيمشي فيها على غير طريق الحق من القوانين ، و ذلك معنى خبطه مأخوذ من خبط العشواء ، وهي الناقة التي في بصرها ضعف تخبط بيدها كل شيء إذا مشت

الثالث عشر أنه (عاش رگاب عشوات) يعني أن به عشاوة وسوء بصر بالليل

والنهار وأنه كثير الرُّكوب على الأمور الملتبسة المظلمة ، قال الشَّارح البحرانيُّ رَه وهي إشارة إلى أنه لا يستنتج نور الحق في ظلمات الشبهات إلا على ضعف ونقصان في نور بصيرته ، فهو يمشي فيها على ما يتخيَّله دون ما يتحقَّقه من الصَّفة هذه ، أي وكثيراً ما يكون حاله كذلك ولما كان من شأن العاشي إلى الضَّوء في الطرق المظلمة تارة يلوح له فيمشي عليه وتارة يخفي عنه فيضل عن القصد ويمشي على الوهم والخيال كذلك حال السَّالك في طرق الدِّين من غير أن يستكمل نور بصيرته بقواعد الدِّين ويعلم كيفية سلوك طرقه ، فانه تارة يكون نور الحق في المسألة ظاهراً فيدركه وتارة يغلب عليه ظلمات الشبهات فتعمى عليه الموارد والمصادر فيبقى في الظلمة خابطاً وعن القصد جائراً

الرَّابع عشر أنه (لم يعض على العلم بضرر قاطع) وهو كناية عن عدم نفاذ بصيرته في العلوم وعدم اتقانه للقوانين الشرعية لينتفع بها انتفاعاً تاماً ، يقال فلان لم يعض على العلم بضرر قاطع إذا لم يحكمها ولم يتقنها ، وأصله أن الانسان يمضغ الطعام الذي هو غذائه ثم لا يجيِّد مضغه لينتفع به البدن انتفاعاً تاماً فمثل به من لم يحكم ولم يتقن ما يدخل فيه من المعقولات التي هو غذاء الروح لينتفع به الروح انتفاعاً كاملاً .
الخامس عشر أنه (يذرى الرُّوايات إزاء الرِّيح الهشيم) اليابس من النباتات المنكسر وفيه تشبيه تمثيلي ووجه الشبه صدور فعل بلا روية من غير أن يعود إلى الفاعل نفع وفائدة ، فان هذا الرجل المتصفح للروايات ليس له بصيرة بها ولا شعور بوجه العمل عليها بل هو يمر على رواية بعد أخرى ويمشى عليها من غير فائدة ، كما أن الرِّيح التي تذري الهشيم لاشعور لها بفعلها ولا يعود إليها من ذلك نفع .

السادس عشر أنه (لاهلي ، والله باصدار ما ورد عليه) أي ليس له من العلم والثقة قدر ما يمكنه أن يصدر عنه انحلال ما ورد عليه من الشبهات والاشكالات .
السابع عشر ما في بعض نسخ الكتاب من قوله : (ولا هو أهل لما فوض إليه) أي ليس هو بأهل لما فوضه إليه الناس من أمور دينهم ، وأكثر النسخ خال من

ذكر هذا الوصف وفي رواية الكافي الآتية ولاهو أهل لما منه فرط بالتخفيف بمعنى سبق و تقدّم أى ليس هو أهل لما ادّعاء من علم الحقّ الذي من أجله سبق الناس وتقدّم عليهم بالرئاسة والحكومة ، وربما يقرء بالتشديد أى ليس هو من أهل العلم كما يدّعه لما فرط فيه وقصّر عنه ، وعن الارشاد ولا يندم على ما منه فرط ، وقال الشّارح المعتزلي : وفي كتاب ابن قتيبة ولا أهل لما فرط به قال : أى ليس بمستحقّ للمدح الذي مدح به

الثامن عشر أنّه (لا يحسب العلم في شيء ممّا أنكره) و لم يعرفه يعني أنّ ذلك الرّجل يعتقد أنّ ماله من العلم المفضوش المدلس بالشبهات الذي يكون الجهل خيراً منه بمراتب هو العلم ولا يظنّ لغاية جهله وجود العلم لأحد في شيء ، ممّا جهله لاعتقاده أنّه أعلم العلماء وأنّ كلّ ما هو مجهول له مجهول لغيره بالطريق الأولى ، وعلى احتمال كون يحسب من الحساب على ما مرّت إليه الاشارة فالمعنى أنّه لا يبعد ما ينكره علماً ولا يدخله تحت الحساب والاعتبار بل ينكره كساير ما أنكره

التاسع عشر ما أشار إليه بقوله : (ولا يرى أنّ من وراء ما بلغ منه مذهباً لغيره) يعني أنّه لو فور جهله يظنّ أنّه بلغ غاية العلم فليس يبد ما بلغ إليه فكره لأحد موضع تفكر ومذهب صحيح .

العشرون ما نبّه عليه بقوله : (وإنّ أظلم عليه أمر اكنتم به) أى إن صار عليه أمر من أمور الدين مظالمًا مشتبهًا لا يدري وجه الحقّ فيه ولا وجه الشبهة أيضاً اكنتم به واستره من غيره من أهل العلم وغيرهم وذلك (لما يعلم من جهل نفسه) بذلك الأمر وعدم معرفته به حتّى من وجه الشبهة والرأى فيستره ويخفيه ولا يسأله من غيره ولا يصفى إلى غيره حتّى يستفيده ، وذلك لئلا يقال : إنّه لا يعلمه فيحفظ بذلك علو منزلته بين الناس كما هو المشاهد من قضاة السوء ، فانهم كثيراً ما يشكل عليهم الأمر في القضايا والأحكام فيكنتمون ما أشكل عليهم ولا يسألون أهل العلم عنه لئلا يظهر جهلهم بين أهل الفضل مراعاة لحفظ المنزلة والمناصب الحادي والعشرون أنّه (تصرخ من جور قضاة الدماء وتعمّ منه المواريث)

و يستحلُّ بقضائه الفرج الحرام و يحرم بقضائه الفرج الحلال ، كما في رواية الكافي الآتية و نسبة الصّراخ إلى الدّماء و العجيج إلى المواريث إمّا من قبيل الحذف و الايصال ، أي تصرّخ أولياء الدّماء و تعجّ مستحقّوا المواريث ، أو من قبيل المجاز في الاسناد على نحو صام نهاره مبالغة على سبيل التمثيل و التخييل بتشبيه الدّماء و المواريث بالانسان الباكي من جهة الظلم و الجور و إنبات الصّراخ و العجيج لهما ، أو من قبيل الاستمارة التحقيقية التبعيّة باستعارة لفظ الصّراخ و العجيج لنطق الدّماء و المواريث بلسان حالها المفتح عن مقالها ، و وجه المشابهة أنّ الصّراخ و العجيج لما كانا بصدوران من ظلم و جور و كانت الدّماء المهرقة و المواريث المستباحة بالأحكام الباطلة ناطقة بلسان حالها مفصحة بالتظلم و الشكّاية ، لا جرم حسن تشبيه نطقها بالصّراخ و العجيج و استعارتها له ، فالمعنى أنّه تنطق الدّماء و المواريث بالشكّاية و التظلم من جور قضاياه و أحكامه.

و أمّا استحلال الفرج الحرام بقضائه و تحريم الفرج الحلال فأمّا من أجل جهله بالحكم أو لخطئه و سهوه في موضع الحكم لعدم مراعاة الاحتياط أو لوقوع ذلك منه عمدًا لغرض دنيوي كالتقرّب بالجائر أو أخذ الرّشوة أو نحو ذلك .

ثمّ أنّه عليه السلام بعد أن خصّ الرجلين المذكورين بما ذكر فيهما من الاوصاف المنفرة على سبيل التفصيل ، أردف ذلك بالتنفير عنهما على الاجمال بما يعمّهما و غيرهما من ساير الجهال و الضلال فقال : (إلى الله أشكّون معشر يعشون جهلاً و يموتون ضلّالاً) و الثاني مسبّب عن الأوّل إذ العيش على الجهالة يؤدي إلى الموت على الضلالة (ليس فيهم سلعة) و متاع (أبوور من الكتاب إذا تلى حقّ تلاوته) يعني إذا فسّر الكتاب و حمل على الوجه الذي انزل عليه و على المعنى الذي اريد منه اعتقدوه فاسدًا و طرحوه لمنافاة ذلك الوجه و المعنى لأغراضهم (و لا سلعة أنفق يبعاً) أي أكثر رواجاً (و لا أغلى نمنا إذا حرّف عن مواضعه) و مقاصده الأصليّة و نزل على حسب أغراضهم و مقاصدهم و مشاكل ذلك و أصله هو الجهل (و لا عندهم أنكر من المعروف و لا أعرف من المنكر) و ذلك لأنّ المعروف لما خالف أغراضهم و مقاصدهم طرحوه

حتى صار منكرأ بينهم يستقبحون فعله و المنكر لما وافق دواعيهم ولائم طباعهم لزموه حتى صار معروفا بينهم يستحسنون إتيانه هذا

وينبغي الإشارة إلى الفرق بين الرجلين الموصوفين فأقول :

قال الشارح المعتزلي : فان قيل : يسنوا الفرق بين الرجلين اللذين أحدهما وكله الله إلى نفسه والآخر رجل قمش جهلاً ؟ قيل : أما الرجل الأول فهو الضال في اصول العقائد كالمشبه و المجتبر ونحوهما ، ألا تراه كيف قال : مشغوف بكلام بدعة و دعاء ضلالة ، و هذا يشعر بما قلناه من أن مراده به المتكلم في أصول الدين وهو ضال عن الحق ، و لهذا قال : إنه فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من قبله مضل لمن يجهي بعده ، وأما الرجل الثاني فهو المتفقه في فروع الشرعيات و ليس بأهل لذلك كفقهاء السوء ألا تراه كيف يقول : جالس بين الناس فاضياً ، وقال أيضاً : تصرخ من جور قضائه الدماء و تعج منه المواريث .

و قال المحنث المجلسي قدس في كتاب مرآة العقول بعد حكاية كلام الشارح على ما حكيناه : أقول : ويمكن الفرق بأن يكون المراد بالأول من نصب نفسه لمناسب الافادة والارشاد ، وبالثاني من تعرض للقضاء والحكم بين الناس ولعله أظهر و يحتمل أيضاً أن يكون المراد بالأول العباد المبتدعين في العمل و العبادة كالمتصوفة و المرتاضين بالرياضات الغير المشروعة ، و بالثاني علماء المخالفين و من يحدوحدوهم حيث يفتنون الناس بالتبائسات الفاسدة والآراء الواهية وفي الارشاد وأن أبغض الخلق عند الله عز و جل و رجل وكله الله إلى نفسه إلى قوله : رهن بخطيئته و قد قمش جهلاً ، فالكل صفة لصنف واحد

تكملة استبصارية

اعلم أنك قد عرفت الإشارة إلى أن هذا الكلام له في مما رواه ثقة الاسلام الكليني في الكافي وصاحب الاحتجاج عطر الله مضجعهما فأحييت أن أذكر ما في الكتابين اعتضاداً لما أورده الرضي (ره) في الكتاب و معرفة لك بمواقع الاختلاف بين الروايات فأقول :

روى في الكافي عن محمد بن يحيى عن بعض أصحابه وعلي بن إبراهيم عن هارون ابن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام و علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب رفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال :

من أبغض الخلق إلى الله تعالى لرجلين : رجل وكله الله تعالى إلى نفسه هو جائر عن قصد السبيل مشعوف بكلام بدعة قد لهج (١) بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به ، ضال عن هدى من كان قبله ، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته .

ورجل قمش جهلاً في جهال الناس عان بأغباش الفتنة قد سماه أشباه الناس عالماً ولم يفن (٢) فيه يوماً سالماً ، بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من آجن و اكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتلخيص (لتلخيص خ) ما اتبس على غيره ، وإن خالف قاضياً سبقه لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده كفعله بمن كان قبله ، وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيئتها حشواً من رأيه ثم قطع (٣)

فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ لا يحسب العلم في شيء مما أنكر ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً ، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره ، وإن أظلم عليه أمر اكنتم به لما يعلم من جهل نفسه لكيلا يقال له : لا يعلم ، ثم جسر قضى فهو مفتاح (٤) (مفتاح خ ل) عشوات ركب شبهات خباط جهالات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ، ولا يعص في العلم بضرر قاطع فيغتم يذري

١- اللهج بالشئ. محرقة المولوع فيه و الحرس عليه اى هو حريس على الصوم و الصلاة

و بذلك يفتتن به الناس ، مرآت العقول

(٢) من قولك غنيت بالمكان اغنى اذا قمت به نهاية

(٣) اى جزم وفى النهج به وفى غيره عليه ، مرآت العقول

(٤) اى يفتح على الناس ظلمات الشبهات والجهالات اوسببها ، مرآت العقول

الروايات ذروا الرِّيح الهشيم تبكي منه المواريث وتصرخ منه الدماء ويستحل بقضائه الفرج الحرام ، ويحرم بقضائه الفرج الحلال لا ملية باصدار ما عليه ورد ، ولا هو أهل لما منه فرط ، من ادعائه علم الحق

وفي الاحتجاج وروى أنه عليه السلام قال : إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان : رجل وكله الله إلى نفسه فهو جاير عن قصد السبيل ؛ ساير بغير علم ولا دليل ، مشعوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة ، فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله ، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته ، حمال خطايا غيره ، رهن بخطيئته

ورجل قمش جهلاً فوضع في جهلة الأمة ، عان باغباش فتنة ، قد لهج منها بالصوم والصلاة ، عم بما في عقد الهدنة قد سماه الله عارياً منسلخاً وقد سماه أشباه الناس (الرجال خ ل) عالماً ، ولما يغن في العلم يوماً سالماً ، بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثرحتسى إذا ارتوى من آجن ، وأكثر من غير طائل جلس بين الناس مفتنيا قاضيا ضامنا لتخليص (تلخيص خ ل) ما التيس على غيره

إن خالف من سبقه لم يأمن من نقض حكمه من يأتي من بعده كفعله بمن كان قبله ، فان نزلت به إحدى المبهمات (المعضلات خ ل) هيأها حشواً من رأيه ثم قطع به ، فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت خباط جهالات ، وركاب عشوات ، ومفتاح شبهات ، فهو وإن أصاب أخطاء لا يدري أصاب الحق أم أخطأ ، إن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ ، و إن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب

فهو من رأيه مثل نسج (غزل خ ل) العنكبوت الذي إذا مرت به النار لم يعلم بها ، لم يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم ، بذري الروايات إذ راء الريح الهشيم لا ملية والله باصدار ماورد عليه ، لا يحسب العلم في شيء مما أنكره ، ولا يرى أن من وراء ما ذهب فيه مذهب ناطق ، و إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب رأيه كيلا يقال له لا يعلم شيئاً و إن خالف قاضياً سبقه لم يأمن في صحته حين خالفه و إن أظلم عليه أمر اكنتم به لما يعلم .

من معشر (۱) يعيشون جهلاً و يموتون ضللاً لا يمتدرون مما لا يعلم فيسلم ،
 تصرخ منه الدماء ، و تولول منه الفتيا و تبكي منه الموارث ، و يحلل بقضائه الفرج
 الحرام ، و يحرم بقضائه الفرج الحلال و يأخذ المال من أهله فيدفعه إلى غير أهله .
 و روى الطبرسي و المفيد في الارشاد بعد رواية هذا الكلام نحواً مما تقدم
 أنه عليه السلام قال بعد ذلك :

أيها الناس عليكم بالطاعة و المعرفة بمن لا تعذرون بجهالة ، فإن العلم الذي
 هبط به آدم عليه السلام وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة نبيكم
 محمد عليه السلام ، فأنى يتاه بكم بل أين تذهبون يا من نسخ من أصلاب أصحاب السفينة ،
 هذه مثلها فيكم فاركبوها ، فكما نجا في هاتيك من نجا فكذلك ينجو في هذه من
 دخلها أنارهمين بذلك قسماً حقاً و ما أنا من المتكلمين ، و الويل لمن تخلف ثم الويل
 لمن تخلف .

أما بلغكم ما قال فيكم نبيكم؟ حيث يقول في حجة الوداع : إنني تاركم فيكم
 الثقلين ما إن تمسكتهم بهما لن تضلوا بعدي ، كتاب الله و عترتي أهل بيتي و انهما
 لم يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، ألا هذا عذب فرات
 فاشربوا ، و هذا ملح أجاج فاجتنبوا .

الترجمة

از جمله کلام آن عالی مقام است درصفت کسیکه متصدی شود بحکم کردن
 میان امة محمدیه و حال اینکه اهلیت نداشته باشد ،

بتحقیق که دشمن ترین خلق بسوی خدا دهمردند یکی از این دونفر مردی
 است که باز گذاشته باشد حقتعالی اورا بنفس خودش ، و الطاف خفیه خودرا از او
 سلب نموده باشد پس آن بد روزگار تبه کار میل کننده است از میانه راه راست

(۱) هكذا في نسخة الاحتجاج والظاهر ان يكون الاصل الى الله من معشر وعلى هذه النسخة

فيحتمل ان يكون قوله من معشر خبر مبتدئ. معذوف اي هو من معشر منه

بمیان دل او رسانیده شده است سخنان بدعة و جهالت با اینکه دلسوخته شده است از فرط محبت با ینکلام بدعة ، و بخواندن مردم بگمراهی و ضلالت، پس آن مرد فتنه و بلا است مر آنکسی را که در فتنه و بلا افتاده باشد بواسطه او گمراه است از راه راست و طریقه مستقیم آنکسیکه بوده است پیش او گمراه کننده است مر کسی را که اقتدا نماید اورا در حال حیات او و بعد از وفات او ، بردارنده است بار گناهان غیر خود را ، در گرواست بگناه خود و گرفتار است بکار تباه خود .

و دومی از ایندو نفر مردی استکه جمع کرده جهالت را سرعه کننده است باینکه ضعیف و پست گردانیده شده در میان جاهلان امة ، غافل است در ظلمات خصوصیات بی بصیرت است بآنچه در عقد صلحست از مصالح مصالحه ، بتحقیق که نام نهاده اند اورا جهالت مردمان که در صورت انسان و در معنی حیوان میباشد عالم بعلوم شریعت و حال آنکه عالم نیست ، بامداد کرد پس بسیار نمود از جمع آوردن چیزی که اندکی آن از او بهتر است از آنچه بسیار است ، یا آنکه از جمع آوردن چیزیکه کمی او بهتر است از زیاده آن ، مراد فکرهای فاسده و رأیهای باطله است تا اینکه چون سیراب شد از آب متعفن گندیده ، و پر شد از مسایل بی فایده ناپسندیده نشست در میان مردم در حالتیکه حکم کننده است میان ایشان ، ضامن است از برای خالص کردن آنچه چیزی که مشتبه است حل آن بر غیر او ، پس اگر نازل بشود بر او یکی از قضایای مشکله همیشه میکند از برای آن سخنان بی فایده ضعیف و مست از رأی باطله خود ، پس از آن جزم و قطع کند بآن کلام ، پس او از پوشیدگی و التباس شبهها افتاده است در امور و اهیه که مثل تار عنکبوت است ، نمیداند بصواب حکم میکند یا بخطا ، پس اگر بصواب حکم میکند میترسد از آنکه خطا کرده باشد و اگر بخطا حکم نماید امید میدارد که صواب گفته باشد

نادانست بسیار خبط کننده در نادانیها ضعیف البصر است در ظلمات جهل سواره شبها ، نگزیده علم و دانش بدنندان برنده و این کنایه است از عدم ایقان بر قوانین شرعیه و عدم اتقان مسائل دینیّه ، منتشر میسازد و می براند روایات را مثل

براندن و منتشر کردن باد گیاه خشک را ، بخدا سوگند که نیست قادر و توانا بیاز گردانیدن و جواب دادن آنچه وارد شده است بر او از مسائل ، گمان نمیرد که علمی که و رای اعتقاد اوست فضیلتی داشته باشد ، و گمان نمیکند اینکه از و رای آنچه رسیده است باومذهبی بوده باشد مرغیر او را

واگر پوشیده و پنهان باشد بر او کاری پنهان میکند آنرا بجهت آنکه میدانند از جهل نفس خود بمسائل و میخواد که آشکار نشود حال او بارباب فضائل فریاد میکند از جور حکم او خونهای ناحق ریخته ، و مینالد از ستم او میرانهای مأخوذه با حکمهای باطله

بسوی خداوند شکایت می کنم از جماعتی که زندگانی می کنند در حالتی که جاهلانند ، و میمیرند در حالتیکه گمراهانند ، نیست در میان ایشان هیچ متاعی که کاسدتر باشد از کتاب الله وقتی که خوانده شود حق خواندن بدون تحریف و تغییر ، نیست هیچ متاعی که رواج تر باشد از روی فروختن و نه پر بها باشد از کتاب خدا وقتی که تحریف و تغییر داده شود از مواضع خود ، و نیست نزد ایشان زشت تر از معروف و نه نیکوتر از منکر ، والله العالم

و من کلام له ﷺ فی ذم اختلاف العلماء فی الفتیا
و هو الثامن عشر من المختار فی باب الخطب
الجاری مجراها

وقد رواه الطبرسی فی الاحتجاج مرسله کالکتاب

تَرَدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ،

ثُمَّ تَرَدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بَيْنَهُمَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ غَيْرِهِ « قوله خ »

ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا ، وَإِلَهُمْ وَاحِدٌ ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ ، وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ ، فَأَمَرَ اللَّهُ بِالْإِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ ؟ أَمْ تَهَيَّبَهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِينًا نَافِصًا فَاسْتَمَانَ بِهِمْ عَلَى إِنْتَابِهِمْ ؟ أَمْ كَانُوا شُرَكَائِهِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى ؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِينًا تَامًّا فَقَصَرَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ ؟ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : « مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ » وَقَالَ : « فِيهِ تَبْيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ » وَذَكَرَ أَنْ الْكِتَابَ يُصَدَّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَنَّهُ لَا إِخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا » وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ ، لَا تَقْنَى عَجَابُهُ « وَلَا تَقْضِي عَجَابُهُ خ » وَلَا تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ .

اللغة

(الفتيا) بالضم الفتوى و (استقضى) فلاناً طلب إليه أن يقضيه و استقضى صير قاضياً و (التبيان) بالكسر و قد يفتح من المصادر الشاذة إذ المصادر على وزن التفعال لم تجيء إلا بالفتح كالتكرار والتذكار و (الأنيق) كأمر الحسن المعجب .

الاعراب

الضمير في غيره الثاني راجع إلى غيره الأول ، وفي بعض النسخ كالاختجاج فيحكم فيها بخلاف قوله ، فيكون مرجع الضمير فيه وفي غيره الأول واحداً وهو أحدهم ، والواو في قوله و اللهم واحد حالية كاللتين بعدها ، و الهمزة في قوله

أفامرهم للاستفهام على سبيل الإنكار الإبطالي على حد قوله : « أفأصفيكم ربكم بالبنين »
وكلمة من في قوله : من شيء ، زائدة في المفعول ، وقوله وإن القرآن اه جملة استينافية

المعنى

اعلم انه لا بد قبل الخوض في شرح كلامه عليه السلام من تمهيد مقدّمة و هي أنه
وقع الخلاف بين العامة والخاصة في التخطئة والتصويب ، وقد عنونه أصحابنا رضي الله
عنهم في كتبهم الأصولية وحقّقوا الكلام فيه بما لا مزيد عليه ، ومحصل ما ذكره
أن الكلام يقع فيه في مقامات أربعة

الاول اصول العقائد وقد نقل غير واحد من الأصحاب إجماع الكلّ على أن
المصيب فيها واحد وعلى أن المخطي فيها آثم كافر إن كان نافياً للإسلام ، ولم يخالف
فيه إلا أبو عبد الله الحسين العنبري والجاحظ فذهبا إلى أن الكلّ مصيب ، قال العلامة
ليس مرادهما الاصابة من حيث المطابقة في نفس الأمر ، بل المراد زوال الحرج
والانتم عن المخطي باعتقاد خلاف الواقع وخروجه عن عهدة التكليف باجتهاده ، وربّما
عزى الخلاف إلى الأوّل في أصل الاصابة وإلى الثاني في تحقّق الانتم على ما ذكره
العلامة .

وعلى أيّ تقدير فهو شاذّ ضعيف لا يلتفت إليه ، ضرورة بطلان الاصابة واستحالتها
بيد يهية العقل ، وإلّا لزم اجتماع النقيضين في مثل قدم العالم وحدونه ، وعصمة الامام
وعدمها ، ووجود المعاد الجسماني وعدمه

و أمّا من حيث الانتم فالحق فيه التفصيل بين القصور والتقصير فالمقتصر آثم دون
القاصر ، وإلّا لزم التكليف بما لا يطاق ، وهو ظاهر إلا أن الكلام في تحقّق الصغرى
وأن القصور هل هو ممكن موجود ، وتفصيل الكلام في الأصول ، ولا يخفى أن ما
ذكرناه من أنه لا إنتم على الكافر القاصر فانّما هو في الآخرة ، و أمّا في الدنيا فلا
يبعد القول باجراه أحكام الكفر عليه

الثاني الفرعيّات التي استقلّ العقل بحكمها ، فالحقّ فيها أيضاً من حيث
الاصابة هو العدم كما عليه الجمهور حدّاً من اجتماع النقيضين في مثل قبح الظلم

والمدوان ، ومن حيث الاثم و عدم التفصيل بين التقصير والقصور على ما سبق ، و لا خفاء في امكان القصور هنا بل تحققه غالباً في مطلق الناس ، و أما المجتهد فلا يبعد في حقهم دعوى امكان الوصول إلى الواقع دائماً

الثالث الفرعيات العملية التي قام الدليل القطعي عليها كالضروريات من العبادات والمعاملات ، فالحق فيها أيضاً أن المصيب واحد وأما من حيث الاثم ففيه مامر من التفصيل ، قال بعض الأصحاب : أما إمكان الخفاء و العدم ففيه في هذا المقام خفاء لكن بعد التأمل يظهر الامكان نادراً في غير المجتهدين ، وأما المجتهدون المتفحصون ففي إمكان الخفاء عليهم لأجل عروض الشبهات إشكال لكن لو رأينا أحداً أنكر واحتمل في حقه الشبهة أجرنا عليه أحكام المقصّر لغلبة التقصير في المنكرين ، وهذه الغلبة معتبرة عندهم في هذا المقام

الرابع الفرعيات التي لم يستقلّ العقل بحكمها و لم يقم عليها دليل قطعي ، وهذه هي التي صارت معركة للأراء بينهم ، فذهب أصحابنا إلى أن لله سبحانه في كل واقعة حكماً واحداً معيناً ، والمصيب واحد ومن أخطأ فهو معذور فلا اثم عليه و ذهب جمهور المخالفين إلى أنه لا حكم معين لله تعالى فيها بل حكمه تابع لظن المجتهد و ظن كل مجتهد فيها حكم الله في حقه و حق مقلده ، و كل مجتهد مصيب لحكم الله غير آثم وتصوير الاصابة فيها بوجوده

أحدها أن الحكم تابع للحسن والقبح وأنهما يختلفان بالوجوه و الاعتبارات فحدوث العلم و الجهل محدث للصفة و الصفة يتبعها الحكم فرأى المجتهد محدث للحكم ، ويكون الأحكام متعلقة على آرائهم الثاني أنه تعالى أوجد أحكاماً مقصودة بالأصالة و يطابقها آراء المجتهدين قهر عليهم .

الثالث أنه تعالى أوجد أحكاماً واقعية و يطابقها آراء المجتهدين من باب

الاتفاق لا محالة .

الرابع أنه تعالى لما علم أن الآراء تتعلق بالأحكام المخصوصة فجعل لأجل علمه بذلك أحكاماً يطاقها ، وبعبارة أخرى أنه تعالى جعل أحكاماً مختلفة في الواقع بحسب اختلاف آراء المجتهدين على ما يعلمه من أن كل واحد منهم لدى التشبث بالأمانة يؤدي ظنه إليه حتى أنه ربما يكون في حق الشخص الواحد أحكاماً مختلفة بحسب الواقع باختلاف الأمارات المتعددة في الأزمنة المتدرجة فضلاً عن اختلاف الواقعات في حق الأشخاص ويجمعه وسابقه انتفاء الحكم الواقعي المشترك فيه الكل وإن كان في الوجه الأول بانتفاء المقيّد وفي الثلاثة الأخيرة بانتفاء القيد وكيف كان والتصويب بجميع تصوراته باطل عند أصحابنا نور الله مضاجعهم وقد أقاموا على بطلانه الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة في كتبهم الأصولية ودلت نصوصهم المتواترة عن أئمتهم سلام الله عليهم على أن حكم الله سبحانه في الوقائع واحد بحسب الواقع وأن لله تعالى في كل واقعة حكماً مخزوناً عند أهله أصابه من أصابه، وأخطأه من أخطأه، ومن جملة تلك النصوص كلامه ﷺ الذي نحن بصدد شرحه حسبما تعرفه إنشاء الله .

لا يقال : المستفاد من كلامه ﷺ وما ضاهاه هو اتحاد الحكم بقول مطلق ، وهو ينافي بناء الأصحاب على آرائهم وعملهم بما أدى إليه ظنونهم وتعبدهم بالعمل بذلك بناء على أنه حكم الله في حق المجتهد وحق مقلّده ، ضرورة أن الآراء مختلفة فيختلف باختلافها الأحكام جداً

لا تأقول : أو لا إن كلامه ﷺ ناظر إلى العاملين بالقياس والرأي لا بالكتاب والسنة كما صرح به الفاضل القمي في القوانين

و أشار إليه الشارح المعتزلي حيث قال : والمراد الرد على أهل الاجتهاد في الأحكام الشرعية وإفساد قول من قال : كل مجتهد مصيب ، وتلخيص الاحتجاج من وجوه خمسة ثم ذكر الوجوه الخمسة ثم قال : واعلم أن هذه الوجوه هي التي تتعلق بها الامامية ونفاة القياس والاجتهاد في الشرعيات

وثانياً أن كلامه **بِطَرَفِهِ** وإن كان مطلقاً إلا أنه لا بد أن يراد به اتحاد الأحكام الواقعية لقيام الإجماع على تعدد الأحكام الظاهرية وعلى أن المجتهد متعبد بظنه و تكليفه العمل بما أدى إليه ظنه الحاصل من الأمارات الشرعية كظواهر الكتاب والسنة وأخبار الآحاد وغيرها .

فإن قلت : إذا كان تكليف المجتهد التعبد بظنه و العمل بمؤدبات الظنون و اختلفت الأحكام باختلافها فلا فرق حينئذ بين المصوبة و المخطئة إذ مآل القولين كليهما إلى تعدد الأحكام بتعدد الظنون فيكون الحكم الشرعي تبعاً للظن . قلت : الفرق بينهما واضح ، ضرورة أن القائلين بالتصويب يقولون بتبعية الأحكام الواقعية لعلم المجتهد أو ظنه وأن العلم أو الظن يوجب جعل الحكم في حقه في الواقع ، فما لم يحصل له علم أو ظن لا يكون في حقه حكم واقعاً و أما القائلون بالمخطئة فيقولون : إن الله سبحانه حكيم واقعي وهو الذي كلّفنا به أو لا لولا جهل المكلف المانع من تعلق التكليف به ، و حكم ظاهري وهو الذي يجب علينا البناء عليه و التعبد به في ظاهر الشرع بمقتضى الأمارات الشرعية ، سواء علمنا مطابقتها للأول ، أو ظننا ، أو شككنا ، أو ظننا مخالفتها ، أو علمنا بالمخالفة كما هو في بعض الفروض .

وبعبارة أخرى مقتضى القول بالتصويب هو كون الحكم من أصله تابعاً للأمارة بحيث لا يكون في حق الجاهل مع قطع النظر عن وجود الأمارة وعدمها حكم ، فيكون الأحكام مختصة في الواقع بالمعلمين بها ، و الجاهل مع قطع النظر عن قيام أمارة عنده على حكم العالمين لا حكم له أو محكوم بما يعلم الله أن الأمارة تؤدى إليه .

ومقتضى القول بالتخطئة هو أن في الواقع حكماً مشتركين الكل ، وعليه فإن حصل للمكلف علم به أو ظن مطابق له فهو ، وإلا فتكليفه العمل بما أدى إليه ظنه في ظاهر الشرع ويكون ذلك واقعياً ثانوياً في حقه

فإن قلت : إذا كان تكليفه عند عدم حصول العلم بالواقع هو العمل بالظن فلا

تفاوت بين أن نقول: إن هناك حكماً واقعياً وراه المظنون كما يقوله المخطئة،
وبين أن نقول: بأن لا حكم هنا وراه المظنون، ومحصله عدم نمرّة عملية بين القولين وعدم
فايدة ترتّب على الخلاف في مقام العمل

قلنا: الثمرة إنّما تظهر إذا انكشف له الحال بعد العمل بالظن* بأن حصل له
العلم بالواقع وكان ظنه الذي عمل به مخالفاً للواقع فيلزمه الاتيان به ثانياً على القول
بالتخطئة لأنّ مطلوب الشارع في المقام حقيقة هو الواقع و إنّما تعلق التكليف
بالظاهر نظراً إلى اشتباه المكلف وعجزه عن الوصول إلى الواقع

و تحقيق ذلك أنّ مؤدّيات الطرق الشرعية على القول بالتصويب مجعولات
في الواقع ليس للمكلف في الواقع تكليف ورايها، فحالتها مثل حال الأوامر الواقعية
الاختيارية لا إشكال في إجزائها بل لا يتصور انكشاف الخلاف فيها أصلاً، وأمّا على
القول بالتخطئة فإنّما يترتب عليها الآثار الشرعية مع عدم حصول العلم بخلافها،
ومع قصور المكلف عن الوصول إلى الواقع وأمّا بعد انكشاف الخلاف وحصول علمه
بالواقع فيكون مكلفاً به ويرجع الأمر إلى التكليف الأوّل، فإن كان الوقت باقياً
وجب الاعادة بمقتضى الأصل لبقائه التكليف ووجوب الامتثال، وإن كان فايثا وجب
القضاء لودل دليل على وجوب القضاء لصدق الفوات

ثم إنّ هذا كله مبنى على ما ذهب إليه غير واحد من متأخري أصحابنا من
جعلهم مسألة الاجزاء من متفرّعات مسألة التخطئة والتصويب وبنوا الاجزاء على
التصويب ودعمه على التخطئة إلا أنّ الشأن عدم تمامية التفرّيع في الطرفين لعدم الملازمة
بين التخطئة وعدم الاجزاء بل مع القول بهامجال للاجزاء ودعمه، و تفصيل الكلام
في ذلك موكول إلى الأصول فليرجع إليه

وإذا تمهد لك هذه المقدمة فلنرجع إلى شرح كلامه عليه السلام فنقول: إنّه صدر
كلامه ببيان حال العلماء السوّء العاملين بالأراء تعريضاً عليهم ببطلان عملهم بالرأى
و تويخاً لهم على ذلك ثمّ أردفه بالاشارة على بنائهم عليه من القول بالتصويب في

الأحكام المختلفة المنشعبة عن الآراء المتشعبة، ونبه على بطلان ذلك البناء وفساد هذا القول بالوجوه الآتية فقال :

(ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام) الشرعية (فيحكم فيها برأيه)
 أى بظنونه المأخوذة لا من الأدلة الشرعية والمآخذ المنتهية إلى الشارع بل من
 الاستحسانات العقلية والقياسات الفقهية (ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره) أى
 على غير القاضي الأول (فيحكم فيها بخلاف قوله) أى قول الأول استناداً إلى رأيه
 الفاسد و نظره الكاسد أيضاً ، كما كان استناد الأول في حكمه إليه

(ثم يجتمع القضاة بذلك) الحكم المختلف (عند الامام) الضيال و رئيسهم
 المضل (الذى استقضاهم) وصيرهم قاضياً (فيصوب آرائهم جميعاً) ويحكم بكون الأحكام
 المختلفة الصادرة عنهم في قضية شخصية كأنها صواباً مطابقاً للواقع (و) هو باطل
 بالضرورة ، لأن (اللهم واحد و نبيهم واحد و كتابهم واحد) وليس لكل منهم آله
 يحكم بحكم مخالف لحكم آله الآخر ويرسل على ذلك رسولاً و ينزل على ذلك كتاباً
 حتى يسند كل منهم حكمه المخالف لحكم الآخر إلى آله ، وإذا ثبت وحدة الاله
 سبحانه فلا بد أن يكون الحكم الواقعي واحداً إذ الوجوه المتصورة لاستناد تعدد
 الاحكام واختلافها حينئذ (١) إليها أمور كلها باطلة بحكم العقل والنقل كما أشار
 إليها بقوله : (أفامرهم الله بالاختلاف فأطاعوه ، أم نهاهم عنه فعصوه) مفاد همزة
 الاستفهام المفيدة للانكار على سبيل الابطال مع أم المتقطعة المفيدة للاضراب
 مفادها في قوله تعالى :

« قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ »

فيدل الكلام على ذلك ، على أن اختلافهم ليس مأموراً به بل منهى عنه فيكونون
 عاصين فيه ، أما أنه ليس مأموراً به فلمدم ورود أمر بذلك في الكتاب و السنة ،
 و أما أنه منهى عنه فلدلالة العقل و النقل على ذلك ، أما العقل فلتبحيح العقلاء

من يتكلف من قبل مولاه بما لا يعلم بوروده عن المولى فضلاً عما علم بعدم وروده و أما النقل فمن الكتاب الآية السابقة حيث دلت على أن ما ليس باذن من الله فهو افتراء له ومن المعلوم أن الافتراء حرام ومنهيه عنه وقوله :

« وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » وقوله :

« وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » وقوله : « وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »

فإن الحكم بالرأى الذي هو منشأ للاختلاف حكم بغير ما نزل من الله سبحانه إذ العمل بالرأى والقياس إنما هو فيما لم يتبين حكمه في الكتاب والسنة كما هو ظاهر ومن السنة ما رواه محمد بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : القضاة أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة : رجل قضى بالجور وهو يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالجور وهو لا يعلم فهو في النار ، ورجل قضى بالحق وهو يعلم فهو في الجنة .

ووجه الدلالة غير خفي حيث إن المستفاد منه أن القضاة بما لا يعلم سواء كان حقاً أو جوراً موجب لدخول النار فيكون محرماً منهيّاً عنه ، ومن المعلوم أن القضاة بالأراء المختلفة قضاء بما لا يعلم فيكون منهيّاً عنه وستعرف توضيح ذلك بما لا مزيد عليه في التنبيه الآتي ، وكيف كان فقد تحصل مما ذكرناه أن الاختلاف ليس مأموراً به بل منهي عنه هذا

ولمآنبه عليه السلام على بطلان كون الاختلاف بأمر منه سبحانه أرفه بساير الوجوه التي يحتمل كونه بسببها مباح ضروري البطلان ، وهي بحسب الاستقرار منحصرة في ثلاثة إذاختلفهم في دينه وشرعه وحاجتهم إلى ذلك إما أن يكون مع نقصانه أو مع تمامه وتقصير الرسول في أدائه ، وعلى الوجه الأول فذلك الاختلاف إنما يكون

على أحد وجهين ، أحدهما أن يكون اتماماً لذلك النقصان أو على وجه أعم من ذلك و هو كونهم شركاءه في الدين و قد أشار (عليه السلام) إلى الوجه الأول بقوله : (أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه) و إلى الثاني بقوله : (أم كانوا شركاء له فلمهم أن يقولوا و عليه أن يرضى) و إلى الثالث بقوله : (أم أنزل الله ديناً تاماً فقصر الرسول عن تبليغه و أدائه)

ثم استدلل على بطلان الوجوه الثلاثة بقوله : (والله سبحانه يقول) في سورة الانعام (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (وقال) (فيه تبيان كل شيء) و هذا مضمون آية في سورة النحل و هو قوله تعالى :

« وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ »

ومثلها قوله سبحانه في سورة الانعام :

« وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ »

فان دلالة هذه الآيات على بطلان الوجهين الأولين واضحة ، ضرورة ان الكتاب الحكيم إذالم يترك فيه شيء ولم يفرط فيه من شيء بل كان فيه بيان كل شيء و كل رطب و يابس فلا بد أن يكون الدين بتمامه منزلاً فيه و حينئذ فلا يكون فيه نقصان حتى يستعان بهم على إتمامه أو يأخذهم شركاء له في أحكامه ، فالقول بكون الدين ناقصاً باطل بنص القرآن و حسبان الاستعانة و الافتقار بهم على الاتمام أو كونهم مشاركين له في الاحكام كفر و زندقة بالبديهة والعيان و أمّا دلالتها على بطلان الوجه الثالث فهي أيضاً ظاهرة بعد ثبوت عصمة النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) و عدم إمكان تصوير التقصير منه (صلى الله عليه و آله و سلم) في التبليغ و قد قال تعالى :

« قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ

لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُكُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ »

روى الصدوق في العيون عن الرضا عليه السلام أنه سئل يوماً وقد اجتمع عنده قوم من أصحابه وقد كانوا يتنازعون في الحديتين المختلفين عن رسول الله عليه السلام في الشيء الواحد فقال عليه السلام: إن الله عز وجل حرم حراماً وأحل حلالاً وفرض فريضاً فما جاء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله أو رفع فريضة في كتاب الله رسماً قائم بلا نسخ نسخ ذلك فذلك شيء لا يسع الأخذ به، لأن رسول الله عليه السلام لم يكن ليحرم ما أحل الله ولا ليحل ما حرم الله ولا ليغير فرائض الله وأحكامه وكان في ذلك كله متبعمسلاً مؤيداً عن الله عز وجل وذلك قول الله عز وجل: **إِنْ أَتَبَعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ فَكَانَ مَتَّبِعاً مُّؤَيِّدًا** عن الله ما أمره من تبليغ الرسالة

ثم إنه بعد ما تحصل من كلامه بطلان كون الاختلاف جائزاً وما ذونا فيه وبأمر من الله سبحانه، أكد ذلك بالتصريح على دليل ذلك بقوله: (وذكر أن الكتاب يصدق بمضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه) في سورة النساء أفلا يتدبرون القرآن (ولو كان من عند غير الله) أي من كلام غيره سبحانه (لوجدوا فيه اختلافات كثيراً) وتقريب الاستدلال بها أن القرآن مدرك الدين ومشمتم على الأحكام الشرعية وقد أخبر الله سبحانه بأنه لا يوجد فيه اختلاف، لكونه من عنده فلا يوجد فيه أحكام مختلفة من حيث إن نفي العام مستلزم لنفي الخاص فاذن لا يكون الاختلاف في الأحكام من عنده سبحانه وما ذونا فيه وهو واضح

قال الطبرسي في مجمع البيان وهذه الآية تصممت الدلالة على أن التناقض من الكلام لا يكون من فعل الله، لأنه لو كان من فعله لكان من عنده لا من غيره والاختلاف في الكلام يكون على ثلاثة أضرب: اختلاف تناقض، واختلاف تفاوت واختلاف تلاوة، واختلاف التفاوت يكون في الحسن والقبح والخطأ والصواب وما تدعو إليه الحكمة وتصرف عنه، وهذا الجنس من الاختلاف لا يوجد في القرآن كما لا يوجد اختلاف التناقض، وأما اختلاف التلاوة فهو كاختلاف وجوه القرآن واختلاف مقادير الآيات والسور واختلاف الأحكام في النسخ والمنسوخ فذلك موجود في القرآن وكله حق و صواب .

ثم إنّه عليه السلام أورد كلامه بالتنبيه على أنّ الكتاب العزيز وافٍ بجميع المطالب إذا تدبروا معناه ولاحظوا أسرارَه فقال: (وإن القرآن ظاهره أنيق) أى حسن معجب بانواع البيان وأصنافه وغرابة الأسلوب وحسنه وإيتلاف النظم وانساقه (وباطنه عميق) لاشتماله على أنواع الحكم من أمر بحسن ونهي عن قبيح وخبر عن مخبر صدق ودعاء إلى مكارم الأخلاق وحثّ على الخير والزهد و اشتماله على تبيان كل شيء و على ما كان وما يكون وما هو كائن

كما قال الصادق عليه السلام في رواية العياشي : نحن نعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما بين ذلك ، ثم قال : إنّ ذلك في كتاب الله ثم تلا قوله تعالى :

« وَزَرْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ »

وفي الكافي عنه عليه السلام إنّي لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون ثم سكت هنيئاً فرأى أنّ ذلك كبير على من سمعه منه فقال : علمت ذلك من كتاب الله عز وجل إنّ الله يقول : فيه تبيان كل شيء (ولا تفنى عجائبه) أى الأمور المعجبة منه (ولا تنقضي غرائبه) أى النكت الغريبة فيه (ولا تكشف الظلمات) أى ظلمات الشبهات (إلاّ به) أى بسواطع أنواره ولوامع أسرارَه

تنبيه

قد تحصل ممّا ذكرنا كلّهُ أنّ مقصود الامام عليه السلام بهذا الكلام من أوله إلى آخره هو المنع عن العمل بالرأى وإبطال الاختلاف في الأحكام المنشعب عن الآراء المختلفة وإفساد القول بالتصويب فيها ، وهذا كلّهُ موافق لأصول الامامية رضوان الله عليهم ومطابق لأخبارهم المتواترة المأثورة عن العترة الطاهرة ، ولأبأس بالإشارة الى بعض تلك الاخبار تثبيتاً للمرام وتوضيحاً للكلام الامام عليه السلام

فمنها ما رواه ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني قدس الله روحه في الكافي عن

محمد بن أبي عبد الله رفعه عن يونس بن عبد الرحمن قال : قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام (١) فقال : يا يونس لا تكونن مبتدعاً من نظر برأيه هلك ، ومن ترك أهل بيت نبيّه صلّ ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر (٢)

وعن علي بن إبراهيم عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة قال : حدثني جعفر عليه السلام عن أبيه أن علياً عليه السلام قال : من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس ومن دان الله بالرأي لم يزل دهره في ارتماس ، قال : وقال أبو جعفر عليه السلام : من أفتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله ، حيث أحل وحرّم فيما لا يعلم والظاهر أن المراد بالالتباس هو التخليط بين الحق والباطل ، وبالارتماس الانغماس في ظلمات الشبهة والضلالة ، فالالتباس باعتبار استخراج الأحكام بالرأي والقياس ، لأنه يلتبس عليه الأمور ويشته عليه الحق والباطل ، والارتماس باعتبار العمل بتلك الأحكام ، قال المجلسي رحمته الله (قدمه) في قوله فقد ضاد الله : أي جعل نفسه شريكاً لله .

وعن علي بن محمد بن عيسى عن يونس عن قتيبة قال سألت رجل أباع عبد الله عليه السلام عن مسألة فأجابه فيها فقال الرجل أرأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له : مه ما أجبك فيه من شيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسنا من رأيت في شيء قال المجلسي رحمته الله : لما كان مراده أخبرني عن رأيك الذي تختاره بالظن والاجتهاد نهاه عليه السلام عن هذا الشيء من الظن وبين أنهم لا يقولون شيئاً إلاّ بالجزم واليقين وبما وصل إليهم من سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين

ومنهاما في الوسائل عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي في المحاسن عن أبيه عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام في رسالته إلى أصحاب الرأي والقياس : أما بعد فإن

١ - هكذا في النسخة والصحيح الصحيح كما في الكافي وفيه : قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام : بما

أوحدها ؛ قال الخ «الصحيح»

٢ - لا يخفى ان عمدة منظور الامام عليه السلام بهذا الكلام كمنظور الامة سلام الله عليهم بهذه الاخبار هو الرد على الذين استفتوا بملهم بالأراء ، والاقية عنهم عليهم السلام كما هو شعار الامة الميأه زعماً منهم عدم كون جميع الاحكام مودعا و عدم وجوب الرجوع اليهم و يشهد بما ذكرناه ملاحظة الاخبار الواردة في هذا الباب ، منزهة

من دعا غیره إلى دینه بالارتیاء والمقائیس لم ینصف ولم یصب حظّه ، لأن المدعو إلى ذلك أيضاً لا یخلو من الارتیاء والمقائیس ، ومتى لم یکن بالداعی قوّة فی دعائه علی المدعو لم یؤمن علی الداعی أن یحتاج إلى المدعو بعد قلیل ، لأننا قدرنا المتعلّم الطالب ربّما کان فائقاً لمعلّمه ولو بعد حین ، و رأینا المعلّم الداعی ربّما احتاج فی رأیه إلى رأی من یدعو ، و فی ذلك تحیر الجاهلون وشكّ المرتابون وظنّ الظانون و لو کان ذلك عند الله جایزاً لم یبعث الله الرّسل بما فیہ الفصل ولم ینه عن الهزل ولم یعب الجهل ولكنّ الناس ملّاسفوها الحقّ و غمطوا النعمه واستغنوا بجهلهم و تدابیرهم عن علم الله و اکتفوا بذلك عن رسله و القوام بأمره و قالوا لا شیء إلا ما أدركته عقولنا و عرفته ألبابنا فولّاهم الله ما تولّوا و أهملهم و خذلهم حتّی صاروا عبدة أنفسهم من حیث لا یعلمون و لو کان الله رضی منهم اجتهادهم و ارتیائهم فیما ادّعوا من ذلك لم یبعث إلیهم فاصلاً لمامینهم و لازجراً عن وصفهم .

و إنّما استدللنا أن رضاه الله غیر ذلك بیعته الرّسل بالأمر القیمة الصحیحة و التحذیر من الأمور المشکلة المفسدة ثمّ جعلهم أبوابه و صراطه و الأدلّاء علیهم بامور معجوبة عن الرّأی و القیاس فمن طلب ما عند الله بقیاس و رأی لم یزد من الله إلاّ بعداً . ولم یبعث رسولا قط و إن طال عمره قائلاً من الناس خلاف ما جاء به حتّی یكون متبوعاً مرّة و تابعاً أخرى و لم یر أيضاً فیما جاء به استعمل رأياً و لا مقیاساً حتّی یكون ذلك واضحاً عند الله كالوحي من الله و فی ذلك دلیل لكلّ ذی لبّ و حجبی أن أصحاب الرّأی و القیاس منخطئون مدحضون

و الأخبار فی هذا المعنی فوق حدّ الاحصاء و قد عقد فی الوسائل كالکافی باباً لعدم جواز القضاء و الحكم بالرّأی و الاجتهاد و المقائیس و نحوها من الاستنباطات الظنیة فی الأحكام الشرعیة من أراد الاطلاع فلیراجع إلی کتابین ، والله الهادی

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام عالمیان است در مذمت اختلاف علماء در فتواها که استغنا ورزیده اند بجهة عمل بآراء از ائمه هدی سلام الله علیهم : وارد میشود

بریکی از آنها قضیه در حکمی از حکمها پس حکم میکند در آن قضیه برای فاسد و نظر کاسد خودش که مستند است باستحسانات عقلیه و قیاسات ظنیه ، بعد از آن وارد میشود همین قضیه شخصیه بر غیر آن حاکم پس حکم میکند آن حاکم نانی در همان قضیه بخلاف قول حاکم اول ، بعد از آن جمع میشوند قاضیان بآن احکام نزد پیشوای خودشان که آنها را قاضی نموده است ، پس حکم می کند بصواب بودن رأی های همه ایشان و حال آنکه این تصویب فاسد است ، بجهت اینکه خدای ایشان یکی است و پیغمبر ایشان یکی است و کتاب ایشان یکی است

پس آیا امر نموده است خداوند ایشانرا باختلاف ؟ پس اطاعت کرده اند او را یا اینکه نهی فرموده است ایشانرا از آن اختلاف ؟ پس معصیت کرده اند ایشان باو یا آنکه خداوند فرورستاده دین ناقصی پس باری خواسته بایشان در انتمام آن یا اینکه بوده اند ایشان شریکان خداوند رحمن ، پس ایشانراست اینکه بگویند و مر او راست اینکه راضی بشود بگفتار ایشان چنانکه شأن شریکان باهمدیگر این است یا اینکه فرورستاده خداوند دین تمامی پس تقصیر کرده حضرت رسالتآب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ از رسانیدن و ادا نمودن آن برانام

و حال آنکه حقتعالی فرموده در کتاب مجید خود : که ما تقصیر نکرده ایم در کتاب خود از هیچ چیز در هیچ باب و در آن کتاب است بیان هر چیزی ، و ذکر فرموده اینکه بدرستی که قرآن تصدیق کننده است بعضی از آن مریض دیگر را ، و بدرستی که بوجه من الوجوه در آن اختلاف نیست ، پس فرموده است : که اگر بودی این کتاب عزیز از نزد غیر پروردگار هر آینه یافتندی در آن اختلاف بسیار و بدرستی که ظاهر قرآن حسن است و معجب و باطن آن عمیق است و بی پایان ، فانی نمیشود سخنان عجیبه آن و بنهایت نمیرسد نکته های غریبه آن و زایل نمیشود ظلمات شبهات مگر بانوار آیات باهرات آن

و من كلام له عليه السلام وهو التاسع عشر من المختار في باب الخطب الجارى مجراها

قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه عليه السلام
شيء اعترضه الأشعث فقال يا أمير المؤمنين : هذه عليك لا لك ، فخفض عليه السلام إليه
بصره ثم قال عليه السلام له :

وَمَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ وَ مَا لِي ؟ عَلَيْكَ أَعْنَهُ اللَّهُ وَ لَعْنَةُ الْأَعْيُنِ ،
حَائِكُ بْنُ حَائِكٍ ، مُنَافِقُ بْنُ كَافِرٍ ، وَ اللَّهُ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً
وَ الْإِسْلَامُ أُخْرَى ، فَمَا فَدَاكَ مِنْهَا مَالُكَ وَ لَا حَسْبُكَ ، وَ إِنْ أَمْرًا دَلَّ
عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ ، وَ سَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ ، أَحْرَى أَنْ يَبْقُتَهُ الْأَقْرَبُ ،
وَ لَا يَأْمَنَهُ إِلَّا الْبَعْدُ .

أقول : يريد أنه اسر في الكفر مرة وفي الاسلام مرة وأما قوله : دل
على قومه السيف فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه
قومه و مكر بهم حتى أوقع بهم خالد ، و كان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار ،
وهو اسم للغادر عندهم

اللقية

(خفض إليه بصره) طأطأه و (الحائك) بالهمزة الناسج و (الفداء) ما
يفديه الأسيير لفق رقبته و (الحتف) الموت و (العرف) الرمل و المكان المرتفعان
قال الشارح البحراني و أما استعارتهم له عرف النار فلأن العرف عبادة عن
كل عال مرتفع ، والأعراف في القرآن الكريم سور بين الجنة والنار ، ولما كان
من شأن كل عال مرتفع أن يستر ما ورائه وكان الغادر يستر بمكره و حيلته امورا

كثيرة و كان هو قد غرّ قومه بالباطل و غدر بهم ، صدق عليه بوجه الاستعارة لفظ عرف النار لستره عليهم لما ورائه من نار الحرب أو نار الآخرة إذ حملهم على الباطل .

أقول : روى في المعجم التاسع من البحار في الباب المائة والثلاثة عشر المتضمن للأخبار الغيبية لأمر المؤمنين عليهم السلام عن الحسن بن علي عليه السلام في خبر أن الأشعث ابن قيس الكندي بنى في داره ميذنة و كان يرقى إليها إذا سمع الأذان في أوقات الصلاة في مسجد جامع الكوفة فيصبح من أعلى ميذنته : يا رجل إنك لكذاب ساحر ، و كان أبي يسميه عنق النار و في رواية عرف النار ، فسئل عن ذلك فقال إن الأشعث إذا حضرته الوفاة دخل عليه عنق من النار ممدودة من السماء فتحرقه فلا يدفن إلا وهو فحمة سواء ، فلما توفى نظر ساير من حضر إلى النار و قد دخلت عليه كالعنق الممدود حتى أحرقتة وهو يصبح ويدعو بالويل والثبور و الميذنة بالكسر موضع الأذان و المنادة ، و قد ظهر من هذه الرواية سبب تسميته بعرف النار ، وأنه ليس سببها ما توهمه البحراني ره

الاعراب

كلمة ما مرفوع المحل على الابتداء ، و يدريك خبره ، و ما الثانية في موضع رفع على الابتداء ، و يدريك معلق لتضمنه معنى الاستفهام و على خبره و الجملة متعلقة بـ يدريك في موضع المفعول الثاني على حد قوله سبحانه : و ما أدريك ما الحاقصة قال الثوري : يقال : للمعلوم ما أدريك و لما ليس بمعلوم ما يدريك في جميع القرآن و حائك مرفوع على أنه خبر لمبتداه محذوف ، أى أنت حائك ، أو على النداء بحذف حرف النداء ، أو منصوب بتقدير الفعل المحذوف أى أذم حائك بن حائك على حد قوله : و امرأته حمالة الحطب فتأمل

المعنى

اعلم أن هذا الكلام (قاله عليه السلام للأشعث بن قيس) الأشعث لأنه شج لأنه شج في بعض حروره و هو من بني كندة و اسمه معدي كرب و كان أشعث الرأس أبداً فغلب الأشعث عليه حتى

نسي اسمه و كيف كان فقد قاله (و هو على منبر الكوفة يخطب) خطبة يذكر فيها أمر الحكمين وذلك بعد ما انقضى أمر الخوارج (فمضى في بعض كلامه شيء) وهو أنه قام إليه رجل من أصحابه وقال له : نهيئنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندري أي الأمرين أرشد ؟ فصق عليه السلام باحدى يديه على الأخرى و قال : هذا جزاء من ترك العقدة أي جزای حيث وافقتكم على ما الزتموني به من أمر التحكيم و ترك الحزم فلما قال ذلك (اعترضه الأشعث) لشبهة وجدها في نفسه من تركه عليه السلام وجه المصلحة و اتباع الآراء الباطلة و أراد إفحامه (فقال يا أمير المؤمنين هذه عليك لالك) و جهل أو تجاهل أن وجه المصلحة قد يترك محافظة على أمر أعظم منه و مصلحته أهم فانه لم يترك العقدة إلا خوفاً من أصحابه أن يقتلوه كما ستطلع عليه في قصتهم هذا و قال الشارح المعتزلي : إن الشيء الذي اعترضه الأشعث في كلامه هو أنه كان مقصوده بقوله : هذا جزاء من ترك العقدة هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي و الحزم و أصررتم على إجابة القوم إلى التحكيم ، فظن الأشعث أنه أراد هذا جزای حيث تركت الرأي و الحزم و حكمت لأن هذه اللفظة محتملة ألا ترى أن الرئيس إذا شغب عليه جنده و طلبوا منه اعتماد أمر ليس بصواب فوافقهم تسكيناً لشغبهم لا استصلاحاً لرأيهم ثم ندموا بعد ذلك ، قد يقول هذا (١) جزاء من ترك الرأي و خالف وجه الحزم ؛ و يعني بذلك أصحابه و قد يقوله يعني به نفسه حيث وافقهم أمير المؤمنين عليه السلام إنما عنى ما ذكرناه دون ما خطر للأشعث

(ف) لما قال له هذه عليك لالك (خفض عليه السلام إليه بصره) و طأطأه (ثم قال له : و ما يدريك ما علي ممالي) إشارة إلى جهله و عدم جواز الاعتراض من مثله عليه سلام الله عليه ، ثم اتبعه بالطرد و الابعاد عن رحمة الله سبحانه و قال (عليك لعنة الله و لعنة اللاعنين) و استحقاقه بذلك من حيث كونه من المنافقين في خلافته عليه السلام و هو في أصحابه كعبد الله بن أبي سلول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه كما يدل عليه اعتراضه عليه عليه السلام و يشهد به شهادته عليه السلام بأنه منافق

ابن كافر، ولا شك أن المنافق مستحق للكمن والطرده لقوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَأْخُذُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ »

وبدل على كفره و نفاقه صريحاً مارواه الشارح المعتزلي عن أبي الفرج الاصبهاني في شرح كلام الخامس والستين في ذكر كيفية شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : قال أبو الفرج : وقد كان ابن ملجم لعنه الله أتى الأشعث بن قيس في هذه الليلة فخلا به في بعض نواحي المسجد و مر بهما حجر بن عدي فسمع الأشعث وهو يقول : ابن ملجم النجاة النجاة بحاجتك فقد فضحك الصبح ، قال له حجر : قتلته يا أعور ، و خرج مبادراً إلى علي عليه السلام وقد سبقه ابن ملجم و ضربه ، وأقبل حجروالناس يقولون : قتل أمير المؤمنين عليه السلام .

قال أبو الفرج : و للأشعث بن قيس في انحرافه عن أمير المؤمنين عليه السلام أخبار يطول شرحها .

منها أنه جاء الأشعث إلى علي عليه السلام يستأذن عليه فردّه قنبر فأدمى الأشعث أنفه فخرج علي عليه السلام و هو يقول : مالي ولك يا أشعث أما والله لولعبت ثقيف تمرست لا قشعرت شعيراتك ، قيل يا أمير المؤمنين من عبد ثقيف ؟ قال غلام لهم لا يبقى أهل من العرب إلا أدخلهم ذلاً ، قيل يا أمير المؤمنين كم يلي أو كم يمكث ؟ قال : عشرين إن بلغها .

و قال أبو الفرج : إن الأشعث دخل علي عليه السلام فكلّمه فأغلظ علي عليه السلام له فعرض له الأشعث ان سبقتك به فقال له علي عليه السلام : أبا الموت تخوفني أو تهددني ؟ فوالله ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت عليّ

أقول : وأشار بعبد ثقيف إلى حجاج بن يوسف الثقفي والمستفاد من رواية أبي مخنف المرورية في البحار أن حضور الأشعث تلك الليلة في المسجد إنما كان

لمعونة ابن ملجم لعنه الله على قتله ﷺ، وفي الكافي عن أبي عبد الله ﷺ قال: إن الأشعث بن قيس شرك في دم أمير المؤمنين، وابنته جعدة سميت الحسن، وابنه محمد شرك في دم الحسين عليهم السلام

ثم عيّره ﷺ بأنّه (حائك بن حائك) والمراد بهما إمّا معناهما الحقيقي لما روى أنّه كان هو وأبوه ينسجان برود اليمن وليس هذا ممّا يخصّ بالأشعث بل أهل اليمن كلهم يعيرون بذلك كما قال خالد بن صفوان: ما أقول في قوم ليس فيهم إلا حائك برد، أودابغ جلد، أوسايس قرد، ملكتم امرأة، وأغرقتهم فارة، ودل عليهم هدهد

وإمّا معناهما المجازي، وهو حائك الكذب على الله ورسوله ووليّه كما هو شأن المنافق والكافر

ومن ذلك مارواه في الوسائل مرفوعاً إلى أبي عبد الله ﷺ قال ذكر الحائك عند أبي عبد الله ﷺ أنّه ملعون، فقال: إنّما ذلك الذي يحوك الكذب على الله ورسوله وعلى هذا المعنى فإدراك اللعن به يكون إشارة إلى علّة الاستحقاق له هذا والأظهر أنّه وارد على سبيل الاستعارة إشارة إلى نقصان عقله وقلة تدبيره واستعداده، كما أنّ الحائك ناقص العقل، إمّا من حيث كون معاملته ومعاشرته غالباً مع النساء والصبيان كالمعلمين، ولا شك أنّ المخالطة مؤثرة ولذلك قال الصادق ﷺ لا تستشيروا المعلمين ولا الحوكة فإن الله قد سلبهم عقولهم مبالغة في قصور عقلمهم

وفي حديث آخر عنه ﷺ أنّه قال: عقل أربعين معلماً عقل حائك، وعقل أربعين حائكاً عقل امرأة، والمرأة لا عقل لها

وإمّا من حيث إنّ ذهنه عامّة وقته مصروف إلى جهة صنعته مصبوب الفكر إلى أوضاع الخيوط المتفرقة وترتيبها ونظامها محتاجاً إلى حركة يديه ورجليه كما أنّ الشاهد له يعلم من حاله أنّه مشغول الفكر عمّا وراء ما هو فيه غافل عمّا عداه ويمكن أن يكون المقصود بالاستعارة الإشارة إلى دنائة النفس ورزالة الطبع

والبعد عن مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب والتخلّق بالأوصاف الذميمة والأخلاق
الذميمة ، لاتصاف الحائك بذلك كله ، ولذلك ورد في بعض الأخبار النهي عن
الصلاة خلفه ، بل ورد أن ولده لا ينبغي أن ينجب إلى سبعة أبطن نحو ما ورد في ولد الزنا
وروى القمي في تفسير قوله سبحانه:

« وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ »

إنه كان ذلك اليوم يوم سوق فاستقبلها الحائكة وكانت الحياكة أنبل صناعة في ذلك
الزمان ، فأقبلوا على بغال شهب فقالت لهم مريم : أين النخلة اليابسة ؟ فاستهزؤا بها
وزجروها ، فقالت لهم : جعل الله كسبكم بوراً وجعلكم في الناس عاراً ، ثم استقبلها
جمع من التجار فدلّوها على النخلة اليابسة فقالت لهم : جعل الله البركة في كسبكم
وأحوج الناس إليكم الحديث

وروى المحدث الجزائريه في كتاب زهر الربيع عن شيخنا بهاء الملة والدين
أنه دخل رجل إلى مسجد الكوفة وكان ابن عباس مع أمير المؤمنين عليه السلام يتذاكران
العلم ، فدخل الرجل ولم يسلم وكان أصلح (١) الرأس من أوحش ما خلق الله تعالى
وخرج أيضاً ولم يسلم

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا ابن عباس اتبع هذا الرجل واسأله ما حاجته ومن
أين وإلى أين فأتى وسأله فقال : أنا من خراسان وأبي من القيروان وأمي من اصفهان
قال : وإلى أين تطلب ؟ قال : البصرة في طلب العلم ، قال ابن عباس : فضحكت من
كلامه فقلت له : يا هذا تترك علياً جالساً في المسجد وتذهب إلى البصرة في طلب العلم
والنبي صلى الله عليه وآله قال : أنا مدينة العلم و علي بابها فمن أراد العلم فليأت المدينة من
بابها ، فسمعني علي عليه السلام وأنا أقول له ذلك ، فقال : يا ابن عباس أسأله ما تكون
صنعتة ، فسألته فقال : إنني رجل حائك ، فقال عليه السلام : صدق والله حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله
حيث قال : يا علي إياك والحائك ، فإن الله نزع البركة من أرزاقهم في الدنيا

وهم الأردلون

ثم قال ﷺ: يا ابن عباس أتدري ما فعل الحياك في الأنبياء والأوصياء من عهد آدم إلى يومنا هذا: فقال: الله ورسوله وابن عم رسول الله أعلم، فقال ﷺ: معاشر الناس من أراد أن يسمع حديث الحائك فعليه بمعاشرة الديلم، ألا ومن مشى مع الحائك قتر عليه رزقه، ومن أصبح به جفى، فقلت: يا أمير المؤمنين ولم ذلك؟

قال ﷺ: لأنهم سرقوا ذخيرة نوح، وقدر شعيب، ونعلي شيث، وجبة آدم، وقميص حواء، ودرع داود، وقميص هود، ورداء صالح، وشملة إبراهيم، ونخوت اسحاق، وقدر يعقوب، ومنطقة يوشع، وسروال زليخا، وازار أيوب، وحديد داود، وخاتم سليمان، وعمامة إسماعيل، وغزل سارة، ومغزل هاجر، وفصيل ناقه صالح، واطفاء سراج لوط، والقوا الرمل في ديق شعيب، وسرقوا حمار العزير وعلقوه في السقف وحلفوا بالله لا في الأرض ولا في السماء، وسرقوا مردد مردد الخضر، ومصلى زكريا، وقلنسوة يحيى، وفوطة يونس، وشاة إسماعيل؛ وسيف ذي القرنين ومنطقة أحمد، وعصا موسى، وبرد هارون، وقصعة لقمان، وداو المسيح، واسترشدتهم مريم فدلوها على غير الطريق، وسرقوا ركاب النبي، وحطام الناقة ولجام فرسي، وقرط خديجة، وقرطي فاطمة، ونعل الحسن، ومنديل الحسين، وقمط إبراهيم، وخمار فاطمة، وسراويل أبي طالب، وقميص العباس، وحصير حمزة، ومصحف ذي النون، ومقراض إدريس، وبصقوا في الكعبة، وبالوا في زمزم، وطرخوا الشوك والعتار في طريق المسلمين

وهم شعبة البلاء، وسلاح الفتنة، ونساج الغيبة، وأنصار الخوارج، والله تعالى نزع البركة من بين أيديهم بسوء أعمالهم، وهم الذين ذكرهم في محكم كتابه العزيز بقوله « وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ »

وهم الحاكمة والحجّام فلا تخالطوهم ولا تشاركوهم، فقد نهى الله عنهم ويناسب هذه الرواية الشعر المنسوب إليه ﷺ وإن لم أجد في الديوان

المعروف نسبته إليه وهو :

لعن الحائك في عشر خصال فعلوها
 و برجلين تطق طق و برأس حركوها
 سرقوا قدر شعيب و حريص أكلوها
 و مناديل رسول سرقوها حرقوها
 و بالجملة فقد تحصل مما ذكرناه أن تعريضه عليه السلام على الأشعث الملعون
 بأنه حائك بن حائك ذلالة على كمال القدح و الطعن و أكدّه بقوله (منافق بن كافر)
 بحذف حرف العطف إشارة إلى كمال الاتصال المعنوي ثم أتبعه بقوله : (والله لقد
 أسرك الكفر مرة و الإسلام أخرى) تأكيداً لنقصان عقله و إشارة إلى أنه لو كان له
 عقل لما حصل له في الأسر مرتين .

أمّا اسره الواقع في الكفر فهو على ما رواه الشاذح المعتزلي عن ابن الكلبي
 أنه لما قتلت مراد أباه قيساً الأشجّ خرج الأشعث طالباً بشاره ، فخرجت كندة
 متساندين على ثلاثة ألوية ، على أحد الألوية كبش بن هاني بن شرجيل ، و على
 أحدها القشعم ، و على أحدها الأشعث فأخطأوا مراداً و لم يقعوا عليهم و وقعوا على
 بني الحارث بن كعب ، فقتل كبش و القشعم و اسر الأشعث ففدى بثلاثة آلاف بعير لم
 يفد بها عربيّ قبله و لابعده ، فقال في ذلك عمرو بن معديكرب الزبيدي فكان فداؤه
 ألفي بعير و ألف من طريفات و تله

و أمّا اسره الواقع في الإسلام فهو أن رسول الله ﷺ لما قدمت كندة حجاجاً
 عرض نفسه عليهم كما كان يعرض نفسه على احياء العرب ، فدفعه بنو وليعة من بني
 عمرو بن معاوية و لم يقبلوه فلما هاجر ﷺ و تمهدت دعوته و جاتته وفود العرب
 جاتته و تد كندة و فيهم الأشعث و بنو وليعة ، فأسلموا فأطعم رسول الله ﷺ بني وليعة
 من صدقات حضرموت ، و كان قد استعمل على حضرموت زياد بن ليلى البياضي الانصاري
 فدفعها زياد إليهم فأبوا أخذها و قالوا : لا ظهر لنا فابعث بها إلى بلادنا على ظهر

من عندك ، فأبي زياد وحدث بينهم و بين زياد شرّاً ديكون حرباً ، فرجع منهم قوم إلى رسول الله ﷺ وكتب زياد إليه وَاللَّيْلَةَ يشكوهم

قال الشّارح المعزلي وفي هذه الواقعة كان الخبير المشهور عن رسول الله ﷺ قال لبني وليعة : لنتنهن يابني وليعة أولاً بعثن إليكم رجلا عديل نفسي يقتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم ، قال عمر بن الخطاب : فما تمنيت الامارة إلا يومئذ وجعلت أنصب له صدري رجاء أن يقول : هو هذا ، فأخذ بيد علي وقال : هو هذا

ثم كتب لهم رسول الله ﷺ إلى زياد فوصلوا إليه الكتاب و قد توفى رسول الله ﷺ ، وطار الخبير بموته إلى قبائل العرب فارتدت بنو وليعة وغنت بغاياهم وخصبن له أيديهن ، فأمر أبو بكر زياداً على حضرموت وأمره بأخذ البيعة على أهلها واستيفاء صدقاتهم فبايعوه إلا بني وليعة

فلما خرج ليقبض الصدقات من بني عمرو بن معاوية أخذ ناقة لغلام منهم يعرف بشيطان بن حجر وكانت صفيّة نفيسة اسمها شذرة ، فمنعه الغلام عنها ، وقال خذ غيرها فأبي زياد ذلك ولجّ فاستغاث الشيطان بأخيه الغداه بن حجر ، فقال لزياد دعها وخذ غيرها ، فأبي زياد ذلك ولجّ الغلامان في أخذها ولجّ زياد فهتف الغلامان مسروق بن معدى كرب ، فقال مسروق لزياد : أطلقها ، فأبي ثم قام فأطلقها فاجتمع إلى زياد بن لبيد أصحابه واجتمع بنو وليعة وأظهروا أمرهم فتبينهم زياد وهم غادون فقتل منهم جمعاً كثيراً ونهب وسبى ولحق فلهم ود بالاشعث بن قيس اللعين فاستنصروه فقال لا أنصركم حتى تملكوني عليكم ، فملكوه وتوجوه كما يتوج الملك من قحطان فخرج إلى زياد في جمع كثير

و كتب أبو بكر إلى مهاجر بن أبي أمية و هو على صنعاء أن يسير بمن معه إلى زياد ، فاستخلف على صنعاء و سار إلى زياد ، فلقوا الأشعث فهزموه و قتل مسروق ولجأ الأشعث والباقون إلى الحصن المعروف بالبخير ، فحاصره المسلمون حصاراً شديداً حتى ضعفوا ، ونزل الأشعث ليلاً إلى مهاجر وزياد فسألها الأمان على نفسه حتى يقدمها به على أبي بكر فيرى فيه رأيه على أن يفتح لهم الحصن ويسلم إليهم من فيه

وقيل بل كان في الأمان عشرة من أهل الأشعث فأمناه وأمضيا شرطه ،
 ففتح لهم الحصن فدخلوه و استنزلوا كل من فيه وأخذوا أسلحتهم وقالوا للأشعث :
 اعزل العشرة ، فعزلهم فتركوهم وقتلوا الباقيين وكانوا ثمانمائة ، وقطعوا أيدي النساء
 اللواتي شمتن رسول الله ﷺ فأسروا الأشعث وحملوه إلى أبي بكر موثقا في الحديد
 هو و العشرة .

وقيل : إنه لما حاصره المسلمون وقومه بعث إلى زياد يطلب منه الأمان لأهله
 ولبعض قومه ، و كان من غفلته أنه لم يطلب لنفسه بالتعيين فلما نزل أسره زياد
 وبعث به إلى أبي بكر فسأل أبا بكر أن يستبقه لحره فمعا عنه وزوجه اخته أم فروة
 بنت أبي قحافة

وكان من جهالته أنه بعد خروجه من مجلس عقد أم فروة أصلت سيفه في أزقة
 المدينة وعقر كل بعير رآه وذبح كل شاة استقبلها للناس و التجأ إلى دار من دور
 الأنصار ، فصاح به الناس من كل جانب وقالوا : قد ارتد الأشعث مرة ثانية فأشرف
 عليهم من السطح وقال يا أهل المدينة إنني غريب ببلدكم قد أولمت بمانحرت
 وذبحت فليأكل كل إنسان منكم ما وجد وليغد إلى من كان له على حق حتى
 ارضيه فدفعت أثمانها إلى أربابها فضرب أهل المدينة به المثل وقالوا أولم من الأشعث
 وفيه قال الشاعر:

لقد أو لم الكندي يوم ملاكه وليمة حمال لتقل العظام

فإن قلت : المستفاد مما ذكرته أخيراً أضافاً إلى ما ذكرته سابقاً من أنه فدى عند
 أسره في الكفر بثلاثة آلاف بعير أنه كان ذاهل وثرورة فكيف يجتمع ذلك مع قوله
 ﴿فأفادك من واحدة منهما مالك ولا حسبك﴾ ؟

قلت : لم يرد ﴿فأفادك﴾ به الفداء الحقيقي وإنما أراد به ما دفع عنك الأسر مالك
 ولا حسبك وما نجاك من الوقوع فيه شيء منهما

ثم أورد عبيد الله ذلك كله بالإشارة إلى صفة رذيلة أخرى له أعنى صفة الغدر
 الذي هو مقابل فضيلة الوفاء وقال : (وإن أمره دل على قومه السيف وقاد إليهم المحتف

لحريّ بأن يمقته الأقرب و) حقيق بأن (لا يأمنه إلا بعد) والمراد به الإشارة إلى ما سبق ذكره منّا أنه طلب الأمان لنفسه أوله مع عشرة من قومه ففتح لزياد ومهاجر باب الحصن و عزل العشرة و أسلم الباقين للقتل فقتلوا صبراً ، ولا شك أن من كان كذلك لجدير أن يمقته قومه ولا يأمنه غيرهم ،

و أمّا ما قاله السيد رضي الله عنه من أنه أراد به حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة إلى آخر ما مرّ ذكره ، فأنكره الشارحان إلا أن البحراني قال : وحسن الظنّ بالسيد يقتضي تصحيح نقل السيد

الترجمة

از جمله کلام آن عالی مقام است که گفته است آنرا باشعث بن قیس علیه اللعنة والعذاب درحالتی که بر بالای منبر کوفه خطبه می فرمود پس گذشت در اثنای کلام آن حضرت چیزی که اشعث بآن اعتراض نمود پس گفت ای امیر مؤمنان این کلمه که فرمودی بر ضررتو است نه بر نفع تو پس فرود آورد بسوی اشعث چشم خود را بعد از آن فرمود :

وچه دانا گردانید تورا بر آنچه بر من مضر است از آنچه بر من نفع دارد بر تو باد لعنت خدا و لعنت جمیع لعن کنندگان ای جولاه پسر جولاه و منافق پسر کافر ، قسم بخدا که اسیر نمودند تو را اهل کفر یکبار و اهل اسلام یکبار دیگر ، پس نجات نداد از افتادن تو در دست هریک از اهل کفر و اسلام مال تو و نه حسب تو ، و بدرستی مردی را که راهنمایی کند بر قوم خود شمشیر برنده را و بکشد بسوی ایشان مرگ و هلاک را هر آینه سزادار است باینکه دشمن دارد او را نزدیکتر او و خاطر جمع نباشد باو دور تر او ، یعنی کسی که متّصف باشد بصفّت غدر لایق است باینکه قوم و بیگانه از او ایمن نشود و باینکه او را دشمن بدارند

و من خطبة له ﷺ وهي العشرون من المختار في باب الخطب

فَأَنْتُمْ تَوَعَّيْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهَّيْتُمْ
وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَلَكِنْ مَخْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا ، وَقَرِيبٌ مَا
يُطْرَحُ الْحِجَابُ ، وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ ، وَأَسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ ،
وَهَدَيْتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ ، بِحَقِّ أَقْوَالٍ لَقَدْ جَاهَرَتْكُمْ الْعِبْرُ ، وَزُجِرْتُمْ بِمَا
فِيهِ مُزْدَجَرٌ ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ .

اللغة

(جزع) الرجل جزعاً من باب تعب ضعف عن حمل ما نزل به فلم يجد به
صبراً و (وهل) كتعب أيضاً فزع و (زجرته) زجراً من باب قتل منعه و ازدجر
يستعمل لازماً و متعدياً و (المزدجر) المتعظ مفتعل من الزجر ، ابدلت التاء والا
ليوافق الزأى بالجهر قال سبحانه : وَأَقْدَمَ جَائِحُهُمْ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ، أى متعظ
وهو بمعنى المصدر أى ازدجار عن الكفر وتكذيب الرسل

الاعراب

قريب مرفوع على الخبرية ، وما مصدرية مرفوع المحل على الابتداء والجملة
بعدها في تأويل المصدر

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة له واردة في إنذار الجاهلين و الغافلين بالأهويل
و الضد ايد الواقعة بعد الموت و حينه فكأنه ﷺ يقول يا أهل الجهالة و العصيان
المتمردين عن طاعة الرحمن ، حتم على الدنيا إقبالكم ، و بشهوتها اشتغالكم ،

وقد وخطبكم القتير (١) ، و وافاكم النذير ، و أتمم عما يراد بكم لاهون ، وبلذة يومكم ساهون .

(فأنكم لو عاينتم) بعين التعيين الخالصة عن الشوائب العارضة عن الفطاه والعواجب (ما قد عاينه من مات منكم) قبلكم من غمرات الموت وسكراته ؛ وأهوال القبر وظلماته ، وعقوبات البرزخ ونقماته ، وعذاب الآخرة وشدايدها (لجزعتم وهلتم) وفزعتم لشدة تلك الأهوال وهول هذه الأحوال (و) (لسمعتم) الواعية (٢) (و أعطتم) الداعية للملازمة اليقينة بين معاينة هذه الأمور بعين اليقين و بين الجزع و الفرع والسمع والطاعة لرب العالمين

كما شهد به الكتاب المكنون : إذا لهجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون (ولكن) نى اعتذر منكم بلسان حالكم بأنه (محبوب عنكم ما قد عاينوه) مستور عنكم ما قد شهدوه ، ولذلك ذهلتهم وغفلتم ورجبتهم في الدنيا وأهتكم لذاتها ، و شغلتكم شهواتها إلا إن هذا العذر غير مقبول ، وذلك الاعتذار غير نافع (و) ذلك لأنه (قريب ما يطرح الحجاب) حين ما حل بك الموت وواراك التراب وشهد عليك الرقيب والعتيد ، فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد

(و) الله (لقد بصرتم) وصيرتكم مبصّرين (إن ابصرتم) و نظرتهم بعيون ناظرة (واسمعتم) وصيرتهم سامعين (إن سمعتم) ووعيتهم بأذن واعية (وهديتكم إن اهتديتكم) بعقول كاملة وقلوب صافية (بحق أقول لقد جاهرتكم العبر) وعالتكم الانباء والأثر بالمصائب النازلة على الأمم الماضية ، والعقوبات الواقعة في القرون الخالية ، وما حل بأهل القبور سطورا بافناء الدور ، الأتروهم كيف تدانوا في خططهم ، وقربوا في مزارهم و بعدوا في لقائهم ، عمروا فخر بوا ، و آنسوا فأوحشوا ، و سكتوا فازعجوا ،

(١) القتير الشيب والوخط بالغا ويقال وخطه القتير أى خالطه الشيب منه

(٢) الواعية وزان كاملة الصراخ والنداء بصوت عال و كذلك الداعية والنبي داعى الله

لأنه يدعوا للناس إلى الحق ، منه

و قطنوا فرحلوا .

فإن في هذه الأمور كلها عبرة لمن اعتبر ، و تذكرة لمن اذكر (و) مع هذه كلها (زجرتم بما فيه مزدجر) من النهي الأكد ، و الوعيد الشديد الوارد في الكتب الآلهية و السنن النبوية (و) بعد ذلك كله لم يبق عنذر لمن اعتذرو (ما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر) و ما فرط و لا قصر ، بل بلغ و ذكر ، و بشر و أنذر حكمة بالغة فما تغني النذر .

ولتتبع هذه الخطبة الشريفة لأمر المؤمنين و سيد الوصيين بندية جليلة لسبطه الأجل زين العابدين و سيد الساجدين سلام الله عليهما من رب العالمين ، لكون تلك الندية مع هذه الخطبة مطابقة المضامين ، مضافا إلى ما فيها من الفوائد الجمّة و المواعظ الحسنة التي يتنبه بها الجاهل عن نوم الغفلة ، و يهتدى بها الضال عن طريق الضلالة .

و هي ما رواها شاکر بن غنیمة بن أبي الفضل عن عبد الجبار الهاشمي قال : سمعت هذه الندية من الشيخ أبي بشر بن أبي طالب الكندي يرويها عن أبي عينة الزهري قال : كان علي بن الحسين عليه السلام يناجي و يقول :

قل لمن قلّ عزاؤه ، و طال بكأؤه ، و دام عناؤه ، و بان صبره ، و تقسم فكره ،
والتبس عليه أمره ، من فقد الأولاد ، و مفارقة الآباء و الاجداد ، و الامتعاض بشماتة
الحساد : ألم تركيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد شعر :

تعرّ فكلّ للمنيّة ذائق
فعمر الفتى للحادثات ذريثة

كذا تتفاني واحداً بعد واحدٍ
و تطرقنا بالحوادث الطوارق

فحسّن الأعمال ، و جمّل الأفعال ، و قصر الآمال الطوال ، فما عن سبيل المنية مذهب ، و لا عن سيف الحمام مهرب ، و لا إلى قصد النجاة مطلب ، فيا أيها الانسان المتسخط على الزمان ، و الدهر الخوان ، مالك و الخلود إلى دار الأحران ، و السكون

إلى دار الهوان ، وقد نطق القرآن بالبيان الواضح في سورة الرحمن : كل من عليها
 فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام شعر :
 وفيه وحتىىم الشكایة والردى جموح لآجال البریة لاحق
 فكل ابن انشى هالك وابن هالك لمن ضمته غربها و المشارق
 فلا بد من إدراك ما هو كائن ولا بد من إتيان ما هو سابق
 فالشباب للهرم ، والصحة للستقم ، والوجود للعدم ، وكل حي لاشك مخترم ، بذلك
 جرى القلم ، على صفحة اللوح في القدم ، فما هذا التلهف والتدم ، وقد خلت من
 قبلكم الامم شعر :

أترجو نجاتاً من حياة سقيمة و سهم المنيا للخليقة راشق
 سرورك موصول بفقدان لذّة ومن دون ماتهواه تأنى العوائق
 وحبك للدينا غرور وباطل و في ضمنها للراغبين البوائق
 أفي الحياة طمع ، أم إلى الخلود نزع ؛ أم لمافات مرتجع ، ورحى المنون دائرة ،
 وفراسها غائرة ، وسطواتها قاهرة ، فقرب الزاد ، ليوم المعاد ، ولا تتوط على غير مهاد
 و تعتمد الصواب ، وحقق الجواب ، فلكل أجل كتاب ، يمهو الله ما يشاء ، ويثبت وعنده
 أم الكتاب شعر :

فسوف تلاقى حاكماً ليس عنده سوى العدل لا يخفى عليه المناق
 يميز أفعال العباد بلطفه و يظهر منه عند ذاك الحقائق
 فمن حسنت أفعاله فهو فايز و من قبحت أفعاله فهو زاهق
 أين السلف الماضون ، والأهلون والأقربون ، والأولون والآخرون ، والأنياء
 والمرسلون ، طحتهم والله المنون ، و توالى عليهم السنون ، وقدمت هم العيون ، وإننا
 إليهم صائرون ، فإنا لله وإننا إليه راجعون شعر :

إذا كان هذا نهج من كان قبلنا فاننا على آثارهم نتلاحق
 فكأن عالماً أن سوف تدرك من مضى و لو عصمتك الرؤسيات الشواهق
 فما هذه دبر المقامة فاعملن « فاعلمن خ » و لو عمر الانسان ما ذر شارق

أين من شقّ الأَنْهار ، وغرس الأشجار ، وعمر الدِّيار ، ألم تمح منهم الآتار ، وتعلّم
بهم دار البوار ، فآخض الجوار ، فلك اليوم بالقوم اعتبار ، فإنما الدنيا متاع والآخرة
هي دار القرار شعر :

تخرّمهم ريب المنون فلم تكن
ولا حملتهم حين ولّوا بجمعهم
وراحوا عن الأموال صفراً دخلوا
ذخايرهم بالرغم منهم وفارقوا
لتنفهم جنّاتهم و الحدائق
نجائبهم و الصّافات السّوابق

أين من بنى القصور و الدُّساكر ، وهزم الجيوش و العساكر ، وجمع الأموال و حاز
الآنم و الجرائر ، أين الملوك و الفراعنة و الأكلسة و السّياسنة ، أين العمّال و الدّهاقنة
أين ذوو النواحي و الرّسّاتيق ، و الأعلام و المناجيق ، و اليهود و الموائيق شعر :

كأن لم يكونوا أهل عزّ و منعة
ولا سكنوا تلك القصور التي بنوا
وصاروا قبوراً و داسات و أصبحت
منازلهم تسقى عليه الخوافق
ولا رفعت أعلامهم و المناجق
ولا أخذت منهم بعهد موافق

ما هذه الحيرة و السّيبيل واضح ؛ و المشير ناصح ، و الصواب لائح ، عقلت فاغفلك ،
و عرفت فانكرت ، و علمت فاهملت ، هذا هو الداء الذي عزّ دواؤه ، و المرض الذي
لا يرجى شفاؤه ، و الأمل الذي لا يدرك انتهاؤه ، أفأمنت الأيام ؛ و طول الأَسقام ،
و نزول العمّام ، و الله يدعو إلى دار السلام شعر :

لقد شقيت نفس تتابع غيها
و تأمل ما لا يستطاع بحيلة (بجمله خ)
و تصفى إلى قول القويّ و تنثني
و تصدق عن تصديق من هو صادق
و تصدق عن إرشادها و تفارق
و تعصيك إن خالفتها و تشاقت

فيا عاقلاً راحلاً ، وليبياً جاهلاً ، و متيقظاً غافلاً ، أنفرح بنعيم زائل ، و سرور حائل ،
و رفيق خاذل ، فيا أيها المفتون بعمله ، الغافل عن حلول أجله ، و الخاضع في
بحارزله ، ما هذا التصغير و قد وخطك القتيير ، و وافاك النذير ، و إلى الله المصير شعر :

طلابك أمر لا يتمّ شروره
و أنت كمن يبني بناء و غيره
و جهدك باستصحاب من لا يوافق
يعاجله في هدمه و يسابق

و ينسج آمالاً طوالاً بعيدة ويعلم أن الدهر للنسج خارق

ليست الطريقة لمن ليس له الحقيقة ، ولا يرجع إلى خليقة ؛ إلى كم تكدح ولا تنع
وتجمع ولا تشبع ؛ وتوفر لماتجمع ، وهولغيرك مودع ، ماذا رأى العازب ، والرشد
الغائب ، والأهل الكاذب ، ستنقل عن القصور ، وربات الخدور ، والجندل و السرور
إلى ضيق القبور ، ومن دار الفناء إلى دار العبور ، كل نفس ذائقة الموت ، وما الحياة
الدنيا الأمتاع الغرور شعر :

فمالك هذا غرّة و جهالة وتحسب يا ذا الجهل أنك حاذق
تظنّ بجهل منك أنك راتق وجهلك بالعقبى لدينك فاتق
توحيبك من هذا أدلّ دلالة وأوضح برهاناً بأنك ماتق

عجباً لغافل عن صلاحه ، مبادر إلى لذاتهم وأفراحه ، والموت طريده «فوخ» مسامه وصباحه
فيا قليل التحصيل ، وبأ كثير التعطيل ، وبأذا الأمل الطويل ، ألم تركيف فعل ربك
بأصحاب الفيل ، بناؤك للخراب ، ومالك للذهاب ، وأجلك إلى اقتراب شعر :

وأنت على الدنيا حريص مكائر كأنك منها بالسلامة واتق
تحدثك الاطماع أنك للبقا خلقت و أن الدهر خلّ موافق
كأنك لم تبصر أناساً تراذفت عليهم بأسباب المنون اللّواحق

هذه حالة من لا يدوم سروره ، ولا تتم أموره ، ولا يفك أسيره ، أنتفرح بمالك
ونفسك وولدك وعرسك «عرسك» ، وعن قليل تصير إلى رمسك ، وأنت بين طي ونشر ، وغنى
وقفر ، ووفاء وغدر ، فيامن القليل لا يرضيه ، والكثير لا يفنيه . اعمل ما شئت أنك
ملاقيه ، يوم يفتر المرء من أخيه و أمه و أبيه و صاحبه و بنيه ، لكل امرء منهم
يومئذ شأن يفنيه شعر :

سيفقر بيت كنت فرحة أهله ويهجر مثواك الصديق المصارق
و ينسلك من صافيته و ألفته ويجفوك ذوالود الصحيح الموائق
على ذامضى الناس اجتماع و فرقة و ميت و مولود و قالود و آامق

أفّ لدنيا لا يرقى سليمها ، ولا يصحّ سقيمها ، ولا يندمل كلومها ، وعودها كاذبة ،
وسهامها غير صائبة ، وآمالها خائبة ، لا تقيم على حال ، ولا تمتنع بوصول ، ولا تأسر بنوال
شعر :

و تلك لمن يهوى هواها مليكة تعبده أفعالها و الطرائق
يسرّ بها من ليس يعرف غدرها و يسعى إلى تطلّابها و يسابق
إذا عدلت جارت على اثر عدلها فمكروهة أفعالها و الخلايق

فيذا السطوة والقدرة ، والمعجب بالكثرة ، ما هذه الحيرة والفترة ، لك فيمن مضى
عبرة ، وليؤذن الغافلون عما إليه يصيرون ، إذ اتحققت الظنون ، وظهر السر المكنون
وتندمون حين لا تقالون ، ثم إنكم بعد ذلك لميتون شعر :

سيندم فعّال على سره فعله و يزداد منه عند ذاك التشاهق
إذا عابنوا من ذي الجلال اقتداره و ذو قوة من كان قد ما يداقق
هنالك تتلو كل نفس كتابها فيطفو ذو عدل ويرسب فاسق

إلى كم ذا التشاغل بالتجair والأرباح ، إلى كم ذا التهور بالسرور والأفراح ،
وحتام التفرير بالسّلامة في مراكب النّياح ، من ذا الذي سالمه الدهر فسالم ، ومن
ذا الذي تاجر الزمان ففتم ، ومن ذا الذي استرحم الأيام فرحم ، اعتمادك على
الصحة والسلامة خرق ، و سكونك إلى المال والولد حمق ، و الاعتزاز بعواقب
الامور خلق ، فدونك يحزم الامور ، والتيقظ ليوم النشور ، وطول اللبث في صفحات
القبور ، فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور شعر :

فمن صاحب الأيام سبعين حجة فلذاتها لا شك منه طواق
فمقبى حلوات الزمان مريرة و إن عذبت حيناً فحيناً خرابق
ومن طرفته الحادثات بوبلها فلا بد أن تاتيه فيها السعواق

فما هذه الطمأنينة وأنت مزعج ، وما هذه الولوج وأنت مخرج ، جعل إلى تفريق
ورفوك (و فرك خ) إلى تمزيق ، وسعتل إلى ضيق ، فيا أيها المفتون ، والطامع بما لا يكون ،
أفحسبتم أننا خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون شعر :

ستندم عند الموت شرّ ندامة
و عاينت أعلام المنية والرّدى
وصرت رهيناً في ضريحك مفرداً
فيامن عدم رشده ، و جار قصده ، و نسي ورده ، إلى متى تواصل بالذّ نوب و أدقاتك
محدودة ، و أفعالك مشهودة ، أفنعول على الاعتذار ، و تهمل الأعداء و الانذار ، و أنت
مقيم على الاصرار ، و لا تحسبن الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون إنّما يؤخّروهم ليوم
تشخص فيه الأبصار شعر :

إذا نصب الميزان للفصل والقضا
و اجبجت النيران و اشتدّ غيظها
و قطعت الأسباب من كلّ ظالم
فقدم التوبة ، و اغسل الحوبة ، فلا بد أن تبلغ إليك النوبة ، و حسن العمل قبل حلول الأجل
و انقطاع الأمل ، فكلّ غائب قادم ، و كلّ عريب عازم (وكلّ غريب غارمخ) ، و كلّ
مفرط نادم ، فاعمل للخلاص قبل القصاص ، و الأخذ بالتواضع شعر :

فأنك مأخوذ بما قد جنيته
و ذنبك إن أبغضته فمعانق
فقارب و سدّد و اتق الله وحده
و إنك مطلوب بما أنت سارق
و مالك إن أحببته فمفارق
و لا تستقلّ الزاد فالموت طارق
و اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ، ثمّ توفى كلّ نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

تكملة

المستفاد من الكافي أنّ هذه الخطبة ملتقطة من خطبة طويلة وروى صدرها
هناك باختلاف لما أورده السيّد هنا

قال في الكافي في باب ما يجب من حقّ الإمام على الرعيّة : محمد بن يحيى
الطارق عن بعض أصحابنا عن هارون بن مسلم عن مسعدة عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تخفنا ولا نتخفنا ، ولا تفشوا هدايتكم ، ولا تجهلوا أمتكم
و لا تصدعوا عن جبلكم ففشلوا و تذهب ربحكم ، و على هذا فليكن تأسيس أموركم

و أزموا هذه الطريقة فانكم لو عابتم ما عابن من قد مات منكم ممن خالف ما قد تدعون إليه لبدتم و خرجتم و لسمعتن ولكن محبوب عنكم ما قد عابنوا، و قريباً ما يطرح الحجاب

الترجمة

ای غافلان و تمر دکنندگان از طاعت پروردگار عالمیان پس بدستیکه اگر به بینید آن چیز را که بمعاینه دیدند کسانی که مردند از شما هر آینه بجزع و فزع در آید، و میشنوید و اطاعت مینماید و لکن مستور است از شما آنچه معاینه دیدند آنرا گذشتگان و نزدیکست برداشته شدن حجاب، و بتحقیق که نموده می شود اگر به بینید بنظر بصیرت، و شنوایده میشوید اگر بشنوید بگوش حقیقت، و هدایت یافته میشوید اگر طلب هدایت نمائید بعقل کامل و قلب صافی، برستی می گویم شمارا که بتحقیق چهارا و آشکار صدا نمود شمارا عبرتها، و زجر و منع کرده شدید بچیزی که در آن ازدجار و ممانعت هست از مناهای اکید و وعیدهای شدید، و تبلیغ نمی نماید از جانب خداوند تبارک و تعالی بعد از ملائکه آسمان مگر جنس آدمیان از یقینبران پس جای عذر نمانده شمارا در تخلف کردن از دعوت ایشان

و من خطبة له ﷺ و هي الحادية والعشرون من المختار في باب الخطب

قَالَ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وَرَائِكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ، تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا، فَإِنَّا بِنَقْظِرٍ بِأَوْلِكُمْ آخِرُكُمْ.

قال السيد (ره) : إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وكلام رسوله بكل كلام لمال بهراجعا وبرزعليه سابقاً. فأما قوله ﷺ تَخَفُّوْا تَلْحَقُوا فلاسمع كلام أقل منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً، وما أبعد غورها من كلمة، وأنقع نطقها

من حكمة ، وقد نبهنا في كتاب الخصائص على عظم قدرها وشرف جوهرها

اللغة

(حدا) الابل و بهاحدوا إذا زجرها وغنى لها ليحسبها على السير و (الغور)
العمق و (النظفة) ما صفى من الماء وما (انقع) الماء ما أرواه للعطش و في بعض
النسخ ما انقع بالفاء الموحدة ولا بأس به

الاعراب

تحدوكم منصوب المحل على الحالية ، وتلحقوا منصوب بكي مضمرة

المعنى

اعلم أن المستفاد من كتاب مطالب السؤول لمحمد بن طلحة على ما رواه
في البحار منه هو أن هذا الكلام له عَنْ أَبِيهِ من تمام الخطبة السابقة حيث قال : ومن كلام
أمير المؤمنين لقد جا هرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر وما يبلغ عن الله بعد رسل
السماء إلا البشر ، إلا وإن الغاية أمامكم اه

وكيف كان فقد اختلف أنظار الشراح في تفسير هذا الكلام له و بيان المراد
منه على أقوال و الأظهر عندي أن قوله (فان الغاية أمامكم) أراد بالغاية الموت
كما صرح به في الحديث الآخر : الموت غاية المخلوقين ، أى نهايتهم التي ينتهون
إليها ، ولأجل كونه منتهى سير المخلوقين صح جعله أمامهم ، لأنهم يسيرون إليه
بحركة جبلية وتوجهه غريزي فيكون أمامهم لامحالة

وأما قوله : (وإن ورائكم الساعة) فالمراد بالساعة ساعات الليل والنهار
سميت بها لأنها تسعى الناس بها كما سميت القيامة ساعة لأنها تسعى الناس
إليها بحركة جبلية وتوجهه غريزي أيضاً ، كما يسعى إلى الموت وإنما جعلها ورائنا
مع كونها منبسطة على مدى العمر وانقسامها إلى الماضي و المستقبل ، باعتبار أنها
تحت الإنسان تحثنا و تسوقه سوفاً حثيثاً إلى الغاية التي أمامه أعني الموت كما
يدل عليه قوله : (تحدوكم)

أما أنها تسوقنا إليها فلأنه بانهضاتها شيئاً فشيئاً يكون الانسان بعيداً من

المبدء قريباً إلى المنتهى ، فتكون بمنزلة السابق إليه و من الواضح أن العادي و السابق من شأنه أن يكون وراه ما يحديه و يسوقه ، فبذلك الاعتبار صح جعلها وراثنا ، ويمكن استنباط ما ذكرته من تقديم الخبر على الاسم ، ببيان ذلك أن كون الموت أمام الانسان لما كان واضحاً عند الكل أجرى الكلام فيه على الحقيقة بتقديم ماحقه التقديم وتأخير ما حقه التأخير حيث قال : فإن الغاية أمامكم

وأمّا كون السّاعة في الوراها لما كان خفياً بالاعتبار الذي ذكرناه من انقسامها إلى الماضي والاستقبال ، و كان نظر الجاهل دائماً إلى ما بقي من عمره و إلى ماهي أمامه من السّاعات الباقية غير ملتفت إلى ماضى ، لاجرم نبه على أن ما تحسبونه أمامكم فهي في الحقيقة وراثكم باعتبار أنها تحدوكم ، فلذلك قدّم الخبر على الاسم وقال : إن وراثكم السّاعة لمزيد الاهتمام به و زيادة إشعاره بهذا المعنى فافهم

وإذا عرفت ما ذكرناه فلنذكر ما ذكره الشّراح في المقام فأقول :

قال الشّراح البحراني في شرح قوله : إن الغاية أمامكم : لما كانت الغاية

من وجود الخلق أن يكونوا عباد الله ، كما قال تعالى : و ما خلقت الجنّ و الانس إلاّ ليعبدون ، و كان المقصود من العبادة إنّما هو الوصول إلى جناب عزّته و الطيران في حظاير القدس بأجنحة الكمال مع الملائكة المقرّبين ، و كان ذلك هو غاية الانسان المطلوبة منه و المقصودة له و المأمور بالتوجّه إليها بوجهه الحقيقي ، فان سعى لها سعيها أدركها و فاز بحلول جنّات النعيم ، و إن قصر في طلبها و انحرف صراط السّواء الموصل إليها ، كان في جهنّم من الهاوين ، و كانت غايته فدخلها مع الدّاخلين ، فاذن ظهر أن غاية كلّ إنسان أمامه إليها يسير و بهايصير

و في شرح : و إن وراثكم السّاعة تحدوكم : إن المراد بالسّاعة القيامة الصّغرى

وهي ضرورة الموت

فأمّا كونها وراثهم فلأنّ الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت و يفرّ منه و كانت العادة في الهارب من الشيء أن يكون وراثه مهروب منه ، و كان الموت متأخراً عن وجود الانسان و لاحقاً تأخراً و لاحقاً عقلياً ، أشبه المهروب منه المتأخّر اللاحق

هربا وتأخراً ولحوقاً حسيماً ، فلاجرم استعير لفظ الجهة المحسوسة وهي الورا .
 و أمّا كونها تحدهم فلأنّ الحادي لما كان من شأنه سوق الابل بالحداء ،
 وكان تذكّر الموت وسماع نواذ به مقلقاً مزعجاً للنفوس إلى الاستعداد لأموال الآخرة
 والاهبة للقاء الله سبحانه ، فهو يحملها على قطع عقبات طريق الآخرة كما يحمل الحادي
 الابل على قطع الطريق البعيدة الوحرة ، لاجرم أشبه الحادي فأسند الحداء إليه انتهى
 وأقول : أمّا ما ذكره في شرح الفقرة الأولى ، ففيه أنّ الظاهر من صدر كلامه
 حسبما يستفاد من التمسك بالآية أيضا هو أنّه جعل الغاية في كلامه عليه السلام بمعنى
 الطلّة الغائية ، و عليه فلا يستقيم جعل الجحيم غاية للإنسان ، بل و لا الجنة أيضا
 إذا لغرض من خلقة الانسان هو العبوديّة كما هو نصّ الآية الشريفة ، و أمّا المشوبة
 والعقوبة فهما متفرّعان عليها امثالاً وعصيانا ، فلا يصحّ جعلهما غاية ، وأنّ جعل
 الغاية بمعنى النهاية فكونهما غاية بهذا المعنى صحيح إلاّ أنّه لا حاجة معه إلى
 الاستدلال بالآية و إلى مامهده من المقدّمة مضافاً إلى منافاته بنصّ قوله : و كان
 ذلك هو غاية الانسان المطلوبة منه

و أمّا ما ذكره في شرح الفقرة الثانية ففيه أنّ جعل السّاعة بمعنى الموت
 إمّا باعتبار أنّها حقيقة فيه عرفاً أو شرعاً من دون ملاحظة المناسبة بينه وبين معناها
 اللغوي ، فيتوجّه عليه أو لا يمنع الحقيقة العرفيّة أو الشرعيّة ، و نائياً منع عدم ملاحظة
 المناسبة على تقدير تسليم الحقيقةيّة بأحد الوجهين ، و إمّا باعتبار أنّ إطلاقها عليه
 بملاحظة أنّ النّاس يسعى إليه حسبما ذكرناه سابقاً فيتوجّه عليه أنّ إطلاقها عليه
 باعتبار أنّ النّاس يسعى إليه مع وصفه بكونه في الورا ، باعتبار أنّ النّاس يهرب منه
 حسبما قرره ، لا يخفى ما فيه من السّماجة فافهم جيّداً

و قال الشّارح المعتزلي : غاية المكلفين هي الثواب و العقاب فيحتمل أن
 يكون أراد ذلك ، و يحتمل أن يكون أراد بالغاية الموت ، و إنّما جعل ذلك أمامنا
 لأنّ الانسان كالسائر إلى الموت أو كالسائر إلى الجزاء ، فهما أمامه أي بين يديه ،

ثم قال: وإن ورائكم الساعة تحذوكم أى تسوقكم، وإنما جعلها ورائنا لأنها إذا وجدت ساقى الناس إلى موقف الجزاء كما يسوق الرأعى الأبل، فلما كانت سائقة لنا كانت كالشيء يخفر الإنسان من خلفه ويحرقه من ورائه إلى جهة ما بين يديه انتهى فيه أن الجملة الخبرية على ما حقيقتها الأصوليون حقيقة فيما تلبس المبتداء بالخير في الحال، واستعمالها فيما لم يلبس به بعد مجازاً اتفاقاً لا يصار إليه إلا بقرينة، وعلى ذلك فجعل كون الساعة ورائنا بمعنى أنها تكون ورائنا إذا وجدت مجازاً لا ينبغي إرادته إلا بقرينة ظاهرة، وهي في المقام مفقودة

وقال القطب الرأوندي على ما حكى عنه الشارح المعتزلي: معنى قوله: فإن الغاية أمامكم، يعنى أن الجنة والنار خلفكم، ومعنى قوله: ورائكم الساعة أى قدامكم انتهى

وهو أورد ما ذكره في شرح المقام أما أولاً فلأن الورا بمعنى القدام وإن ورد إلا أن الأمام بمعنى الخلف لم يسمع من أحد كما ذكره الشارح المعتزلي وثانياً على تقدير تسليم وروده بذلك المعنى أن التعبير عن الخلف بالأمام وعن القدام بالورا مع ظهورهما في العكس ممّا يأتي عنه الذوق السليم والطبع المستقيم، فيجب تنزيه كلام الامام عليه السلام الذي هو امام الكلام عنه

و ثالثاً أنه إذا جعل المراد بالغاية الجنة والنار فلا داعي إلى حمل الأمام بمعنى الخلف كما هو ظاهر، بل إرادة المعنى الظاهر الذي هو نقيض الخلف أولى حسب ما ذهب إليه الشارح المعتزلي والبحراني على ما قدمنا ذكره هذا

وأما قوله: (تخففوا تلحقوا) فأصله أن الرجل يسعى وهو غير مثقل بما يحمله فيكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه لأن التخفيف وقطع العالقي في الاسفار سبب السبق والنوز بلحق السابقين وكذلك الزهد في الدنيا وتخفيف المؤنة فيها توجب الأجر بالسالفين المقرئين، والوصول إلى درجات أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وما أنسب بالمقام ما رواه المحدث الجزائري عن سلمان الفارسي، وهو أنه

لما بعث إلى المداين ركب حماره وحده ، فاتصل بالمداين خبر قدومه ، فاستقبله أصناف الناس على طبقاتهم ، فلمّا رأوه قالوا : أيها الشيخ أين خلقت أميرنا ؟ قال : ومن أميركم ؟ قالوا : الأмир سلمان الفارسي صاحب رسول الله ، فقال لا أعرف الأмир وأنا سلمان ولست بأمير ، فترجلوا له وقادوا إليه المراكب والجنائب ، فقال : إن حماري هذا خير لي وأوفى ، فلمّا دخل البلد أرادوا أن ينزلوه دار الامارة قال : ولست بأمير ، فنزل على حانوت في السوق ، وقال ادعوا إليّ صاحب الحانوت ، فاستأجر منه و جلس هناك يقضي بين الناس وكان معه وطاء يجلس عليه ، و مطهرة يتطهر بها للصلاة ، و عكازة يعتمد عليها في المشي ، فاتفق أن سيلا وقع في البلد فارتفع صياح الناس بالويل والعويل يقولون : وا أهلاه و وا ولداه و وامالاه ، فقام سلمان و وضع وطائه في عاتقه و أخذ مطهرته وعكازته بيده ، و ارتفع على صعيد ، و قال : هكذا ينجو المخفقون يوم القيامة

و روى (١) عن الشيخ ورام طاب ثراه أنه لما مرض سلمان مرضه الذي مات فيه أتاه سعد يعوده ، فقال : كيف أنت يا عبدالله ؟ فبكى فقال : ما بيكيك ؟ فقال : والله ما أبكي حرصاً على الدنيا ولا حباً لها ، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً فقال : ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد راكب ، فأخشى أن نكون قد جاوزنا أمره وهذه الأساور (٢) حولي ، وليس حوله إلا مطهرة فيها ماء ، وإجانة وجفنة .

قال : ودخل رجل عليه فلم يجد في بيته إلا سيفاً ومصحفاً ، فقال له : ما في بيتك إلا ما أرى ؟ قال : إن أمامنا عقبة كثرودا ، و إننا قد منّا متاعنا إلى المنزل أو لا فأولاً ، وقال : وقع الحريق فأخذ سلمان سيفه ومصحفه ، وقال : هكذا ينجو المخفقون .

ثم إنّه ﷺ لما أمرهم بالتخفيف وحشهم على قطع العلايق عكله بقوله : (فانما ينتظر بأولكم آخركم) يعني إنّما ينتظر بالبعث الأكبر و القيامة الكبرى للذين

ماتوا أو لا وصول الباقيين وموتهم

وتحقيق ذلك الانتظار على ما حققه الشارح البحراني أنه لما كان نظر العناية الآلهية إلى الخلق نظراً واحداً والمطلوب منهم واحداً وهو الوصول إلى جناب عزّ الله الذي هو غايتهم ، أشبه طلب العناية الآلهية وصول الخلق إلى غايتهم انتظار الانسان لقوم يريد حضور جميعهم وترقبه بأوانلهم ووصول أو اخرهم ، فأطلق عليه لفظ الانتظار على سبيل الاستعارة ، ولما صور رهننا صورة انتظارهم لوصولهم ؛ جعل ذلك علّة لحثهم على التخفيف وقطع العلايق ، ولا شك أن المعقول لأولى الألباب من ذلك الانتظار حان لهم أيضاً على التوجه بوجوه أنفسهم إلى الله والاعراض عمّا سواه

الترجمة

بس بدرستی که غایه یعنی مرگ در پیش شماس است و بدرستی که در عقب شماس است ساعتی روز و شب در حالتی که میراند شما را بسوی مرگ ، سبک شوید تا لاحق شوید ، پس بتحقیق که انتظار کشیده شده بالاحق شدن پیشینیان بسینیان شما گفته است سید رضی رضی الله عنه بدرستی که این کلام امام اگر موازنه بشود بعد از کلام خدا و رسول ﷺ بهر کلامی هر آینه میل می کند این کلام بجمیع کلامها در حالتی که راجح است ، و غالب میشود بآنها در حالتی که سابق است ، اساساً فرمایش آن حضرت تخفّفوا تلحقوا بس شنیده نشده کلامی که کمتر باشد از اواز حیثیت لفظ ونه بیشتر باشد از حیثیت معنی و چه قدر بعید است عمق این کلمه طیبه و چه قدر رافع عطش است آب صافی این حکمة لطیفه ، بتحقیق که تنبیه کرده ایم ما در کتاب خصایص خود بر عظمت قدر و شرافت جوهر آن کلمه عالی مرتبه ، و فقنا الله لهم نکات تلك الكلمات بجاه محمد وآله

ومن خطبة له عليه السلام وهي الثانية والعشرون من المختار

في باب الخطب

خطب بها حين بلغ أن طلحة والزبير خلعا بيعته ، وهي ملتقطة من خطبة طويلة مروية في شرح البحراني وقد وردت فصول منها في طرق عليحدة مختلفة بزيادة ونقصان يأتي إلى بعضها الاشارة ، وما رواه السيد رحمه الله :

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ ، وَاسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ ، لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ ، وَاللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفًا ، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا مُمْ تَرَكَوهُ ، وَدَمًا مُمْ سَفَكُوهُ ، فَلَيْنَ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فَإِنَّ لَهُمْ أَنْصِبَهُمْ مِنْهُ ، وَلَيْنَ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ ، يَرْتَضِعُونَ أَمَا قَدْ قَطَمْتَ ، وَيُخِينُونَ بِدَعَاةٍ قَدْ أُمِيتَتْ ، يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي مَنْ دَعَا ، وَإِلَى مَا أُجِيبَ وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ فِيهِمْ ، فَإِنْ أَبَوْا أُعْطِيَهُمْ حَدَّ السِّيفِ ، وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ ، وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ ، وَمِنْ الْعَجَبِ بِفَتْنَتِهِمْ «بَعْضُهُمْ خ» إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطَّعَانِ ، وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجَلَادِ ، هَبَاتِهِمْ الْهَبُولُ لَقَدْ كُنْتُ وَمَا هَدُدُّ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ ، وَإِنِّي لَعَلِي بِقَيْنٍ مِنْ رَبِّي ، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي .

اللغة

(ذمر) يروى بالتخفيف و التشديد وهو الحثُّ والحضُّ ، و التشديد دليل التكثر و المبالغة لأنهم يقولون: إنَّ الزيادة في البناء لزيادة المعنى ، قال في الكشف و معاًطن على أذى من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مركبهم بالشقذق ، وهو مركب خفيف ليس في ثقل حمال العراق ، فقلت في طريق الطايف لرجل منهم: ما اسم هذا المعجل؟ أردت محمل العراقي فقال: أليس ذلك اسمه الشقذق؟ قلت: بلى ، فقال هذا اسمه الشقذاق ، فزاد في بناء الاسم لزيادة المعنى

و (جلبت) الشيء جلبا من باب ضرب و قتل ، و الجلب بفتحين فعل بمعنى مفعول وهو ما تجلبه من بلد إلى بلد ، قال الشارح المعتزلي ويروى جُلبه و جلبه وهما بمعنى ، وهو السحاب الرقيق الذي لاما، فيه أى جمع قوما كالجهام الذي لانفع فيه وفي المصباح عن الأزهري و ابن فارس (نصاب) كل شيء أصله و الجمع نصب و أنصبه مثل حمار و حمر و أحمرة و (النصف) بثلاث النون و سكون الصاد اسم بمعنى الانصاف .

و اعتراض الشارح المعتزلي عليه بأنَّ المعنى لا يحتمله ، لأنَّه لا معنى لقوله : ولا جعلوا بيني وبينهم إنصافاً ، بل النصف بمعنى الذى ينصف ، و المعنى لم يجعلوا بيني و بينهم ذا إنصاف ، ممَّا لا يكاد يظهر وجهه و (ولي) الشيء وعليه ولاية من باب حسب إذا ملك أمره و (التبعية) كفرحة تقول: لي قبل فلان تبعة وهي الشيء الذي لك فيه بغية شبه ظلامة و نحوها و (فطم) الصبىُّ من باب ضرب إذا فصله عن الرضاع و (حدَّ السيف) الموضع القاطع منه و (الجلاد) المجادلة بألة الحرب و (هبلته) أمه بكسر الباء نكلته و (الهبول) الشكول التي لم يبق لها ولد

الاعراب

يا خيبة الداعي نداء على سبيل التعجب من عظم خيبة الدعاء إلى قتاله ، وهو نظير النداء في قوله تعالى : يا حسرة على العباد ، أى يا خيبة احضري فهذا أوانك وكلمة من إمَّا مرفوع المحل على الابتداء و الفعل بعده خبر ؛ أو منصوب المحل

اضمر عامله على شريطة التفسير فلا محل لما بعده ، إذ الجملة المفسرة لا محل لها على الأصح .

وقال ابن هشام : إن جملة الاشتغال ليست من الجمل التي تسمى في الاصطلاح جملة تفسيرية وإن حصل بها تفسير ، وكيف كان فجملة من دعا على الأول جملة اسمية ، وعلى التقدير الثاني جملة فعلية ، و شافياً وناصراً منصوبان على الحالية والوادي قوله وما أهدد زائدة ، وكنت بمعنى مازلت أي مازلت لأهدد وبالغرب . قال الشارح المعتزلي : وهذه كلمة فصيحة كثيراً ما يستعملها العرب ، وقد ورد في القرآن العزيز كان بمعنى ما زال في قوله : وكان الله عليماً حكيماً ، ونحو ذلك من الآي والمعنى : لم يزل الله عليماً حكيماً

المعنى

قد أشرنا أن هذه الخطبة من خطب الجمل و اردة في معرض التعرض على الناكثين وقد وقع التصريح بذلك في بعض طرقها حسبما تأتي إليها الاشارة ، و قد كنى عنهم بحزب الشيطان وجنود إبليس كما قال : (ألا وإن الشيطان قد ذم حزبه) و حشاقبيله (و استجلب جلبه) و جمع جمعه (ليعود الجور إلى أوطانه) كما كان عليها أولاً (ويرجع الباطل إلى نصابه) وأصله الذي كان عليه سابقاً (والله ما أنكروا عليّ منكرأ) وهو قتل عثمان حيث نسبوه إليه ﷺ وزعموا أنه منكر فأنكرده عليه فردهم بانكار كونه منكرأ ، و على تقدير تسليمه بعدم صحته لنسبته إليه و على كل تقدير فانكلاهم عليه يكون منكرأ (ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً) وعدلا إذ لو جعلوا ميزان العدل في البين يظهر بطلان دعواهم (و ذلك لآنتهم ليطلبون حقاً) أي حق قصاص (هم تركوه) حيث أمسكوا التنكير على قاتليه (ودماهم سفكوه) لانهم أول من ألب الناس على عثمان وأغرى بدمه ، كما يشهد به قول عائشة : اقتلوا نعتلا قتل الله نعتلا .

يدل عليه ما في رواية أبي مخنف الآتية من قوله : اللهم إن طلحة نكت بعني وألب على عثمان حتى قتله ثم غضني به ورماني اللهم فلا تمهله

و عن الطبري في تاريخه ان علياً كان في ماله بغير لما أراد الناس حصر عثمان فقدم المدينة والناس مجتمعون على طلحة في داره ، فبعث عثمان إليه علياً يشكو أمر طلحة فقال علياً : أما أكفيك ؟ فانطلق إلى دار طلحة وهي مملوءة بالناس فقال له ياطلحة : ما هذا الأمر الذي صنعت بعثمان ؟ فقال طلحة : يا أبا الحسن بعد أن مس العزّام الطيبين (١) ، فانصرف علي علياً إلى بيت المال فأمر بفتحته فلم يجدوا المفتاح ، فكسر الباب ر فرق ما فيه على الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى بقي وحده ، فسر عثمان بذلك ، وجاء طلحة إلى عثمان فقال له : يا أمير المؤمنين إنني أردت أمراً فحال الله بيني وبينه وقد جئتك تائباً ، فقال : والله ماجئت تائباً ولكن جئت مغلوباً ، الله حسبك يا طلحة .

و روى ان الزبير لما برز لعلي علياً يوم الجمل قال له : ما حملك يا عبدالله على ما صنعت ؟ قال : أطلب بدم عثمان ، فقال : أنت وطلحة وليتماه وإنما توبتكم من ذلك أن تقدم نفسك وتسلمها إلى ورثته و بالجملة فقد ظهر ممّا ذكرناه أنه لا ريب في دخولهم في قتل عثمان و مع مكان ذلك الدخول لا يجوز لهم المطالبة بدمه

توضيح ذلك أن دخولهم فيه إما أن يكون بالشركة ، وإما أن يكون بالاستقلال وعلى أي تقدير فليس لهم أن يطلبوا بدمه وقد أشار إلى الشق الأول بقوله : (فلان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه) و اللازم عليهم حينئذ أن يبدووا بأنفسهم ويسلموها إلى أولياء المقتول ثم يطالبوا بالشريك ، وإلى الشق الثاني بقوله : (وان كان ولوه) و باشروه (دوني فما التبعة إلا قبلهم) واللازم عليهم حينئذ أن يخصوا أنفسهم بالمطالبة (وان أعظم حجّتهم لعلي أنفسهم) حيث يدعون دعوى ضررها عايد إليهم لقيام الحجّة فيها عليهم (يرتضعون أمّا قد فطمت) أي يطلبون الشيء بعد فواته لأن الأم إذا فطمت ولدها فقد انقضت إرضاعها .

ولعل المراد به أن مطالبتهم بدم عثمان لغو لا فائدة فيه ، ويحتمل أن يكون

المراد بالأمّ التي قد فطمت ما كان عادتهم في الجاهليّة من الحميّة والغضب وإنارة الفتن ، و بظامها اندراسها بالاسلام فيكون قوله : (و يحيون بدعة قد اميتت) كالتفسير له .

وقال الشّارح البحراني: استعمار لفظ الأمّ للخلافة فيبت المال لبنها والمسلمون أولادها المرتضعون ، وكثي بارتضاعهم لها عن طلبهم منه من الصّلات والتّفضيلات ، مثل ما كان عثمان يصلهم به ويفضل بعضهم على بعض وكونها قد فطمت عن منعه ﷺ وقوله : ويحيون بدعة إشارة إلى ذلك التّفضيل ، فإنّه كان بخلاف سنّة رسول الله والبدعة مقابلة السنّة ، وإماتها تركه ﷺ في ولايته ذلك (ياخيبة الداعي) احضري فهذا أوان حضورك والداعي هو أحد الثلاثة طلحة والزبير وعائشة ، كما صرح به الشّارح المعترلي أيضاً .

نمّ قال على سبيل الاستصغار لهم والاستحقار (من دعا) أي أحقر القوم دعاهم هذا الداعي (وإلى ما اجيب) أي أقبح بالأمر الذي أجابوه إليه فما أفحشه وأرذله (وإني لراض ب) قيام (حجة الله عليهم) وهو أمره سبحانه بقتال الفئة الباغية كما قال : فان بغت إحدىهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله (و) ب) حلمه فيهم (بما يصنعون) (فان أبوا) عن طاعتي وامتنعوا من الملازمة على مبايعتي مع قيام هذه الحجة من الله سبحانه عليهم (أعطيتهم حدّ السيف) القاطع امتثالاً لأمر الله سبحانه وابتغاء لمرضات الله (وكفى به) أي بذلك السيف حال كونه (شافياً من الباطل وناصراً للحق) هذا

(ومن العجب) كلّ العجب (بعثتهم إلى) مع علمهم بحالي في الشجاعة والحرب والصبر على المكاره (بأن ابرزوا للطعان) وتهديدهم على (بأن اصبر للجلاد) نكلتهم الشواكل و (هبلتهم الهبول) كيف يهدّدوني ويرهبوني (لقد كنت و ما اهدّد بالحرب و) مازلت (لا ارهب بالضرب) و ذلك (لأنني على يقين من ربي) وعلى بصيرة من أمري (وغير شبهة من ديني) فليس لمثلي أن يهدّد ويرهب ، لأن الموقن بأنّه على الحق ناصر لله ذابّ عن دين الله أشدّ صبراً وأقوى جلدأً وأثبت قدماً في

مقام الجدل ومعرفة الجهاد والقتال ، لأنَّ نَفْتَهُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ

تكملة

قد أشرنا سابقاً إلى أن هذه الخطبة ملتقطة من خطبة طويلة مروية في شرح البحراني ، وقد منا لك أيضاً في شرح كلامه العاشر أن هذا الكلام أيضاً من فصول هذه الخطبة فينبغي أن نورد الخطبة بما مهاجستى يتضح لك الحال ، ثم نشير إلى بعض ماوردت فيها فقرات من هذه الخطبة على غير انساق وانتظام بتوفيق الله المتعال

فأقول : تمام الخطبة على ما رواها الشارح البحراني أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ حين بلغه أن طلحة والزبير خلاها بيته قال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله :

أيها الناس إن الله افترض الجهاد فعظمه وجعله نصرته وناصره ، والله ماصلحت دنيا ولادين إلا به ، وقد جمع الشيطان حزبه ، واستجلب خيله ، ومن أطاعه ليعودله دينه وسنته وخذعه ، وقد رأيت أموراً قد تمخضت (١) والله ما أنكروا على منكرأ ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً ، وأنهم ليطلبون حقاً تركوه ، ودماً سفكوه ، فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه ، وإن كانوا ولوه دوني فما الطلبة إلا قتلهم و إن أول عداهم لعلى أنفسهم ولا اعتذرهم بما فعلته ولا تبرأ مما صنعت وإن معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس على ، وإنها للفتنة الباغية فيها الحم (٢) و الحممة طالت جلبتها وانكفت (٣) جونتها (٤) ، ليعودن الباطل في نصابه

يا خيبة الداعي من دعى لوقيل (٥) ما انكرفي ذلك وما امامه و فيمن سنته والله إذا لزاح الباطل من نصابه وانقطع لسانه ، وما أظن الطريق له فيه واضح حيث

١- تحركت م

٢- الحم بتشديد الهميم وفتح الحاء بقية الالية التي اذيت واخذدهنها والعمة السواد و هما استمارتان لارذال الناس وعوامهم امشابهتهم حم الالية وما اسود منها من قلة النعمة والغير، ابن ميثم

٣- استدارت

٤- والجونة بالضم القدر

(٥) يعني لو سأل سائل مجادل لهؤ. الدعاة الى الباطل عما انكروه من امرى وعن امامهم

نهج والله ماتاب (١) من قتلوه قبل موته ، ولا تنصّل (٢) من خطيئة و ما اعتذر إليهم فعدروه ، و لا دعي فنصرده و أيم الله « لا قرطن لهم حوضاً أنا ماتحتة ٣ » لا يصدرون عنه برى ولا يعيون (٤) حسوة (٥) ابدأ و أنها لطيفة نفسي بحجة الله عليهم و علمه فيهم و اني راعيمهم فمعتز إليهم فان تابوا و أقبلوا و أجابوا و أنابوا فالنوبة مبدولة ، و الحق مقبول و ليس على كفيّل ، و إن أبوأعطيتهم حدّ السيف و كفي به شافيا من باطل و ناصرأ المؤمن ، و مع كل صحيفة شاهدها و كاتبها ، والله إن الزبير و طلحة و عايشة ليعلمون أني على الحق و هم مبطلون هذا

وفي شرح المعتزلي عن أبي مخنف قال : حدّ ثمامسافر بن عفيف بن أبي الأخنس قال : لما رجعت رسل عليّ من عند طلحة و الزبير و عايشة يؤذونونه بالحرب قام فحمد الله و أننى عليه و صلّى على رسوله ثمّ قال :

أيها الناس إنني قد راقبت هؤلاء القوم كى يرعوا و يرجعوا ، و وبختهم بنكتهم و عرفتهم بغيثهم فلم يستحيوا ، و قد بعثوا إليّ أن ابرز للطعان فاصبر للجلاء ، و إنما تمنيك نفسك أماني الباطل و تعدك الفرور الأهلبتهم المهبول لقد كنت و ما أهدد بالحرب ، و لا أرتب بالضرب و لقد أنصف القادة من رامها ، فليرعدا و ليبرقوا ، فقد رأوني قديما و عرفوا نكائتي فكيف رأوني أنا أبو الحسن الذي فللت حدّ المشركين و فرقت جماعتهم ، و بذلك القلب ألقى عدويّ اليوم ، و إنني لعلى ما وعدني ربي من النصر و التأييد ، و على يقين من أمرى و في غير شبهة من ديني

أيها الناس إن الموت لا يفوته المقيم و لا يعجزه الهارب ليس عن الموت محيد

الذى به يقتنون و فين سنتهم التي اليها يرجعون يشهد لسان حالهم بأني انا امامهم و في سنتهم فانزاح باطلهم الذي اتوا به و انقطع لسانه ، ابن ميثم

١- أي عثمان

٢- اي تير.

٣- هكذا نقله هنا و ذكر في المختار المأثر : لا قرطن لهم حوضاً أنا ماتحتة ، و لمه الصحيح ، « المصحح »

٤- العب الشرب من غير مس

٥- الحوسة بالضم قدر ما يعصى مرة واحدة منه

ولا محيص من لم يقتل مات ، وإن أفضل الموت القتل ، والذي نفس على يده لآل ف ضربة بالسيف أهون من موته واحدة على الفراش اللهم إن ظلحة نكثت بيعتي وألب على عثمان حتى قتله ثم عضهني به ورماني اللهم فلا تمهله ، اللهم إن الزبير قطع رحمي و نكث بيعتي و ظاهر على عدوي فاكفنيه الموت بما شئت .

وعن أبي الحسن علي بن محمد المدائني عن عبدالله بن جنادة قال : قدمت من الحججاز اريد العراق في أول أماراة علي ، فمررت بمكة فاعتمرت ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول الله إذا نودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس وخرج علي متقلداً سيفه فشخصت الأبصار نحوه فحمد الله وصلى على رسوله ثم قال :

أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه ﷺ قلنا نحن أهله ودرنته وعترته وأولياؤه دون الناس ، لا ينازعنا سلطانه أحد ولا يطمع في حقنا طامع إذ انتزى لنا قومنا ففصبونا سلطان نبينا و سرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ، وبتعزز علينا الذليل فبكت العين منا لذلك ، وخشنت الصدور وجزعت النفوس

وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين ، وأن يعود الكفر و يبور الدين ، لكننا على ما غير غير ما ظ ، كنا لهم عليه فولى الامر ولالة لم يألوا الناس خيراً ثم استخر جتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شأن مني لأمركم و فإسرة تصد قني ما في قلوب كثير منكم و بايعني هذان الرّجلان في أول من بايع يعلمون ذلك ، وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعاشة ليفرقا جماعتكم ، ويلقيا بأسكم بينكم

اللهم فخذهما بما عملا أخذة واحدة رابية ، ولا تتعشلهما صرعة ولا تقههما عثرة ، ولا تمهلهما فواقا ، فانهما يطلبان حقاً تر كاه ورماسفكاه

اللهم إنني أقتضيك وعدك فانك قلت وقولك الحق لمن بغى عليه لينصرته الله اللهم فانجزلي موعدتي ولا تكلني إلى نفسي انك على كل شيء قدير

أقول : وهذه الرواية كما ترى صريحة في اغتصاب الخلافة و أنها انتزعت منه ظلماً و جوراً من دون أن يكون له به حجة كما أنها صريحة (١) في أن تولى ولاية السوء لها لم يكن قصداً للخير منهم ، وإنما كان حبالاً للرباسة و اتباعاً للهوى

ومن العجب أن الشارح المعتزلي مع روايته هذه يزعم أنه عليه السلام إنما ترك الأمر إليهم برضى منه وميل ، وأنهم تولوا الأمر ملاحظة لصالح الشريعة ومراعاة لمصلحة الاسلام ، كما مر تفصيلا في شرح الخطبة الشنشقية ، فجزاهم الله عن الاسلام وأهله شر الجزاء

وعن الكليني قال : لما أراد علي عليه السلام المصير إلى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلى على رسوله :

إن الله لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافة ، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم ، والناس حديثو عهد بالاسلام ، والدين بمخض مخض الوط ، يفسده أدنى وهن و يعكسه أقل خلف (خلق خ ل) فولى الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ، ثم انتقلوا إلى دار الجزاء والله ولي تمحيص سيئاتهم ، والعموعين هفواتهم فمابال طالحة والزبير وليسا من هذا الأمر بسبيل ، لم يصبوا علي حولا ولا أشهرا حتى وثبا ومرقا ونازعا نبي أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلا بعد أن باعوا طابعين غير مكرهين ؛ يرتضعان أما قد فطمت ، و يحييان بدعة قد أميت ادم عثمان زعما والله ما التبعة إلا عندهم وفيهم وإن أعظم حجبتهم لعلى أنفسهم ، و أناراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم فان فاه أو أنابا فحظهما احرزوا و أنفسهما غنما واعظم بهما غنيمة وإن أبا اعطيتهما حد السيف وكفى به ناصراً لحق وشافيا لباطل ، ثم نزل .
وعن أبي مخنف عن زيد بن صوحان قال : شهدت علياً يذيق قاروهوم معتم بعمامة سوداء وملف بساج يخطب ، فقال في خطبته :

الحمد لله على كل أمر وحال في الغدو والأصال ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، انبئتم رحمة للعباد ، و حياة للبلاد ، حين امتلأت الأرض فتنه واضطرب جبلها وعبد الشيطان في أكنافها واشتمل عدو الله إبليس على عقايد أهلها فكان محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب الذي أطفأ الله به نيرانها ، وأخمد به شرارها ، ونزع به أوتارها وأقام به ميلها امام الهدى ، والنبي المصطفى ، فلقد صدع بما أمر به

وبلغ رسالات ربه فأصلح الله به ذات البين ، و آمن به السبل ، وحقن به الدماء ،
والف به بين ذوي الضعفين الواغرة في الصدور حتى أتاه اليقين

ثم قبضه الله إليه حميداً ثم استخلف الناس أبا بكر فلم يأل جهده ، ثم استخلف
أبو بكر عمر فلم يأل جهده ، ثم استخلف الناس عثمان فنال منكم ونلت مني حتى
إذا كان من أمره ما كان ، أتيتموني لتبايعوني فقلت لأحاجة لي في ذلك ودخلت منزلي
فاستخرجتموني فقبضت يدي فبسطتموها و تداككنتم علي حتى ظننت أنكم قاتلي
و أن بعضكم قاتل بعض فبايعتموني و أنا غير مسرور بذلك ، و لا جذل و قد علم الله
سبحانه أنني كنت كارها للحكومة بين أمة محمد ﷺ

ولقد سمعته يقول : هامن وال يلي شيئاً من أمر امتي إلا أتى به يوم القيامة
مغلولة يده إلى عنقه على رؤوس الخلايق ، ثم ينشر كتابه فان كان عادلاً نجا ، وإن
كان جابراً هوى حتى اجتمع علي ملاءكم وبايعني طلحة والزبير و أنا أعرف الغدر
في أوجههما ، والنسك في أعينهما ثم استاذناني في العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة
يريدان ، فسارا إلى مكة واستخفاً عايشة وخدعاها و شخصامعها أبناء الطلقاء ،
فقدموا البصرة وقتلوا بها المسلمين ، و فعلوا المنكر

ويا عجباً لاستقامتهما علي أبي بكر وعمر وبغيرهما علي وهما يعلمان أنني لست
دون أحدهما ، و لو شئت أن أقول لتدت : و لقد كان معاوية كتب إليهما من الشام
كتاباً يخدعهما فيه فكتماه عني و خرجا يوهمان الطعام أنهما يطلبان بدم عثمان ،
والله ما أنكرنا علي منكرأ ، و لا جعلنا بيني وبينهم نصفاً ، و إن دم عثمان لمعصوب
بهما ومطلوب منهما

يا خيبة الداعي إلى م دعي إنما ذا اجيب والله إنهما لملى ضلالة صمأ ،
وجهالة عمياء ، و إن الشيطان قد ذمر لهما حزبه ، و امت لب منهما خيله ورجله
ليعد الجود إلى أوطانه ويرد الباطل إلى نصابه ، ثم رفع يديه فقال :

اللهم إن طلحة و الزبير قطاعاني وظلماني و أبا علي و نكثا بيعتي فاحلما

عقدا ، وانکت ما ابرما ، ولاتفغر لهما أبداً ، وأرهما المسائة فيما عملا وأملا

الترجمة

از جمله خطبه شریفه آن حضرت است در مذمت طلحه و زبیر و اتباع ایشان که نسبت دادند خون عثمان علیه اللعنة و النیران را بان امام عالمیان : آگاه باش بدرستی که شیطان لعین برانگیخت گروه خود را و بکشید سپاه خود را تا باز گرداند ستم را بجایهای خود و راجع گرداند باطل را بأصل خود ، بخداوند سوگند انکار نکرده اند بر من فعل منکر را که عبارت است از نسبت قتل عثمان بمن ، و نگردانیده اند میان من و خودشان انصاف و عدل را و بدرستی که آنها هر آینه طلب میکنند حقیرا که خود ترك کرده اند و خوئی را که خود ریخته اند پس اگر بودم من شریک ایشان در آن خون پس بتحقیق ایشانراست نصیب ایشان از آن خون و اگر ایشان خودشان مباشر آن خون شدند بدون من پس در این صورت نیست عقوبت بازخواست مگر از ایشان و بدرستی که بزرگترین حجة ایشان بر نفسهای ایشان است ، شیر میخواهند از مادری که از شیر باز گرفته بچه خود را ، و زنده میکنند بدعتی را که میرانیده شده است ، ای نو میدی دعوت کنند حاضر باش که وقت حضور تو است چه کس است آنکه دعوت نمود او را این داعی ، و بچه چیز جواب داده شد و بدرستی که من خوشنودم بحجة خدا بر ایشان و بعلم حق تعالی در شان آن جمع پریشان ، پس اگر امتناع بکنند از طاعت من که طاعت خداست بدهم بایشان تیزی شمشیر بران را و کافیت آن شمشیر در حالتی که شفا دهنده است از باطل و یاری دهنده میباشد از برای اهل حق ، و از جمله امور عجیبه است فرستادن ایشان بسوی من اینکه بیردن آی از برای نیزه زدن و صبر کن از برای شمشیر کشیدن ، بن فرزند باد مادرا ایشان و در مانم ایشان گریه کند زندهای گریه کننده هر آینه بوده ام که تهدید کرده نشده ام بمحاربه و تخویف کرده نشده ام بمضاربه ، و بدرستی که من بریقینم از پروردگار خود و بی شبهه ام از دین استوار خویش ،

بس تهديد وتخويف بي نمر خواهد شد

و من خطبة له عليه السلام وهي الثالثة والعشرون من المختار في باب الخطب و شرحها في ضمن فصلين الفصل الاول

وهو مردی في الكافي باختلاف تطلع عليه بعد الفراغ من شرح ما أورده السيد هنا
أما بعد، فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ الْمَطَرِ ،
إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسَمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ وَ نُقْصَانٍ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ
غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ، فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً، فَإِنَّ الْعَرَّاءَ الْمُسْلِمَ
مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ، فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ، وَيَغْرَى بِهَا لِئَامِ النَّاسِ،
كَأَلْفِ إِيَّاجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ قَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ، تُوَجِّبُ لَهُ الْمَغْنَمَ،
وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْعَرْمُ، وَكَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ، يَنْتَظِرُ
إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ: إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ
فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ، إِنْ أَلَّاهُ وَالْبَنِينَ حَرَّتْ الدُّنْيَا
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرَّتْ الْآخِرَةَ، وَقَدْ يَجْمَعُهَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا
مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَاخْشَوْهُ خَشِيَةً لَيْسَتْ بِتَعْدِيٍّ، وَاعْمَلُوا
فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ،
نَسَلُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمُعَايِشَةَ السُّعَدَاءِ، وَمُرَافِقَةَ الْأَنْبِيَاءِ .

اللغة

(الغفيرة) قال الرضوي : هي ههنا الزيادة والكثرة من قولهم للجمع الكثير الجسم الغفير ويروي عفوة من أهل أرمال والعفوة الخيار من الشيء يقال أكلت عفوة الطعام أي خياره

أقول : ويحتمل أن يكون العفوة من العفو بمعنى الزيادة أيضاً ، وبه فسرقوله تعالى : وبسئلتونك ماذا ينفقون قل العفو قال الشاعر :

ولكننا بعض السيف منا باسوق عافيات الشحم كوم

أي زائدات الشحم و (غشى) فلانا كرضى أتاه و (غرى) به كرضى أيضاً ولع به وأغراه به ولعه و (الفالج) الفايز من السهام من الفلج وهو الظفر والفوز و (الياسر) القامر واللاعب بالمسير قال سبحانه : يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وهو كمنزل اشتقاقه إما من اليسر وهو السهولة لأنه أخذ لمال الرجل يسر وسهولة من غير كد ولا تعب ، أو من اليسار لأنه سبب يساره ، وقيل من اليسر بمعنى التجزئة لأن كل شيء جزئته فقد يسرته يقال : يسروا الشيء أي اقسموه فالجزور نفسه يسمى ميسراً لأنه يجزء أجزاء ، و الياسر الجازر لأنه يجزء لحم الجزور ثم يقال للمضاربين بالقдах والمتقاربين على الجزور : إنهم يا سرور ، لأنهم بسبب ذلك الفعل يجزؤون لحم الجزور

قال الفيروز آبادي : الميسر كمنزل اللعب بالقдах أو هو الجزور التي كانوا يتقامرون عليها ، كانوا إذا ارادوا أن ييسروا اشتروا جزوراً نسيئة ونحروه قبل أن ييسروا وقسموه ثمانية وعشرين قصماً أو عشرة أقسام ، فإذا خرج واحد واحد باسم رجل رجل ظهر فوز من خرج لهم ذوات الانصباء وغرم من خرج له الغفل

وقال الزمخشري في الكشاف : كانت لهم عشرة قдах وهي : الأزلام والأقلام الفذ والتوام والرقيب والجلس بفتح الحاء وكسر اللام وقيل بكسر الحاء وسكون اللام والمسبل والمعلى والتنافس والمنيح والسفيح والوعد ، لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤونها عشرة أجزاء ، وقيل ثمانية وعشرين جزء إلا لثلاثة

وهي المنيج والسفيح والوغد ولبعضهم في هذا المعنى شعر :
 لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيعٌ و أساميهنٌ و غدو سفيحٌ ومنيجٌ
 فللفذ سهمٌ وللتوأم سهامان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنفاض خمسة وللمسبل
 ستة وللملعي سبعة يجعلونها في الربابة وهي الخريطة و يضعونها على يد عدل ثم
 يجعلها يدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قد حاسمها ، فمن خرج له قدح من
 ذوات الانصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ، ومن خرج له قدح لا نصيب له
 لم يأخذ شيئاً و غرم ثمن الجزور كله ، و كانوا يدفعون تلك الانصباء إلى الفقراء و لا
 يأكلون منها ويفتخرون بذلك و يذمّون من لم يدخل فيه و يسمونه البرم انتهى
 و (التعذير) إظهار العذر ممن لا عذره في الحقيقة ، قال الفيروز آبادي
 قوله تعالى : وجاء المعتذرون ، بتشديد الذال المكسورة أى المعتذرون الذين لهم
 عذر ، وقد يكون المعتذر غير محقّ فالعنى المقصرون بغير عذر قال : وقرء ابن عباس
 بالتخفيف من أعذرو كان يقول : والله لهكذا انزلت ، وكان يقول : لعن الله المعتذرين
 وكان المعتذر عنده إنما هو غير المحقّ وبالتخفيف من له عذر

الاعراب

الباء في قوله بما قسم لها بمعنى على ، و ما في قوله مالم يغش دنائة ظرفية
 مصدرية ، و جملة تظهر منصوب المحل على أنها صفة لدنائة ، و جملة فيخشع أيضاً
 منصوب المحل لكونها عطفاً على تظهر ، و مثلها جملة يغرى بها ، و قوله كالفالج
 خبران ، و الياسر صفة وأصل الكلام كالياسر الفالج أى كالتقامر الفايز و قدم الوصف
 على الموصوف على حدّ قوله سبحانه : و غرايب سود

قال الشارح المعتزلى : و حسن ذلك ههنا إن اللفظتين صفتان و ان كانت
 إحداهما مرتبة على الأخرى ، و جملة توجب له المغنم صفة للفوزة ، و يرفع إمّا
 بالبناء على الفاعل وفيه ضمير مستتر راجع إلى الفالج ، و المغنم منصوب على المفعولية
 أو بالبناء على المفعول ، و المغنم مرفوع على النيابة عن الفاعل ، و قوله : فاذا هو ذواهل

إذا للمفاجأة ، و العمل المسالِح بالرفع والنصب ، وقوله : ليست بتعذير ، اى ليست بذات تعذير ، اى تقصير فحذف المضاف كقوله تعالى : قتل أصحاب الأخدود النار ، اى ذى النار ، ومن فى قوله : من يعمل شرطيةً و يعمل و يكله مجزومان على حد قوله : من يعمل سوءً يجزبه

المعنى

اعلم أن مدار هذه الخطبة الشريفة على تأديب الفقراء بعدم الوقوع في الفتنة من الحسد ونحوه بما يشاهدونه في الاغنياء و على تأديب الأغنياء بالترهيد عن المال وجمعه و على العمل بالاخلاص و إخلاصه من السمع و الرياء و على الترغيب في صلاة الأرحام و الترهيب عن القطيعة بذكر منافع الصلوة و مفاصد القطيعة ، و مدار هذا الفصل على الثلاثة الاول ، كما أن مدار الفصل الآتي على الرابع

إذا عرفت ذلك فأقول : إنه عَلَيْهِ السَّلَامُ مهد أو لا مقدمة شريفة ليبنى عليها غرضه و محصلها أن جميع الأمور إنما هو بقضاء إلهي و قدر رباني و أن ما يحدث من زيادة أو نقصان أو يتجدد فيما يكون به صلاح حال الخلق في أمر المعاش و المعاد إنما هو صادر عن القسمة الربانية ، فلو تفكر في ذلك العاقل و تدبر فيه رضى بما قدره الله تعالى في حقّه و ما قسمه عليه و على غيره ، فاذن لا يقع في الفتنة و الحسد لو رأى لغيره مزينة عليه و إلى هذه المقدمة أشار بقوله :

(أما بعد) حمد الله سبحانه و الصلاة على رسوله و آله (فإن الأمر) اى الأمور المقدرة الحادثة في العالم السفلى (ينزل من السماء إلى الأرض) و يخرج من القوة إلى الفعل و يوجد في المواد السفلية الخارجية بعد أن كان ثابتاً في الصحايف العلوية (ك) نزول (قطر المطر) إلى الأرض بأيدى المدبرات كما قال سبحانه : تنزل الملائكة و الروح فيها باذن ربهم من كل أمر ، اى كل أمر قدره الله في حق العباد و قسمه (إلى كل نفس) بمقدار (ما قسم لها) و قدر في حقها (من زيادة أو نقصان) أدقلة أو كثرة كما قال تعالى : وإن من شيء إلا عندنا خزائنه و ما ننزله إلا بقدر معلوم

(فإذا) كان نزول الاحور بتقدير الله سبحانه و تفريقها بتقسيم الملك العادل على وفق الحكمة واقتضاء المصلحة و (رأى أجدكم لأخيه) المؤمن (غفيرة) وزيادة (في أهل أدمال أودفس) أو رفعة أو مكانة (ف) لا بد له أن يرضى بقسمة الجبار و أن (لا تكونن) رؤية هذه الغفيرة (له فتنة) ولا توجب له ضلالا ولا توقع له في الحسد و لا تبعث له إلى الرغبة إلى الأغنياء و إخلاص السعوى لهم ولخدمتهم للطمع بما في أيديهم (فان) هذه كلها تكون شاغلة له عن سلوك سبيل الحق ، حاجبة عن التوجه إلى الله ، مانعة عن الوصول إلى رضوان الله وفيها دنائة النفس و رذالة الطبع و (المرء المسلم ما لم يغش دنائة تظهر) و لم يأت على رذالة تشهر بين الناس (فيخشع لها إذا ذكرت) و يستحيى من ذكرها ويلزمه بارتكابها الخجل (و تغرى بها لثام الناس) و عوامهم في فعل مثلها أو هتك سره بها كان (كالفالج الياسر) والقامر الفايز (الذي ينتظر) في قماره ولعبه بالاقداح (أول فوزه من قداحه توجب له) هذه الفوزه (المغنم) و يأخذ بها نصيبه الموسوم به (و ترفع بها عنه المغرم) ويدفع ضرر الغرامة عنه

و (كذلك المرء المسلم) الصائم لنفسه الحافظ لدينه العاري من الدنائة و (البريء من الخيانة ينتظر) في حياته مع صبره عن المعصية فوز (إحدى الحسينيين إما) أن يدعو (داعي الله) بقبضه إليه فيستجيب له ويفوز بإذن بالنعيم المقيم ويدخل الجنة التي عرضها الأرض و السماء (فما عند الله خير له) وأبقى وهي فوزه لا تفنى (وإما) أن يفتح له أبواب (رزق الله) ويدركه كرامة الله (فإذا هو ذو أهل و مال ومعه دينه وحسبه) فيفوز الفوز العظيم مع الأمان من العذاب الأليم وهو أفضل عند العاقل من الفتنة بالغير و الالتفات عن الله و تملين لوح النفس برذائل الأخلاق من الحسد ونحوه .

وذلك من حيث (إن المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة) ومن كان يريد (١) حرث الآخرة نزلده في جرته و من كان يريد حرث الدنيا نواته

منها وماله في الآخرة من نصيب ، فحرب الدنيا حقير وحرب الآخرة جليل خطير ،
والمال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا
وخير أملا .

(و قد يجمعهما الله لا قوام) وما كان قولهم (١) إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا
وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فأنتم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين (فاحذروا من الله) واتقوه (بما حذركم
من نفسه) بقوله : فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب
أليم (واخشوه خشية صادقة) ليست بذات تعذير (إذ الاعتذار إنما ينفع عند
من هو جاهل بالسراير ومحجوب عما في الضمائر

و أما الله العالم الخبير بما في الصدور فليس للاعتذار عنده نفع ولا ثمر ،
وينبئ الإنسان (٢) يومئذ بما قدم وأخر ، بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى
معاذيره ، فيجزى المعتذرون جزاء ما كانوا يعملون ، فيومئذ (٣) لا ينفع الذين ظلموا
معدرتهم ولا هم يستعتبون

(واعملوا في غير رياء ولا سمعة) أي عملا خالصا مخلصا عنهما وفي حذف
المتعلق دلالة على العموم فيشمل جميع الأعمال ويدل على وجوب الاخلاص في
الكل كما قال الصادق عليه السلام : لا بد للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون
لأنه إذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلا والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال : إنهم
إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، وقال : أولئك هم الغافلون

قال بعض العلماء في تفسير ذلك : يجب أن يكون للعبد في كل شيء يفعلها
وعمل يعمل من نية اخلاص حتى في مطعمه ومشربه وملبسه ونومه ونكاحه ، فإن
ذلك كله من أعماله التي يسأل عنها و يجازى عليها فإن كانت لله وفي الله كانت في

١- اقتباس من الآية الشريفة في سورة آل عمران. منه

٢- اقتباس من الآية في سورة القيامة ، منه

٣- الآية في سورة الروم

ميزان حسنه ، وإن كانت في سبيل الهوى ولغير الله كانت في ميزان سيئاته ، و كان صاحبها في الدنيا على مثال البهائم الراتعة والأنعام المهملة السارقة ولا يكون على الحقيقة إنساناً مكلماً موقفاً وكان من الذين ذكرهم الله بقوله : أغفلنا قلبه عن ذكرنا أي وجدناه غافلاً كقولك : دخلت بلدة فاعمرتها أي وجدتها عامرة فهو غافل عما يأتيه ويذره متبعاً لهواه فيما يورده ويصدره

ثم علل بأنه وجوب ترك الربا بقوله : (فاتنه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له) ويقطع عنه ميامن لطفه وأطاف نظره

و معناه ما رواه أحمد بن محمد بن فهد في عدة الداعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى : أنا خير شريك و من اشرك معي شريكاً في عمله فهو لشريكى دونى لا أنسى لا أقبل إلا ما خلص لى

قال : وفي حديث آخر أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً ثم اشرك فيه غيري فأنا منه بري ، وهو للذي أشرك به دونى هذا و لما كان همته بالتقوى مقصورة على طلب السعادة الأخروية أردف كلامه بقوله (نسأل الله منازل الشهداء ومعاشة السعداء ومرافقة الأنبياء)

قال الشارح البحراني و في ذلك جذب للسامعين إلى الاقتداء به في طلبها والعمل بها و بدء بأنه بطلب أسهل المراتب الثلاثة للإنسان و ختم بأعظمها فإن من حكم له بالشهادة غايته أن يكون سعيداً ، و السعيد غايته أن يكون في زمرة الأنبياء رفيقاً لهم ، و هذا هو الترتيب اللائق من المؤدب الحاذق ، فإن المرتبة العالية لا تنال دفعة دون نيل ما هو أدون منها

تكميل استبصارى

في بيان معنى الربا و ذكر بعض ما وردت فيه من الآيات والأخبار والاشارة إلى أقسامه وإلى الدوا والنافع له فالكلام في مقامات أربعة

المقام الاول

في تحقيق معنى الربا و السمة فنقول : إن الربا هو ترك الاخلاص بملاحظة

غير الله فيه وأصله من الرؤية كأنه لا يعمل إلا إذا رأى الناس ورأوه، والسمعة بالضم كالرياء إلا أنها تتعلق بحاسة السمع والرياء بحاسة البصر وعن الفارابي في ديوان الأدب يقال: فعل ذلك رياء و سمعة إذا فعل ذلك ليراه الناس ويسمعوا به

وقال الغزالي في إحياء العلوم: الرِّياء مشتق من الرؤية، والسمعة مشتقة من السماع وإنما الرِّياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإبرائهم خصال الخير إلا أن الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى الله، واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها، فحدُّ الرِّياء هو إرادة العباد بطاعة الله، فالمرائي هو العابد، والمرائي هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم، والمرائي به هو الخصال التي قصد المرائي إظهارها، والرِّياء قصد إظهار ذلك.

أقول: والأولى ما ذكرناه، لكونه شاملاً للعبادات وغيرها فعلاً وتركا حسبما تعرفه في الأقسام الآتية، وما ذكره مختص بفعل العبادات فقط فلا يعم

الثاني

في ذكر بعض ما ورد فيه من الآيات والأخبار

قال الله سبحانه: فويل للمصلين الذينهم عن صلاتهم ساهون، والذينهم يراؤن وقال النبي ﷺ: إن النار أهلها يعجبون من أهل الرِّياء، فقيل: يا رسول الله كيف تعجب النار؟ قال: من حرَّ النار التي يعدُّون بها وقال أيضاً: ينادى المرائي يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر يا خاسر، ظلُّ فضلِّ سعيك، وبطل عملك، ولاخلاق لك، التمس الأجر ممن كنت تعمل له يا مخادع

وقال أيضاً: إن أول ما يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن، و رجل قاتل في سبيل الله، و رجل كثير المال فيقول الله عز وجل للقاري ألم اعلمك ما انزلت على رسولي؟ فيقول: بلى يا رب فيقول: ما عملت به فيما علمت؟ فيقول: يا رب قمت به في

آناء الليل وأطراف النهار، فيقول الله تعالى: كذبت وتقول الملائكة كذبت: و يقول الله تعالى: إنما أردت أن يقال فلان قارى فقد قيل ذلك .

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأصدق، فيقول الله تعالى: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ذلك .

ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى: ما فعلت؟ فيقول: امرت بالجهاد في سبيل الله فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله تعالى: كذبت، وتقول الملائكة كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جري شجاع فقد قيل ذلك، ثم قال رسول الله ﷺ: أولئك خلق الله تسعهم نار جهنم، وهذه الأخبار وبنائها من كتاب الأنوار للمحدث الجزائري

وفي الوسائل عن الكليني بإسناده عن فضل أبي العباس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يصنع أحدكم أن يظهر حسنا ويسر سريئاً أليس يرجع إلى نفسه فيعلم أن ذلك ليس كذلك والله عز وجل يقول: بل الإنسان على نفسه بصيرة، إن السريرة إذا صححت قويت العلانية

وعن السكوني عنه عليه السلام أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرايرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم .

وعن البرقي في كتاب المحاسن عن يحيى بن بشير النيسابى عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أراد الله عز وجل بالقليل من عمله أظهره الله أكثر مما أراد به، ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبقى الله إلا أن يقلله في عين من سمعه

وروى الصدوق في كتاب عقاب الأعمال بإسناده عن علي بن جعفر عن أخيه

موسى بن جعفر عن أبيه عن آباءه صلوات الله عليهم قال : قال رسول الله ﷺ : يؤمر
برجال إلى النار فيقول الله عز وجل لِمَالِك : قل للنار : لا تحرق لهم أقداما فقد
كانوا يمشون بها إلى المساجد ، ولا تحرق لهم وجوه هاهنا فقد كانوا يسبغون الوضوء ،
و لا تحرق لهم أيدي فقد كانوا يرفعونها بالدعاء ، و لا تحرق لهم السنة فقد كانوا
يكثرون تلاوة القرآن ، قال : فيقول لهم خازن النار : يا أشقىا ما كان حالكم ؟
قالوا : كنا نعمل لغير الله عز وجل فقل لناخذوا ثوابكم ممن عملتم
وفي الوسائل عن الكليني بإسناده عن جراح المدائني عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله
عز وجل : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »
قال : الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله إنما يطلب تزكية النفس
يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربه ، ثم قال : ما من عبد أسر
خيرا فذهبت الأيام أبدا حتى يظهر الله له خيرا ، وما من عبد يسر شرا فذهبت الأيام
حتى يظهر الله له شرا .

وعن السكوني عنه (عليه السلام) أيضا قال : قال النبي ﷺ إن الملك ليصعد بعمل
العبد مبتهجا به فإذا سعد بحسناته يقول الله عز وجل : اجعلوها في سجين إنه ليس
أيأى أراد به .

وعن علي بن عقبة عن أبيه قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : اجعلوا أمركم هذا لله
ولا تجعلوا للناس فانه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد إلى الله .

وفي عدة الداعي لأحمد بن فهد الحلبي عن الشيخ أبي جعفر محمد بن أحمد بن
علي القمي نزيل الرى في كتابه المنبى عن زهد النبي عن عبد الواحد عمن حدته
عن معاذ بن جبل قال : قلت : حدثنى بحديث سمعته من رسول الله و حدته من
دقايق ما حدثك به قال نعم وبكى معاذ

ثم قال : بأبي وأمي حدثنى وأنا رديفه فقال : بينا نحن نسير إذ رفع بصره
إلى السماء فقال ﷺ : الحمد لله الذي يقضي في خلقه ما أحب ، ثم قال : يا معاذ

قلت : ليك يا رسول الله وسيد المؤمنين ، قال : يا معاذ قلت : ليك يا رسول الله امام
الخير و نبي الرحمة قال ﷺ احدثك شيئاً ما حدثت نبي أمته إن حفظته نفعك
عيشك وإن سمعته ولم تحفظه انقطعت حججتك عند الله

ثم قال ﷺ ، إن الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات فجعل في
كل سماء ملكاً قد جللها بعمامته وجعل على كل باب من أبواب السماء بواباً فيكتب
الحفظة عمل العبد من حين يصبح إلى حين يمسي ثم ترفع الحفظة بعمله و له نور
كنور الشمس ، حتى إذا بلغ سماء الدنيا فتزكّيه و تكثره فيقول الملك قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الغيبة فمن اغتاب لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري
أمرني بذلك ربي .

قال : ﷺ ثم يجيء الحفظة عن الغد ومعهم عمل صالح فتمر به و تزكّيه
و تكثر حتى تبلغ السماء الثانية فيقول الملك الذي في السماء الثانية : قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه إنما أراد بهذا العمل عرض الدنيا أناصاحب الدنيا لا أدع عمله
يتجاوزني إلى غيري وهو يحب الدنيا .

قال : ثم تصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً بصدقة و صلاة فتمجّب به الحفظة
و تجاوزه إلى السماء الثالثة فيقول الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
أنا ملك صاحب الكبر فيقول : إنه عمل و تكبر على الناس في مجالسهم أمرني ربي
أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري .

قال : و تصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كالكوكب الدرّي في السماء له دوي
بالتسبيح و الصوم و الحج فتمر به إلى السماء الرابعة فيقول لهم الملك : قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه و بطنه أناملك العجب إنه كان يعجب بنفسه وإنه
عمل و أدخل نفسه العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري .

قال : و تصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة إلى أهلها فتمر به إلى
ملك السماء الخامسة بالجهار و الصدقة ما بين الصلاتين و كذلك العمل له رنين كرنين

الابل عليه ضوه كضوه الشمس فيقول الملك : قفوا أنا ملك الحسد و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه ، إنّه كان يحسد من يتعلّم أو يعمل لله بطاعته و إذا رأى لأحد فضلا في العمل و العبادة حسده و وقع فيه فيحملوه على عاتقه و يلعنه عمله .

قال : و تصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة و زكاة و حجّ و عمرة فيتجاوزبه إلى السّماء السّادسة فيقول الملائكة : قفوا أنا صاحب الرّحمة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه و اطمسوا عينيه ، لأنّ صاحبه لم يرحم شيئا إذا أصاب عبداً من عباد الله ذنبا للأخرة أو ضرراً في الدنّيا شمت به أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري .

قال : و تصعد الحفظة بعمل العبد بفقّه و اجتهاد و ورع و له صوت كالرعد و ضوه كضوه البرق و معه ثلاثة آلاف ملك فتمرّ بهم إلى ملك السّماء السّابعة فيقول الملك : قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الحجاب أحجب كل عمل ليس لله إنّه أراد رفعة عند القوادر و ذكراً في المجالس و صيتاً في المدائن أمرني ربّي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيري ما لم يكن لله خالصاً

قال : و تصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً به من صلاة و زكاة و صيام و حجّ و عمرة و خلق الحسن و صمت و ذكر كثير تشبّهه ملائكة السّماوات و الملائكة السبعة بجماعتهم فيطئون الحجاب كلّها حتّى يقوموا بين يديه سبحانه فيشهدوا له بعمل و دعاء فيقول سبحانه : أنتم حفظة عمل عبدي و أنارقيب على ما في نفسه إنّه لم يردني بهذا العمل عليه لعنتي فيقول الملائكة : عليه لعنتك و لعنتنا

قال : ثمّ بكى معاذ قال : قلت : يا رسول الله ما أعمل و اخلص قال : اقتدينيك يا معاذ في اليقين قال : قلت : أنت رسول الله و أنا معاذ قال : فان كان في عملك تقصير يا معاذ فاقطع لسانك عن إخوانك و عن حملة القرآن ، و لتكن ذنوبك عليك لا تحمّلها على إخوانك ، و لا ترك نفسك بتدميم إخوانك ، و لا ترفع نفسك بوضع

إخوانك ، ولا تراء بعملك ، ولانداخل من الدنيا في الآخرة ، ولا تفحش في مجلسك لكي يحذروك لسوء خلقك ، ولانناج مع رجل وأنت مع آخر، ولا تعظم على الناس فتقطع عنك خيرات الدنيا ، ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب أهل النار ، قال الله تعالى : « والناشطات نشطا » أفندري ماالناشطات ؟ إنّه كلاب أهل النارتنشط اللحم والعظم قلت : ومن يطبق هذه الخصال ؟ قال : يا معاذ أما أنته يسير على من بسر الله تعالى عليه قال : وما رأيت معاذاً يكتر تلاوة القرآن كما يكتر تلاوة هذا الحديث

الثالث

في أقسام الرّيا و الوجوه المتصوّرة فيه ، وهي كثيرة إلاّ أنّها منشعبة عن قسمين أحدهما الرّيا المجض و الثاني الرّيا المشوب
أمّا الرّيا المجض فهو أن لا يكون مراد بالعبادة إلاّ الدنيا و رؤية الناس كالذي يصلّي بين أظهر الناس ، ولو كان منفرداً لكان لا يصلّي بل ربّما يصلّي من غير طهارة مع الناس ، فهذا يجب أن يترك لأنّه معصية لاطاعة فيه أصلاً
وأما الرّيا المشوب فهو يتصوّر على وجوه
أحدها أن يعقد على الاخلاص قلبه ثمّ يطره الرّيا و دواعيه مثل أن يفتح الصلّاة بالاقبال فيدخل عليه داخل أو ينظر إليه ناظر فيقول له الشيطان : رد صلاتك حسناً حتّى ينظر إليك هذا الناظر بعين الوقار فتخشع جوارحه ويحسن صلّاته
وذلك مثل ما روي أنّ رجلاً لا يقدر على الاخلاص في العمل فاحتال وقال :
إنّ في ناحية البلد مسجداً مهجوراً لا يدخله أحد فأمضي إليه ليلاً وأعبده فيه ، فمضى إليه في ليلة ظلماء وكان ذات رعد وبرق ومطر فشرع في العبادة فيبينما هو في الصلّاة إذ دخل عليه داخل فأحسّ به فدخله السرور برؤية ذلك الدّاخل له و هو مشغل بالعبادة في الليلة المظلمة ، فأخذ في الجهد والاجتهاد في عبادته إلى أن جاء النهار فنظر إلى ذلك الدّاخل فإذا هو كلب أسود قد دخل المسجد ممّا أصابه من المطر فندم الرّجل على ما فعل وقال : يا نفس إنّي فررت من أن اشرك بعبادة ربي أحداً فوعدت أن أشركت في عبادته كلباً وا أسفا واويلاً على هذا

الثاني أن يأتيه الشيطان من معرض الخير ويقول له : اعمل هذا العمل ليقتردي بك الناس فيحصل لك أجر من عمل به ، وهذه المكيدة أعظم من الأولى و ينخدع بها من لا ينخدع بتلك وهو عين الرّيا لأنّه اذا رأى هذه الحالة خيراً لا يرضى بغيره تركها فلم تركه وهو في الخلوة وليس أحد أغرّ على الانسان من نفسه

الثالث أن يتنبه العاقل لهاتين ويستحيي من المخالفة بين صلاته في الخلوة والملاء فيحسن صلاته في الخلوة ليطابق الجلوة ، وهذا أيضاً من الرّيا لأنّه حسن صلاته في الخلوة ليحسن في الملاء فكان نظره في عمله إلى الناس

الرابع أن ينظر إليه الناس و هو في صلاته فيعجز الشيطان عن ابقاعه في الرّيا بأن يقول له : اخشع لأجلهم ولكن يقول له : تفكّر في عظمة الله وجبروته ومن أنت واقف بين يديه واستحي أن ينظر الله إلى قلبك وأنت غافل عنه فيحضر بذلك وتجتمع جوارحه ويطنّ أن ذلك عين الاخلاص و هو عين الرّيا فانّ خشوعه لو كان لنظره إلى عظمة الله لم لم يكن حالته في الخلوة هكذا ؟

الخامس أن يكمل العبادة على الاخلاص لكن عرض له بعد الفراغ حب اظهارها لتحصيل بعض الأغراض ، و ذلك بأن يخدعه الشيطان ويقول له : إنك قد أكملت العبادة الخالصة و قد كنت في ديوان المخلصين و لا يقدر فيها ما يتجدد وإنما ينضم إلى ما حصله بها من الخير الآجل خير عاجل فيحدث به و يظهره ، وهو أيضاً مبطل للعمل ومفسد له وإن سبق

قال الصادق عليه السلام من عمل حسنة سرّاً كتبت له سرّاً فإذا أقرّ بها محبت و كتبت جهراً ، فإذا أقرّ بها ثانياً محبت و كتبت رياء و فضل عمل السر على عمل الجهر سبعون ضعفاً ، نعم لو تعلّق باذا عته غرض صحيح كما لو أراد ترغيب الغير فيه إذا لم يمكن الترغيب بدونه لم يكن به بأس

السادس أن يترك العمل خوفاً من الرّيا ، وهذا أيضاً من خدایع إبليس اللعين لأنّ غرضه الأقصى ترك العمل فاذا لم تجب إليه و اشتغلت به قيدعوك إلى

الربِّ يا وغيره فاذا تركته فقد حصلت غرضه

قال ابن فهد في عدّة الداعي ومثال ذلك من سلم إليه مولاة حنطة فيها قليل من المباين إمّا شعيراً أو مدر ، وقال : خلّصها من التراب مثلاً ونقها منه تنقية جيّدة بالغة ، فيترك أصل العمل و يقول : أخاف إن اشتغلت به ألاّ يخلص خلاصاً صافياً ويترك العمل من أصله

السابع أن يترك العمل لا لذلك بل خوفاً على الناس أن يقولوا إنه مرائي فيعصون الله تعالى به ، وهذا أيضاً كسابقه ربه خفيّ لأنّ ترك العمل خوفاً من أن يقال له : إنه مرائي عين الربِّ ، ولولا حبّه لمحمدتهم وخوفه من مذمتهم فماله ولقولهم إنه مرآه أوقالوا إنه مخلص وأي فرق بين ترك العمل خوفاً من قولهم : إنه مرآه وبين أن يحسن العمل خوفاً من قولهم : إنه مقصّر غافل مع ما في ذلك من سوء الظنّ بالمسلمين ، ومن إطاعة الشيطان في ترك العمل

الثامن أن يكون ترك العمل إشفاقاً على المسلمين بأن يقول له إبليس اللعين : اترك العمل إشفاقاً على المؤمنين من وقوعهم في الانم بظنّ السوء وتركك العمل إشفاقاً عليهم يقوم مقام العمل و يحصل لك بذلك الثواب لأنّ نظر المصلحة للمسلمين حسنة فيعادل الثواب الحاصل من العمل بل هو أفضل لأنّه متعدّد إلى الغير ؛ وهذا الخيال من غوايل النفس الأمارّة المائلة إلى الكسالة والبطالة ومكيدة عظيمة من الشيطان الخبيث لما لم يجد إليك مسلماً فصنك من هذا الطريق وزين لك هذا التمنيق

قال ابن فهد ووجه فساده يظهر من وجوه:

الأوّل أنّه عجيب لك الوقوع في الانم المتيقن فانك ظننت أن يظنّوا بك انك مرآه ، وهذا ظنّ سوء وعلى تقدير وقوعه منهم يلحقهم به إنم وظنك هذا بهم أيضاً ظنّ سوء يلحقك به الانم إذا لم يكن مطابقاً لما ظننت بهم وتركت العمل من أجله فعدلت من ظنّ موهوم إلى إنم معلوم ، وحذراً من لزوم انم لغيرك فأوقيت فيه نفسك .

الثاني أنك إذن وافقت إرادة الشيطان بترك العمل الذي هو مراده ، وترك العمل و البطالة موجب لاجتراء الشيطان عليك و تمكّنه منك ، لأن ذكره تعالى و التولى في خدمته يقربك منه و بقدر ما تقرب منه تبعد من الشيطان و ان فيه موافقة للنفس الأمامة بميلها إلى الكسالة و البطالة و هما ينبوع آفات كثيرة إن كان لك بصيرة

الثالث مما يدلك أن هذا من غوائل النفس و ميلها إلى البطالة أنك لما نظرت إلى فوات الثواب الحاصل لك من البطالة و إلى فوات وقوعهم في الاثم آثرتهم على نفسك بتخفيف ما يلزمهم من الاثم بسوء الظن و حرمت نفسك الثواب ، و تفكر في نفسك و تمثل في قلبك بعين الانصاف لو حصل بينك و بينهم في شيء من حظوظ العاجلة منازعة إما في دار أو مال أو ظهر لك نوع معيشة تظن فيها فائدة و حصول أكنت تؤثرهم على نفسك و تتركه لهم ؟ كلاً والله بل كنت تناقشهم مناقشة المشاقق و تستأثر عليهم فيما يظهر لك من أنواع المعيشة إن أمكنك فرصة الاستيثار و تقلى الحبيب و تقضى القريب

التاسع أن يقول لك اللعين إذا كنت لا تترك العمل لذلك فاحف العمل فإن الله سيظهره عليك فاما إذا أظهرته فيمكن أن تقع في الرِّيا ، و هذا التلبس عين الرِّيا لأن إخفاك له كي يظهر بين الناس هو بعينه العمل لأجل الناس ، و ما عليك إذا كان مرضياً عند الله تعالى أن يظهر للناس أو يخفي

الرابع

في علاج الرِّيا وهو على ما ذكره الغزالي في إحياء العلوم أن الانسان يقصد الشيء و يرغب فيه لظنه أنه خير له و نافع و لذيد إما في الحال و إما في المال فان علم أنه لذيد في الحال ولكنّه ضاراً في المال سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم أن العسل لذيد ولكن إذا بان له أن فيه سمّاً أعرض عنه ، فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من المضرّة

و مهما عرف العبد مضرّة الرّيا وما يفوته من صلاح قلبه و ما يحرم عنه في الحال من التّوفيق و في الآخرة من المنزلة عند الله و ما يتعرّض له من العقاب العظيم و المقت الشّديد و الخزي الظاهر حيث ينادى على رؤوس الخلابيق يا فاجر يا غادر يا مرائي أما استحييت ؟ إذ اشتريت بطاعة الله عرض الدّنيا ، وراقبت قلوب العباد و استهزمت بطاعة الله و تحبّبت إلى العباد بالتبغض إلى الله ، و تزوّجت لهم بالشّين عند الله ، و تقرّبت إليهم بالبعد من الله ، و تحمّدت إليهم بالتذمّ عند الله ، و طلبت رضاهم بالتعرّض. لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله؟

فمهما تفكّر العبد في هذا الخزي و قابل ما يحصل له من العباد و التزوّج لهم في الدّنيا بما يفوته في الآخرة و بما يحبط عليه من ثواب الأعمال مع أنّ العمل الواحد به ربّما كان يترجّح ميزان حسناته لو خلس فاذا فسد بالرّيا خول إلى كفة السيئات فترجّح به و يهوى إلى النار ؛ فلو لم يكن في الرّيا إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره و إن كان مع ذلك ساير حسناته راجحة ، فقد كان ينال بهذه الحسنّة علو الرّتبة عند الله في زمرة النّبيين و الصّديقين ، و قد حطّ عنهم بسبب الرّيا وردّ إلى صفّ النّعال من مراتب الأولياء هذا

مع ما يتعرّض له في الدّنيا من تشتت الهمّ بسبب ملاحظة قلوب الخلق ، فإنّ رضا النّاس غاية لا تدرك فكلّ ما يرضى به فريق يسخط به فريق ، و رضا بعضهم في سخط بعضهم ، و من طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليهم و أسخطهم أيضاً عليه ثمّ أيّ عرض له في مدحهم و ايثار ذمّ الله لأجل حمدهم ، ولا يزيدهم حمدهم رزقا ولا أجلا ، ولا ينفعه يوم فقره و فاقته و هو يوم التّيامة

و أما الطمع فيما في أيديهم فإنّ يعلم أنّ الله هو المسخر للقابو بالمنع و الاعطاء و لارازق إلا الله و من طمع في الخلق لم يخل من الدّلّ و الخيبة ، و إن وصل إلى المراد لم يخل عن المنّة و المهانة فكيف يترك ما عند الله برجاه كاذب ، و وهم فاسد ؟ و قد يصيب و قد يخطي و إذا أصاب فلا تفي لذّته بألم منته و منذلته .

وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيد ذمهم شيئاً فإذا قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها ففرت رغبته وأقبل على الله قلبه ، فإن العاقل لا يرغب فيما يكبر ضرره ويقبل نفعه ، ويكفيه أن الناس لو علموا ما في بطنه من قصد الرياء وإظهار الاخلاص لمقتوه ، وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه إلى الناس ويعرفهم أنه مرء وممقوت عند الله ولو اخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحبه إليهم و سخرهم له واطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه .

أقول وهو كما روي أن رجلاً من بني إسرائيل قال: لأعبدن الله تعالى عبادة اذكر بها فمكث مدةً مبالغا في الطاعات و جعل لا يمرُّ بملاء من الناس إلا قالوا متصنع مرء ، فأقبل على نفسه وقد قال : اتعبت نفسيك وضيعت عمرك في لا شيء ، فينبغي أن تعمل لله سبحانه فغير نيته وأخلص عمله لله تعالى ، فجعل لا يمرُّ بملاء من الناس إلا قالوا ورع تقي هذا

مع أن مدح الناس لا ينفعه وهو عند الله مذموم ومن أهل النار ، وذم الناس لا يضره وهو عند الله محمود ومن أهل الجنة فمن أحضر في قلبه الآخرة و نعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحق ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنقصات وكيف يرضى العاقل أن يجعل ثمن عمله مدح الناس له وما في أيديهم من حطام الدنيا و زخارفها مع أنها على تقدير النيل إليها ثمن بخس ورضا الله سبحانه هو الجزاء الأوفى

فلو قيل لك : إن ههنا رجلا معه جوهر نفيس يساوي مائة ألف دينار و هو محتاج إلى ثمنه بل إلى بيعه عاجلا و إلى أضعافه ثمنا فحضر من يشتري منه متاعه بأضعاف ثمنه مع حاجته إلى الأضعاف فأبى بيعه بذلك و باعه بفلس واحد ألسن تحكم بسفاهة ذلك البايع و نقصان عقله ؟

فحال المرآئي بعينه مثل حال هذا البايع ، فإن ما يناله العبد بعمله من حطام الدنيا ومدح الناس له بالاضافة إلى ثواب الآخرة ومرضات الله سبحانه أقل من فلس في جنب ألف دينار بل أقل من نسبه إلى الدنيا وما فيها ؛ هذا كله هو الداء العلمي

و أما الدواء العملي فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب
 دونها كما يغلُق الأبواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله وإطلاعه على عبادته
 ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غيره سبحانه
 و لذلك كان عيسى يقول للحواريين إذا صام أحدكم فليدهن رأسه و لحيته
 ويمسح شفتيه بالزيت لئلا يرى الناس أنه صائم ، وإذا أعطى يمينه فليخف عن شماله
 و إذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الشئ كما يقسم الرزق .
 وقال رسول الله ﷺ إن في ظل العرش ثلاثة يظلهم الله بظلمته يوم لا ظل
 إلا ظله : رجلان تحاببا في الله و افترقا عليه ، ورجل تصدق يمينه صدقة فأخفاها
 عن شماله ، ورجل دعت امرأة ذات جمال فقال : إنني أخاف الله رب العالمين
 فلا دواء للرباه مثل الاخفاء وذلك يشق في بداية المجاهدة وإذا صبر عليه مدة
 بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل أطفاف الله و ما يمد به عباده من
 حسن التوفيق والتأييد والتسديد ، ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
 فمن العبد المجاهدة ، و من الله الهداية ومن العبد قرع الباب و من الله فتح الباب ،
 والله لا يضيع أجر المحسنين ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما

تكملة

هذا الفصل من الخطبة الشريفة رواه ثقة الاسلام الكليني في الكافي عن عدة
 من أصحابنا عن سهل بن زياد عن عبدالرحمان بن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن
 أبي حمزة عن حمى بن عقيل عن حسن عليه السلام قال : خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه
 فحمد الله و أتى عليه و قال :

أما بعد فاتمه إنما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم
 الربانيون والأخبار عن ذلك ، وإنما هم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون
 و الأخبار عن ذلك نزلت لهم العقوبات ، فأمروا بالمعروف ، و انهوا عن المنكر ،
 و اعلموا أن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لم يقربا أجلا و لن يقطعوا رزقا ،

إِنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ كَقَطْرِ الْمَطَرِ ، إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَدَّرَ اللَّهُ مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ ، فَإِنْ أَصَابَ أَحَدَكُمْ مَصِيبَةٌ فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ وَرَأَى عِنْدَ أَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا يَكُونَنَّ لَهُمْ فِتْنَةٌ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ لَيَبْرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيُخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَ يَغْفِرُ بِهَا لِثَمَّ النَّاسِ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قَدَاحِهِ ، تَوْجِبُ لَهُ الْمَغْنَمَ وَ يَرْفَعُ عَنْهُ بِهَا الْمَغْرَمَ ، وَ كَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ إِمَامًا دَاعِي اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ ، وَإِمَامًا رَزَقَ اللَّهُ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلِ وَ مَالٍ وَمَعَهُ دِينُهُ وَ حِسْبُهُ إِنَّ الْمَالَ وَ الْبَنِينَ حَرْتِ الدُّنْيَا ، وَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْتِ الْآخِرَةِ ، وَ قَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ، فَاخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ ، وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ بَاءٍ وَسَمْعَةٍ فَإِنَّهُ مِنْ يَعْمَلُ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ ، نَسَأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَ مَعَايِشَةَ السَّمَدَاءِ ، وَ مِرَاقِقَةَ الْأَنْبِيَاءِ

الترجمة

از جمله خطب آن امام عالمیانست در تأویب قفراء باعدم حسد باغنیاء و تأویب اغنیاء با تهزید از جمع مال دنیا و در اخلاص اعمال و افعال از سمعه و ریا میفرماید
 اما بعد از حمد الهی و درود حضرت رسالت پناهی پس بدرستی که امر الهی نازل میشود از آسمان بر زمین ، و خارج می شود از قوه بعمل ، و موجود میشود در مواد سفلیه بعد از وجود در صحایف علویه مانند قطره های باران بسوی هر نفسی بمقدار آنچه قسمت شده بر او از زیاده و نقصان ، پس هر گاه ببیند یکی از شما مر برادر خود را زیادتى در اهل یا مال یا نفس یا سایر آنها پس باید که نباشد مر او را فتنه و فساد چون وقوع در حسد و عناد پس بدرستی مرد مسلمان مادام که نیاید بر سر دنائت و ناکسى که ظاهر شود آن دنائت از او در میان مردمان پس چشم برهم نهد از خجالت برای ظهور آن دنائت در وقت مذاکره مردم آن دنائت را ، و حریص کرده شوند مردمان دنی در فعل مثل آن میشود آن مرد مسلم مثل فیروزی یا بنده قمار بازنده که انتظار کشد اول بردن را از تیرها و چوبهای آن که آن بردن واجب میگرددند از برای آن غنیمت را و برداشته میشود از او بجهت آن بردن غرامت و مثل همین قمار باز است مرد مسلمان که بریست از خیانت انتظار می کشد

از جانب خداوند یکی از این دو حالت را یا خواننده خدا بسوی او پس آنچه که نزد خداوند از اصناف کرامت و انواع رحمت است بهتر است مراد را ، و یا روزی خدا پس ناگاه میشود او صاحب اهل و مال درحالی که با اوست دین و حسب و علم و ادب او بدرستی مال و اولاد کشت این سرای فایند ، و عمل صالح کشت در باقی است .
و گاهی جمع میفرماید خداوند ، هر دو این کشت را از برای گروهی که متّصف بشوند بصفت توکل ، پس بترسید از خداوند بآنچه که ترسانده شمارا با او از خودش ، و بترسید از او ترسیدنی که نباشد در او عذرخواهی و دروغ ، و عمل نمائید عمل خالصی که خالیست از ریا و سمعه ، پس بدرستی هر که عمل نماید از برای غیر خدا و اگذار میکند خداوند تعالی او را بر آنکس که همل کرده از برای او ، میخواهیم از خدای تعالی منزلهای شهیدان ، و زندگانی سعیدان ، و رفاقتی یغمبران و همراهی ایشان را .

الفصل الثاني

وهو مروی فی الکافی باختلاف کثیر وزیاده و نقصان حسبما تطلع علیه :

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَعْنِي الرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ ،
وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَالسِّنِينَهِمْ ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حِيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ ،
وَأَلْمُهُمْ لِسَعْتِهِ وَأَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَزَائِلِهِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ ، وَلسَانُ الصَّدَقِ
يَجْمَعُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يورثه غيره .

منها

أَلَا لَا يَمْدُلُنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ ، يَرَى بِهَا الْخِصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا
بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ
عَشِيرَتِهِ فَإِنَّا نَقْبِضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَتُقْبِضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدِي كَثِيرَةٌ ،
وَمِنْ تَلِينِ حَاشِيَتِهِ يَسْتَدِيمُ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ .

اللغة

(الحيطة) بكسر الحاء وسكون الياء الحفظ يقال حاطه حوطا وحيطة وحيطة حفظه و صانه و (لم) الله شعثه قارب بين شتيت اموره وجمعها و (الخصاصة) الفقر قال سبحانه : « يؤثرون علي أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » و (حاشية) الرجل نفسه وجانبه ، وحاشيته أيضاً أتباعه وخواصه وأهله

الاعراب

جملة يرى في محلّ النصب على الحالية ، وأن يسدها في موضع الجرّ بدلا من القرابة ، وحاشيته بالرفع فاعل تلن ، وفي رواية الكافي الآتية يلن بالياء التحتانية فحاشيته بالرفع أو بالنصب مفعول له بواسطة الحرف أى يلن لحاشيته

المعنى

اعلم أنه لما أدب الفقراء بترك الحسد على الأغنياء بمامرّ تفصيلا في الفصل السابق أورد ذلك بتأديب الأغنياء بعدم الزهد عن الأرحام الفقراء و البعد عنهم وعن سدّ خلقتهم و جبر فاتتهم فقال : (أيها الناس إنه لا يستغنى الرجل وإن كان ذاملا) وصاحب ثروة (عن عشيرته) وقبيلته (و) عن (دفاعهم عنه بأيديهم) صولة قبائل (و) ذبّهم عنه (بالسنتهم) مسبة قاتل .

وذلك لأن المال والثروة لا يغني عن الاخوان والعشيرة بل أشدّ الناس حاجة إلى الأعوان والأتباع هم أكثر الناس ثروة وغفيرة ، ألا ترى الملوك و المتشبهين بهم من أرباب الأموال كم حاجتهم إلى الأصحاب والأعوان في الأعمال والأفعال وأحقّ الناس بعدم الاستغناء عنه هم عشيرة الرجل وأقرباه (وهم أعظم الناس حيطة من ورائه) وحفظ الجانبيه (والمهم لشعثه) وأجمعهم لمتفرّق أموره (وأعطفهم عليه عند نازلة) أو مصيبة (إذا نزلت به) و ذلك لجهة القرب الباعثة لدواعي الشفقة عليه (ولسان الصدق) و الذكر الجميل المترتب على البذل و الانفاق (يجعله الله للمرء في الناس) و بينهم (خير له من) جمع (المال) وامساكه حتى (يورثه غيره) ولنعم ما قال حاتم في هذا المعنى مخاطبا لامراته مارية :

أماري ان يصبح صدای لقفرة
 ترى أن ما انفقت لم يك ضربي
 أماري ما يعني الثراء عن الفتى
 أماري إن المال غاد و رايح
 وقد علم الأرقام لو أن حاتما
 من الأرض لاما لدى ولا خيمر
 و أن يدي مما بخلت به صفر
 إذا حشرجت يوما وضاق به الصدر
 ويبقى من المال الأحاديث والذكر
 أراد ثراه المال كان له وفر
 (ألا يعدلن أحدكم عن (الأرحام و (القرابة يرى بها) الفاقة و (الخصاصة
 أن يسدها ب) فضل ماله (الذي لا يزيده إن أمسكه و لا ينقصه إن اهلكه) أى لا
 ينفع ذلك الشخص إمساكه ولا يضره الفاقة لكونه زايدأعلى قدر الحاجة وفاضلا
 على معيشته (و من يقبض يده عن عشيرته فانما يقبض منه عنهم يد واحدة و تقبض
 منهم عنه أيدي كثيرة)

قال السيد : ما أحسن هذا المعنى فإن الممسك خيره عن عشيرته إنما يمسك
 نفع يد واحدة فإذا احتاج إلى نصرتهم واضطر إلى مرافقتهم (١) قعدوا عن نصره
 وتناقلوا عن صوته فممنع ترافد الأيدي الكثيرة وتناهض الأقدام الجمّة
 (ومن تلن حاشيته) ويحسن خلقه ويتواضع للناس (يستدم من قومه المودة)
 لأن لين الجانب و حسن الخلق و التواضع جالب للالفة و كاسب للمودة كما أن
 التكبر والجفارة وخشونة الطبيعة باعثة على الانقطاع والعداوة قال سبحانه :
 « وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ

وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ » .

هذا كله إن حملنا لفظ الحاشية على النفس والجانب ، و إن حملناه على الأتباع
 والخواص فيكون المقصود به التأديب لهم باصلاح حال الأتباع
 بيان ذلك أن الأتباع هم الذين عليهم يدور تدبير صلاح حال الرجل فبحسب
 شدتهم وغلظتهم ولينهم وتواضعهم يكون الناس أقرب إليه و أبعد منه وبذلك يتفاوت

بغضهم ومحبتهم له وانسهم ونفارهم عنه ، فيلزم على الرجل إصلاحهم كما يلزم عليه إصلاح نفسه و يلحقه اللوم و الذم بترك الأول كما يلحقانه بترك الثاني ، إذ بتواضعهم و لينية جانبهم يستدام المحبة ويستجلب المودة كما أن تواضعه بنفسه يستديمها ويستجلبها ولنعم ما قيل :

و إذا ما اختبرت ودّ صديق
فاختبر ودّه من الغلمان

تبصرة

اعلم أن هذا الفصل من الخطبة قد رواه الكليني في الكافي بزيادة و نقصان و تقديم و تأخير لا بأس بالإشارة إليه ، والسند فيه محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن عثمان بن عيسى عن يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين :
 لن يرغب المرء عن عشيرته و إن كان ذا مال و ولد ، و عن مودتهم و كرامتهم و دفاعهم بأيديهم و ألسنتهم ، هم أشدّ الناس حيلة من ورائه و أعظمهم عليه و ألمهم لشعته ، إن أصابته مصيبة و انزل به بعض مكاره الأمور ، و من يقبض يده عن عشيرته فإنما يقبض عنهم يداً واحدة و يقبض عنه منهم أيدي كثيرة ، و من يلن حاشيته يعرف صديقه منه المودة و من بسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دينه و يضاعف له في آخرته ، و لسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خيراً من المال بأكله و يورثه ، لا يزداد أحدكم كبراً و عظماً في نفسه و نايباً عن عشيرته إن كان موثراً في المال ، و لا يزداد أحدكم في أخيه زهداً و لآمنه بعداً إذا لم يرمه مروّة و كان معوزاً في المال ، لا يفغل أحدكم عن القرابة بها الخاصة أن يسدها بما لا ينفعه إن أمسكه ، و لا يضره إن استهلكه

تكملة

قد عرفت جملة من ثمرات صلة الأرحام و مفاصد قطيعتها في هذه الخطبة مثل كونهم معاونين للرجل و حاميين له و الذّائنين عنه و كون البرّ عليهم موجبا للذكر الغير و الشّناء الجميل و كون الممسك عنهم بمنزلة الطالب لمنفعة يد واحدة المفوت على نفسه منافع أيدي كثيرة ، و قد اشير إلى طائفة مما يترتب عليهما من الآثار

والتسمرات وراه مأمراً في سائر الروايات ، ولا بأس بالإشارة إلى بعضها مما رواها ثقة الاسلام الكيني في الكافي .

فباسناده عن إسحاق بن عمار قال : بلغني عن أبي عبد الله عليه السلام أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله أهل بيتي أبو إياي وتبأ علي وقطيعة لي وشتيمة فأرفضهم؟ قال عليه السلام : إذن يرفضكم الله جميعاً ، قال : فكيف أصنع؟ قال : تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، فإنك إذا فعلت ذلك كان لك من الله عليهم ظهير .

وعن محمد بن عبدالله قال : قال أبو الحسن عليه السلام : يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله ثلاثين سنة ويفعل الله ما يشاء وعن أبي حمزة قال : قال أبو جعفر عليه السلام : صلاة الأرحام تزكي الأعمال ، وتنمي الأموال ، وترفع البلوى ، وتيسر الحساب ، وتنسى في الأجل .

وعن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : صلاة الأرحام تحسن الخلق ، وتسبح الكف ، وتطيب النفس ، وتزيد في الرزق ، وتنسى في الأجل

وعن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أبوذر رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : حافظنا الصراط يوم القيامة الرحم والأمانة ، فإذا مر الوصول للرحم المؤدي للأمانة نفذ إلى الجنة ، وإذا مر الغائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعه معها عمل ، وتكفأ به الصراط في النار .

وعن الحكم الحنط قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : صلاة الأرحام وحسن الجوار يعمران الديار ، ويزيدان في الأعمار

وعن إسحاق بن عمار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن صلاة الأرحام والبر ليهوئان الحساب ، ويعصمان من الذنوب فصلوا أرحامكم ، وبرؤا باخوانكم ولو بحسن السلام ورد الجواب

وعن عبد الصمد بن بشير قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : صلاة الأرحام (١) يهون الحساب يوم القيامة وهي منسأة في العمر ، وتقى مسارع السنو ، وصدقة الليل تطفي غضب الرب

١- في الوافي عن الكافي الحديث هكذا : صلاة الأرحام تهون الحساب يوم القيامة ، وهي منسأة في العمر ، وتقى مسارع السنو الخ « المصحح »

وعن إسحاق بن عمار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصولاً للرحم ، فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة ، ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة ، وثلاثين سنة فيكون قاطعاً للرحم فيقصه « فيقصه » الله ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاث سنين ، والروايات في هذا الباب كثيرة ، وفيما رويناه كفاية بإنشاء الله

الترجمة

ای گروه مردمان بدرستی که مستغنی نمیشود مرد و اگر چه بوده باشد صاحب جاه و مال از قبیله خود و از رفیع کردن ایشان مکروه را از او بدستهای خود و زبانهای خود و ایشان بزرگترین مردمانند از حیثیت حفظ و حمایت از پس او ، و جمع کننده ترین مردمانند مرکارهای پریشان او را ، و مهربان ترین خلقتند بر او هنگام فرود آمدن بلا اگر فرود آید باو ، و زبان صدق و ذکر خیر که میگرداند خدای تعالی از برای مرد در میان مردمان بهتر است از برای او از مالی که اوست بگذارد آن را بغیر خود آگاه باشید باید میل نکند و عدول ننماید یکی از شما از خویش و قوم در حالتی که بیند در او فقر و پریشانی از آنکه سد کند فقر آن را بمال زاید خود که افزون نمی گرداند او را اگر امساک کند و نگه دارد آنرا ، و کم نمی سازد اگر بذل نماید و انفاق کند آن را ، و هر که قبض و نگه دارد دست خود را از قبیله خود پس بدرستی که نگه داشته می شود از جانب او از خویشانش یکدست و فراهم گرفته میشود از جانب ایشان از اوستهای بسیار ، و هر که نرم باشد جانب او و خوش نفس باشد طلب دوام می کند از قوم خود محبت را

و من خطبة له عليه السلام و هي الرابعة و العشرون من المختار في باب الخطب

وَلَعَمْرِي مَا عَلِيٌّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَ خَابَطَ النَّبِيَّ مِنْ إِذْهَانٍ

وَلَا إِيْمَانٍ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَفِرُّوْا مِنْ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ ، وَامْضُوا فِي
الَّذِي تَهَجَّهٖ لَكُمْ ، وَقُومُوا يَا عَصَبَهُ بِكُمْ ، فَفِي ضَامِنٍ لِفُلْجِكُمْ أَجْلًا إِنْ لَمْ
تَمْتَحُوْهُ عَاجِلًا .

اللغة

(خابط الفئ) بصيغة المفاعلة خبط كل منهما في الآخر ، و الفئ الضلالة
(و الادهان) والمداهنة المصانعة والمناقاة قال سبحانه : « وُدُّوْا لَوْتَدُهْنَ فَيَدُهْنُونَ »
(الايمان) مصدر أو هنة أى أضعفه و (نهج) الأمر أوضحه وجعله نهجا أى طريقا
يَسْنَا و (عصبه بكم) أى ربطه و ناطه كالعصابة التي يشدُّ بها الرأس و (الفلج)
بالضم الفوز ومنه الفالج الذي قد مرَّ في الخطبة السابقة و (منحه) كضربه ومنعه
أعطاه و الاسم المنحة وهي العطية

الاعراب

العمر بفتح العين و ضمها البقاء و لا تستعمل فى القسم إلا بالفتح قال بعض
المحققين : قول الشخص لعمرى مبتدأ محذوف والخبر وجوبا والتقدير قسمى أويمنى
وهو داير بين فصحاء العرب ، قال تعالى : « لعمرى إنهم لفي سكرتهم يعمهون »
لا يقال : إنَّ الحلف بغير الله تعالى منهي عنه .

لأننا نقول : ليس المراد به القسم الحقيقي بجعل غيره تعالى مثله في التعظيم
بل المراد صورته لترويج المقصود أو الكلام على حذف المضاف أى فبواهب
عمرى وعمرى .

المعنى

اعلم أن مقصوده **ع** بهذا الكلام الرد على قول من قال إن متابعته
لمحاربييه و مصانعتهم كان اولى من محاربتهم ، فنبه على فساد ذلك القول و بطلان
هذا الزعم وقال : (لعمرى ما على من قتال من خالف الحق) و (جهاد من) خابط

الغنى من (مساهلة و ادهان ولا) ضعف و (ايهان) إذ مقاتله أهل التعمرد والضلالة واجبة والمداهنة فيها معصية

و لذلك إن الله سبحانه أوحى إلى شعيب النبي إنتي معدب من قومك مائة ألف أربعين ألفا من شرارهم و ستين ألفا من خيارهم ، فقال : يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأختيار ؟ فأوحى الله إليه داهنوا أهل المعاصي ولم يعضبوا بغضبي (فاتقوا الله عباد الله) بالحنذر عن معاصي الله (وفرّوا من) غضب (الله إلى) رحمة (الله و امضوا في) الطريق (الذي نهجه لكم) و شرعه في حقكم و هو جادة الشريعة التي يجب سلوكها لكل أحد (و قوموا بما عصبه بكم) و ربطه عليكم و هو الأوامر الشرعية و التكاليف الالهية و إذا قمتم بواجب ما امرتم من هذه الأوامر (فعلي) بن أبيطالب (ضامن لفلجكم آجلا) في دار القرار بجنت تجري من تحتها الأنهار (إن لم تمنعوه عاجلا) في دار الدنيا لعدم تمام استعدادكم له ، و قد يتم الفوز بالسعادتين العاجلية و الآجلية لمن وفته قوته بالقيام بهما و كمل استحقاقه لذلك في علم الله سبحانه و لما كان حصول السعادة و الفوز للدرجات العالية من لوازم التقوى ظاهر اللزوم في علمه ﷻ لاجرم كان ضامنا له و زعيما به

اشراق

في بيان معنى التقوى لغة و شرعاً و ما يترتب عليه من الثمرات الدنيوية و الآخروية .

فقول : التقوى في اللغة الاتقاء و هو اتخاذ الوقاية ، وفي العرف هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته .

وقيل هي بحسب العرف الشرعي تعود إلى خشية الحق سبحانه المستلزمة للاعراض عن كلما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا و زينتها و تنحية مادون و جهة القصد .

و قال الصادق عليه السلام في تفسيرها : أن لا يفقدك حيث أمرك ، و لا يبراك حيث نهاك .

و قال بعض العارفين : إنَّ خيرات الدُّنيا والآخرة جمعت تحت لفظة واحدة وهي التقوى انظر إلى ما في القرآن الكريم من ذكرها ، فكم عُن عليها من خير ووعدها من نواب وأضاف إليها من سعادة دنيوية وكرامة اخروية .
وفي عدَّة الدَّاعي هي العدة الكافية في قطع الطريق إلى الجنة بل هي الجنة الواقية من متالف الدنيا والآخرة ، وهي الممدوحة بكلِّ لسان و المشرفة لكلِّ إنسان ، وقد شحن بمدحها القرآن وكفاها شرفا قوله تعالى : « ولقد وصَّينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله » ولو كان في العالم خصلة هي أصلح للعبد وأجمع للخير وأعظم بالقدر وأولى بالايصال وانجح للامال من هذه الخصلة التي هي التقوى ؛ لكان الله أوصى بها عباده لمكان حكمته و رحمته ، فلمَّا أوصى بهذه الخصلة الواحدة . جمع الأُولين و الآخرين و اقتصر عليها علم أنَّها الغاية التي لا يتجاوز عنها ولا مقتصر دونها والقرآن مشحون بمدحها وعدُّ في مدحها خصالا : الأُول المدحة و الثناء « وإن تصبروا و تتقوا فإن ذلك من عزم الامور » .
الثاني الحفظ و التحصين من الأعداء « وإن تصبروا و تتقوا لا يضرُّكم كيدهم شيئا » .

الثالث التأييد والنصر « إنَّ الله مع المتقين »
الرابع إصلاح العمل « يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم »
الخامس غفران الذنوب « ويغفر لكم ذنوبكم »
السادس محبة الله « إنَّ الله يحبُّ المتقين »
السابع قبول الأعمال « إنما يتقبل الله من المتقين »
الثامن الاكرام « إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم »
التاسع البشارة عند الموت « الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ »

العاشر النجاة عن النار « ثم ننجي الذين اتقوا »
 الحادي عشر الخلود في الجنة « أعدت للمتقين »

الثاني عشر تيسير الحساب « وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء »
 الثالث عشر النجاة من الشدايد و الرزق الحلال « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب و من يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً » فانظر ما جمعت هذه الخصلة الشريفة من السعادات فلا تنس نصيبك منها .

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن حضرت است در اظهار نبات قدم خود در محاربه جماعات طاغیه و ردّ قول کسی که قایل بمداهنه اوست در محاربه و ترهیب مردمان از تمرّد و عصیان و ترغیب ایشان بطاعت خداوند عالمیان می فرماید: قسم بزندگان خود که نیست بر من از مقاتله مخالفین حق و شریعت و سالکین طریق ضلالت هیچ مدارا کردن و سستی نمودن ، پس بترسید از خدا ای بندگان خدا و بگریزید بسوی رحمت خدا از غضب خدا و بروید در آن راهی که روشن ساخته است آنرا از برای شما ، و قیام نمایند بآنچه باز بسته است آنرا بشما ، و هرگاه اینطور حرکت نمایند پس علی بن ایطالب ضامن است بر رستگاری شما در آخرت اگر داده نشوید فیروزی و برادر خود نرسید در دنیا

و من خطبة له عليه السلام وهي الخامسة والعشرون من المختار في باب الخطب

وهي من أواخر خطبة خطب بها بعد فراغه من صفين و انقضاء أمر الحكمين والخوارج ، وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد و قدم عليه عامله على اليمن و هما عبيد الله بن العباس و سعيد بن نمران لما غلب عليهما بسرن أرطاة

فَقَامَ ^{لِي} إِلَى الْمَنْبِرِ ضَجْرًا بِشَاقِلِ أَصْحَابِهِ عَنِ الْجِهَادِ وَمُخَالَفَتِهِمْ لَهُ فِي الرَّأْيِ
فَقَالَ ^{لِي} :

مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهْبُ
أَعَاصِرُكَ فَقَبَّحَكَ اللَّهُ ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

لَعَمْرُ أَيْكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنْ نِيَّ عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْأَيْهَاءِ قَلِيلٍ
ثُمَّ قَالَ :

أُنْبِتُ بُسْرًا قَدْ أَطَمَعَ عَلَى الْيَمَنِ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَظُنُّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ
سَيِّدَ أُلُوفٍ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ ،
وَبِمُعَصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ ، وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِمْ
الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ ، وَخِيَانَتِكُمْ صَاحِبِكُمْ ، وَبِصَالِحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ ،
وَفَسَادِكُمْ ، فَلَوْ ائْتَمَنْتُمْ أَحَدَكُمْ عَلَى قُبِّ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ
اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلَيْتُهُمْ وَمَلُونِي ، وَسَمَيْتُهُمْ وَسَمُونِي فَأَبْدِنِي بِهِمْ خَيْرًا
مِنْهُمْ ، وَأَبْدِلُهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي ، اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبِهِمْ كَمَا مِثْ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ
أَمَا وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنْ لِي بِكُمْ أَلْفُ فَارِسٍ مِنْ تَيْبِ فَرَّاسِ بْنِ غَنْمٍ :

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ قَوَارِسٌ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْعَجَمِ

قال السيد: الأرمية جمع رمى وهو السحاب، والحميم في هذا الموضع وقت الصيف وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا وأسرع خفوقا، لأنه لا ماء فيه، وذلك لا يكون في الأكثر إلا في الشتاء وأراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا والاعانة إذا استغيثوا

اللغة

(قبض) من باب ضرب و (بسط) من باب نصر و (هبت) الرّيح من باب نصر هاجت و (الأعاصير) جمع إعصار وهي الرّيح المستديرة على نفسها قال تعالى «فأصابها إعصار فيه نار» و (الوضر) بقبية الاسم الدسم ظه في الاناء ويستعار لكل بقية من شيء يقال الانتفاع بها و (اطلع) فلان علينا إذا ظهر و (أدالنا) الله من عدونا أي جعل الدولة والغلبة لنا عليهم و (القعب) قدح من خشب مقعر و (علاقته) ما يتعلق به عليه و (مات) زيد الملح في الماء إذا أذابه، وبنو فراس بن غنم بفتح العين وسكون النون حتى معروف بالشجاعة من بني كنانة وهم بنو فراس بن غنم بن ثعلبة ابن مالك بن كنانة و (الجفول) في كلام الرضيّ الاسراع و (الخفوق) الطيران

الاعراب

كلمة مانافية وهي مبتدأ، وإلا الكوفة خبر، وأقبضها خبر ثان أو خبر لمبتدأ محذوف أي أنا أقبضها، والمرجع لكلمة هي هو المملكة نزل حضورها في ذهنه ^ببلا منزلة الذكر السابق أي ما مملكتي إلا الكوفة، ويحتمل أن يكون هي ضمير شأن والكوفة مبتدأ وأقبضها خبراً عنه ونظيره في احتمال الضمير للأمرين قوله: «كألاً إنَّها لظي» .

وقوله: إن لم تكوني إلا أنت كلمة أنت تأكيد للضمير المستتر وهو اسم تكون والخبر محذوف، وجملة تهب أعاصيرك في موضع الحال، وتقدير الكلام إن لم تكوني إلا أنت عدو لي وجنة اتقى بها العدو وحظاً من الملك والخلافة مع ما عليه حالك من المذام فقبجالك، ويمكن أن يقدم المستثنى منه حالاً أي إن لم

تكونني على حال إلا أن تهبَّ فيك الأعاصير دون أن يكون فيك من يستعان به على العدو فقتبحك الله، والخير بالجرُّ صفة لايبك، و قليل صفة لوضر، و الضمير المستتر في قوله: أن يذهب بعلاقته، راجع إلى الأحد، والباء للتعدية أو إلى القعب والباء بمعنى مع والباء في قوله إن لي بكم للعرض

المعنى

اعلم أنه ينبغي لنا أن نذكر نسب معاوية عليه اللعنة والهاوية في هذا المقام أولاً، ثم نشير إلى اطلاع بسر على اليمن اجمالاً وما جرى من جوره وظلمه على شيعة أمير المؤمنين في اليمن وغيرها، ثم نرجع إلى شرح الخطبة فأقول: قال العلامة الحلبي قدس سره في كشف الحق روى أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي في كتاب المثالب كان معاوية لعنارة بن الوليد المغزومي، و لمسافر ابن أبي عمرو، ولأبي سفيان، ولرجل آخر سماه، وكانت هند أمه من المعلمات وكان أحب الرجال إليها السودان، وكانت إذا ولدت أسود دفنته، وكانت حمامة إجدى جدات معاوية لها راية في ذي المجاز

وذكر أبو سعيد إسماعيل بن علي السمعاني الحنفي من علماء العامة في مثالب بني أمية، والشَّيخ أبو الفتح جعفر بن محمد الهمداني من علمائهم في كتاب البهجة المستفيد أن مسافر بن عمرو بن أمية بن عبد شمس كان ذا جمال وسخاه، فمشق هنداً وجامعها سفاحاً واشتهر ذلك في قريش، فلما حملت وظهر السفاح هرب مسافراً من أبيها إلى الحيرة، وكان فيها سلطان العرب عمرو بن هند و طلب أبوها عتبة أباسفيان ووعده بمال جزيل و زوجته هنداً فوضعت بعد ثلاثة أشهر معاوية ثم ورد أبو سفيان على عمرو بن هند فسأله مسافر عن حال هند فقال: إنني تزوجتها فمرضت وماتت.

وفي البحار من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفني عن يوسف بن كليب المسعودي عن الحسن بن حماد الطائي عن عبد الصمد البارقي قال: قدم عقيل على

علي عليه السلام وهو جالس في صحن مسجد الكوفة فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال : و عليك السلام يا أبا يزيد ثم التفت إلى الحسن بن عليّ فقال : قم وانزل عمك ، فذهب به وأنزله وعاد إليه فقال عليه السلام له : اشترله قميصاً جديداً ورداه جديداً وازاراً جديداً ونعلاناً جديداً ففدا على علي عليه السلام في الثياب فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين قال : و عليك السلام يا أبا يزيد قال : يا أمير المؤمنين ما أراك أصبت من الدنيا شيئاً إلا هذه وإنّي لا ترضى نفسى من خلافتك بما رضيت به لنفسك فقال : يا أبا يزيد يخرج عطائي فادفعه إليك

فارتحل عن عليّ إلى معاوية فلمّا سمع به معاوية نصب كراسيه وأجلس جلسائه فورد عليه فأمر له بمائة ألف درهم فقبضها فقال له معاوية : أخبرني عن العسك بن فقال : مررت بعسكر عليّ بن أبي طالب فإذا ليل كليل النبيّ ونهار كنهار النبيّ إلا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ليس في القوم ، و مررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله ليلة العقبة

فقال : من هذا الذي عن يمينك يا معاوية ؟ قال : هذا عمرو بن العاص قال : هذا الذي اختصم فيه ستة نفر فقلب عليه جرارها فمن الآخر ؟ قال : الضحّاك بن قيس الفهري قال : أما والله لقد كان أبوه جيّد الاخذ لعسب (١) التيؤس خسيس النفس .

فمن هذا الآخر ؟ قال : أبو موسى الأشعري قال : هذا ابن المراقبة السراقاة . فلمّا رأى معاوية أنّه قد أغضب جلسائه قال : يا أبا يزيد ماتقول فيّ ؟ قال : دع عنك قال : لتقولنّ قال : أتعرف حمامة ؟ قال : ومن حمامة ؟ قال : أخبرتك ، ومضى عقيل فأرسل معاوية إلى النسابة فقال : أخبرني من حمامة ؟ قال : أعظمني الأمان على نفسي وأهلي فأعطاه قال : حمامة جدّتك وكانت بغيّة في الجاهلية لها راية تؤتي قال الشيخ : قال أبو بكر بن رنين هي أمّ أمّ أبي سفيان

وفي شرح المعتزلي معاوية هو أبو عبد الرّحمان معاوية بن أبي سفيان صخر بن

حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، و أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وهو الذي قاد قريشا في حروبها إلى النبي ﷺ وكانت هند تذكر في مكة بفجور وعهر

وقال الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار : كان معاوية يغري إلى أربعة : إلى مسافر بن أبي عمرو ، و إلى عمارة بن الوليد بن المغيرة ، و إلى العباس عبدالمطلب ، و إلى الصباح مغن كان لعمارة بن الوليد .

قال : وقد كان أبو سفيان ذميماً قصيراً أو كان الصباح عسيفاً (١) لأبي سفيان شاباً و سيماً ، فدعته هند إلى نفسها ففشيها و قالوا إن عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضاً و قالوا أنها كرهت أن تضعه في منزلها فخرجت إلى أجياد فوضعت هناك ، و في هذا المعنى يقول حسبان بن ثابت أيام المهاجاة بين المشركين و المسلمين في حياة رسول الله ﷺ قبل عام الفتح :

لمن الصبى بجانب البطحاء في الترب ملقى غير ذي مهد
بخلت به بيضاء انسة من عبد شمس صلته الخد

قال الشارح : و لى معاوية انتتى و أربعين سنة منها اثنتا و عشرون سنة و لى فيها اماراة الشام منذ مات أخوه يزيد بن أبي سفيان بعد خمس سنين من خلافة عمر إلى أن قتل أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في سنة أربعين ، و منها عشرون سنة خليفة إلى أن مات في سنة ستين .

قال : و كان معاوية على اس الدهر مبغضاً لعلی عليه السلام شديد الانحراف عنه و كيف لا يبغضه و قد قتل أخاه يوم بدر و خاله الوليد بن عتبة و شرك انا في جده و هو عتبة أو في عمه و هو شيبة على اختلاف الرواية و قتل من بني عبد شمس نفراً كثيراً من أعيانهم و أمثالهم ، ثم جاءت الطامة الكبرى واقعة عثمان فنسبها كلها إليه بشبهة إمساكه

عنه وانضواه كثير من قتلته إليه ﷺ فتأكدت البغضة ونارت الأحقاد وتذكرت تلك التراث الأولى حتى أفضى الأمر إلى ما أفضى إليه .

قال : وقد كان معاوية مع عظم قدر عليّ ﷺ في النفوس و اعتراف العرب بشجاعته وأنه البطل الذي لا يقام له يتهدده و عثمان بعد حربي بالحرب و المنابذة و يرأسله من الشام رسائل خشنة

ثم قال : و معاوية مطعون في دينه عند شيوخنا يرمى بالزندقة وقد ذكرنا في نقض السفىانية على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلامية عنه من الالحاد: والتعرض لرسول الله وما تظاهر به من الجبر والارجاء ، ولولم يكن شيء من ذلك لكان في محاربه الامام ﷺ ما يكفي في فساد حاله لاسيما على قواعد أصحابنا و كونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على المصير إلى النار و الخلود فيها إن لم يكفروا التوبة .

وأما سريين ارطاة وقيل ابن أبي ارطاة وكيفية خروجه و ظهوره على البلاد فهو أن قوما بصنعاء كانوا من شيعة عثمان يفظمون قتله لم يكن لهم نظام و لا رأس فبايعوا لعليّ ﷺ على ما في انفسهم و عامل عليّ على صنعاء يومئذ عبيد الله بن العباس ابن عبدالمطلب و عامله على الجند سعيد بن نمران .

فلما اختلف الناس على عليّ بالعراق و قتل محمد بن أبي بكر بمصر و كثرت غارات أهل الشام تكلموا ودعوا إلى الطلب بدم عثمان فبلغ ذلك عبيد الله بن عباس فأرسل إلى اناس من وجوههم فقال ما هذا الذي بلغني عنكم ؟ قالوا : اننا لم نزل ننكر قتل عثمان ونرى مجاهدة من سعى عليه فحبسهم فكتبوا إلى من في الجند من أصحابهم فتأروا بسعيد بن نمران فأخرجوه من الجند وأظهروا أمرهم وخرج إليهم من كان بصنعاء و انضم إليهم كل من كان على رأيهم ولحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم إرادة أن يمنعوا الصدقة .

والتقى عبيد الله بن عباس وسعيد بن نمران ومعهما شيعة عليّ فقال ابن عباس لابن نمران : والله لقد اجتمع هؤلاء و انهم لنا لمقاربون و إن قاتلناهم لانعلم على

من تكون الدِّبْرَة فهلمّ لنكتب إلى أمير المؤمنين نخبرهم فكتبنا إليه عليه السلام يخبر انه الخبير ، فلما دخل كتابهما ساء علياً عليه السلام وأغضبه فكتب إليهما كتابا يوبّخهما على سوء تدييرهما في ترك قتال أهل اليمن ، وكتب إلى اهل الجند وصنعاه كتاباً يهدّدهم فيه و يذكرهم الله سبحانه فأجابوه بأننا سامعون مطيعون إن عزلت عنا هذين الرجلين عبيد الله وسعيداً ، قالوا : وكتبت تلك العصابة حين جاءها كتاب علي عليه السلام إلى معاوية يخبرونه وكتبوا في كتابهم :

معاوي الا تشرع السير نحونا نباع علياً أو يزيد اليمانيا

فلما قدم كتابهم إلى معاوية دعى بسر بن أبي أرطاة و كان قاسي القلب فظاسفاً كالألداء ، لارأفة عنده ولا رحمة فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكة حتى ينتهي إلى اليمن و قال له : لا تنزل على بلد أهله على طاعة علي إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لا نجاة لهم وانك محيط بهم ثم أكف عنهم وادعهم إلى البيعة لي فمن أبي فاقته و اقل شيعه علي حيث كانوا

فتوجه بسر نحو اليمن ولما قرب المدينة كان عامل علي عليها أبوأيوب الأنصاري فخرج عنها هارباً فدخل بسر المدينة فخطب الناس و شتمهم و تهددهم ثم شتم الانصار و تهددهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم ودعى الناس إلى بيعة معاوية فبايعوه و نزل فأحرق دوراً كثيرة و أقام بالمدينة أياماً ثم قال لهم إنني قد عفوت عنكم و إن لم تكونوا لذلك بأهل وقد استخلفت عليكم أباهريرة فاياكم و خلافه

ثم خرج إلى مكة و قتل في طريقه رجالا و أخذ أموالا و بلغ أهل مكة خبره ففتح عنها عامة أهلها و خافوا و هربوا فخرج ابنا عبيد الله بن العباس و هما سليمان و داود و أمهم حورية و تكنى أم حكيم مع أهل مكة فاضلوهما عند بئر ميمون ابن الحضرمي و هجم عليهما بسر فأخذهما و ذبحهما فقالت أمهما :

ها من احسّ بابني اللذين هما كالدّرتين تشظّي عنهما الصّدف

ها من احسّ بابني اللذين هما سمعي و قلبي قلبي اليوم مختطف

ها من احسّ بابني اللذين هما مخّ العظام فمخّي اليوم مزدهف

نَبَتْ بسرًا وما صدقت ما زعموا من قتلهم ومن الأفك الذي افترقوا

الايات

ولما قرب بسر من مكة هرب قثم بن العباس وكان عامل عليّ ودخلها بسر فشتهم أهل مكة وأنسبهم ثم خرج واستعمل عليها شيبة بن عثمان ودخل الطائف وبات بها وخرج منها فأتى نجران فقتل عبدالله بن عبد الممدان وابنه مالكا وكان عبدالله هذا صهراً لعبيدالله بن العباس ، ثم جمعهم وقام فيهم وقال : يا أهل نجران يا معشر النصارى وإخوان القروء أما والله إن بلغنى عنكم ما أكره لأعودن عليكم بالتي تقطع النسب وتهلك الحرث وتخرب الديار ، وتهدد دهم طويلا

ثم سار حتى أتى ارحب فقتل أباكرب وكان يتشيع ويقال : إنه سيد من كان بالبادية من همدان فقدّمه فقتله ، وأتى صنعاء وقدرج عنها عبيدالله بن العباس وسعيد بن نمران وقد استخلف عبيدالله عليها عمر بن اراكة الثقفي فمنع بسرًا من دخولها وقتاله فقتله بسر ودخل صنعاء فقتل منها قوما ، وأناه وفد هارب فقتلهم ولم ينج منهم إلا رجل واحد

ثم خرج من صنعاء وأتى أهل حيان وهم شيعة لعليّ فقاتلهم وقتلوه فهزموهم وقتلهم قتلا وزيعا ثم رجع إلى صنعاء وقتل بها مائة شيخ من أبناء فارس .

وروى أبي وداع قال : كنت عند عليّ عليه السلام لما قدم عليه سعيد بن نمران الكوفة فعتب عليه السلام عليه وعلى عبيدالله أن لا يكونا قتالا بسرًا ، فقال سعيد قد والله قاتلت ولكن ابن عباس خذلني وأبى أن يقاتل ، ولقد خلوت به حين دناننا بسر فقلت : إن ابن عمك لا يرضى مني ومنك بدون الجدد في قتالهم قال : لا والله مالنا بهم طاقة ولا يدان فقمتم في الناس فحمدت الله ثم قلت : يا أهل اليمن من كان في طاعتنا وعلى بيعة أمير المؤمنين فإلى إلى ، فأجابني منهم عصابة فاستقدمت بهم فقاتلت قتالا ضعيفا وتفرق الناس عني وانصرفت

قال أبو مخنف فندب عليّ عليه السلام أصحابه لبعث سرية في أثر بسر فنشأوا فقام عليه السلام إلى المنبر ضجراً بشاقل أصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له في الرأي فقال عليه السلام :

(ماهي إلا الكوفة أقبضها وأبسطها) أي أنصرف فيها كما يتصرف الإنسان في نوبه بقبضه و بسطه .

والكلام في معرض التحقير أي ما أضع بتصرفي فيها مع حقارتها، ويحتمل أن يكون المراد عدم التمكن التام من التصرف فيها لئلا يقدد على لبس نوب بل على قبضه و بسطه ، أو المراد بالبسط بث أهلها للقتال عند طاعتهم و بالقبض الاقتصار على ضبطهم عند المخالفة

قال الشارح البحراني : أقبضها و أبسطها كنايةتان عن وجوه التصرف فيها ، أي إن الكوفة والتصرف فيها بوجوه التصرف حقيق بالنسبة إلى ساير البلاد التي عليها الخصم فما عسى أضع بتصرفي فيها وما الذي أبلغ به من دفع الخصم ومقاومته و هذا كما يقول الرجل في تحقير ما في يده من المال القليل إذا رام به أمراً كثيراً : إنما هو هذا الدنيا فما عسى أبلغ به من الغرض

ثم قال عليه السلام على طريق صرف الخطاب (فإن لم تكوني إلا أنت) عد و لا من الغيبة إلى الخطاب على حد قوله : إياك نعبد و إياك نستعين ، يعني إن لم تكن مملكتي من الدنيا إلا أنت حال كونك (تهب أعاصيرك) وتنبعث منك الآراء المختلفة و الفتن المضله و يثور الشقاق و التفاق (فقبحك الله ثم تمثّل) لأجل استصغاره أمرها (بقول الشاعر :

لعمريك الخير يا عمرو انني على و ضر من ذا الاناء قليل)

تشبيها للكوفة بالوضر الباقي في الاناء في حقارتها بالنسبة إلى ما استولى عليها خصمه من الدنيا كحقارة الوضر بالنسبة إلى ما يشتمل عليه الاناء من الطعام ، فاستعار لفظ الاناء للدنيا و لفظ الوضر القليل للكوفة يعني إنني على بقيّة من هذا الأمر كالوضر القليل في الاناء

(ثم) شرع في استنفارهم إلى الجهاد (وقال : أنبت بسرا قد اطلع على اليمن وظهر على أهلها و إنني والله لأظن هؤلاء القوم) المنافقين القاسطين (سيدالون منكم) و يغلبون عليكم (ب) بالأسباب التي توجب دولتهم و غلبتهم عليكم وهو (اجتماعهم على

باطلهم) وهو التصرف الغير الحق في البلاد (وتفرقكم عن حقكم) وهو التصرف المستحق باذن ولي الامر (وبمعصيتكم امامكم في الحق وطاعتهم امامهم في الباطل) في اوامره الباطلة و احكامه الضالة (و بادائهم الامانة إلى صاحبهم) حيث لزموا بعهده ووفوا ببيعته (و خيانتكم صاحبكم) حيث تركتم لموارزته في القتال و تقضتم عهده و غدرتم له (وبصلاحتهم في بلادهم) حيث راقبوا انتظام امورهم (و فسادكم)

والسر في جميع ذلك ما قاله الجاحظ من أن أهل العراق أهل نظر وذو فطن ناقبة ومع الفطنة والنظر يكون التنيب (١) والبحث ، ومع التنيب والبحث يكون القدرح والطعن والترجيح بين الرجال والتمييز بين الرؤساء و اظهار عيوب الأمراء وأهل الشام ذوو بلادة و تقليد و جمود على رأى واحد لا يرون النظر ولا يسألون عن مغيب الأحوال وهذا هو العلة في عصيان أهل العراق على الأمراء وطاعة أهل الشام لهم ثم بالغ ~~في~~ في ذمهم بالخيانة على سبيل الكناية وقال : (فلواتمتمت أحدكم على قعب خشب لخشيت أن يذهب) ذلك القعب (بعلاقته)

ثم شكى إلى الله سبحانه منهم بقوله : (اللهم إني قد مللتهم) لكثرة ما تكرر مني الأمر لهم بالجهاد و الذب عن دين الله المنافي لطبايعهم و المنافر عنه قلوبهم المشغولة بالدنيا و زخارفها و البقاء فيها (و ملوني) لاني دعوتهم إلى الله سبحانه و إلى تحصيل مرضاته ليلا و نهاراً فلم يزد هم دعوتي إلا فراراً (و ستمتهم و ستموني) .

ثم أردف تلك الشكاية بالنضرع إلى الله في الخلاص منهم ثم بالدعاء عليهم بقوله : (فأبدلني بهم خيراً منهم) كلمة الخير هنا بمنزلتها في قوله سبحانه : « اولئك خير أم جنة الخلد » على سبيل التنزل أو التحكم ؛ أو أريد بها المعنى الوصفى بدون تفضيل ولعل المراد بذلك قوم صالحون ينصرونه و يوقفون لطاعته ، أو ما بعد الموت من مرافقة النبي وآله وغيره من الأنبياء و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقا ، و تمنيه لفوارس فراس بن غنم ربما يؤيد الأول

وأما قوله: (وأبدلهم بي شرّاً منّي) فربّما استشكل صدور مثل هذا الدّعاء عنه عليه السلام من وجهين:

أحدهما أنّه يقتضى أن يكون هو ذا شرّ وقد ثبت أنّه كان منزّها عن الشرور الثاني أنّه كيف يجوز أن يدعو بوجود الشرور ووجود الأشرار وأجيب عن الأوّل بوجهين أحدهما أنّ صيغة أفعّل لم يرد بها التّفضيل وإنّما أريد بها أصل الوصف فالعنى أبد لهم بمن فيه شرّ غيري الثاني أن يكون شرّاً منّي بحسب عقايد أهل الكوفة إنّ في شرّاً عليهم واعتقادهم أنّه ذو شرّ لا يوجب كونه كذلك.

وعن الثاني بوجهين أيضاً أحدهما أنّ دعائه عليه السلام بما يبدلهم بدن هو شرّ منه مشتملة على مصلحة مقتضية لحسنه وهوان هذا الدّعاء، ربما يكون مخوفاً لهم جاذباً لاكثرهم إلى الله سبحانه مع ما فيه مضافاً إلى ما ذكر من أن نزول الأمر المدعوّ به عليهم بعده ممّا ينبتهم على فضله ويذكرهم أن ابتلائهم بذلك إنّما هو لترّكهم أوامر الله وخرّوجهم عن طاعته وطاعة وليّه الثاني لعلمه إنّما دعى عليهم لعلمه أنّه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا لأجله ومن لا يرجى صلاحه بل يكون وجوده سبباً للفساد النظام فعنده أولى فيكون الدّعاء عليهم مندوباً إليه

وعلى ذلك يحمل أيضاً دعاؤه بقوله: (اللهمّ مثّ قلوبهم) بتوارد اللهمّ والغمّ والخوف عليهم (كما يماث الملح في الماء) وذلك الدّعاء تأسّ منه عليه السلام بالسّابقين من الأنبياء في الشكّاية من قومهم إلى الله والدّعاء عليهم كدوح عليه السلام إذ قال ربّ إنّني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدتهم دعائي إلاّ فراراً، ثمّ ختم بالدّعاء على من لم يرج صلاحهم بقوله: ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً

روى إن اليوم الذي دعا عليهم فيه بهذا الدّعاء ولد فيه الحجاج بن يوسف، وروى أنّه ولد بعد ذلك اليوم بأوقات يسيرة وفعله بأهل الكوفة مشهور حتّى قيل لوجاهت كلّ أمة بخبيثها وفاسقتها وفاجرها وجنّنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم وعن مروج الذهب للمسعودي أنّ أمّ الحجاج ولدته لادبره فتقب له دبر وأبي

أن يقبل الشدى .

و في الحديث أن ابليس تصور لهم بصورة الحارث بن كعدة فقال : اذهبوا له تيسا والعقوه من دمه واطاوا به وجهه وبدنه ففعلوا به ذلك فقبل الشدى فلاجل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته في سفك الدماء وارتكب امور لا يقدر عليها غيره

واحصى من قتل بأمره سوى من قتل في حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ووجد في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرئة ولم يجب على أحد منهم قتل ولاقطع وكان يحبس الرجال والنساء في موضع واحد لاسقفه ، فاذا أدى المسجونون إلى الجدران يستظلون بها من حر الشمس رمتهم الحرس بالحجارة ، وكان طعامهم خبز الشعير مخلوطا بالملح والرماد

و من أعجب ما روى أنه وجد على منبره مكتوباً « قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار » فكتب تحته « قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور » ثم قال ﷺ (أما والله لو ددت أن لى بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم) وهو حى معروف بالشجاعة حسبما اشير إليه وتمثل بقول أبي جندب الهذلي .

(هناك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل ارمية الحميم)

والخطاب لأم زيناغ وضمير منهم راجع إلى بني تميم بقرينة الذي قبله وهو قوله :

ألا يا أم زيناغ اقيمي صدور العيس نحو بني تميم

ومعنى البيت واضح مما ذكره السيد ومقصوده ﷺ بالتمثل تمنى كون القوم الذين ود كونهم عوضا عن قومه بصفة الفوارس الذين اشار إليهم الشاعر في سرعة الاجابة والمبادرة إلى الاغاثة ، ومقصوده في جميع ذلك توييح أهل الكوفة و تحقيرهم بشاقلهم عن الجهاد

قال الكلبي وأبو مخنف ولما تناقل أصحابه عن الخروج في اثر بسر بن اوطاة فأجابه إلى ذلك جارية بن قدامة السعدي فبعثه في الفين فشنص إلى البصرة ثم أخذ طريق الحجاز حتى قدم اليمن وسأل عن بسر فقتل : اخذ في بلاد بني تميم فقال:

أخذ في ديار قوم يمنعون أنفسهم

و بلغ بسرأ مسير جارية فأنحدر إلى الإمامة وأخذ جارية بن قدامة السير ما يلتفت إلى مدينة مر بها فلا أهل حصن ولا يعرج على شيء إلا أن يرمل بعض أصحابه من الزاد فيأمر أصحابه بمواساته أو يسقط بعير رجل أو تحفى دابته فيأمر أصحابه بأن يعقبوه حتى انتهوا إلى أرض اليمن فهربت شيعة عثمان حتى لحقوا بالجبال واتبعهم شيعة علي وتداثت عليهم من كل جانب وأصابوا منهم وصمد نحو بسر و بسر بين يديه يفر من جهة إلى جهة أخرى حتى أخرجه من أعمال علي رضي الله عنه كلها فلما فعل به ذلك أقام جارية بحرس نحو من شهر حتى استراح وأراح أصحابه ووثب الناس ببسر في طريقه لما انصرف من بين يدي جارية لسوء سيرته و فظاظته وظلمه وغشمه وأصاب بيوتهم تقلا من تقله في بلاده

فلما وصل بسر معاوية قال : احمد الله يا امير المؤمنين اني سرت في هذا الجيش أقتل عدوك ذاهبا جايلا لم ينكب رجل منهم نكبة قتال معاوية : الله قد فعل ذلك لا أنف وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين الفا وحرق قوما بالنار ودى انه دعا علي رضي الله عنه على بسر فقال : اللهم إن بسرأ باع دينه بالدنيا واطمأنك صهارمك وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده من عندك اللهم فلا تمته حتى تجلبه عقله ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار ، اللهم العن بسرأ وعمروأ ومعاوية وليحل عليهم غضبك و لتنزل بهم نعمتك و ليصبهم بأسك و زجرك لا تردّه عن القوم المجرمين .

فلم يلبث بسر بعد ذلك إلا يسيراً حتى وسوس وذهب عقله فكان يهذي بالسيف ويقول : اعطوني سيفاً أقتل به لا يزال يردد ذلك حتى اتخذ له سيف من خشب وكانوا يدنون منه المرفقة فلا يزال يضربها حتى يفشى عليه فلبث كذلك إلى أن مات عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين

العرجة

از جمله خطب آن حضرت اسه که فرمود درحالتی که بتواتر رسید خبرها

بغالب شدن اصحاب معاوية عليه اللعنة بر شهرها و آمدند بسوی آن حضرت عاملان او که حاکم بودند بر يمن عبدالله بن عباس و سعيد بن نمران وقتیکه غالب شده بود بر ایشان بسر بن أبي اُرطاة ولد الزنا ، پس برخواست آن حضرت بطرف منبر درحالتی که تنگدل بود بجهت گرانی اصحاب خود از جهاد و بجهت مخالفت کردن ایشان با او در رأی پس فرمود :

نیست مملکت من مگر کوفه درحالتی که قبض میکنم آن را و بسط میکنم آنرا : یعنی همین کوفه است که محل تصرف من است بحل و عقد و امر و نهی و اعتماد نمودن بر مردمان آن در حرب و ضرب نه سایر بلاد ، اگر نباشی ایکوفه مگر تو که باشی سپر دشمن و ساز لشکر من در حالتیکه وزد گرد بادهای تو ، پس قبیح گرداند خدای تعالی تو را

پس آنحضرت بجهت تحقیر کوفه متمثل شد بقول شاعر که معنیش اینست :
قسم بزندگانی پدر تو که بهتر مردمانست ای عمرو بتحقیق که من واقع شده‌ام بر چربی اندکی که باقی مانده است از این ظرف طعام ، یعنی کوفه در نظر من در غایت حقاقتست مانند چربی که می ماند بعد از اکل در ظرف بعد از آن فرمودند که :

خبر داده شدم که بسر بن أبي اُرطاة رسیده بدیار یمن و بدرستی من قسم بخدا هر آینه گمان میکنم آن قوم را که زود باشد که دولت و تسلط داده شوند از قبل شما بسبب اتفاق ایشان بر باطل خود و تفرق شما از حق خود ، و بجهت معصية شما امام خود را در امر حق و اطاعت ایشان امام خود را در امر باطل ، و بسبب ادا کردن ایشان امانت و عهد را بصاحب خودشان و خیانت کردن شما در امانت ، و بجهت صلاح ایشان در شهرهای خود در جمیع امور ملکی و فساد شما در بلاد خودتان ، پس اگر امین گردانم یکی از شما را بر قدح چوبین هر آینه میترسم که ببرد آن را با دوال و دسته اش .

بار خدایا بدرستی که من تنگدل شده‌ام از ایشان و تنگدل شده‌اند ایشان از من ، و سیر شده‌ام من از ایشان و سیر شده‌اند ایشان از من ، پس بدل کن برای من

ایشان را بهتر از ایشان ، و عوض کن برای ایشان مرا بکسی که متّصف بصفات شرارت بوده باشد ، خداوند بگدازد بترس و عذاب قلبهای ایشان را چنانچه گداخته می شود نمک در آب ، آگاه باشید بخدا سوگند هر آینه دوست میدارم اینکه باشد مرا بعوض شما هزار سوار از فرزندان فراس بن غنم آنجا اگر بخوانی و آوازدهی آیند بسوی تو و ایشان سوارانی مثل ابرهای تابستان با سرعت و استیلا

و من خطبة له ﷺ وهي السادسة والعشرون من المختار في باب الخطب

و هي ملتقطة من خطبة طويلة خطب بها قبل مسيره إلى النهر وان حسبما تطلع عليه وشرحها في ضمن فصول ثلاثة

الفصل الاول

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعَشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُدِيحُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَاتٍ صُصِمَ، تَشْرَبُونَ الْكِدْرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَنصُوبَةٌ.

اللغة

(أناخ) الناقة أبركها و (الصم) بالضم إجماع صماء وهي الأرض الغليظة أوجع أصم وهي الحية التي لا تقبل الرقي ، و الرجل الأسم لا يطمع فيه ، و لا يرد عن هواه ، و أصمه الله فهو أصم أي به انسداد السمع و ثقل الأذن و (كدر) كدرًا و تكدر نقيض صفا فهو كدر و كدر كغخذ و فخذ بكسر العين و سكونها

و (جشب) الطعام فهو جشِب وجشِب أي غليظ أو بلا ادم و (المعصوبة) المشدودة
الاعراب

و انتم معشر العرب اه جملة حالية ، منيخون خبر بعد خبر ، وحيات صم ان
كان الصم جمع صماء فالحيات مضافة إليها و إن كان جمع أصم فهي صفة لها ،
وجملة تشربون وتاليها حالية أيضاً

المعنى

اعلم أن هذا الفصل من الخطبة وارد في بيان حال العرب في أيام الجاهلية
وما كانوا عليه يومئذ من الضنك والضيق ، ومن سوء الحال في أمر المعاش والمعاد
وتذكرة بمامن الله سبحانه به عليهم من بعث الرسول فيهم وتبديله سبحانه بوجوده
الشريف سوء حالهم بحسن الحال في الدنيا والآخرة حيث جعلوا ذرافهية وسعة
ونعمة ، وفتحوا البلاد و غنموا الأموال وكسروا الجيوش وفاقوا الملوك و كان لهم
الذكر الباقي و الشرف الثابت واهتدوا إلى دين الاسلام الذي هو طريق دار السلام
فاكتسبوا السعادة الباقية و فازوا المقامات العالية

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح كلامه عليه السلام فأقول : قوله : (ان الله بعث محمداً

عليه السلام نذيراً للعالمين)

خص النذارة بالذكر و اختارها على البشارة إذا المقصود في هذا المقام
التوبيخ للعرب وترقيق قلوبهم البشتملة على الغلظة والفظاظة ، ولا ريب أن الانذار
أقوى في الترقيق والردع ، وذلك لأن عامة الخلق إلا قليلاً منهم أنظارهم مقصورة
على زخارف الدنيا وشهواتها غافلون عن نعم الآخرة ولذاتها ، فلا يرغبون عن النعم
الحاضرة بما يبشرون بها من النعم الغائبة ، ولا يقابلون اللذائذ الموجودة بلذائذ
الموعودة ، لكون هذه عندهم نقداً و تلك نسيئة و كان السبب الأقوى في الردع
والالتفاف إلى الله إنما هو الانذار والتخويف فاختار كونه نذيراً على كونه بشيراً
(و) اردفه بكونه (أميناً على التنزيل) غير خائن ولا مقصر في تبليغ آياته
ولا مبدل لكلماته (وانتم معشر العرب على شر دين) حيث عبدتم الأصنام والأوثان

و اتخذتم لله الأنداد و الشرّكاه (وفي شرّ دار) أراد بها تهامة أو نجد أو البوادي التي كانوا يسكنونها ، ثم فتح الله عليهم البلاد

و وصفها بالشرّ من حيث فساد أمر معاشهم فيها كما فسّره بقوله : (مينيخون) أي مقيمون (بين حجارة خشن) صلب لاندادة فيها و لا نبات (وحيات صم) لأن أرض العرب على غلظتها و خشوتها ذات حيات كثيرة ، و على التركيب الوصفي فالمراد بها الحيات التي لا تقبل العوذة و لا تنزجر بالصوت لشدة قوتها قال البحراني : و وصفها بالصم لأن حيات تلك الأرض على غاية من القوة و وحدة السموم لاستيلاء الحرارة و اليبس عليها

و قال الشّارح المعتزلي : و يجوز أن يعنى به المجاز وهو الأحسن يقال للاعداء حيات ، و الحية الصماء أدهى من التي ليست بصماء لأنّها لا تنزجر بالصوت و يقال للعدو أيضاً إنه لحجر خشن المس إذا كان ألدّ الخصام (تشربون الكدر) لأن غالب مياه العرب هو الغدران و الآبار

أمّا الغدران فأصلها ماء المطر ينزل على الأودية السيخة و القفار الملحة فيسيل حتّى يقع في تلك الغدران فيكون مرّاً ملحاً اجاجاً ثم يتكدّر و يتعقن من طول الزمان و وقوع الشمس عليها و تأثره بها

و أمّا الآبار فمضافاً إلى وقوع ماء المطر الموصوف فيها ربّما تنزل العشاير حولها و ينيخون أباعرهم هنالك فيثور الرياح البارّ أبو الظرّ الأباعر و أدوائها و ساير كثافات القوم بعد ارتحالهم من ذلك المكان حتّى تقع على تلك الآبار فيكون مياهها كثيفاً كدداً .

و ربما امسكنا عن شرب الماء و صبرنا على العطش يوماً أو يومين في مسافرتنا إلى مكة زادها الله شرفاً لما شاهدناه من كثافة تلك المياه بما يتنفّر عنه الطبع مع كون سفرنا في أيام الشتاء و ربّما كدنا نشرب عوض الماء السكنجيين و ساير الأشربة التي كانت معنا (و تأكلون الجشب) فإنك تجد عامتهم يأكل ماذب من حيوان ، و بعضهم يخلط الشعير بنوى التمر و يطحنها و يتخذ منها خبزاً

قيل : كانت العرب لم تعرف طيبات الأَطعمة إنما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى أدرك معاوية فاتخذ ألوان الأَطعمة
قال أبو بردة : كانوا يقولون : من أكل الخبز سمن ، فلما فتحنا خيبراً جهضناهم عن خبزهم فعمدت عليه آكل و أنظر في اعطافي هل سمنت
وقال خالد بن عمير العددي : شهدت فتح الاملة فاصبنا سفينة مملوءة جوزاً فقال رجل ، ماهذه الحجارة ؟ ثم كسرواحدة فقال : طعام طيب
وقال بعضهم : أصابوا جراباً من الكافور فخالوها الملح فذاقوه فقالوا الاملوحه لهذا الملح ففطن ناس من أهل الخبره فجعلوا يعطونهم جراباً من ملح ويأخذون جراباً من الكافور
وقدم إلى أعرابي خبز عليه لحم فأكل اللحم وترك الخبز وقال : خذ الطبق وكان بنو أسد يأكلون الكلاب ولذلك قال الفرزدق :

إذا اسديّ جاع يوماً ببلدة وكان سميناً كلبه فهو آكله

وقال بعضهم نزلت برجل فأضافني فأتى بحية مشوية شواءها فأطعمنيها ثم أتى بماء منتن فسقانيه فلما أردت الالاتحال قال : ألا قمت لطعام طيب وماء نمير؟
وكان أحدهم يتناول الشعر المحلوق فيجعله في جفنة من الدقيق ثم يأكله مع ما فيه من القمل قال شاعرهم :

بني أسد جاءت بكم قملية بها باطن من داء سوء وظاهره

ومن طعامهم الفظ وهو ماء الكرش

وقيل لأعرابي : ما تأكلون ؟ فقال : نأكل ما درب ودرج إلا أم جبين فقال :
لتهن أم جبين العافية وقال أبو نواس :

ولا تأخذ عن الاعراب طعاماً ولا عيشاً فيعشهم جديب

و كان روبة يأكل الفار فقيل : لم لا تستقذره ؟ فقال : هو والله لا يأكل إلا فأخرات متاعنا .

و بنو تميم يعيرون بأكل الضب قال أبو نواس في هجوهم

إذا ما تميمي أتاك مفاخرا فقل عد عن ذاك كيف أكلك للضب

قال الاصمعي دنوت من بعض الأخبية في البادية فسقيت لبنا في إناء فلمّا شربته قلت هل كان هذا إلا إناء الأناة ، نظيفا؟ فقيل : نعم نأكل منه في النهار ونبول فيه بالليالي فإذا أصبحنا سقيناه فيه الكلب فلحسه ونقاه ، فقلت : لعنك الله ولعن هذه النظافة (و تسفكون دماءكم و تقطعون أرحامكم) فإنّ القتل والغارة كان شعار العرب في أيام الجاهليّة حتّى أنّ الوالد ربّما كان يقتل ولده و بالعكس قال سبحانه :
 « وإذا المؤرودة سئلت بأيّ ذنب قتلت »

قال ابن عباس السراة إذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها فان ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإن ولدت غلاما حبسته (الأصنام فيكم منصوبة والآنام بكم معصوبة) استعمار لفظ العصب للزوم الآنام لهم في تلك الحال

الترجمة

از جمله خطب آن حضرت است در بیان حال عرب در ایام جاهلیت میفرماید بدرستی که خداوند سبحانه و تعالی مبعوث فرمود محمد بن عبدالله را در حالتی که ترساننده بود عالمیان را از بدی افعال ایشان ، و امین بود بر آنچه نازل میشد بر او میرسانید آنرا بدون زیاده و نقصان و حال آنکه شما جماعت عرب بر بدترین دین بودید و در بدترین خانها مقیم بودید ، در میان سنگهای درشت و مارهای با شدت و صلابت در حالتی که می آشامیدید آبهای ناصافرا و میخوردید طعام غلیظ و بی ادامرا و میریغید خونهای یکدیگر را و قطع می کردید خویشان خودتان را ، بتان در میان شما نصب کرده شده بودند و گناهان بر شما بسته گردیده

الفصل الثاني منها

فَفَطَّرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي ، فَصَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ ،
 وَأَغَضَيْتُ عَلِيَّ الْقَذِي ، وَشَرَبْتُ عَلِيَّ الشَّجِي ، وَصَبَرْتُ عَلِيَّ أَخَذِ
 الْكُظَيْمِ ، وَ عَلِيَّ أَمْرَ مِنْ طَعْمِ الْمَلَقِيمِ .

اللغة

(ضننت) بكسر النون ويروى بالفتح أيضاً من الضننة وهو البخل و (أغضيت) على كذا أطبقت عليه جفني و (القذى) ما يقع في العين من تبن ونحوه يوجب أذيتها و (الشجى) ما اعترض في الحلق من نشب وعظم وقد مرّ هذان اللفظان في الخطبة التسقيمية و (أخذ بكظمه) محرّكة وهو مجرى نفسه و (العلقم) شجر بالغ المرارة ويقال في العرب على كل مرّ

الاعراب

كلمة إذا في قوله : فإذا ليس لي معين ، للظرف ، والتنوين عوض عن الجملة المضاف إليها أي فنظرت فإذا غضبوني حقى ليس لي معين ، و كلمة على في الموارد الأربعة إما للاستعلاء المجازي أو بمعنى مع على حدّ قوله : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » و أمر صفة لموصوف محذوف

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه حكاية لحاله الذي كان هو عليه بعد ارتحال الرسول صلى الله عليه وآله و ما جرى عليه من الظلم والجور في اغتصاب الحق الذي كان له صلى الله عليه وآله فكأنه يقول : إنهم بعد غضبهم للخلافة تفكّرت في أمر المقاومة والدفاع عن هذا الأمر الذي كنت أولى به (فنظرت فإذا ليس لي معين) يعينني (إلا أهل بيتي) وهم كانوا قليلين غير مقاومين للمخالفين (فضننت بهم عن الموت) لعلمي بأنهم لو قاتلوا لقتلوا (و) لمأعلمت عدم حصول المقصود بهؤلاء النفر (أغضيت) وأطبقت جفوني (على القذى وشربت على الشجى) و كنى الاغضاء و الشرب على القذى و الشجى عن تحمله على الأمور التي يصعب التحمل عليها لصعوبتها وشدتها وألمها و أذيتها كما يشهد به قوله : (وصبرت على أخذ الكظم وعلى) امور (امر من طعم العلقم) لشدة مرارتها من حيث إنّ فيها الألم النفساني وفي العلقم الألم البدني

و اعلم أنّ هذا الكلام منه صريح في اغتصاب الخلافة و نصّ على أنّ تركه مطالبها لم يكن من رغبة واختيار ، وإنّما كان جبراً واضطراباً ، وقد اشرنا إلى ذلك في مقدّمات الخطبة الشّشقيّة وذكر نائمة أخبار السّقيفة الدّالة على انتحال الخلافة من طرق الخاصّة ، و المقصود الآن ذكر بعض الأخبار العاميّة الصّريحة في ذلك ممّا رواها الشّارح المعتزلي عن روايتهم ، لأنّه أثبت حجّة و أقوى استناداً فأقول :

قال الشّارح : اختلفت الروايات في قصّة السّقيفة فالذي تقول الشيعة و قد قال قوم من المحدّثين بعضه وورد كثير منه أنّ عليّاً عليه السلام امتنع من البيعة حتّى اخرج كرها ، وأنّ الزبير بن العوام امتنع من البيعة وقال : لا ابايع إلاّ عليّاً ، وكذلك أبوسفيان بن حرب و خالد بن سعيد بن العاص بن اميّة بن عبد شمس وعباس بن عبدالمطلب وبنوه وأبوسفيان بن الحرث بن عبدالمطلب وجميع بني هاشم

وقالوا : إنّ الزبير شهر سيفه فلما جاء عمرومه جماعة من الانصار و غيرهم قال في جملة ما قال : خذوا سيف هذا فاضربوا به الحجر ويقال : إنّّه اخذ السيف من يد الزبير فضرب به حجراً فكسره وساقهم كلّهم بين يديه إلى أبي بكر فحملهم على بيعته ولم يتخلف إلاّ عليّ وحده فإنّه اعتصم ببيت فاطمة فتحاموا إخراجهم منه قسراً وقامت فاطمة عليها السلام إلى باب البيت فاسمعت من جاء يطلبه فتفرّقا و علموا أنّه بمفرده لا يضر شيئاً فتركوه

و قيل : إنّهم أخرجه فيمن أخرج و حمل إلى أبي بكر فبايعه ، و قد روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري كثيراً من هذا

فأمّا حديث التحريق و ماجرى مجراه من الامور الفضيحة و قول من قال : إنّهم اخذوا عليّاً يقاد بعمامته والناس حوله فأمر بعيد ، والشيعة منفرد به على أنّ جماعة من أهل الحديث قد رواوا نحوه و سنذكر ذلك .

وقال أبو جعفر إنّ الأنصار لما فاتها ما فاتها ماطلبت من الخلافة قالت أوقال بعضها

لأنبايع إلا علياً ، وذكر نحو هذا علي بن عبدالكريم المعروف بابن الاثير الموصلي في تاريخه .

فأما قوله : لم يكن لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت ، فقول ما زال عليه السلام يقوله ، و لقد قاله عقيب وفات رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لو وجدت أربعين ذوي عزم ذكر ذلك نصر بن مزاحم في كتاب صفين وذكره كثير من أرباب السيرة . وأما الذي يقوله جمهور المحدثين وأعيانهم فإنه امتنع من البيعة ستة أشهر ولزم بيته فلم يبايع حتى ماتت فاطمة فلمّا ماتت بايع طوعاً

و في صحبتي مسلم و بخاري كانت وجوه الناس إليه و فاطمة عليها السلام لما تمت مهاتمة بعد فاطمة ماتت فاطمة عليها السلام انصرفت وجوه الناس عنه و خرج من بيته فبايع أبا بكر وكانت مدة بقائها بعد أبيها عليه الصلاة والسلام ستة أشهر

قال : و روى أحمد بن عبدالعزيز قال : لما بويع لأبي بكر كان الزبير والمقداد يختلفان في جماعة من الناس إلى علي عليه السلام وهو في بيت فاطمة فيتشاورون ويتراجعون امورهم فخرج عمر حتى دخل على فاطمة عليها السلام وقال : يا بنت رسول الله ما من أحد من الخلق أحب إلينا من أيك ، و ما من أحد أحب إلينا منك بعد أيك ، و أيم الله ما ذاك بما نعي ان اجتمع هؤلاء النفر عندك ان امر بتحريق البيت عليهم فلمّا خرج عمر جاؤاها فقالت تعلمون أن عمر جائني وحلف لي بالله إن عدتم ليحرقن عليكم البيت و أيم الله ليمضين لما حلف له فانصرفوا عنا راشدين فلم يرجعوا إلى بيتها وذهبوا وبايعوا لأبي بكر

قال : و من كتاب معاوية المشهور إلى علي عليه السلام : وعهدك أمس تحمل قيعة بيتك ليلا على حمار و يداك في يدي ابنيك الحسن و الحسين يوم بويع أبو بكر فلم تدع أحداً من أهل بدر و السوابق إلا دعوتهم إلى نفسك و مشيت إليهم بامرتك و أوليت إليهم بابنيك و استنصرتهم على صاحب رسول الله فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة ، و لعمرى لو كنت محقة لأجابوك ، ولكنك اذ عيت باطلا و قلت ما لا يعرف و دمت ما لا يدرك ، و مهما نسيت فلا أنسى قولك لا بي سفيان لما حركك

وهي جك : لو وجدت أربعين ذوي عزم لناهضت القوم فما يوم المسلمين منك بواحد
 وروى أيضاً من كتاب أحمد بن عبدالعزيز الجوهري عن حباب بن يزيد عن
 جرير بن المغيرة أن سلمان والزبير والأَنْصار كان هواهم أن يبايعوا علياً بعد النبي
 فلما بويح أبوبكر قال سلمان : أصبتم الحيرة وأخطأتم المعدن
 وعن حبيب بن أبي ثابت قال : قال سلمان يومئذ : أصبتم ذالسن منكم وخالقتم
 أهل بيت نبيكم لوجعلوها فيهم ما اختلف عليكم اثنان ولا كلموها رغدا
 وروى أيضاً عن غسان بن عبد الحميد قال : لما أكثر في تخلف علي عليه السلام عن
 بيعة أبي بكر واشتدَّ عمر و أبوبكر عليه في ذلك خرجت أم مسطح بن اثانة
 فوقفت عند القبر وقالت :

كانت امور وانبا، وانبتة هنبشة، لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إننا فقد ناك فقد الارض وابلهما واخنت قومك فاشهدهم ولا تنب

و من كتاب الجوهري أيضاً عن أبي الاسود قال : غضب رجال من المهاجرين
 في بيعة أبي بكر بغير مشورة وغضب علي والزبير فدخلا بيت فاطمة معهما السلاح
 فجاء عمر في عصابة منهم اسيد بن حصين و سلمة بن سلامة بن وقش و هما من بني
 عبد الأشهل فصاحت فاطمة و ناشدتهم فأخذوا سيفي علي والزبير فضروا بهما الجدار
 حتى كسر و هما ثم أخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا ثم قام أبوبكر فخطب الناس
 واعتذر إليهم و قال : إن بيعتي كانت فلتة و قى الله شرها و خشيت الفتنة و أيم الله ما
 حرصت يوماً قط و لقد قلت أمراً عظيماً مالي به طاقة ولا يدان و لوددت أن أقوى
 الناس عليه مكاني ، و جعل يعتذر إليهم فقبل المهاجرون عذره ، إلى آخر ما رواه .
 و قد روى باسناد آخر ذكره أن ثابت بن قيس بن شماس كان مع الجماعة
 الذين حضروا مع عمر في بيت فاطمة عليها السلام ، و ثابت هذا أخو بني الحرث
 ابن الخزرج

وروى أيضاً أن محمد بن مسلمة كان معهم وأنَّ محمداً هو الذي كسر سيف الزبير
 و عن سلمة بن عبد الرحمن قال : لما جلس أبوبكر علي الضبر كان علي والزبير

وناس من بني هاشم في بيت فاطمة ، فجاء عمر إليهم فقال : والذي نفسي بيده لنخرجن إلى البيت أو لتهرقن البيت عليكم ، فخرج الزبير مصلتا سيفه فاعتنقه رجل من الأنصار وزياد بن لبيد فدق به فبدو (فبدر) السيف فصاح به أبو بكر وهو على المنبر : اضرب به الحجر قال أبو عمرو : فلقد رأيت الحجر فيه تلك الضربة و يقال هذه ضربة سيف الزبير ثم قال أبو بكر : زعوم فسيأتي الله بهم قال : فخرجوا إليه بعد ذلك فبايعوه .

وقد روى الجوهري في رواية أخرى أن سعد بن أبي وقاص كان معهم في بيت فاطمة عليها السلام و المقداد بن الاسود أيضاً و أنهم اجتمعوا إلى أن يبايعوا علياً فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت فخرج إليه الزبير بالسيف و خرجت فاطمة تبكي وتصبح فنهزت من الناس و قالوا ليس عندنا معصية ولا خلاف في خير اجتماع عليه الناس ، وإنما اجتمعنا لنؤلف القرآن في مصحف واحد ثم بايعوا أبا بكر فاستمر الأمر واطدئ الناس .

وقد روى الجوهري أيضاً عن داود بن المبارك قال : أتانا عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ونحن راجعون من الحج في جماعة فسألناه عن مسائل وكنت احد من سأل فسألته عن أبي بكر وعمر فقال : اجيبك بما أجاب به عبدالله بن الحسن فإنه سئل عنهما فقال : كانت فاطمة صديقة ابنة نبي مرسل فماتت وهي غضباء على قوم فنحن غضاب لغضبها .

و روى أيضاً باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام عن ابن عباس قال : قال لي عمر : أما والله أن كان صاحبك أولى الناس بالأمر بعد وفات رسول الله إلا أنا خفناه على اثنتين ، قلت : ما هما ؟ قال : خشيناه على حداثة سنه و حبه بني عبدالمطلب .

و عن الشعبي قال : سأل أبو بكر و قال ابن الزبير ؟ فقيل : عند علي (عليه السلام) و قد تغلد سيفه فقال : قم يا عمر يا خالد بن الوليد انطلقا حتى تأتيا نبيهما فانطلقا فدخل عمر و قام خالد على باب البيت من خارج فقال عمر للزبير : ما هذا السيف ؟

قال : نباع علياً ، فاخترطه عمر فضرب به حجراً فكسره ثم أخذ بيد الزبير فأقامه
 ثم دفعه و قال : يا خالد دونكه فامسكه ثم قال لعلي : قم فبائع لأبي بكر فتلكه
 واحتبس فأخذ بيده و قال : قم فأبى أن يقوم فحمله ودفعه كما دفع الزبير فاخرجه
 ورأت فاطمة ماصنح بهما فقامت على باب الحجره و قالت : يا ابا بكر ما أسرع ما
 اغرتم على أهل بيت رسول الله ، والله لا أتكلّم عمر حتى أتى الله ، إلى آخر ما رواه
 ثم قال المشرح واعلم أن الآثار والأخبار في هذا الباب كثيرة ومن تأملها
 و أنصف علم أنه لم يكن هناك نص صريح مقطوع به لا تختلجه الشكوك و لا
 يتطرق إليه الاحتمالات كما تزعم الامامية ، فانهم يقولون : إن الرسول نص نصاً
 صريحاً جليلاً ليس بنص الغدير ولاخير المنزلة ولا ماشابههما من الأخبار الواردة
 من طرق العامة وغيرها ، بل نص عليه بالخلافة وبإمرة المؤمنين وأمر المسلمين أن
 يسلموا عليه بذلك فسلموا عليه بها ، و صرح لهم في كثير من المقامات بأنه خليفة
 عليهم من بعده وأمرهم بالسمع والطاعة له

و لا ريب أن المنصف إذا سمع ما جرى لهم بعد وفات رسول الله يعلم قطعاً
 أنه لم يكن هذا النص ، ولكن قد يسبق إلى النفوس و العقول أنه قد كان هناك
 تعريض وتلويح و كناية و قول غير صريح و حكم غير مثبت ، و لعله كان يصدّه عن
 التصريح بذلك أمر يعلمه ومصلحة يراعيها ووقوف مع إذن الله تعالى في ذلك
 فأمّا امتناع علي من البيعة حتى اخرج على الوجه الذي اخرج عليه فقد
 ذكره المحدّثون ورواه السير وقد ذكرنا ما قاله الجوهري في هذا الباب و هو من
 رجال الحديث ومن الثقات المأمونين ، وقد ذكر غيره من هذا النحو ما لا يحصى كثرة
 فأمّا الامور الشنيعة المستهجنة التي يذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت
 فاطمة وأنه ضربها بالسوط فصار في عضدها كالدملج وبقى اثره إلى ان ماتت ، وان
 عمر مضطها بين الباب والجدار فصاحت يا ابتاه يا رسول الله و التت جنيناً ميتاً ،
 و جعل في عنق علي حبل يقاد به وهو يعتل و فاطمة خلفه تصرخ بالويل و الشبور ،

(ج ٣) إنكار الشارح المعتزلي بعض ماجرى على أهل البيت (ع) و جوابه (٣٧٣)

و ابنه حسن و حسين معهما يبيكان و أن علياً لما احضر سألوه البيعة فامتنع فهدد بالقتل فقال : إذن تقتلون عبداً لله و أخا رسول الله فقالوا أما عبد الله فنعيم و أما أخو رسول الله فلا ، و أنه طعن في أوجههم بالنفاق و سطر صحيفة الغدر التي اجتمعوا عليها ، و بأنهم أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله ليلة العقبة ، فكلمه لا أصل له عند أصحابنا ولا يشته أحد منهم ولا رواه أهل الحديث و لا يعرفونه و إنما هوشي ، تنفرد الشيعة بنقله انتهى

أقول و العجب كل العجب من الشارح كيف ينكر وجود النص الصريح الذي لا يحتمل التأويل مع وجود النصوص التي رواها هو وغيره من رسول الله في حق أمير المؤمنين بأنه الامام و الخليفة و الوصي و الولي و ماشابها من الألفاظ الصريحة في الخلافة ، و قد مضت شطرنجها في مقدمات الخطبة الشقشقية و يأتي كثير منها في مواقعها بعد ذلك انشاء الله .

و أما عدم إفادتها للقطع عند من استحوذ عليه الشيطان و أنساه ذكر ربه ، و كان قلبه مشوباً بالشبهات و الشكوك فلا غرو فيه

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرودان برتاب و الصبح مسفر
و أعجب من ذلك أنه مع روايته لتلك الأخبار و تصحيحه لها و حكمه بوثاقه
رواها يقول : إن أمير المؤمنين ترك الأمر إليهم اختياراً و طوعاً ، مع أن هذه الأخبار
كماترى صريحة في أن خروجه من بيته و بيعته لأبي الفضل لم يكن إلا كرهاً و إجباراً
و ترك المقاومة لهم لم يكن إلا عجزاً لا اختياراً
ثم لا أدري أنه كيف ينكر حديث التحريق و يزعم أنه مما انفردت به الشيعة
مع رواية الجوهرى له و كونه من الثقات المأمونين عنده .

و قد رواه غير واحد من رواةهم أيضاً مطابقاً لما روته الشيعة منهم إبراهيم
ابن سعيد الثقفي قال : حدثنا أحمد بن عمرو و الجلي قال : حدثنا أحمد بن حبيب
الماملبي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : والله ما بايع علي عليه السلام حتى
راى الدخان قد دخل عليه بيته ، رواه المرتضى في الشافي .

و فيه أيضاً عن البلاذري عن مسلمة بن محارب عن سليمان التميمي عن أبي عون أن أبا بكر أرسل إلى علي فلم يبايع فجاه عمر و معه قيس فتلقاه فاطمة على الباب فقال : يا بن الخطاب أتراك محرقة؟ قال : نعم و ذلك أقوى فيما جاء به أبو بكر و جاء علي **بِإِيتِمْ** فبايع .

قال السيد (ره) عقيب هذا الحديث : و هذا الخبر قد روته الشيعة من طرق كثيرة وإنما الطريق أن يرويه شيوخ محدثي العامة لكنهم كانوا يروون ما سمعوا بالسلامة و ربما تنبهوا على ما يروونه عليهم فكفوا عنه ، و أرى اختيار لمن يحرق عليه بابه حتى يبايع .

الترجمة

بعض دیگر از فقرات ابن خطبه است که بیان میفرماید در او حال خود را بعد از ارتحال حضرت رسول صلی الله علیه و آله و شکایت می نماید از اهل جلافة که غصب خلافة کردند ، و می گوید که چون اهل عناد حق مرا غصب نمودند پس نظر کردم من در تدبیر امور خود پس آن زمان که غصب خلافت کردند نبود مرا یاری دهنده مگر اهل بیت خود که معدود قلیلی بود نسبت بمخالفین ، پس بخل و رزیدم بایشان از مرگ یعنی ایشان را از معارک مهالك نگاه داشتم و پوشانیدم چشم خود را بر چیزی که اذیت میکشید از او دیده من ، و آشامیدم زهر آب ستم مخالفان را در چیزی که بودم کلوگیر از غصه و غم ، و صبر کردم برخشم فرو خوردن بر چیزی که تلختر بود از چشیدن درخت علقم با وجود آنکه درختی است درغایت تلخی و مرارة

الفصل الثالث منها

وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ كَمَنَّا ، فَلَا ظَفَرَتْ يَدُ
الْبَايِعِ « الْمُبَايِعِ خَل » وَ حَزَبَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَايِعِ ، فَخَذُوا لِلْحَرْبِ أَهْبَتَهُمَا ،

وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا، وَعَلَا سَنَاها، وَأَسْتَشْعِرُوا الصَّنِيرَ،
فَإِنَّهُ أَدْعَى لِلنَّصْرِ.

اللغة

(خزيت) من الخزي وهو الذلّ و الاهانة و (الاهبة) كالمعدة بضمّ الفاء
فيهما ما يعدّ للحرب من السلاح والآلات و (شبّ لظاها) بالبناء على الفاعل اى
ارتفع ليهيها ، أو بالبناء على المفعول اى اوقدت نارها و (السناء) الضوء (أدعى للنصر)
وفي بعض النسخ أحزم للنصر من حزمت الشبي، إذا شدته كأنه يشدّ النصر

الاعراب

فاعل يبايع عايد إلى عمرو بن العاص ، وجملة فلا ظفرت دعائية لا محلّ لها
من الاعراب ، واسناده إلى الامانة من باب التوسّع ، والحرب مؤنث سماعي ولذلك
اعيد الضماير الخمسة بعدها إليها مؤنثة

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه بيان لحال عمرو بن العاص مع معاوية (و) يقول
إنّ عمروا (لم يبايع) لمعاوية (حتى شرط أن يؤتبه) معاوية (على البيعة) مصر
طعمة و (نمنا فلا ظفرت) ولا فازت (بدالبايع) و هو عمرو في بيعته بالثمن او بما
يأمله (وخزيت امانة المبتاع) وهو معاوية

وقال الشارح المعتزلي : البايع معاوية والمبتاع هو عمرو ، ولعلّه نظر إلى أنّ
معاوية باع مصر له ببيعته ولكنّه خلاف ظاهر الكلام حيث إنّهُ ~~باعت~~ جعل البيعة
مثمنا فيكون مصر ثمنا فالأظهر ما ذكرناه

ثمّ أمر ~~بأن~~ بتهيئة أسباب الجهاد مع القاسطين بقوله : (فخذوا للحرب اهبتها)
اى سلاحها (و أعدوا لها عدتها فقد شبّ لظاها) ولهبها (وعلا سناها) وضوؤها ،
استعار لفظ اللطا والسنا عن أمارات الحرب لكون كل منهما علامة لما فيه مظنة

الهلاك ، ثم أمر بالصبر في الحرب بقوله : (واستشعروا الصبر) اى اجعلوه شعاراً لكم كالنسيب الملازم للجسد (فانه) اى الصبر (ادعى للنصر) ومن أقوى أسبابه و اعلم أن كيفة تلك المبايعة على ما رواه المحدث العلامة المجلسي والشراح المعتزلي جميعاً من كتاب الصفتين لنصرين مزاحم مع إسقاط الزوائد منا هو أنه ^{كان} حين قدم الكوفة بعد فراغه من قتال الناكثين كتب إلى معاوية كتاباً على ما يأتي ذكره في الكتاب في باب المختار من كتبه إنشاء الله يدعوه فيه إلى البيعة وأرسل جرير بن عبدالله الجلي رسولاً إليه مع كتابه يقدم عليه به الشام فقرمه واغتم بما فيه وذهبت به أفكاره كل مذهب وطاول جريراً بالجواب عن الكتاب حسبما تطلع على تفصيله في شرح كلامه الثالث والأربعين في باب المختار من الكتب

حتى كتم قوماً من أهل الشام في الطلب بدم عثمان فأجابوه وبأبعوه على ذلك وأدقوا له على أن يبذلوا انفسهم وأموالهم أو يدركوا ثاره أو يفتى الله أرواحهم فلما أمسى معاوية اغتم بما هو فيه واستحثه جرير بالبيعة فقال : يا جرير إننا ليست بخلسة وإنه أمر له ما بعده فابلغني ربي حتى أنظر ، ودعا ثقاته فقال له أخوه عتبة بن أبي سفيان : استغن بعمر وبن العاص فانه من قد علمت في دهائه و رأيه وقد اعتزل أمر عثمان في حياته و هو لامرك أشد اعتزالاً إلا أن يضمن له دينه فسيبئك فانه صاحب دنيا .

فكتب معاوية إلى عمرو : أما بعد فانه قد كان من أمر عليّ وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط إلينا مردان بن الحكم في نفر من أهل البصرة و قدم علينا جرير بن عبدالله في بيعة عليّ وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني فاقبل اذا كرك أموراً لا تعدم مفتتها إنشاء الله

فلما قدم الكتاب على عمر واستشار ابنه عبدالله و محمداً فقال : ماتريان ؛ فقال عبدالله : أرى أن نبي الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده ، وقتل عثمان وأنت عنه غائب فقررت في منزلك فلست مجعولا خليفة ولا تريد على أن تكون حاشية لمعاوية

على دنيا قليلة أو شككنا أن تهلكا فتستويا (فتسويا خل) في عقابها
وقال محمد : أرى أنك شيخ قریش وصاحب أمرها وأن تصرف هذا الأمر و أنت
فيه غافل تصغر أمرک فالحق بجماعة أهل الشام و کن يدا من أيديها و اطلب بدم
عثمان فإنه سيقوم بذلك بنوامية .

فقال عمر وأما أنت يا عبدالله فأمرتني بما هو خير لي في ديني ، وأما أنت يا محمد
فأمرتني بما هو خير لي في دنياي وأنا ناظر فيه فلم أجته الليل رفع صوته ينشد آياتاً (١)
في ذلك ردّها فقال عبدالله : ترحل الشيخ .

و دعى غلاماً له يقال له وردان : وكان داهيا مارداً فقال : ارحل يا وردان ثم
قال : احطط يا وردان ثم قال : ارحل يا وردان احطط يا وردان فقال له : وردان
خلطت أبا عبدالله أما أنك إن شئت أنبأتك بما في نفسك قال : هات ويحك قال :
اعترك الدنيا والآخرة على قلبك فقلت : عليّ مع الآخرة في غير الدنيا وفي الآخرة
عوض من الدنيا ، ومعاوية مع الدنيا بغير آخرة وليس في الدنيا عوض من الآخرة
فانت واقف بينهما قال : فانك والله ما أخطأت فماترى يا وردان ؟ قال : أرى أن تقيم
في بيتك فان ظهر أهل الدين عشت في عفودينهم ، وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا
عنك قال الآن لما شهدت (شهرت خ ل) العرب مسيرى إلى معاوية .

فارتحل و صار حتى قدم على معاوية و عرف حاجة معاوية إليه فباعده من
نفسه وكايد كل واحد منهما صاحبه فقال له معاوية يوم دخل عليه : أبا عبدالله طرقتنا
في ليلتنا هذا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد و لا صدر قال : و ما ذاك ؟ قال : منها أن
محمد بن أبي حذيفة كسر سجن مصر فخرج هو و أصحابه وهو من آفات هذا الدين ،
ومنها أن قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ، ومنها أن علياً نزل الكوفة
متهبباً للمسير إلينا .

فقال عمرو : كل ما ذكرت عظيماً أما امر ابن أبي حذيفة فما يعظملك من

رجل خرج في اشباهه ان تبعث إليه رجلا يقتله أو يأتيك به و إن قاتل لم يضرك
وَأَمَّا قِصْرُ فَاهْدِلْهُ الْوَصَائِفَ وَأَنِيَّةَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَسِلْهُ الْمَوَادِعَةَ فَإِنَّهُ الْبِهَاسِرِيُّ ،
وَأَمَّا عَلِيُّ فَلَا وَاللَّهِ يَا مَعَاوِيَةَ مَا يَسُوَّى الْعَرَبَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ
وَإِنْ لَهُ فِي الْحَرْبِ لِحِطَامًا هَوْلًا حُدَّ مِنْ قَرِيشٍ وَإِنَّهُ لَصَاحِبٌ مَا هُوَ فِيهِ إِلَّا أَنْ تَظْلَمَهُ
قَالَ نَصْرُو رُوِيَ عَمْرِيْنَ سَعْدٌ بِإِسْنَادِهِ قَالَ : قَالَ مَعَاوِيَةُ لِعَمْرُو : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي
أَدْعُوكَ إِلَى جِهَادِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي عَصَى رَبَّهُ وَشَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَكَتَلَ الْخَلِيفَةَ
وَأَظْهَرَ الْفِتْنَةَ وَفَرَّقَ الْجَمَاعَةَ وَقَطَعَ الرَّحْمَ ، قَالَ عَمْرُو : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : عَلِيُّ قَالَ عَمْرُو :
وَاللَّهِ يَا مَعَاوِيَةَ مَا أَنْتَ وَعَلِيُّ حَمَلِي بِعَمِيرِ مَالِكٍ هَجَرْتَهُ وَلَا سَابَقْتَهُ وَلَا صَحَبْتَهُ وَلَا قَعَمْتَهُ
وَلَا عَلِمَهُ ، وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ مَعَ ذَلِكَ جِدًّا وَجِدُودًا وَخَطِيئًا وَخَطْوَةً وَبَلَاءً مِنَ اللَّهِ حَسَنًا
فَمَا تَجْعَلُ لِي عَلِيًّا أَنْ شَابِعُنِي عَلِيٌّ مَا تَرِيدُ قَالَ : حَكَمَكَ قَالَ : مِصْرَ طَعْمَةَ
قَالَ : فَتَلَكَّاهُ (١) عَلَيْهِ مَعَاوِيَةُ قَالَ لَهُ : أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ مِصْرَ مِثْلَ الْعِرَاقِ
قَالَ : بَلَى وَلَكِنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ لِي إِذَا كَانَتْ لَكَ وَإِنَّمَا تَكُونُ لَكَ إِذَا غَلِبْتَ عَلِيًّا
عَلَى الْعِرَاقِ .

قال : فدخل عليه عتبة بن أبي سفيان فقال : أما ترضى أن تشتري عمرواً بمصر
إن هي صفت لك ليتك لا تغلب على الشام فقال معاوية : يا عتبة بت عندنا الكيلة قال
فلما جن الليل على عتبة رفع صوته يسمع معاوية بأبيات (٢) يحثه فيها على ارضاء
عمرو فلما سمع معاوية ذلك أرسل إلى عمرو وأعطاهما إتيانه . فقال عمرو : ولي الله
عليك بذلك شاهد قال له معاوية : نعم لك الله عليّ بذلك إن فتح الله علينا الكوفة
فقال عمرو : والله على ما نقول و كيل فخرج عمرو من عنده فقال له ابنه : ما صنعت ؟
قال : أعطانا مصر طعمة قالوا : و ما مصر في ملك قال : لا أشبع الله بطونكما إن لم
يشبعكما مصر .

١- أى ماطل في الجواب .

٢- الايات المذكورة في شرح المعتزلي ، منه

قال : وكتب له معاوية بمصر كتابا وكتب على أن لا ينقض شرط طاعته فكتب عمرو أن لا ينقض طاعته شرطا وكابد كل منهما صاحبه

قال وكان مع عمرو ابن عم له فتى شاب وكان داهيا فلما جاء عمرو بالكتاب مسرورا عجب الفتى وقال : لا تخبرني يا عمرو بأي رأى تعيش في قريش أعطيت دينك ومنييت دنيا غيرك ، أتري أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية وعلي حية؟ وأتراها إن صارت لمعاوية لياخذها بالحرف الذي قدمه في الكتاب ؟

فقال عمرو : يا ابن أخي إن الأمر لله دون علي ومعاوية وأنشد الفتى في ذلك شعرا (١) فقال له عمرو : يا ابن عم لو كنت مع علي وسعني بيتي ولكني مع معاوية فقال له الفتى : إنك إن لم ترد معاوية لم تردك ولكنك تريد دنياه ويريد دينك .

وبلغ معاوية قول الفتى فطلبه فهرب ولحق بعلي فحدثه بأمر عمرو ومعاوية ، قال : فسر ذلك عليا وقر به قال : وغضب مروان وقال : ما بالي لا اشتري كما اشتري عمرو فقال له معاوية : انما نبتاع لك

قال نصر فلما كتب الكتاب قال معاوية لعمرو ماترى؟ قال : امض الرأى الأول فبعث مالك بن هبيرة الكندي في طلب محمد بن أبي حذيفة فأدركه وقتله ، وبعث إلى قيصر بالهدايا فوادعه ، ثم قال : ماترى في علي؟ قال : إنته قد أتاك في طلب البيعة خير أهل العراق ومن عند الناس في أنفس الناس ودعواك أهل الشام إلى رد هذا البيعة خطر شديد ، ورأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي وهو عدو لجرير المرسل إليك فابعت إليه ووطىء له ثقاتك فليفشوا في الناس أن عليا قتل عثمان وليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل فإنتها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب وإن تعلقت بقلب شرحبيل لن تخرج منه بشيء أبدا

فكتب إلى شرحبيل أن جرير بن عبدالله قدم علينا من عند علي بن أبي طالب بأمر مفضل فاقدم ، فدعى معاوية بريد بن لييد وبسر بن أرطاة وعمرو بن سفيان ومخارق ابن الحرث الزبيدي وحزمة بن مالك وعابس بن سعيد الطائي وهؤلاء رؤساء قحطان واليمن وكانوا ثقات معاوية وخاصة وبني عم شرحبيل بن السمط فأمرهم أن يلتقوه

ويخبروه أن علياً قتل عثمان .

فلما قدم كتاب معاوية على شرحبيل وهو بمحصّ استشار بأهل اليمن فاختلّفوا عليه ، فقام إليه عبدالرحمن بن غنم وهو صاحب معاذ بن جبل وختنه وكان أقره أهل الشّام ، فنّاه عن المسير إلى معاوية ووعظه ونهاه أيضاً عياض اليماني وكان ناسكا فأبى شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية فلمّا قدم تلقاه النّاس فاعظموه ودخل على معاوية .

فقال له معاوية : يا شرحبيل إن جرير بن عبدالله يدعونا إلى بيعة عليّ و عليّ خير النّاس لولا أنّه قتل عثمان و حبست نفسي عليك و إنّما أنا رجل من أهل الشّام أرضى ما رضوا وأكره ما كرهوا فقال شرحبيل : أخرج و أنظر ، فلقاه هؤلاء النفر الموطون له فكلمهم أنضبره أن علياً قتل عثمان ، فرجع مغضبا إلى معاوية فقال : يا معاوية أبى النّاس إلا أن علياً قتل عثمان ، والله إن بايعت له لنخرجك من شامنا أو لنتقتلنك .

فقال معاوية : ما كنت لأخالف عليكم ما أنا إلا رجل من أهل الشّام قال : فردّ هذا الرّجل إلى صاحبه فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق و أن الشّام كلّها مع شرحبيل وعند ذلك استعدّ للقتال وكتب إلى عليّ عليه السلام : ما استعرفه في شرح الكلام الثالث والأربعين إن شاء الله

تكملة

قد اشرنا سابقا إلى أن هذا الفصل من كلامه عليه السلام كالفصلين السابقين ملتقط من كلام طويل له عليه السلام ولكونه مشتملا على مطالب نفيسة أحببنا أن نوردّه هنا بتمامه فأقول : روى العلامة المجلسي في البحار والصارح المقتزلي في شرح الكلام السابع والسّتين جميعاً من كتاب الغارات لأبراهيم بن مسعود التقي عن رجاله عن عبدالرحمان بن جندب عن أبيه قال دخل عمرو بن الحمق وحجر بن عديّ وحبّة العرني والحارث الأعور وعبدالله بن سبا على أمير المؤمنين بعد ما افتتحت مصر وهو منموم حزين فقالوا له : بين لنا ما قولك في أبي بكر وعمر ؟ فقال لهم عليّ عليه السلام :

هل فرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي قد قلت أنا مخرج إليكم كتاباً أخبركم فيه عما سألتكم وأسألكم أن تحفظوا من حقّي ما ضيعتم فاقروا على شيعتي وكونوا على الحقّ وهذه نسخة الكتاب :

من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى قرّاء كتابي هذا من المؤمنين و المسلمين السلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أمّا بعد فإن الله بعث محمداً نذيراً للعالمين أميناً على التنزيل وشهيداً على هذه الأمة ؛ وأنتم معاشر العرب يومئذ على شرّ دين و في شرّ دار من يخون على حجارة خشن وجنادل صمّ وشوك مبيوث في البلاد ، تشربون الماء الخبيث وتأكلون الطعام الجشب وتسفكون دماءكم و تقتلون أولادكم وتقطعون أرحامكم وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل ، سبلكم خائفة والأصنام فيكم منصوبة ، ولا يؤمن أكثركم بالله إلا وهم مشركون .

فمن الله عزّ وجلّ عليكم بمحمد فبعثه إليكم رسولا من أنفسكم وقال فيما انزل من كتابه : « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » وقال : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم » وقال : « لئن من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم » وقال : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

فكان الرسول إليكم من أنفسكم بلسانكم ، فعلمكم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة ،

وأمركم بصلة أرحامكم وحقن دماءكم وصلاح ذات البين ، وأن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ، و أن توفوا بالعهد ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها .

وأمركم أن تعاطفوا وتبادوا وتباشروا وتباذلوا وتراحموا ،

و نهاكم عن التناهب و التظالم و التحاسد و التبغاي و التقاذف وعن شرب

الحرام و بحس المكيال ونقص الميزان ، و تقدم اليكم فيما تلى عليكم أن لاتزنوا ولا تربوا ولا تأكلوا أموال اليتامى ، و أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وأن لاتعثوا في الأرض مفسدين ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .

فكل خير يدني إلى الجنة ويباعد من النار أمركم به ، وكل شر يدني إلى النار ويباعد من الجنة نهاكم عنه .

فلما استكمل مدته من الدنيا توفاه الله إليه سعيداً حميداً فإياها مصيبة خصت الأقربين وعمت جميع المسلمين ، ما أصيبوا قبلها بمثلها و لن يعاينوا بعدها اختها فلما مضى لسيبائه عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده ، فوالله ما كان يلتقى في رعى و لا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد صلى الله عليه وآله عن أهل بيته و لا أنهم تنحوه عني من بعده .

فما راعني إلا انشبال الناس على أبي بكر واجفالهم (١) إليه لبيابعه ، فأمسكت يدي ورأيت أنني أحق بمقام محمد صلى الله عليه وآله وملة محمد في الناس ممن تولى الأمر بعده .

فلبثت بذلك ماشاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام تدعو إلى محق دين الله وملة محمد ، فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرى فيه نلماً وهد ما تكون المصيبة (الصابخ ل) بهما أعظم من فوات ولاية اموركم التي إنما هي متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب وكما يتشع السحاب فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق و كانت كلمة الله هي العليا و لو كره الكافرون ، فتولى أبو بكر تلك الأمور وسدد وليس وقارب واقتصد ، فصحبته مناصحاً ، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً .

و ما طمعت أن لو حدث به حدث وأنا حي أن يرد إلى الأمر الذي بايعته فيه طمع مستيقن ولا يشت منه يائس من لا يرجوه ، ولولا خاصة ما كان بينه وبين عمر لعظمت أنه لا يدفعها عني

فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه فسمعنا و أطعنا و ناصحنا و تولى عمر الأمر فكان مرضيًّا (١) السيرة ميمون النقيبة

حتى إذا احتضر قلت في نفسي لن يتدلها عتي ليس يدافعها عني فجعلني سادس ستة فما كانوا لولاية أحد أشد كراهية منهم لولايتي عليهم ، فكانوا يسمعونني عند وفات الرسول أحاج أبابكر وأقول يامعشر قريش إنا أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ، أما كان فينا من يقره القرآن ويعرف السنة ويدين بدين الحق؟

فخشى القوم إن أنا وليت عليهم أن لا يكون لهم من الأمر نصيب ما بقوا فأجمعوا إجماعاً واحداً فصرفوا الولاية إلى عثمان وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها ويتداولوها إذ يسوا أن ينالوها من قبلي ثم قالوا لهم فبايع وإلاً جاهدناك فبايعت مستكرها وصبرت محتسباً قتال قائمهم : يابن ابیطالب إنك على هذا الأمر لحريص فقلت : إنهم أحرص مني وأبعد ، أيتنا أحرص أنا الذي طلبت ترائي وحتي الذي جعلني الله ورسوله أولى به أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه و تحولون بيني وبينه فبهتوا والله لا يهدي القوم الظالمين

اللهم إنني استعديك على قريش فانهم قطعوا رحمي وأضاعوا اناتي و صغروا عظيم منزلتي و أجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به منهم فسلبوني ثم قالوا : ألا إن في الحق أن تأخذه و في الحق أن تمنعه فاصبر كمدا (٢) أومت أسفا وحقنا فنظرت فإذا ليس معي رافد و لا ذاب ولا ناصر ولا مساعد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن المنية فاغضيت على القذى و تجرعت ريتي على الشجى و صبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من خرا الشفغار .

حتى إذا نقتم على عثمان أن يتموه فقتلتموه ثم جئتموني لتبايعوني فأبيت

١ - أى ظاهراً عند الناس و كذا ما مر في وصف أبي بكر و آثار النقيبة و المصلحة في

الخطبة ظاهرة بل الظاهر انها من العاقبات المغالين ، بحار

عليكم و امسكت يدي فنازعتوني و دافعتوني و بسطتم يدي فكففتها ، ومددتموها فقبضتها ، و ازدحمت عليّ حتى ظننت أنّ بعضكم قاتل بعضكم و أنّكم قاتلي قتلتم بايعنا لانجد غيرك و لا نرضي إلاّ بك بايعنا لانفترق و لا تختلف كلمتنا فبايعتكم و دعوت الناس إلى بيعتي ، فمن بايع طوعا قبلته منه و من أبى لم اكرهه و تركته فبايعني فيمن بايعني طلحة و الزبير و لوأبيا ما اكرهتهما كما لم اكره غيرهما .

فما لبثنا إلاّ يسيراً حتى بلغني أنّهما قد خرجا من مكة متوجهين إلى البصرة في جيش ما منهم رجل إلاّ قد أعطاني الطاعة و سمح لي بالبيعة ، فقد ما على عاملي و خزّ أن بيت مالي و على أهل مصر في الذين كلهم على بيعتي و في طاعتي ، فشتتوا كلمتهم و أفسدوا اجتماعهم ، ثمّ دثبوا على شيعتي من المسلمين فقتلوا طائفة منهم غدراً ، و طائفة صبراً ، و طائفة منهم غضبوا لله فشهروا سيوفهم و ضربوا بها حتى لقوا الله صادقين .

فوالله لو لم يصيبوا منهم إلاّ رجلا و احداً متعمدين لقتله لحدّ لي به قتل ذلك الجيش بأسره فدفع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التي دخلوا بها عليهم ، وقد أدال الله منهم فبعد اللقوم الظالمين .

ثمّ إنني نظرت في أمر أهل الشام فاذا أعراب أحزاب و أهل طمع جفاة طغاة يجتمعون من كلّ أوب من كان ينبغي أن يؤدّب أو يولى عليه و يؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين و لا الأَنْصار و لا التابعين باحسان ، فسرت إليهم فدعوتهم إلى الطاعة و الجماعة فأبوا إلاّ شقاقا و فراقا و نهضوا في وجوه المسلمين ينظمونهم بالنبل و يشجرونهم بالرّماح فهناك نهدت إليهم بالمسلمين فقاتلتهم .

فلما عَصَمَ السلاح و وجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها فأنباتكم أنّهم ليسوا بأهل دين و لا قرآن و أنّهم رفعوها غدراً و مكيدة و خديعة و وهنا وضعنا فامضوا على حقّكم و قتالكم ، فأبيتم عليّ و قتلتم اقبل منهم فان أصابوا إلى ما في الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحقّ ، و إن أبوا كان أعظم لحجّتنا

عليهم فقبلت منهم وكففت عنهم إذ دينتم وأبيتهم
وكان الصلح بينكم وبينهم على رجلين يحييان ما أحيا القرآن و يميتان ما
أمات القرآن ، فاختلف رأيهما وتفرق حكمهما ونبذا حكم القرآن و خالفا ما في
الكتاب فجنبهما الله السداد وولاهما في الضلالة ، فنبذا حكمهما و كانا أهله
فانخزلت فرقة منا فتركناهم ماتركونا حتى إذا عثوا في الأرض يقتلون
ويفسدون أتيناهم فقلنا ادفعوا إلينا قتلة إخواننا ثم كتاب الله بيننا وبينكم قالوا :
كلنا قتلهم و كلنا استحلال دمايتهم و دمايتكم وشدت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله
مصادع الظالمين .

فلما كان ذلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذلك إلى عدوكم
فقلتم: كلبت سيوفنا و نفدت نبالننا و نصلت (١) سنة رماحنا ، و عاد أكثرها قصدا فارجع
بنا إلى مصرنا لنستعد بأحسن عدتنا فاذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك منا
و فارقنا فان ذلك أقوى لنا على عدونا

فأقبلت بكم حتى إذا ظللتم (٢) على الكوفة أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة
وأن تلمزوا معسكركم و أن تضموا قواضيتكم و أن توطنوا على الجهاد أنفسكم و لا
تكثروا زيارة آبائكم و نسائكم فان أهل الحرب لمصابروها ، و أهل القشيم فيها
غاصية فلا من بقي منكم صبر و ثبت ، و لا من دخل المصر عاد إلى و رجع ، فنظرت
إلى معسكري و ليس فيه خمسون رجلا :

فلما رأيت ما أتيتم دخلت إليكم فلم أقدر إلى أن تخرجوا إلى يومنا هذا
فما تنتظرون أماترون أطرافكم قد انتقصت ، و إلى مصركم قد فتحت ، و إلى شيعتي
بها قد قتلت ، و إلى مسالحكم (٣) تفرى (٤) ، و إلى بلادكم ، تغزى ، و اتتم ذوو وعدد

١- نصل السهم إذا خرج منه النصل و نصل السهم إذا ثبت نصله ق

٢- اظلم على الشيء، اشرف

٣- السالح الثور

٤ اي خالية عن الرجال و السلاح

كثير ، وشوكة وبأس شديد .

فما بالكم لله انتم من أين تؤتون ، وما لكم تسحرون ، وأنتى تؤفكون ، ولو عزمتم وأجمعتم لم تراموا إلا أن القوم قد اجتمعوا وتناشوا وتناصحوا وأنتم قد دينتم و تغاشستم و افترقتم ما أنتم إن انتمتم عندي على هذا بمنقذين فاتتهوا عمسا نهيمت واجمعوا على حقتكم و تجردوا لحرب عدوكم قد أبدت الرغوة من التصريح (١)

وبين الصبح لذى عينين .

إنما تقاتلون الطلقاء و أبناء الطلقاء و اولى الجفاء و من أسلم كرها فكان لرسول الله انف (٢) الاسلام كله حرباً أعداء الله و السنة و القرآن و أهل البدع و الأحداث و من كانت بوابقه تنقى و كان على الاسلام و أهله مخوفاً آكلة الرشا و عبدة الدنيا .

لقد انتهى إلى أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتى اعطاه و شرط له أن يؤتیه ائیه هی أعظم ممّا فی یده من سلطانه الا صرفت يد هذا البایع دینه بالدينیا ، و خزیت أمانة هذا المشتري بنصرة فاسق غادر بأموال المسلمين و أن فيهم من قد شرب فيكم الخمر و جلد الجلد (الحدخ) يعرف بالفساد في الدين و في الفعل السيئ ، و أن فيهم من لم يسلم حتى رضخ له رضیحة (رضخة خ)

فهؤلاء قادة القوم و من تركت ذكر مساويه من قادتهم مثل من ذكرت منهم بل هوشر و يود هؤلاء الذين ذكرت لولوا عليكم فأظهروا فيكم الكفر و الفساد و الفجور و التسلط بالجبرية و اتبعوا الهوى و حكموا بغير الحق ، و لأنتم على ما كان فيكم من تواكل و تخاذل خير منهم و أهدي سبيلا فيكم العلماء و الفقهاء و النجباء و الحكماء و حملة الكتاب و المتهجدون بالأسحار و عمّار المساجد بتلاوة القرآن

أفلا تسخطون و تهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم و الأشرار الأرازل منكم فاسمعوا قولی و أطيعوا أمری إذا أمرت فوالله لئن أطمعتموه لا تغورون ، و إن عصيتموه لا ترشدون .

١-التصريح اللين الغالى اذا ذهب رغوته

٢-انف كل شيء اوله وانف البرد اشده

خذوا للحرب اهبتها وأعدوا عدتها فقد شبت نارها وعلاسناؤها وتجرّد لكم فيها الفاسقون كى يعدّوا عباد الله ويطفؤوا نور الله ألا إنّه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكروء الجفاء بأولى في الجدد في غيهم وضلالهم من أولياء الله أهل البر والزّهادة والاختبات بالجدّ في حقهم وطاعة ربهم ومناصحة إمامهم

اي والله لولقيتهم فرداً وهم ملاء الأرض ما باليت ولا استوحشت و انسى من ضاللتهم التي هم فيها والهدى الذي نحن عليه لعلی ثقة وبينة ويقين وبصيرة ، و انسى إلى لقاء ربي لمشتاق و لحسن نوابي لمنتظر ولكن أسفا يعتريني وحزنا يخامرني أن يلي أمر هذه الامة سفهاؤها و فجأرها ، فيتخذوا مال الله دولا و عباد الله خوفاً و الفاسقين حزياً

وأيام الله لولا ذلك لما أكثرت تائبكم وتحريضكم، ولتركتكم إذا دنتم وأيتهم حتّى ألقاهم بنفسى متى حمّ (۱) لى لقائهم ، فوالله إنى لعلی الحق ، و انسى للشهادة لمحّب .

فانفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، و لا تناقلوا إلى الأرض فتقرّوا بالخسف و تبوءوا بالذلّ و يكن نصيبكم الآخر إن أخوا الحرب ليقظان ومن ضعف أودى (۲) و من ترك الجهاد كان كالمغبون المميين .

اللهم اجمعنا و إيتاهم على الهدى ، و زهدنا و إيتاهم في الدنيا ، و اجعل الآخرة خيراً لنا ولهم من الأولى، والسلام .

الترجمة

بعض دیگر از این خطبه اشاره است بر قصه بیعت عمر و عاص بر معاویه ملعون می فرماید که بیعت نکرد عمر و عاص حتّی اینکه شرط نمود آنکه بدهد معاویه باو بر بیعت او من و بهائی که عبارت بود از حکومت مصر ، پس مظفر مبادست بیعت کنند

و خوار و ذلیل باد عهد و پیمان بیعت نموده شده ، پس اخذ نمایند از برای جنک و اسلحه جنک را و مهیّا سازید از برای اوساز و براق آنرا ، و بتحقیق که افروخته شد آتش حرب و بلند شد شعله او و شعاع خود نمایند صبر و شکیبائی را در معركة قتال پس بدرستی که استعمار صبر اقوی داعی است از برای انتصار و ظفر والله اعلم .

و من خطبة له عليه السلام و هي السابعة والعشرون من المختار في باب الخطب

وهذه من مشاهير خطبه و صدرها مروية في الوسائل من الكافي عن أحمد بن محمد بن سعيد عن جعفر بن عبدالله العلوي و عن أحمد بن محمد الكوفي عن علي بن العباس عن إسماعيل بن إسحاق جميعاً عن أبي روح فرخ بن فروة عن مسعدة بن صدقة عن ابن أبي ليلى عن أبي عبدالرحمان السلمي عنه عليه السلام و رواها المبرّد في أرايل الكامل والعلامة المجلسي في البحار من معاني الأخبار للصدوق بزيادة و نقصان ليطلع عليها بعد الفراغ من شرح ما أورده السيد في الكتاب وهو قوله :

أما بعدُ ، فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَتَحَّهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةِ وَجُنْتُهُ الْوَيْبِقَةُ ، فَعَنْ تَرَكِهِ رَغْبَةٌ عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَوْبُ الدُّلِّ وَسَمِيَهُ الْبَلَاءَ ، وَدَيْتَ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءِ ، وَضَرَبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ ، وَأَدْبَلَ الْحَقَّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ ، وَسَمِيَ الْخَسْفَ وَ مُنِعَ النَّصْفَ .

أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَ نَهَارًا وَ سِرًّا

وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ أَغْرُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْرُواكُمْ، فَوَاللَّهِ مَا غُرِّيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنْتُمْ عَلَيْكُمْ الْغَارَاتُ، وَمَلَكَتْ عَيْنَكُمْ الْأَوْطَانُ، وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خِيَاهُ الْأَنْبَارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسَانَ بْنَ حَسَنِ الْبَكْرِي وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا، وَلَقَدْ بَانَ بَنِي الْأَنْبَارِ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْعُرَّةِ الْمُسَيَّمَةِ، وَالْأُخْرَى الْمَاهِدَةَ فَيَنْتَزِعُ حَجَلَهَا وَقَلْبَهَا وَقَلَانِدَهَا وَرِعَائِهَا، مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْإِسْتِرْجَاعِ وَالْإِسْتِرْحَامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافْرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ، وَلَا أَرِيقَ لَهُ دَمٌ.

قَلُّوا أَنَّ أَمْرًا مُسْتَلْهَمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كَانَتْ بِهِ عِنْدِي جَدِيدًا، فَيَا عَجَبًا عَجَبًا وَاللَّهِ يُبَيِّتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ اللَّهُمَّ مِنْ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ، فَجَبَحًا لَكُمْ وَتَرَحًّا، حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُؤْمَى، يُفَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغَيِّرُونَ، وَتُغْرُونَ وَلَا تُغْرُونَ، وَيُعَصَى اللَّهُ وَتُرْضُونَ، فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَةُ الْقَيْظِ أَمْهَلْنَا يَسْبُخُ عَنَّا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَةُ الْقُرِّ أَمْهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبَرْدُ، كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفْرُونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَقْرُّ.

يا أشبَاهَ الرَّجَالِ وَلَا رِجَالًا، حُلُومُ الْأَطْفَالِ، وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ ،
لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمُ وَلَا أَعْرِفَكُمُ، مَعْرِفَةُ اللَّهِ جَرَتْ نَدَمًا وَأَعَقَبَتْ سَدَمًا،
فَاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَكْتُمْ قَابِي قَيْجًا، وَسَخَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا، وَجَرَّعْتُمُونِي
نَعْبَ الشَّهَامِ أَنْفَاسًا، وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصِيانِ وَالْخِذْلَانِ، حَتَّى
قَالَتْ قُرَيْشٌ: إِنْ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شَجَاعٌ، وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ
لِلَّهِ أَبُوهُمْ، وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا، وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي،
لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَّغْتُ الْعَشْرِينَ، وَهِيَ أَنَا ذَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السَّتِينِ
وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِعَنْ لَا يُطَاعَ.

اللغة

(درع) الحديد مؤنث سماعي وقد يذكّر و (الجنة) بالضم كل ما وقى
و (شمله) ربّما يفره بالتناه وهي كساء تغطى به و الفعل أظهر كما هو المضبوط
و (ديشه) ذلاه ومنه الديوث الذي لا غير له و (الصغار) الذل والضيم و (القماء)
بالمد الصغار وعن الرأوندي القماء بالقصر وهو غير معروف ، وفي رواية الكافي القماعة
قال في القاموس : قمأ كجمع و كرم قماعة وقماعة وقماء بالضم و الكسر ذلّ
وصفر و (الاسداد) بفتح المهمزة جمع السدّ وهو الحاجز يقال : ضربت عليه الارض
بالاسداد سدت عليه الطرق وعميت عليه مذاهبه وفي بعض النسخ بالاسهاب يقال اسهب
الرجل بالبناء للمفعول إذا ذهب عقله من اذى يلحقه و (ادبل الحق منه) أى يغلب
الحق عليه فيصيبه الوبال كقول سيّد العابدين (عليه السلام) في الصحيفة ادل لنا ولا تدل
منّا ، والادالة الغلبة و (سيم) بالبناء للمفعول من سامه خسفاً أى كلفه ذلاً و (النصف)

بكسر الذنون الانصاف و (عقر) الشيء بالضم أصله ووسطه و (التواكل) أن يكل الأمر كل واحد منهم إلى صاحبه يقال تواكل القوم اتكل بعضهم على بعض و اتخذوا ومنه رجل وكل اى عاجز يكل أمره إلى غيره و (شنت) أى مزقت

قال الشنارح المعتزلي : وما كان من ذلك متفرقاً نحو إرسال الماء على الوجه دفعة بعد دفعة فهو بالشين، وما كان ارسالاً غير متفرق فهو بالسين المهملة و (اخوغامد) هو سفيان بن عوف الغامدي منسوب إلى الغامد قبيلة من اليمن و (الانبار) بلد قديم من بلاد العراق على الفرات من الجانب الشرقي و (المسالح) جمع مسلحة و هى الحدود التي رتب فيها ذوا الأسلحة لدفع العدو كالشفر و (المعاهدة) بصيغة اسم الفاعل ذات العهد وهى الذميمة و (الحجل) بفتح الحاء و كسرهما الخلل و (القلب) بالضم سوار المرمة و (الرعات) جمع رعثة بفتح الراء و سكنون العين وفتحها وهى القرط، والرعات أيضاً ضرب من الحلبي

و (الاسترجاع) قول إن الله وإننا إليه راجعون ، وقيل ترديد الصوت بالبكاء و (الاسترحام) مناشدة الرحم أى قول انشدك الله و الرحم ، وقيل طلب الرحم وهو بعيد و (انصرفوا و افرين) اى تامين يقال و فر الشيء أى تم و وفرت الشيء أى أنهته .

وفي رواية المبرد والصدوق موفورين ، وهو بمعناه و (الكلم) الجرح و (الترح) محرقة ضد الفرح و (الغرض) الهدف و (خمارة القيط) بتشديد الراء شدة حره و (تسبخ الحر) بالسين والباه و الخاء المعجمة سكن و فتر كسبخ تسيخا و (صبارة) الشتاء بالتشديد شدة برده و (القر) بضم القاف البرد أو يخص بالشتاء و (ربات الحجال) النساء أى صواحبها أو اللاتي ربيّن فيها ، وهى جمع حجلة وهى بيت يزيّن فيها .

و (السدم) الحزن و (قاتلكم الله) كناية عن اللعن و الابعاد و (القبيح) الصديد بلام و (النهب) جمع نغبة كالجرعة لفظاً ومعنى و (التهمام) بفتح التاء

الهمَّ و (انفاسا) أى جرعة بعد جرعة و (لله أبوهم) كلمة مدح ولعلها استعملت هنا للتعجب و (المراس) مصدر مارسه أى زادله و عاجله و (ذرقت على الستين) بتشديد الراء أى زدت

الاعراب

لباس التقوى بحذف المضاف أى لباس أهل التقوى ، و يمكن عدم الحذف بالتأويل الآتى : إضافة الثوب إلى الذلِّ بيانية ، والباء في قوله بتضييع الجهاد للسببية و سيم الخسف النائب عن الفاعل ضمير من ، و الخسف بالنصب مفعول أى كلف بالخسف والزم اه ، وكلمة على في قوله وملكت عليكم تفيد الاستلاء بالقهر و الغلبة والضمير في قوله ما كان به راجع إلى الموت المستفاد من مات .

وقوله : فيأعجابا منصوب على النداء اصله يا عجمي أى احضر هذا أدانك ، وعجبا الثانى إماتو كيدله أو منصوب بالمصدرية أى أيها الناس تعجبوا منهم عجبا ، والقسم معترض بين الصفة والموصوف .

و قبعا وترحاً منصوبان على المصدرية ، و لا رجال خبره محذوف ، وحلوم الاطفال وعقول ربّات الحجال إمّا بالنصب على حذف حرف النداء أى ياذوى حلوم الأبطال و ذوى عقول النساء ، وفي بعض النسخ بالرّفع أى حلومكم حلوم الأبطال وعقولكم عقول النساء ، و معرفة يمكن أن يكون فعله محذوفاً أى عرفتمكم معرفة جرت ندما ، وأنفاسا مفعول مطلق لجرعتموني على غير لفظه ، والضماير الثلاثة للحرب وهى مؤنثة و قد يذكر .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة ممّا خطب بهافى أواخر عمره الشريف، و ذلك بعد ما انقضى وقعة صفين و استولى معاوية على البلاد و أكثر القتل و الغارة في الأطراف و أمر سفيان بن عوف الغامدى بالمسير إلى الأبنار و قتل أهلها.

و تفصيله هو ما رواه الشارح المعتزلى من كتاب الغارات لابراهيم بن محمد الثقفي عن ابن الكنود .

قال: حدثني سفيان بن عوف الغامدي، قال دعاني معاوية فقال: إنني باعك في جيش كثيف ذي أداة و جلادة فالزم لي جانب الفرات حتى تمر به بيت فتقطعها فان وجدت بها جندا فاغر عليهم و إلا فامض حتى تغبر على الأنبار فان لم تجد بها جندا فامض حتى توغل المداين، ثم اقبل إلى واتق أن تقرب الكوفة و اعلم أنك إن أغرت على الأنبار و أهل المداين فكأنك أغرت على الكوفة، إن هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعب قلوبهم، و تفرح كل من له فينا هوى منهم، و تدعو اليناكل من خاف الدوائر، فاقتل من لقيت ممن ليس هو على مثل رأيك، و اخرب كل مامررت به من القرى، و احرب الأموال فان حرب الأموال شبيه بالقتل، و هو أوجع للقلب.

قال: فخرجت من عنده فمسكرت و قام معاوية في الناس خطيبهم فقال: أيها الناس انتدبوا مع سفيان بن عوف فإنه وجه عظيم فيه اجر سريرة فيه ادبتكم إن شاء الله ثم نزل. قال: فوالذي لا إله غيره مامررت ثالثة حتى خرجت في سنة آلاف، ثم لزم شاطيء الفرات فاغذت السير حتى أمرت بيت فبلغهم اني قد غشيتهم فقطعوا الفرات فمرت بها و ما بها غريب كأنها لم تحل قط، فوطيتها حتى أمرت بصدورها ففر و فلم ألق بها أحدا فامضى حتى افتتح الأنبار و قد انزر و ابي فخرج صاحب المسلحة فوقف الى فلم اقدم عليه حتى أخذت غلمانا من أهل القرية فقلت لهم: أخبروني كم بالأنبار من أصحاب علي؟ قالوا: عدة رجال المسلحة خمسمائة و لكنهم قد تبدوا و رجعوا إلى الكوفة و لاندري بالذي يكون فيها قديكون ماني رجل.

فزلت فكتبت أصحابي كتابت ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبة بعد كتيبة فيقاتلهم والله يصير لهم و يطاردهم و يطاردون في الأزقة فلما رأيت ذلك انزلت إليهم نحواً من مائتين و أتبعتهم الخيل، فلما حملت عليهم الخيل و أمامها الرجال تمشي لم يكن شيء حتى تفرقوا، و قتل صاحبهم في نحو من ثلاثين رجلا، و حملنا ما كان في الأنبار من الأموال ثم انصرف.

فوالله ما غزوت غزاة كانت أسلم ولا أقر للعيون ولا أسر للنفوس منها وبلغني

أنهارعبت الناس فلما عدت إلى معاوية حدثته الحديث على وجهه فقال : كنت عند ظني بك لا تنزل في بلد من بلداني إلا قضيت فيه مثل ما يقضى فيه أميره وإن أحببت توليته وليتك ، و ليس لأحد من خلق الله عليك أمر دوني قال : فوالله ما لبثنا إلا بسيراً حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الأبل هرأبا من عسكر علي عليه السلام .
قال إبراهيم و قدم عالج من أهل الأنبار على علي فأخبره الخبر فصعد المنبر فخطب الناس و قال : إن أخاكم البكري قد أصيب بالانبار و هو معتزل لا يخاف ما كان و اختار ما عند الله على الدنيا ، فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم فإن أصبتم منهم طرفا انكلموهم عن العراق ابدا ما بقوا .

ثم سكت عنهم رجاء أن يجيبوه أو يتكلم متكلم منهم بكلمة ، فلم ينفس أحد منهم بكلمة فلما رأى سمتهم نزل و خرج يمضي راجلا حتى اتى النخيلة والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشrafهم فقالوا : ارجع يا أمير المؤمنين نحن نكفيك ، فقال : ما تكفونني ولا تكفون أنفسكم ، فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله ، و هو واجم كتيب .

و دعى سعيد بن قيس الهمداني فبعثه من النخيلة في ثمانية آلاف ، و ذلك إنه أخبر أن القوم جاؤوا في جمع كثيف ، فخرج سعيد بن قيس على شاطيء الفرات في طلب صفيان بن عوف حتى إذا بلغ عامات ، سرح أمامه هاني بن الخطاب الهمداني فاتبع آثارهم حتى دخل أدنى أرض قنسرين ، و قد فاتوه فانصرف .

قال : و لبث علي عليه السلام حتى ترى فيه الكآبة والحزن حتى قدم عليه سعيد بن قيس و كان تلك الأيام عيلا فلم يقو على القيام في الناس بما يريد من القول ، فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد ومعه ابناه حسن وحسين عليهما السلام و عبدالله بن جعفر .

و دعا سعداً مولاه ، فدفع إليه الكتاب و أمره أن يقرأه على الناس ، فقام سعد بحيث يسمع علي عليه السلام صوته و يسمع ما يرد الناس عليه ثم قرء الخطبة هذه (أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحة الله لخاصة أوليائه) كما رواه في الكافي

عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: للجنة باب يقال باب المجاهدين يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم .

والمراد بخواص الأولياء المخلصون له في المحبة والعبادة ، و من المعلوم أن الجهاد في سبيل الله لوجه الله لا لغرض آخر من خواص الكاملين في العبادة والخالصين في المحبة .

وذلك لأن المرء المسلم إذا فارق أهله وأولاده و سلك إلى الجهاد مع علمه بأن العدو لو قهره قتله و يملك أمواله و يستبيح ذريته ومع هذه كلها يوطن نفسه على الصبر والشبات امتثالاً لأمر الله و طلباً لمرضاته سبحانه فذلك الولي الكامل والمؤمن الخالص في مقام الإيمان والعبودية ، و حقيق بأن يدخل في زمرة :

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » وَأَنْ يَسْتَبْشِرَ بِبَشَارَةِ : « إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْزِيَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »

(و هو لباس التقوى) أى به يتقى في الدنيا من غلبة الأعداء ، وفي الآخرة من حر النار كما يتقى بالثوب من الحر والبرد ، أو هو يدفع المضار عن التقوى و يحرسها ، أو عن أهل التقوى بحذف المضاف (و درع الله الحصينة) الواقية (وجنته الوثيقة) المحكمةم بها يحفظ النفس من المضار و يحترز من ذوى الأشرار (فمن تركه) كراهة له (و رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل) في الآخرة و الأولى (و شمله البلاء) و فتنة الأعداء (و ديث بالصغار والقهه) .

كما قال صلوات الله و سلامه عليه وآله : (١) فمن ترك الجهاد أبسه الله ذلاً و قرأ في معيشته ، و محقافي دينه إن الله أغنى أمتي بسنابك خيلها و مراكز رماحها (و ضرب على قلبه بالاسداد) فمجز عن تدبير مصالحه و عميت عليه مذاهبه و ضاقت له مسالكه (و اذيل الحق منه بتضييع الجهاد) فتورط في الضلال و لحقه الوبال (و سيم الخسف) و الذلة (و منع النصف) و العدالة .

و قد تحصل مما ذكره عليه السلام منافع الجهاد و مصالحه و مفاستد تركه و معايبه ، و فيه تحضيض على القيام به ، و ترهيب عن القعود عنه ، فانه و إن كان شاقاً على النفس في بادى الأمر من حيث كون أعظم ما يميل إليه الطبع الحياة ؛ و كون بقاء النفس للنفس مطلوباً إلا أنه بعد ملاحظة ما يترتب على القيام به من المنافع و الثمرات و على القعود عنه من المضار و العيوبات يسهل عليه القيام به ، و يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله كما قال تعالى :

« كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ »

يعنى أن الشيء ربما كان شاقاً عليكم في الحال و هو سبب للمنافع الجليلة في المستقبل و بالعكس ، و لأجله حسن شرب الدواء المر في الحال لتوقع حصول الصحة في المستقبل ، و حسن تعمل الأخطار في الأسفار بتوقع حصول الربح و الجهاد كذلك لأن تركه و إن كان يفيد في الحال صون النفس عن خطر القتل و صون المال عن الانفاق ، ولكن فيه أنواع من المضار الدنيوية و الأخروية ، كالذل و الفقر و حرمان بالغنيمة و محق الدين و طمع الأعداء ، حيث إن العدو إذ علم ميل نظرائه إلى الدعة و السكون قصد بلادهم و حاول قتلهم فاماً أن يأخذهم

و يستريح دمائهم و أموالهم و يسبى ذراريهم ، و إما أن يحتاجوا إلى قتاله من غير اعداد آلة و سلاح .

وهذا يكون أكثر مداواة المريض مرضه في أول ظهوره بسبب مرارة الدواء، ثم يصير في آخر الأمر مضطراً إلى تحمّل أضعاف تلك النّفرة والمشقة ، مضافاً إلى ما يفوته من الثمرات الجليلة في الدنيا والآخرة من الأمن و سلامة الوقت والفوز بالغنيمة و حلوة الاستيلاء على الأعداء ، والدّرجات التي وعدّها الله بقوله :

« فضل الله المجاهدين بأموالهم و أنفسهم على القاعدين درجة و كلاً وعد الله الحسنى ، و فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ، درجات منه و مغفرة و رحمة و كان الله غفوراً رحيماً . »

و البشرى التي بشر بها رسول الله ﷺ للشهداء منهم بقوله : للشهيد سبع خصال (١) من الله أول قطرة منه مغفور له كلّ ذنب ، والثانية يقع رأسه في حجر زوجته من الحور العين و تمسحان الغبار عن وجهه و تقولان مرحباً بك و يقول هو مثل ذلك لهما ، والثالثة يكسى من كسوة الجنة ، والرابعة تبتدره خزنة الجنة بكلّ ريح طيبة أتهم يأخذها معه ، والخامسة أن يرى منزله ، والسادسة يقال لروحه اسرح في الجنة حيث شئت ، والسابعة أن ينظر في وجه الله و أنّها لراحة لكلّ نبي و شهيد .

و كيف كان فأنّه ﷺ لما صدر خطبته بذكر منافع الجهاد و مضارّه فعلا و تركاً أشار إلى مقصوده الذي مهّده تلك المقدمة و هو حثهم على جهاد معاوية و أصحابه فقال : (الأواني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم) القاسطين الفاسقين (ليلاً و نهاراً و سرّاً و إعلاناً و قلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزى قوم قط في عقودارهم إلا ذلّوا).

و سرّاً ذلك ما أشار إليه الشارح البحراني ، و هو أنّ للأوهام أفعال عجيبة

في الأبدان تارة بزيادة القوة و تارة بنقصانها حتى أن الوهم ربما كان سببا لمرض الصحيح لتوهمه المرض و بالعكس ، فكان السبب في ذل من غزى في عقرداره و إن كان معروفا بالشجاعة هو الأوهام .

أما أوهامهم فلا نهبها تحكّم بأنّها لم تقدم على غزوهم إلا لقوة غازيهم واعتقادهم فيهم الضعف بالنسبة إليه ، فينفع إذن نفوسهم عن ذلك الأوهام ، و تنقهر عن المقاومة و تضعف عن الانبعاث و تزول غيرتها و حميتها فتحصل على طرف رذيلة الذلّ .

و أما أوهام غيرهم فلأنّ الغزو الذي يلحقهم يكون باعنا لكثير الأوهام على الحكم بضعفهم و محرّكا لطمع كلّ طامع فيهم ، فيشير ذلك لهم أحكاما و حمية يعجزهم عن المقاومة .

نمّ إنّه أشار إلى ما قابلوا به نصحه بقوله (فتواكلتم) أى و كل كلّ واحد منكم أمره إلى غيره (و تخاذلتم) أى خذل بعضكم بعضا (حتى شنت عليكم الغارات) و صبّت من كلّ جانب دفعة بعد دفعة (و ملكت عليكم الأوطان) بالقهر و الغلبة و العدوان (و هذا أخو غامد) سفيان بن عوف الغامدى (قد وردت خيله الانبار) بأمر معاوية اللعين الجبّار (وقد قتل حسّان بن حسّان البكرى) و كان من اصحابه و اليا على الأنبار .

روى إبراهيم بن محمد التّفهفي في كتاب الغارات عن عبد الله بن قيس عن حبيب ابن عفيف قال: كنت مع حسّان بالانبار على مسلحها إذ صحبتنا سفيان بن عوف في كتاب تلعب الأَبصار منها فها لونا والله و علمنا إذ رأيناهم أنّه ليس لنا طاقة بهم ولا يد ، فخرج إليهم صاحبنا وقد تفرّقنا فلم يلتهم نصفنا ، و أيم الله لقد قاتلناهم فأحسننا قتالهم حتى كرهونا ، نمّ نزل صاحبنا وهو يتلو قوله تعالى:

فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

نمّ قال لنا : من كان لا يريد لقاء الله ولا يطيب نفسا بالموت فليخرج عن القرية

مادمنًا نقاتلهم ؛ فان قاتلنا إِيَّاهم شاغل لهم عن طلب هارب ، و من أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار ، ثم نزل في ثلاثين رجلا ، فهممت بالنزول معه ثم أبت نفسي فتقدم هو وأصحابه فقاتلوا حتى قتلوا رحمهم الله .

(و أزال خيلكم عن مسالحتها) و حدودها المعدة لها (و لقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرثة المسلمة و) المرثة (الأخرى المعاهدة ف) كان (ينتزع) منها (حجلها) و خلخالها (و قلبها) و سوارها (و قلائدها) من نحرها (و رعاها) من آذانها (ما) يمكن ان (تمتنع منه إلا) بالتذلل (و بالاسترجاع) و الخضوع (و الاسترحام ثم انصرفوا) بعد القتل و الغارة (و افرين) تامين غير مرزويين (مانال رجل منهم كلم ولا أريق له دم فلو أن امرءً مسلما) ذا غيرة و حمية (مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً) و حقيقاً .

(فيا عجباً عجباً) أي عجب (والله يميت) ذلك العجب (القلب و يجلب الهم) من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم (مع علمهم بأنهم على الباطل) و تفرقكم عن حقتكم (مع معرفتكم بأنكم على الحق) فقبحاً لكم و ترحاً) و همساً (حين) تقاتلتم عن الجهاد حتى (صرتم غرضاً يرمى) بالنبال ألا تستحيون من سوء عملكم و لا تخجلون من قبح فعلكم (يغار عليكم ولا تغيرون و تغزون و لا تغزون و يعصى الله) بقتل الأنفس و نهب الأموال و هتك العرض و تخريب البلاد (و) أنتم (ترضون) بذلك إذ لولا رضاكم لما تمكّن العدو منكم و لما هجم عليكم (فاذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر) تخلفتم عن أمري و اعتذرتم و (قلتهم هذه حمارة القيظ) و هجمة الصيف (أهلنا حتى يسبخ عنا الحر) و يفتر عنا الهجر (و إذا أمرتكم بالسير إليهم في) أيام (الشتاء) عصيتم أمري (و قلتهم هذه صبارة القر أهلنا ينسلخ عنا البرد) و ينقضى القر (و كل هذا) الاستمهال و الاعتذار (فراراً من الحر) و القر (فاذا كنتم من الحر) و القر (تغزون) مع هوانهما (فأنتم و الله من السيف أفر) على شدته إذ لامناسبة بين شدة الحر و القر و بين القتل بالسيف و المجاهدة مع الأبطال .

(يا أشباه الرجال) خلقة و صودة (و لا رجال) غيرة و حمية حلومكم (حلوم الأطفال و) عقولكم (عقول ربّات الحجال) .

أما وصفهم بحلوم الأطفال فلأن ملكة الحلم ليس بحاصل للطفل و إن كانت قوة الحلم حاصلة له لكن قد يحصل له ما يتصور بصورة الحلم كعدم التسرع إلى الغضب عن خيال يرضيه و أغلب أحواله أن يكون ذلك في غير موضعه و ليس له ملكة تكسب نفسه طمأنينة كما في حق الكاملين فهو إذن نقصان ، ولما كان تاركوا أمره عليه السلام قد تركوا المقابلة حليماً عن أدنى خيال كتركيهم الحرب بصفين عن خدعة أهل الشام لهم بالمسالمة و طلب المحاكمة و رفع المصاحف ، فقالوا إخواننا في الدين لا يجوز لنا قتالهم ، كان ذلك حليماً في غير موضعه حتى كان من أمرهم ما كان بأشبه رضى الصبيان .

و أما إلحاق عقولهم بعقول النساء فللاشتراك في القصور و النقصان و قلة المعرفة بوجوه المصالح المخصوصة بتدبير الحرب و المدن ثم إنه عرفهم محبته لعدم رؤيتهم و معرفتهم بقوله (لوددت أنني لم أركم) رؤية أبدأ (و لم أعرفكم معرفة) أصلاً (والله لقد جرّت) معرفتكم على (ندما) و سئما (و أعقبت) حزنا و (سدها) ثم دعا عليهم بقوله (قاتلكم الله) أي لعنكم .

قال ابن الأباري : المقاتلة من القتل فاذا أخبر الله بها كان معناها اللعنة منه ، لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك ، يعني أن المقاتلة لما كان غير ممكن بحسب الحقيقة في حق الله سبحانه فاذا استدل الله سبحانه لا بدّ و أن يراد بها لوازمها ، كاللعن و الطرد و البعد و منع اللطف و نحوها .

(لقد مالا ثم قلبي) لسوء أعمالكم سديداً و (قيحا و شحنتم صدري) بقبح فعالكم غضبا و (غيظا و جرعتوني نغب التهمام) و جرع الهموم (أنفاسا) أي جرعة بعد جرعة (و أفسدتم على رأبي بالعصيان و الخذلان) و معنى إفسادهم له خروجه بسبب عدم التفاتهم إليه عن أن يكون منتفعا به لغيرهم (حتى لقد قالت < ج ٢٥ >

قريش : إن ابن أبيطالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب .

وذلك لأن الناس إذا رؤوا من قوم سوء تدبير أو مقتضى رأي فاسد كان الغالب أن ينسبوه إلى رئيسهم ومقدمهم ، ولا يعلمون أنه من تقصير القوم لامن قصور الرئيس ، ولذلك تعجب منهم ورد توهمهم بقوله : (لله أبوهم وهل أحد أشد لها) للحراب (مراسا) ومعالجة (وأقدم فيها مقاما) وممارسة (متمي ولقد) صرفت فيها تمام عمري و (نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا قد ذرقت على الستين) .

ثم بين أن السبب في فساد حال أصحابه ليس ما تخيله قريش فيه من ضعف الرأي في الحرب وقلة التدبير ، بل عدم طاعتهم له فيما يراه ويشير إليه و ذلك قوله (ولكن لا رأى لمن لا يطاع) فإن الرأي الذي لا يقبل بمنزلة الفاسد وإن كان صوابا ، والمثل له .

قيل : و إنما قال أعداؤه لا رأى له ، لأنه كان متقيدا بالشرعية لا يرى خلافها ولا يعمل بما يقتضى الدين تحريمه ، وقد قال هو رضي الله عنه : لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب ، وغيره من الخلفا كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه ويستوفقه سواء كان مطابقاً للشرع أولم يكن هذا .

روى في البحار من كتاب إرشاد القلوب باسناده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : بينما أمير المؤمنين يتجهز إلى معاوية ويحرض الناس على قتاله إذا اختصم إليه رجلان في فعل فعجل أحدهما في الكلام و زاد فيه ، فالتفت إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقال له : اخسأ ، فإذا رأسه رأس الكلب ، فبهت من حوله وأقبل الرجل بأصبعة المسبحة يتضرع إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه ويسأله الاقالة فنظر إليه وحرك شفتيه فعاد كما كان خلقاً سوياً .

فوثب إليه بعض أصحابه فقال له : يا أمير المؤمنين هذه القدرة لك كما رأينا وأنت تجهز إلى معاوية فما لك لا تكفيناه ببعض ما أعطاك الله من هذه القدرة ؟ فأطرق قليلا ورفع رأسه إليهم وقال :

والذي فلق الحبة و برى التسممة لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة في

طول هذه الفيافي والفلوات والجبال والأودية حتى أضرب بها صدر معاوية على سريره فاقبله على أم رأسه لفعلت ، ولو أقسمت على الله عز وجل أن اوتى به قبل أن أقوم من مجلسي هذا و قبل أن يرتد إلي أحد منكم طرفه لفعلت ، ولكننا كما وصف الله في كتابه : عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون .

ثم روى في البحار من الارشاد باسناده إلى ميثم التمار قال : خطب بنا أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة فأطال في خطبته وأعجب الناس تطويلها وحسن وعظها وترغيبها وترهيبها ، إذ دخل نذير من ناحية الأنبار مستغيثاً يقول : الله الله يا أمير المؤمنين في رعيّتك وشيعتك ، هذه خيل معاوية قد شنت علينا الغارة في سواد الفرات ما بين هيمت والأنبار .

فقطع أمير المؤمنين عليه السلام الخطبة وقال : ويحك بعض خيل معاوية قد دخل الدسكرة التي تلى جدران الأنبار قتلوا فيها سبع نسوة وسبعة من الأبطال ذكرانا وسبعة اناثا وشهروا بهم ووطؤوهم بحوافر الخيل وقالوا هذه مراغمة لأبي تراب .
فقام إبراهيم بن الحسن الأزدي بين يدي المنبر فقال يا أمير المؤمنين هذه القدرة التي رأيت بها وأنت على منبرك إن في دارك خيل معاوية ابن آكلة الأكباد وما فعل بشيعتك ولم يعلم بها هذا فلم تغضى عن معاوية .

فقال له : ويحك يا إبراهيم ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حي عن بيّنة ، فصاح الناس من جوانب المسجد يا أمير المؤمنين فالى متى يهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حي عن بيّنة ؟ وشيعتك تهلك ، فقال لهم : ليقضى الله أمراً كان مفعولاً .

فصاح زيد بن كثير المرادي وقال : يا أمير المؤمنين تقول بالأمس وأنت تجهز إلى معاوية وتحرضنا على قتاله ويحتمكم إليك الرجلان في الفعل فتعمل فيعجل ظهرك عليك أحدهما في الكلام فتجعل رأسه رأس الكلب فتستجير بك فترده بشراً سوياً .
و نقول لك ما بال هذه القدرة لا تبلغ معاوية فتكفيها شره فنقول لنا :

و قالق العبة و بارىء النسمة لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة صدر معاوية لفعلت ، فما بالك لا تفعل ما تريد إلا أن تضعف نفوسنا فنشك فيك فندخل النار . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : لأفعلن ذلك ولأعجلننه على ابن هند ، فمد رجله على منبره فخرجت عن أبواب المسجد ورددتها إلى فخذها و قال : معاشر الناس أقيموا تاريخ الوقت وأعلموه فقد ضربت برجلي هذه الساعة صدر معاوية فقلبتة عن سريره على أم رأسه فظن أنه قد احيط به ، فصاح يا أمير المؤمنين فأين النظرة ؟ فرددت رجلي عنه .

و توقع الناس ورود الخبر من الشام و علموا أن أمير المؤمنين عليه السلام لا يقول إلا حقاً ، فوردت الأخبار والكتب بتاريخ تلك الساعة بعينها من ذلك اليوم بعينه أن رجلا جاءت من ناحية الكوفة ممدودة متصلة فدخلت من أيوان معاوية والناس ينظرون حتى ضربت صدره ، فقلبتة عن سريره على أم رأسه فصاح يا أمير المؤمنين و أين النظرة ؟ و ردت تلك الرجل عنه ، و علم الناس ما قال أمير المؤمنين إلا حقاً .

تكملة

قد أشرنا سابقاً إلى أن هذه الخطبة من خطبه المشهورة ، و أنها مما رواها جماعة من العامة والخاصة ، ولما كانت رواية الصدوق مخالفة لرواية السيد في بعض فقراتها أحببنا إيرادها بسند الصدوق أيضاً لزيداً للبصيرة فأقول :

روى في البحار و الوسائل من كتاب معاني الأخبار للصدوق عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني عن عبد العزيز بن يحيى الجلودي عن هشام بن علي و محمد بن زكريا الجوهري ، عن ابن عايشة باسناد ذكره أن علياً انتهى إليه أن خيلاً لمعاوية ورد الأتبار فقتلوا عاملاً له يقال له : حسان بن حسان ، فخرج مغضباً يجر نوبه حتى أتى النخيلة و اتبعه الناس فرقى رباة من الأرض فحمد الله و أنتى عليه و صلى على نبيته ثم قال :

أمّا بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه و هو

لباس التقوى ودرع الله الحصينة و جنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله نوب الذلّ وسيماء الخسف (١) و ديث بالصفار ، وقد دعوتكم إلى حرب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسراً وإعلاناً وقلت لكم : اغزوه من قبل أن يغزوكم فوالذي نفسي بيده ما غزى قوم قط في عقر وياهم إلا ذلّوا .

فتواكلتم و تغاذ لتم ونقل عليكم قولي واتخذتموه ورائكم ظهرين (٢) حتى شنت عليكم الغارات ، هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار و قتلوا حسان بن حسان و رجالاً منهم كثيراً و نساء .

والذي نفسي بيده لقد بلغني أنه كان يدخل على المرمة المسلمة و المعاهدة فينتزع أحجالهما و رعشهما (٣) ثم انصرفوا موفورين لم يكلم أحد منهم كلما فلو أن امره مسلماً مات من دون هذا أسفا ما كان عندي فيه ملوما بل كان عندي به جديراً .

يا عجباً كلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم ، وفضلكم عن حقكم إذا قلت لكم اغزوه في الشتاء قلتّم هذا أوان قرّ و صرّ ، و إن قلت لكم اغزوه في الصيف قلتّم هذا حمارة القيظ انظرنا ينصرم الحرّ عنّا ، فإذا كنتم من الحرّ و البرد تفرّون فأنتم والله من السيّف أفرّ .

يا أشباه الرجال ولا رجال ، و يا ظعام الأحمال ، و يا عقول ربّات الجمال و الله لقد أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان ولقد ملتّم جوفى غيظاً حتّى قالت قريش إن ابن أبيطالب شجاع ولكن لا رأى له في الحرب ، لله درهم ومن ذا يكون أعلم بها و أشد لها مراساً منّي ، فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، ولقد نيفت اليوم على السنتين ، ولكن لا رأى لمن لا يطاع يقولها ثلاثاً .

فقام إليه رجل ومعه أخوه فقال : يا أمير المؤمنين أنا و أخي هذا كما قال

١- سيماء الخسف علامة الخسف ،

٢- أى لم تلتفت اليه يقال لا تجمل حاجتى منك بظهرى أى لا تطرحها غير ناظر اليها صدوق

٣- هى الثنوف واحدها رنة وجمعها رعات وجمع الجمع رعت ، ص

الله عزوجل حکایة عن موسى : ربّ اِنّي لا املك اِلاّ نفسي و اُخي ، فمرنا بأمرک فوالله لننهنّنّ کذاه اِليه ولوحال بیننا و بینه جمر الغضا و شوک القناد ، فدعا له بخیر ثمّ قال ﷺ و اَین تقعان ممّا أريد ، ثمّ نزل .

قال ابراهیم فی کتاب الغارات : اِنّ القائم اِليه العارض علیه جنذب بن عقیف الأزدی هو ، و ابن اُخ له یقال له عبد الرحمن بن ظهّ عبد الله بن عقیف ، والله أعلم بحقایق الوقایع .

الترجمة

از جمله خطب شریفه آن حضرتست در توییح اصحاب خود بجهت تهازل ایشان از قتال وجدال و تعصیض ایشان بجهاد معاویه رئیس بدعت و ضلال میفرماید بعد از حمد الهی و درود نامتناهی بر حضرت رسالت پناهی:

پس بدرستی که جهاد دری است از درهای بهشت عنبر سرشت ، گشاده است آنرا خداوند و دود بجهت دوستان خاصه خود ، و اوست لباس پرهیز کاری و تقوی و زره استوار خدا و سپر محکم حق سبحانه و تعالی ، پس هر که ترک نماید آن را پیوشاند خدا او را جامه خواری ، و شامل شود او را بلا و گرفتاری ، و خار گردانیده شود بمذلت و بی اعتباری ، و زده شود بر دل او بذهاب عقل و بیخردی ، و گردانیده شود حق از او ، و مغلوب میشود بجهت تضییع کارزار ، و الزام میشود بذلت و خواری ، و ممتوع میشود از انصاف و دادگری .

آگاه باشید که بتحقیق خواندم شمارا به محاربه این فرقه طایفه شب و روز و در نهم و آشکار ، و گفتم بشما که جنگ کنید با ایشان پیش از آنکه ایشان با شما جنگ نمایند پس بخدا قسم که هیچ غزا کرده نشد قومی هرگز دراصل خانه خودشان مگر اینکه خوار و ذلیل شدند پس موکول گردید شما کار خود را یکدیگر ، و خوار نمودید شما یکدیگر را ، تا اینکه ریخته شد غارتها پیاپی بر شما ، و گرفته شد از شما وطنها با غلبه و استیلا .

و این مرد که برادر غامد و سفیان بن عوف غامدی است بتحقیق که وارد

شده لشکریان او بشهر انبار ، و یقین که کشته است حسان بن حسان بکری را و زایل نموده سواران شما را از سرحد های آنها ، و بتحقیق که رسید بمن آنکه مردان قبیله داخل شده برزن مسلمه و بر کافر ذمیّه پس بر می کنده خلخال و دست برنجهای او را ، و گردن بند ها و کوشواره های آنرا ، امتناع نتوانسته است آن زن از آن مرد مگر با گریه و زاری و با قسم دادن بقرابت و خویشی .

پس آن قوم بد نهاد بعد از غارت کردن مراجعت نموده اند درحالتی که تمام بوده اند در حین مراجعت باغیمت ، نرسیده برودی از ایشان هیچ زخمی و ریخته نشده او را خونی ، پس اگر بمیرد مرد مسلمان پس از این ظلم دل سوز از روی غم و اندوه نباشد بمردن ملامت کرده شده ، بلکه هست نزد من بآن لایق گردیده . ای بسا تعجب ای ترم تعجب کنید چه تعجبی بخدای لایزال که می میراند دل را ، و میکشد اندوه را از انفاق آن گروه بر باطل خود ، و از تفرقه شما از حق خود ، پس زشت باد روی شما و حزن باد بر شما هنگامی که گشتید هدف تیر انداخته شده ، غارت میکنند بر شما و غارت نمیکند و جنگ میکنند با شما و جنگ نمی نمایند ، و نافرمانی کرده میشود خدا و شما خوشنود میباشید .

پس هرگاه امر میکنم شما را بر رفتن سوی دشمنان در ایام تابستان میگوئید که این شدت گرماست مهلت ده مارا تا سبک شود از ما گرما ، و هر وقتی که امر میکنم شما را بسیر نمودن بطرف خصمان در وقت زمستان میگوئید که این شدت سرماست مارا بگذار تا بر طرف شود از ما سرما .

این همه عذر ها از برای گریختن است از گرما و سرما پس چون بودید از گرما و سرما میگریزید پس شما بخدا سوگند از شمشیر گریزاتر هستید .

ای جماعت شیبه بمردان بحسب شکل و صورت و نیستید مردان از روی معنی و حقیقت ، حلمهای شما مانند حلمهای بچگانست ، و عقلمای شما مانند عقلمای زنان ، هر آینه دوست میداشتم آنکه نمی دیدم شما را و نمی شناختم شما را شناختنی که بخدا سوگند که کشیده است ندامت و پشیمانی را و متعقب شده است

اندوه و پریشانی را .

لعنت کند خدا شمارا هر آینه بر کردید دل مرا از ریم و زرداب ، و بر ساختید سینه مرا از خشم و التهاب ، و نوشانیدید مرا جرعه های غم و اندوه را نفس نفس ، و فاسد ساختید رأی مرا بر من با معصیت و خذلان تا آنکه گفتند قریش بدرستی که بسر اَبیطالب مردی است شجاع و لکن مهارت در حرب ندارد .

خدا نکم دار باد پدران ایشان را آ یا هیچیک از ایشان سخت تر است مر حرب را از روی علاج و مقدم تر است در حرب از روی ایستادن از من ، هر آینه قیام نمودم در معارك قتال با شجاعان و ابطال در حالتیکه نرسیده بودم بیست سالگی ، و اکنون که سن من افزون گشته بر شصت سال ، یعنی در عرض این مدت غالباً مشغول بوده ام بر جنک و جدال ، و لکن هیچ رأی نیست کسی را که فرمانبردار نشود و اطاعت او را نکنند .

الى هنا انتهى الجزء الثالث من هذه الطبعة النفيسة وقد تصدى لتصحيحه و تهذيبه العبد : «السيد ابراهيم الميانجى» و وقع الفراغ فى شهر ذى القعدة الحرام سنة ١٣٧٨ و يليه الجزء الرابع انشاء الله و اوله اول المختار الثامن والعشرين والحمد لله كما هو أهله .

فهرس الجزء الثالث

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٦١	ذكر نبذ من القضايا التي أفتى فيها عمر .	٢	في كيفية غضب الخلافة
٦٧	العلم بجميع الأحكام مختص بالأئمة عليهم السلام .	١٠	فيمن أنكر على أبي بكر الخلافة
٦٨	تعيين مرجع الضمير في قوله ﷺ (فصاحبها)	١٢	احتجاج الصحابة على أبي بكر
٧٣	جعل عمر الخلافة في ستة بالشورى	٢٣	بعث أبي بكر إلى علي رضي الله عنه لاختلاف البيعة
٧٥	كيفية قتل عمر و قاتله	٢٤	دخول القنفذ على بيت علي رضي الله عنه
٧٦	تعيين يوم قتل عمر	٢٧	احتجاج علي رضي الله عنه على أبي بكر
٨٠	ذكر أخبار الشورى	٢٨	حديث التابوت
٨٦	احتجاجاته ﷺ في مجلس الشورى	٣١	كتاب أبي بكر إلى اسامة وجوابه
٩٥	الفصل الرابع من الخطبة عطايا عثمان على أقاربه من بيت المال و يوم قتله	٣٢	الإشارة إلى بعض طرق الخطبة
٩٨	الفصل الخامس من الخطبة	٣٦	شرح بعض جملات الخطبة
١٠١	حديث شريف عن ام سلمة	٣٨	ترجمة أبي بكر
١٠٤	تفسير آية « تلك الدار الآخرة »	٤١	مدح أبي بكر لعلي رضي الله عنه
١٠٨	قصد المعصية معصية أم لا	٤١	في أن الأئمة عليهم السلام البئر المعطلة والقصر المشيد .
١١٠	الفصل السادس من الخطبة الكتاب الذي دفعه الرجل إلى علي رضي الله عنه وما فيه	٤٢	تردده ﷺ بين أمرين : القتال أو الصبر
١١٤		٤٤	شرح الفصل الثاني من الخطبة
		٥٠	ترجمة عمر
		٥٣	كيفية عقد أبي بكر الخلافة لعمر
		٥٧	حديث إقالة أبي بكر
		٥٨	قصة إسلام جبلة و ارتداده

العنوان	الصفحة	العنوان	الصفحة
المختار الحادي عشر .	١٦٤	الفصل الأول من المختار الرابع	١١٧
سنة امور في آداب الحرب .	١٦٥	آل محمد عليهم السلام هم الهداة	١١٨
غزوة الجمل .	١٦٧	سر وصفه <small>عليه السلام</small> السمع بعدم الفقه	
ترجمة محمد بن الحنفية .	١٧٦	لا بعدم السماع .	١٢٤
المختار الثاني عشر .	١٨١	الأئمة عليهم السلام يعرفون محبيهم	
مروره <small>عليه السلام</small> على قتلى الجمل		و مبغضيه .	١٢٦
ومكالمته معهم .	١٨٣	قضاء علي <small>عليه السلام</small> على امرأة لزوجها	١٢٨
قضية الشيخ المفيد مع الرهاني	١٨٥	في الجواد المضلة .	١٣١
المختار الثالث عشر .	١٨٧	المختار الخامس .	١٣٥
سبعة اهور في ذم أهل البصرة .	١٨٨	جوابه <small>عليه السلام</small> عن بحثه على المبايع .	١٣٧
في تحريم مجالسة أهل المعاصي .	١٩٢	رضا الناس لا يملك والستهم لاتضبط	١٣٩
كلامه <small>عليه السلام</small> مع الحسن البصري .	١٩٥	في المراد من العلم المكنون في	
اخباره <small>عليه السلام</small> بالغيب في ارض البصرة		قوله <small>عليه السلام</small>	١٤٠
بالفرق والهدم .	١٩٧	المختار السادس .	١٤٣
الآيات و الروايات الواردة في نهى		ترجمة طلحة والزبير .	١٤٥
عائشة عن الخروج إلى القتال .	٢٠٤	سبب نقض طلحة والزبير بيعة علي <small>عليه السلام</small>	١٤٦
حديث الطير المعروف بين الفريقين .	٢٠٧	المختار السابع .	١٥٠
الروايات الواردة في نهى عائشة		ذمه <small>عليه السلام</small> المتمردين عن طاعته .	١٥١
عن الخروج .	٢٠٨	المختار الثامن .	١٥٤
المختار الرابع عشر .	٢١١	في قتل طلحة والزبير .	١٥٥
المختار الخامس عشر .	٢١٣	كيفية قتل الزبير	١٥٦
فيما رده <small>عليه السلام</small> على المسلمين من		المختار التاسع .	١٥٨
قطايح عثمان .	٢١٤	في ذم طلحة و الزبير و أتباعهما .	١٥٩
المختار السادس عشر .	٢١٦	المختار العاشر .	١٦١

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٢٧٧	في النهى عن العمل بالرأى والقياس	٢١٧	اول خطبة خطبها <small>عليه السلام</small> بالمدينة .
٢٨١	المختار التاسع عشر .		لا بد للناس من أن يمحصوا
٢٨٣	اعتراض الأشعث على علي <small>عليه السلام</small>	٢٢١	و يغربلوا
	في المراد من قوله <small>عليه السلام</small> : حائك	٢٢٣	في أن التقوى مطايا ذلل .
٢٨٥	ابن حائك .	٢٢٥	ذكر الخطبة على رواية غير الرضى «قد»
٢٨٦	حديث شريف في ذم الحائك .	٢٢٩	تقسيم المكلفين على خمسة أقسام .
٢٨٨	اسر الأشعث في الكفر والاسلام .	٢٣٢	الفصل الثانى من المختار .
٢٩٢	المختار العشرون .	٢٣٥	تقسيم الناس إلى اقسام ثلاثة .
٢٩٤	ندبة مولانا زين العابدين <small>عليه السلام</small> .		المراد من الطريق الوسطى هي
٢٩٩	نقل الخطبة عن الكافي .	٢٣٩	الولاية .
٣٠٠	المختار الحادى والعشرون .		فى أن حساب الخلق إلى الأئمة
٣٠٢	ما ذكره الشراح في المقام .	٢٤١	عليهم السلام .
٣٠٥	في زهد سلمان «رض» .	٢٤٣	ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم اقيامة .
٣٠٧	المختار الثانى والعشرون .	٢٤٥	في إصلاح ذات البين .
	فصول الخطبة على رواية البحراني	٢٤٦	المختار السابع عشر .
٣١٢	و المعتزلي والكليني .	٢٥١	تحقيق معنى البدعة .
٣١٨	المختار الثالث والعشرون .	٢٥٢	محدثات الامور بعد النبي <small>عليه السلام</small> .
٣١٩	في تهذيب الفقراء وتأديب الأغنياء .		أوصاف ناني الرجلين من قضاة
	في الريا و بعض ماورد فيه من	٢٥٥	الجور .
٣٢٤	الآيات و الأخبار .		ذكر الخطبة على رواية غير
٣٣٠	في أقسام الريا .	٢٦١	الرضى «ره» .
٣٣٣	في علاج الريا .	٢٦٦	المختار الثامن عشر .
٣٣٦	نقل الخطبة عن الكافي .	٢٦٨	فى بيان التخطئة و التصويب .
		٢٧٢	فى ذم العلماء و القضاة السوء .

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٣٦٧	الرسول ﷺ .	٣٣٨	الفصل الثاني
	إنكا الشارح المعتزلي بمض	٣٣٩	في الأربصلة أرحام الفقراء .
	ما جرى على أهل البيت عليهم السلام		نمرات صلة الأرحام و مفاصد
٣٧٢	وجوابه .	٣٤١	قطيعتها .
٣٧٤	الفصل الثالث .	٣٤٣	المختار الرابع و العشرون .
	بيان حال عمرو بن العاص مع	٣٤٥	بيان معنى التقوى لغة و شرعا .
٣٧٥	معاوية .		المختار الخامس و العشرون في
	نقل الخطبة مفصلا على رواية		تضجره ﷺ عن تناقل أصحابه
٣٨٠	غير السيد «ره»	٣٤٧	عن الجهاد .
	المختار السابع و العشرون في	٣٥٠	ترجمة معاوية .
٣٨٨	فضل الجهاد و استنهاض الناس	٣٥٣	قصة بسرين أبي أرطاة .
٣٩٢	خبر غزو الأنبار .	٣٥٨	ولادة الحجاج .
٣٩٦	منافع الجهاد و مصالحه .	٣٦٠	في دعائه ﷺ على بسر .
٣٩٨	حنه ﷺ أصحابه على جهاد معاوية .	٣٦٢	المختار السادس و العشرون .
٤٠٣	ذكر المختار على رواية الصدوق .	٣٦٣	العرب في أيام الجاهلية .
٤٠٥	ترجمة الخطبة .	٣٦٦	الفصل الثاني .
			فيما جرى عليه ﷺ بعد ارتحال